المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعها
" ١٦ "



النموذج الإداري المستخلص من
إدارة عمر بن عبدالعزيز
وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية

إعداد
محمد بن مشبب بن سلمان القحطاني

١٤١٨ هـ

ⓗ جامعة أم القرى ، ١٤١٦ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

القحطاني ، محمد بن مشبب بن سلمان

الأنموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبدالعزيز وتطبيقاته في الإدارة وخاصة الإدارة التربوية .ـ مكة المكرمة .

٤٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

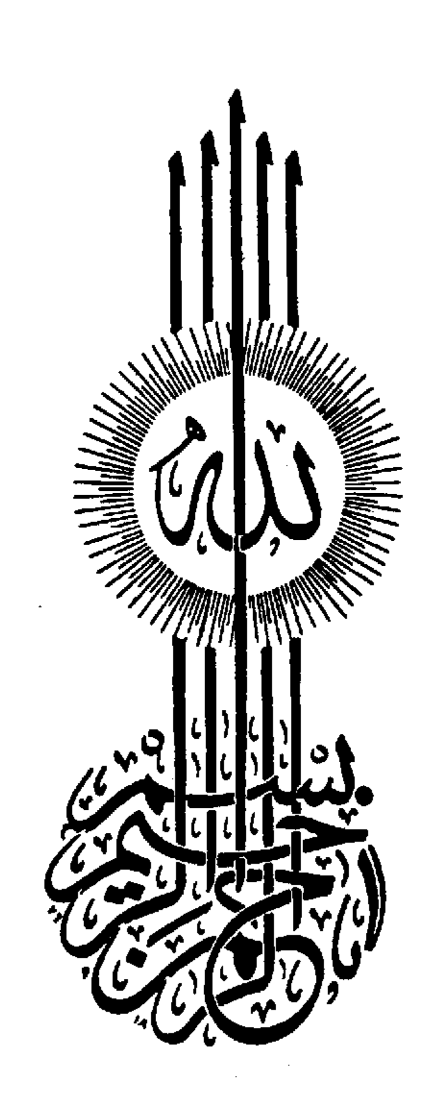
ردمك ٧ ـ ١٢١ ـ ٣ ـ ٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ عمر بن عبدالعزيز ، ت ١٠١ هـ ٢ ـ الإدارة في الإسلام أ ـ العنوان

ديوي ٩٢٣.١٥٣٠٣٨ ١٦ / ٣٤٧٩

رقم الإيداع : ٣٤٧٩ / ١٦

ردمك ٧ ـ ١٢١ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا العمل رسالة ماجستير بعنوان (النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبدالعزيز وتطبيقاته في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية) .

كلية التربية ـ مكة المكرمة : قسم الإدارة التربوية والتخطيط .

أوصت لجنة المناقشة بطبعها ..

وبالله التوفيق

الفصل التمهيدي

خطة البحث

والدراسات السابقة

ويشتمل على :

* مقدمـــة .
* تحديد موضوع البحث .
* تساؤلات البحث .
* أهداف البحث .
* أهمية البحث .
* منهـج البحث .
* حـدود البحث .
* مصطلحات البحث .
* الدراسات السابقة .

* مقدمــــة :

الحمد لله الذي علم بالقلم ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد عرف الإنسانُ الإدارة منذ فجر التاريخ الحضاري ، فالأمم قديمُها وحديثُها عرفت وطبقت الإدارة بصورة أو بأخرى ، حسب ما توفر لديها من الوسائل والإمكانات . يقول مارشال ديموك (Marshall Dimock) عن تاريخ الإدارة وإهتمام الحضارات القديمة بها : « تُبين ألواح الطين المسمارية والهيروغليفية ولفائف البردي والتوراة ذاتها ، أن الإدارة العامة كانت موضوع إهتمام الجنس الإنساني ، وتدل على ذلك أقدم السجلات التي أمكن العثور عليها »[١] .

ويمكن القول إن الإدارة تحت مفهوم الجهد الجماعي ، هي : تطبيق قائم وتنظيم قديم قدم المجتمعات الإنسانية ، فحكومة الفراعنة تعرفت على مشكلات الأفراد وتصدّت لها ، وتمكنت الإدارة الصينية من إيجاد الحلول المناسبة لمشكلات المديرين ، وتجلى اهتمام اليونان والرومان بالإدارة في ديمقراطية الإدارة عندهم ، وتبني بعض المبادىء الإدارية[٢] . ثم جاء الدين الإسلامي فبرزت ملامح الإدارة بشكل واضح بقيام الدولة الإسلامية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحابته من بعده رضوان الله عليهم ، ثم تجلت الممارسات القيادية والإدارية في زمن التابعين ، والسلف الصالح من الخلفاء والأمراء ، ومنهم خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، وما قام به في هذا المجال، والذي سيتضح من خلال محتويات هذه الدراسة إن شاء الله .

---

(١) أكرم رسلان ديرانيه : الحكم والإدارة في الإسلام : دراسة تحليلية ومقارنة ، جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٣ .

(٢) نواف كنعان : القيادة الإدارية ، الرياض ، دار العلوم ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٩ .

وما أن طلع القرن العشرون حتى أخذ موضوع الإدارة بعداً حديثاً ، حيث ظهرت الإدارة العلمية لفريدريك تايلور (Fredrick Taylor) الذي كان أبرز ما أتى به هو استخدام الطريقة العلمية تحت شعار تحقيق أقصى كفاية إنتاجية للأفراد والآلات . وفي تلك الفترة ظهر العالم الفرنسي هنري فايول (Henri Fayol) الذي اهتم بوظائف الإدارة ومبادئها ، فاقترح أربعة عشر مبدأً من مبادىء الإدارة لا تزال معتبرة في مجال الإدارة وتطبيقاتها .

ثم جاءت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي تُعَدُّ فترة الثراء العلمي في العديد من حقول العلم ، ومنها حقل الإدارة العامة[1] ، فأصبحت الإدارة أحد العلوم القائمة بذاتها حيث صار لها من النظريات والتطبيقات والمجالات ما أرسى المبادىء العلمية لعلم الإدارة ، إذ جاء ذلك في إطار تزايد أهمية الإدارة في ضوء الثورة الصناعية والإنفجار المعرفي الهائل في العالمين الشرقي والغربي.

وفي هذا الإطار فالإدارة في مجملها تسعى إلى تحقيق السعادة والرخاء لأفراد الأمة ، فالإنسان وبيئته الاجتماعية وبناء حضارته هو مصب اهتمامها ، لذا فإن الإدارة قديمها وحديثها ، فكراً وتطبيقاً ، تؤثر وتتأثر بفكر الإنسان ، وبسياسة مجتمعه ، وبالفلسفات والمناخ الفكري والثقافي للأمة ، حيث لا يمكن فصل الإدارة عن الظروف التي تعمل فيها ، إذ تتكيف الإدارة بالظروف الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والخلقية ، والفلسفية السائدة[2] .

ومن المؤكد أن ذلك التأثير والتأثر يشمل الإدارة التربوية ، تلك الإدارة التي تعمل من أجل العنصر البشري في إطار المؤسسات التعليمية ، حيث إن الثقافة الاجتماعية السائدة تحدد أهداف وطبيعة وأساليب الإدارة التربوية إلى

---

(١) محمد مهنا العلي : الإدارة في الإسلام ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٤ .

(٢) سيد الهواري : الإدارة الأصول والأسس العلمية ، القاهرة ، مكتبة عين شمس ، ١٩٨٧ م ، ص ٦٤٧ .

حد كبير ، فهي تُعد أحد عناصرها ، كما تؤثر الإدارة التربوية بدورها في تغيير وتطوير الكثير من الاتجاهات الفكرية والسلوكية في المجتمع ، ذلك لاتصالها بأفراد المجتمع بشكل أو بآخر[١] .

ونظراً لأهمية الإدارة ، وما أبرزه علم الإدارة من نظريات وتطبيقات في الشرق والغرب ، فإن المطَّلِع على ما تقدمه كثير من المراجع العربية في مجال الإدارة وتطورها والعوامل المؤثرة فيها ، وما تبرزه من نماذج للإدارة ونظريات وتطبيقات ، يلمس فيها إبرازاً للنظريات والمدارس المختلفة ، شرقية ، وغربية ، رأسمالية واشتراكية ، وما قام به رواد الفكر الإداري في تلك المدارس ، دون أن تنال الأسس والمبادىء الإدارية الإسلامية والتجربة الإسلامية في مجال الإدارة حقَّها من الاهتمام ، لتأخذ مكانها اللائق بين تلك التجارب والمدارس . مما يجعل القارىء يتساءل : أين النموذج الإسلامي للإدارة ؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل لا بد لنا من إقامة ما دعا إليه رجاء الله جارودي[٢] ، وما سماه بـ « الإرث الثالث » ويقصد به الإسلام الذي يتوسط حضارة الأقوياء وحضارة الضعفاء ، حيث يرى أن حضارة الإسلام هي التي تصلح لإرث الأرض، فكان جريئاً في دعوته إلى « أسلمة » الحضارة الإنسانية، بما في ذلك علم الإدارة ومبادئه ونظرياته وتطبيقاته ، فإدارة ذات مصدر من خصائصه البقاء والنماء والإرتقاء ، ألا وهو الإسلام ، حريَّة بأن تُدرس وتُحلل ويؤلف فيها الكثير والكثير[٣] .

(١) أحمد عبدالباقي بستان ، وحسن طه : مدخل إلى الإدارة التربوية ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) عالم فرنسي كان ملحداً ، درس وتعلم الإسلام فأسلم ، حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٦ هـ (عن كتاب الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية ١٤٠٦ هـ ـ يصدر عن جائزة الملك فيصل العالمية بالرياض) .

(٣) عمر بهاء الدين الأميري : الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري ، الدوحة ، مؤسسة الشرق للنشر والترجمة ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٤ .

بيد أن ما بذل في هذا المجال لإبراز النموذج الإسلامي للإدارة لا يزال محدوداً ، إذ أن جل ما كتب عن الإدارة الإسلامية لا يتعدى أن يكون سرداً تاريخياً لما كان من أحداث ، أو ما قام به أحد أعلام المسلمين من أعمال ، أو تشخيصاً لحالة أو ما شابه ذلك .

ويبقي ميدان العمل الإسلامي والمكتبة الإسلامية يفتقران إلى إبراز النموذج الإسلامي للإدارة بصفة عامة ، والإدارة التربوية والتعليمية بصفة خاصة ، إذ يتطلب ذلك الأمر دراسة الحقائق والوثائق الإدارية في الإسلام ، وتحليل واستنباط المبادىء والأسس الإدارية مما طبقه السلف الصالح ، ورواد الفكر الإداري في الإسلام .

ومعلوم أن الإدارة كعلم قائم بذاته ، تطور بناءً على فن الإدارة وممارساتها ، وعلى هذا الأساس فقد كان للمسلمين دورٌ بارزٌ في هذا المجال ، مما جعل ذلك الدور وممارساته جديراً بالدراسة ، والربط بينها وبين ما وصلت إليه الإدارة من تطور مؤخراً .

وبعبارة أخرى فالأمر يتطلب الربط بين التطبيقات العلمية والتكنولوجية الإدارية الحديثة ، وبين الأفكار والتطبيقات والتجارب المبنية على المبادىء والممارسات الإسلامية التي نجحت في إدارة الدولة الإسلامية ، في فترة امتدت حدودها من شنغهاي في الصين شرقاً إلى شواطىء المحيط الأطلسي في بلاد الأندلس غرباً ، حين قادها الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، خامس الخلفاء الراشدين ومجدد المائة الأولى[1] ، فاستطاع أن يديرها ـ في

(١) قال رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » . أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) : سنن أبي داوود ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار إحياء السنة النبوية ، بدون تاريخ نشر ، جـ ٤ ، ص ١٠٩ . ويقول الإمام أحمد بن حنبل في تعليق له على هذا الحديث : « فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز ، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي » ، (جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد ، تحقيق نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٧٤) .

زمان كان يفتقر إلى وسائل الإتصال والتقدم العلمي المتوفر في وقتنا الحاضر ـ إدارة متميزة يفخر بها المسلمون على مر العصور ، ويعجب لها غيرهم .

ولو كان لنا أن نتساءل : ماذا لو توفر لعمر بن عبدالعزيز ما يتوفر لنا الآن من التقدم العلمي والتسخير التكنولوجي ، مع ما اتسمت به قيادته ، وما حققته إدارته من نجاح في ذلك الوقت على مستوى الأمة الإسلامية على اتساعها ، ماذا سيكون عليه الحال ؟ دون شك سيكون الحال أكثر إشراقاً ، وفيه حافزٌ لبحث هذه الأحوال المشرقة ، والتعرف على أسرارها ومقوماتها ، لتكون هذه الدراسة ومثيلاتها مساهمة في إبراز النموذج الإسلامي للإدارة ، ليأخذ مكانه الطبيعي واللائق بين ما تقدمه الثقافات الأخرى .

وذلك مما حدانا لاختيار إدارة الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، موضوعاً لهذه الدراسة .

* تحديد موضوع البحث :

إن الأصول الإسلامية منطلق متين ، وأساس قوي لبناء حضارة شامخة، وتكوين مجتمع مسلم حقاً ، يقيم قوانين الله في كونه ، ويطبق شريعته على خلقه ، وعن ذلك نجد « أن علماء الاجتماع والنفس والتاريخ والحضارات يجمعون على أن الإنطلاق من الأصالة هو الشرط الأول للنجاح والنجاة في معركة استرجاع الذات »(١) .

ولاسترجاع ذاتنا الإسلامية ومكانتنا بين الأمم ، لا بد لنا من العودة للأصول الإسلامية وما أمدتنا به ، من الفكر والتشريع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك التشريع الشامل لكافة جوانب الحياة بما في ذلك الفكر والتطبيق الإداري .

---

(١) الأميري : الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة ، ص ٤٢ .

لذا فإن استخلاص الصفات القيادية والمبادىء الإدارية في شخصية وإدارة عمر بن عبدالعزيز ، هو بمثابة التعرف على مجموعة من الصفات والمبادىء التي قدمتها أصول الفكر الإداري الإسلامي لتكون نموذجاً يحتذى ، تلك الصفات التي تحلى بها عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ، والمبادىء التي اتبعها وسار على نهجها وجعلها في حيز التطبيق ، فكان ممن وصل إلى ذروة العدل البشري في تاريخ المسلمين .

وعليه فإن موضوع البحث يتحدد في دراسة وتحليل قيادة عمر بن عبدالعزيز ، وإدارته في ضوء المفاهيم والأسس الإدارية الحديثة ، لاستخلاص ما اتصف به من صفات قيادية ، وما قامت عليه إدارته من مبادىء إدارية يمكن تقديمها كنموذج بارز للإدارة الإسلامية الرائدة ، وذلك من خلال أقواله ، وأفعاله ، وتطبيقاته الإدارية في كافة المجالات في إطار الظروف البيئية المحيطة به رضي الله عنه ، وكيف يمكن الاستفادة من ذلك في الإدارة بصفة عامة ، وفي مجال القيادة والإدارة التربوية بصفة خاصة .

ويمكن تحديد مشكلة البحث من خلال التساؤل الرئيس التالي : ما هو النموذج الإداري الذي يمكن استخلاصه من إدارة عمر بن عبدالعزيز ؟ وما هي تطبيقاته في مجال الإدارة والإدارة التربوية على وجه الخصوص ؟

* تساؤلات البحث :

من خلال التساؤل الرئيس السابق ذكره (ما هو النموذج الإداري الذي يمكن استخلاصه من إدارة عمر ؟ وما تطبيقاته ؟) ، فإن البحث سوف يحاول الإجابة على التساؤلات الفرعية التالية :

١ ـ ما هي أبرز توجهات عمر بن عبدالعزيز في مجال التربية والتعليم ؟

٢ ـ ما هي الصفات القيادية التي اتسم بها عمر بن عبدالعزيز في ضوء السمات القيادية الحديثة ، وأدلة تحليه بها ؟

٣ ـ كيف يمكن التحلي بصفات عمر القيادية في مجال القيادة الإدارية وبالذات القيادة التربوية ؟

٤ ـ ما هو النمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر ؟ وأين يقع من الأنماط الحديثة ؟

٥ ـ ما هي المبادىء التي يمكن استخلاصها من إدارة عمر بن عبدالعزيز في ضوء المبادىء الإدارية الحديثة ؟ وكيفية تطبيقه لها ؟

٦ ـ كيف يمكن تبني مبادىء وأسس إدارة عمر بن عبدالعزيز في مجال الإدارة وخصوصاً الإدارة التربوية ؟

٧ ـ ما مدى وضوح ممارسة عمر بن عبدالعزيز للوظائف الإدارية الحديثة (التخطيط ، التنظيم ، التوجيه ، الرقابة) ؟

* أهداف البحث :

يهدف البحث فيما يهدف إليه من خلال دراسة وتحليل الجانب القيادي والإداري في شخصية عمر بن عبدالعزيز إلى ما يلي :

١ ـ التعرف على أهم مآثر عمر بن عبدالعزيز في إدارته للدولة الإسلامية وكيف تحقق له النجاح في إطار الظروف البيئية المحيطة .

٢ ـ استخلاص صفات القائد المسلم الناجح من خلال السمات الشخصية لعمر بن عبدالعزيز ، واستنباط المبادىء الإدارية من خلال أقواله وأفعاله وتطبيقاته القيادية والإدارية .

٣ ـ العمل على طرح تلك الصفات والمبادىء بما يناسب التطبيق والاستفادة منها في مجال الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية .

٤ ـ الإسهام في بلورة السمات القيادية والأسس والمبادىء الإدارية في الإسلام مما تستقيم به أمورنا ، ويجعلنا في خير الدنيا والآخرة ، وما يكون مرشداً للقادة والمديرين وخصوصاً في مجال التربية والتعليم .

٥ ـ الإسهام في تأصيل منهج الإدارة ، والعمل على إبراز (النموذج الإسلامي للإدارة) .

* أهمية البحث :

في إطار ما يزخر به المجتمع الإنساني من المذاهب والنظريات الإدارية المختلفة والمتباينة ، فإن الفكر الإداري في الإسلام ، يبقى ذا نبعٍ صافٍ لا تشوبه الشوائب ولا تؤثر فيه الغايات والأهواء ، فكما يقال : آفة الرأي الهوى .

ونموذجٌ في مجال الإدارة كان التشريع الإسلامي مرشده ومنطلقه ، جديرٌ بأن يحتذى، ويكون منهجاً في متناول أيدينا، نقتدي به ونتبعه في إدارتنا ، وذلك مما يدفعنا إلى البحث في السير والتطبيقات الإدارية لسلف هذه الأمة ويزيد من أهمية البحث والتحليل في التراث الإسلامي .

وعليه فإن للبحث في سيرة عمر بن عبدالعزيز القيادية والإدارية أهميةً تتجلى في النقاط التالية :

أولاً : مكانة عمر في الإسلام :

يأخذ البحث جانباً من أهميته من خلال ما تميز به عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه شخصياً ، فهو أحد المجددين في الإسلام ، فالمتتبع لكلام عامة العلماء في شأن المجددين يلاحظ أن هناك شبه إجماع على اعتباره مجدد

القرن الأول[1] ، وهو الذي ملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، وهو الذي يقول فيه ابن الجوزي : « إن هذا الرجل قدوة لأرباب الولايات ، والولايات ، ولقد كان في أرض الله من الآيات »[2] .

وقال النووي عن عمر : « أجمع العلماء على جلالة عمر وفضله ، ووفور عمله ، وصلاحه ، وزهده ، وورعه ، وعدله وشفقته على المسلمين ، وحسن سيرته بينهم ، وبذل وسعه في الاجتهاد ، وفي طاعة الله ، وحرصه على اتباع آثار رسول الله ﷺ ، والاقتداء بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين ، وهو أحد الخلفاء الراشدين ومناقبه أكثر من أن تحصى »[3] .

وقال سفيان الثوري[4] : « أئمة الهدى : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر ابن عبدالعزيز »[5] ، لذا فإن المنهج القيادي والإداري ، لرجل يجمع أغلب علماء الأمة على أنه خامس الخلفاء الراشدين ، لحريٌ بالدراسة والإقتداء ، وعلى درجة من الأهمية ، لا تخفى على ذي بصيرة .

ثانياً : إبداع عمر في الإدارة :

مما يزيد من أهمية البحث أن المؤرخين ، والكتاب ، وأصحاب الدراسات السابقة ، من بحوث الماجستير والدكتوراة وغيرها ، أشاروا إلى أن عمر بن عبدالعزيز من ذوي الإبداع الإداري، وأحد القادة الأخيار، الذين لن يغفل عنهم

(١) المنتدى الإسلامي : التجديد في الإسلام ، لندن ، ١٤١١ هـ ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥ .

(٣) محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) : تهذيب الأسماء واللغات ، بيروت ، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ النشر ، ص ١٧ .

(٤) هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي ، من تابعي التابعين ، ولد سنة (٩٧ هـ)، إتفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش وقول الحق ، توفي بالبصرة سنة (١٦١ هـ) . (النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣) .

(٥) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٣ .

التاريخ على مر العصور، إذ نجد فيما قام به عمر زمن إدارته القصير ـ سنتان وخمسة أشهر ـ للدولة الإسلامية شاهداً على تطور الإدارة في الإسلام : فكراً وتطبيقاً ، وإنه لجدير بالبحث والتحليل ، ثم الإقتداء .

ثالثاً : ثراء الجانب القيادي والإداري التربوي في حياة عمر :

يقول الدكتور عبدالله عسيلان في مقدمة تحقيقه لكتاب « أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز » للآجري : « ولا أبالغ إن قلت : إن سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه تعد مدرسة تربوية ، على نمط فريد ، يجد فيها المتعطشون إلى التقوى والخير والصلاح والعدل والاستقامة والورع والمثل العليا ، ما يروي غليلهم ، ويستحوذ على مشاعرهم وأحاسيسهم »[1] .

لذا ستظل سيرة عمر معجزةً للإسلام والمسلمين ، وميداناً للبحث والتقصي ـ تحدثت عن توجهات عمر في جوانب القيادة والإدارة التربوية في الفصل الثاني من البحث ـ والجانب القيادي الإداري في حياته لم يعطَ حقَّه من البحث والتحليل لبلورة المبادىء والأسس الإدارية عند عمر ، والسمات الشخصية له يرحمه الله .

رابعاً : الحاجة لمنهج السلف الصالح :

إن تطبيق المنهج المادي الغربي ، أو الاشتراكي الشرقي ، في أمور حياة المسلمين ، بما في ذلك أساليب الإدارة ، وأنماط القيادة ، قد ينتج عنه بعض التناقضات ، لأن كل نمط لا يمكن فصله عن البيئة التي نشأ وتطور فيها ، وهذا يوجب علينا ـ ويزيد من أهمية ـ البحث فيما لدينا ، مما انتهجه سلفنا الصالح ، وما جاد به التراث الإسلامي ، في مجال الإدارة ، متمثلاً في الشخصيات

(١) أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠ هـ) : أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته ، تحقيق الدكتور عبدالله عبدالرحيم عسيلان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٢.

القيادية والإدارية في تاريخ الإسلام ، لبلورة منهج أو نموذج يرتبط ببيئتنا الفكرية ، ويتمشى مع التطور الحديث في العلوم والمعارف الإنسانية .

خامساً : المساهمة في إبراز النموذج الإداري في الإسلام :

في إطار أهمية علم الإدارة ، وما ندرسه عن المبادىء والنظريات الشرقية والغربية ، فإن الحاجة ملحة للتعرف على المبادىء والأسس الإدارية ، والسمات القيادية ، لدى القادة والمفكرين المسلمين ، نظير ما نهتم بما أتى به مفكرو الإدارة الحديثة، للمساهمة في إعادة بناء واتباع النموذج الإداري في الإسلام ، من خلال ما طبقه أحد القادة المسلمين ، ثم الاستفادة من ذلك في مجال الإدارة التعليمية والتربوية .

* منهج البحث :

سنعتمد في هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي ، لدراسة وتحليل أقوال وأفعال عمر بن عبدالعزيز المتعلقة بالممارسات والمبادىء الإدارية ، في ضوء الأسس والمفاهيم الإدارية الحديثة ، حيث سيتخذ الباحث الخطوات الإجرائية التالية :

١ ـ دراسة وتحليل شخصية وسلوك عمر بن عبدالعزيز للوقوف على السمات الشخصية التي كانت وراء نجاحه في قيادة الأمة الإسلامية بعون الله .

٢ ـ التعرف على أهم مآثر عمر بن عبدالعزيز ، من الأقوال والأفعال والإجراءات ذات المدلول القيادي والإداري .

٣ ـ تحليل تلك الأقوال والأفعال والإجراءات لاستخلاص المبدأ أو المبادىء التي كان يعتمد عليها، ويهدف إلى تحقيقها واتباعها في إدارته للدولة الإسلامية.

٤ ـ جعل هذه السمات والمبادىء بشكل يمكن الإفادة منه في القيادة والإدارة وخاصة التربوية .

وسوف يعتمد الباحث في ذلك على ما كُتب عن عمر في كتب التاريخ والسير والتراجم قديمها وحديثها ، وبعض الكتب الحديثة في علم الإدارة وما يتعلق به من العلوم الأخرى .

* حدود البحث :

لقد كُتب الكثير من المؤلفات عن عمر بن عبدالعزيز ، إلاَّ أن جُلَّ ما كتب يتحدث عن سيرته وزهده وورعه ومناقبه وسياسته في رد المظالم ونصرة المظلومين ، أما حدود البحث هنا ، وما سوف يركز عليه الباحث ، هو : دراسة الجانب القيادي والإداري في حياة عمر بن عبدالعزيز للوصول إلى الصفات القيادية في شخصيته ، وتحليل واستنباط المبادىء والأسس الإدارية التي طبقها رحمه الله ، في ضوء ما جاء به علم الإدارة حديثاً في هذا المجال ، في محاولة للتعرف على نموذج إدارته ، وإبرازه ، إضافة إلى القاء الضوء على كيفية الاستفادة مما طبق عمر رحمه الله، وتطبيق ذلك في إدارتنا في الوقت الحاضر.

ولذلك فليس من مهام هذا البحث دراسة الجوانب الفقهية في حياة عمر بن عبدالعزيز أو النواحي التاريخية أو الاجتماعية .

* مصطلحات البحث :

١ ـ النموذج الإداري :

في هذا البحث نعني بالنموذج الإداري : ذلك الأسلوب أو المنهج أو تلك المقومات التي تبناها عمر بن عبدالعزيز في قيادته للأمة الإسلامية وإدارته لأمور الدولة على اتساعها ، ويشمل الصفات الشخصية القيادية لعمر ،

والمبادىء الإدارية التي اتبعها في إدارته والتي مكنته بعون الله من النجاح في خلافته ، مما جعله يرتقي إلى مرتبة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

٢ ـ إدارة عمر بن عبدالعزيز :

نعني بإدارة عمر بن عبدالعزيز في هذا البحث : تلك المهام والممارسات الإدارية التي تميز بها عمر بن عبدالعزيز شخصياً ، فكراً وتطبيقاً . وليس ما يتعلق بأجهزة الدولة التي كان يرأسها .

٣ ـ الصفات القيادية :

ونعني بالصفات القيادية في هذا البحث : تلك السمات والمزايا الشخصية التي وهبها الله للشخص أو اكتسبها ، والتي تمكنه من القيادة والتأثير ، وتجعل الآخرين يطيعونه وينقادون له بإخلاص ، ويطمئنون لقيادته .

٤ ـ المبادىء الإدارية :

ونعني بالمبادىء الإدارية في هذا البحث : تلك الضوابط والأسس التي يلتزم بها القائد أو الإداري في سلوكه وقيادته وإدارته ، متخذاً إياها منطلقاً له في كافة معاملاته وممارساته الإدارية على المستوى الفردي أو على مستوى الأمة .

٥ ـ الإدارة التربوية :

بالإضافة إلى أن الإدارة التربوية تعني : الممارسات الإدارية في المؤسسات التربوية والتعليمية والمدرسية ، أيضاً نعني بالإدارة التربوية هنا : تلك الإدارة التربوية الشاملة لكل جوانب حياة المسلم الروحية والعلمية والعملية ، وكافة متطلبات الأمة الدينية والاجتماعية ، أي إدارة التربية بمعناها الواسع ، الذي يحقق بناء مجتمع الأمة المسلمة المنشود .

* الدراسات السابقة :

نظراً لما جرت عليه العادة من ذكر الرسائل العلمية فقط كدراسات سابقة فإنني سأذكرها مقسماً إياها إلى قسمين :

الأول : الدراسات السابقة المتعلقة بعمر بن عبدالعزيز رحمه الله في المجالات المختلفة ، حيث قام الباحث بتقصي ما بُحث عن عمر بن عبدالعزيز في جامعات المملكة العربية السعودية ، وكذلك الاستعانة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض للغرض نفسه .

الثاني : الدراسات السابقة من صنف دراستنا من حيث دراسة الشخصيات المسلمة . أما القسم الأول فكان على النحو التالي :

الدراسة الأولى :

قدمت هذه الدراسة لقسم السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وكانت الدراسة بعنوان « السياسة الإدارية في عهد عمر بن عبدالعزيز »[1] ، جاءت الدراسة في أربعة أبواب ، قسم كل منها إلى فصول ثم مباحث ، ثم مطالب .

وقد تطرق الباحث في أهم مواضيع بحثه إلى التعريف بعمر بن عبدالعزيز وسيرته قبل وبعد الخلافة ، ثم سياسة عمر وأسلوبه في القيادة ، والإدارة والتوجيه والرقابة والمتابعة للولاة وأهم منجزات عمر في ميدان الحرب، والقضاء.

بعد ذلك تطرق البحث إلى سياسة عمر المالية ، وأثرها على المجتمع الإسلامي . وأخيراً جاء الباب الرابع ، حول سياسة عمر بن عبدالعزيز في التنظيم الاجتماعي والتعليم والتثقيف .

---

(١) مروان على محمد القدومي : السياسة الإدارية في عهد عمر بن عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قدمت للمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

والدراسة في مجملها قد اشتملت على معظم أعمال عمر بن عبدالعزيز في كافة المجالات وسياسته في ذلك ، فصنفت الأعمال ، إلى ما يناسب نوع العمل من حيث القيادة والإدارة ، وبأسلوب الذكر للحدث أو العمل ، تاريخياً ، حتى وصل الباحث في النهاية إلى أن عمر بن عبدالعزيز ، جمع بين الإدارة والإرشاد والدعوة والسياسة .

وتتميز هذه الدراسة التي قمنا بها عن تلك الدراسة السابقة بأنها تعرضت إلى دراسة وتحليل تلك المواقف والأعمال الإدارية والقيادية لعمر بن عبدالعزيز ، بهدف استنباط الصفات القيادية والمبادىء الإدارية ، والتي مكنت عمر من النجاح في قيادة الأمة، وإصلاح شأنها، لنضعها بشكل يمكن تطبيقه ، سعياً وراء تحقيق النجاح والكفاءة في إدارتنا ، وبخاصة الإدارة التربوية الحاضرة ، بعون الله وتوفيقه .

الدراسة الثانية :

كان عنوان هذه الدراسة « عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم »[1] ، وقد قدمت لقسم الحضارة والتاريخ الإسلامي ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وقد هدفت الدراسة إلى إيضاح آثار ومناقب عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم إلى أهلها .

والدراسة في مجملها تشتمل على ثلاثة فصول ، الأول منها عن حياة عمر قبل توليه الخلافة . والثاني عن عمر الخليفة ومنهجه في إدارة الدولة ، وما قام به على طريق الإصلاح ، ودوره في نشر الإسلام . أما الفصل الثالث فكان عن سياسة عمر بن عبدالعزيز في رد المظالم قبل خلافته وأثناءها . وأخيراً خاتمة

(١) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، مكة المكرمة رسالة ماجستير قدمت لجامعة أم القرى ، (منشورة) ١٤٠٧ هـ .

عرضت فيها الباحثة محتويات البحث بشكل موجز ، وهنا تختلف الدراسة التي سنقوم بها عن تلك في أنها دراسة تاريخية تحليلية للجانب القيادي والإداري في حياة عمر بن عبدالعزيز ، وكيفية الاستفادة من ذلك في مجال الإدارة ، وخصوصاً الصفات القيادية التي تميز بها عمر ، والمبادىء التي تبناها في إدارته للدولة الإسلامية .

الدراسة الثالثة :

قدمت هذه الدراسة للمعهد العالي بالمدينة المنورة والتابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وكانت بعنوان « الخليفة عمر بن عبدالعزيز محتسباً »(١) .

وقد اهتمت الدراسة باحتساب عمر في أعماله ، فكان الفصل الأول عن التعريف بعمر قبل وبعد الخلافة ، أما الفصل الثاني فكان على مباحث الأول منها : عن عمر وصفات المحتسب . والثاني : ميادين احتساب عمر . والثالث : منهجه وأسلوبه في الإحتساب ومواطن القدوة فيه . وأخيراً آثار إحتسابه ، ثم خاتمة البحث ، وهنا تختلف الدراسة التي سنقوم بها عن هذه الدراسة في إختلاف الموضوع كما يتضح مما سبق ذكره .

الدراسة الرابعة :

جاءت هذه الدراسة لتبرز دور عمر بن عبدالعزيز في الدعوة ، إذ كان عنوانها « عمر بن عبدالعزيز ، حياته ومنهجه في الدعوة »(٢) . وقدمت إلى كلية

---

(١) محمد عثمان عبدالرحيم : الخليفة عمر بن عبدالعزيز محتسباً ، المدينة المنورة ، ١٤٠٤ هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فرع المدينة المنورة .

(٢) حمود بن دخيل الله بن حمود الشرمي: عمر بن عبدالعزيز حياته ومنهجه في الدعوة، الرياض ١٤٠٤ هـ ـ ١٤٠٥ هـ . رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الدعوة والإعلام ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . وقد اهتمت الدراسة بإبراز وإيضاح شخصية عمر الداعية ، حيث اتبع الباحث المنهج التحليلي التاريخي لمواقف ومنهج الداعية عمر ، وعصره ، لاستنباط الكثير من آثاره ، ليقوم الباحث بالتصنيف والبناء لشخصية عمر الداعية . وكانت الرسالة في ثلاثة فصول وخاتمة :

حيث كان الفصل الأول : ترجمة لحياته رضي الله عنه ، وولايته قبل الخلافة ، ونصحه لمن كان قبله من الخلفاء ، ثم خلافته للمسلمين .

أما الفصل الثاني ، فكان عن عصر عمر من حيث الحالة الاجتماعية ، والسياسية ، والحالة الفكرية . وجاء الفصل الثالث عن الدعوة والداعية ، ومنهج عمر في ذلك ، وأخيراً خاتمة تطرق فيها الباحث إلى ما توصل إليه من أن عمر أحد الدعاة المخلصين ، وأحد أئمة الهدى والعدل . ويتضح أيضاً اختلاف ما سيتم بحثه في دراستنا عن هذه الدراسة تبعاً لاختلاف الموضوع ، إذ تهتم دراستنا بالجانب القيادي والإداري عند عمر ، أما هذه الدراسة السابقة فقد كانت عن منهج عمر في الدعوة .

الدراسة الخامسة :

أما الدراسة الخامسة فتتعلق بفقه عمر بن عبدالعزيز ، وعنوانها « فقه عمر بن عبدالعزيز »[1] ، مقدمة إلى المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، وتنصب الدراسة على آراء عمر الفقهية ، حيث يقول الباحث : إنه وجد « كنوزاً منشورة من الآراء الفقهية لعمر بن عبدالعزيز ، وهو ما لم أكن أتوقع وجوده بهذه الكمية ، حيث بلغت المسائل ما يزيد على خمسمائة وخمسين مسألة موزعة على أبواب الفقه »[2] .

---

(١) محمد بن سعد بن شقير : فقه عمر بن عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ ، رسالة دكتوراة غير منشورة، مقدمة للمعهد العالي للقضاء ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ، ص ٢ .

وقد كانت الرسالة في بابين جاءت في جزءين بلغا (١١٥٧) صفحة ، فاهتم الباب الأول : بالتعريف بعمر ، ويشمل خمسة فصول ، ثم الباب الثاني : ويهتم بفقه عمر ويشمل ثمانية فصول ، تشمل معظم أبواب الفقه الإسلامي ، ثم خاتمة للبحث. وهنا يتضح أن هذه الدراسة تهتم بالجانب الفقهي في حياة عمر، وذلك ما لا يتطرق إليه بحثنا ، مهتمين بالجانب القيادي والإداري في حياة عمر رضي الله عنه .

ثانياً : الدراسات السابقة من صنف الدراسة :

إقتصرت الدراسات السابقة من حيث المواضيع المشابهة ، وما سبق دراسته عن الإدارة والقيادة عند شخصيات إسلامية ، أو من وجهة النظر الإسلامية ، على ما قدم لكلية التربية بجامعة أم القرى (كلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة سابقاً) ، وسيتم تحديد ما تختلف به دراستنا عن هذه الدراسات السابقة في نهاية عرض هذه الدراسات :

الدراسة الأولى :

قدمت هذه الدراسة لقسم الإدارة التربوية والتخطيط ، بكلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة بعنوان « الإدارة الإسلامية لمحات من أسسها »(١) ، حيث حاول الباحث إيضاح بعض الأسس التي قامت عليها الإدارة الإسلامية وكذلك مبادئها ثم أنواع الإدارة في الإسلام ، ثم تحدث عن مصادر الدين الإسلامي .

وأخيراً تحدث عن الإدارة الإسلامية في ضوء المفاهيم الإدارية الحديثة وقد كانت الرسالة مختصرة وأتت على مواضيع كل منها في حاجة إلى بحث ودراسة مستقلة ، علماً بأن الباحث وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه نموذجاً مثالياً لدراسته .

---

(١) رياض صالح جنزرلي : الإدارة الإسلامية لمحات من أسسها ، مكة المكرمة ، ١٣٩٧ هـ ، بحث متطلب خاص للماجستير غير منشور ، قدم لجامعة الملك عبدالعزيز ، فرع مكة المكرمة .

الدراسة الثانية :

«إدارة الفاروق عمر رضي الله عنه دراسة تحليلية في الإدارة التربوية»[1]، عنوانا للدراسة الثانية ، التي قدمت لقسم الإدارة التربوية والتخطيط بكلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة . واهتمت هذه الدراسة بإبراز بعض الأسس العامة في إدارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والتي قامت عليها إدارته ، وحاجة الإدارة التربوية إليها .

وكانت الدراسة في ثلاثة فصول : الأول : عن حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والثاني : عن الأسس العامة التي قامت عليها إدارته ، والثالث : عن الحاجة إلى تلك الأسس . وكيف يمكن الاستفادة منها في الإدارة التربوية .

الدراسة الثالثة :

قدمت هذه الدراسة لكلية التربية بجامعة أم القرى وكانت الدراسة بعنوان « القيادة التربوية بين المفهوم الإسلامي والغربي »[2] ، حيث تقع الرسالة في خمسة فصول ، الأول : منها يتعلق بالمقدمات والثاني : خصص للتعريفات العامة في مجال الإدارة ، أم الفصل الثالث : فكان الجزء الأول منه عن القيادة التربوية في الإسلام ، مفاهيمها وشروطها وأهميتها وواجباتها ، ثم بعض النماذج القيادية التربوية في الإسلام ، وعلى رأسهم الرسول ﷺ ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عمر بن عبدالعزيز .

---

(١) الشريف حسن محمد القناوي : إدارة الفاروق عمر رضي الله عنه دراسة تحليلية في الإدارة التربوية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ ، رسالة ماجستير قدمت لجامعة الملك عبدالعزيز ، فرع مكة المكرمة ، (منشورة ١٤٠١ هـ) .

(٢) فهد سعد الثبيتي : القيادة التربوية بين المفهوم الإسلامي والغربي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٤ هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة أم القرى .

أما الجزء الثاني : فكان عن العوامل المؤثرة في القيادة التربوية في الغرب، وجاء الفصل الرابع : عن الأسس التي قامت عليها القيادة التربوية في الإسلام ، وكذلك في الغرب ، وأخيراً الفصل الخامس : نتائج عامة وخلاصة .

الدراسة الرابعة :

« مبادىء مختارة للإدارة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النبوية »[1] ، كان عنواناً لدراسة قدمت لقسم الإدارة التربوية بكلية التربية بجامعة أم القرى ، حيث اشتملت الدراسة على خمسة فصول ، وتهدف الدراسة إلى استخلاص بعض مبادىء الإدارة التربوية من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتوضح مدى الحاجة إليها في الإدارات التربوية المعاصرة ، وبالتالي دعوة العاملين في مؤسسات التربية إلى اتباع تلك المبادىء .

وقد جعل الباحث فصلاً للتمهيد للبحث، وأما الفصل الأول : من الدراسة : فكان عن حقيقة الإدارة التربوية . والفصل الثاني : عن الإدارة التربوية بين الأصالة والمعاصرة ، والفصل الثالث : عن خصائص الإدارة التربوية . أما الفصل الرابع : فكان عن المبادىء المختارة للإدارة التربوية، وهو جوهر البحث ، وأخيراً الفصل الخامس : عن نتائج وتوصيات البحث ، والتي ركزت على ضرورة الاستفادة من تلك المبادىء في الحاضر .

وفي ختام عرض الدراسات السابقة في القسم الثاني ، فإنها تتميَّز بالتركيز على إبراز ما يحتويه التراث الإسلامي من الخصائص والمبادىء الإدارية ، والقيادية ، والتربوية الصالحة لكل زمان ومكان ، ولكنها تختلف في اهتمامها بجوانب متفرقة ، منها : الإدارة ومبادئها ، والقيادة ومفاهيمها في الإسلام ، والنماذج المثالية في الإدارة والقيادة في الإسلام .

(١) على إبراهيم الزهراني : مبادىء مختارة مقدمة للإدارة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النبوية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦ هـ رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت لجامعة أم القرى .

وقد أشارت بعض الدراسات والمؤلفات ، إلى أن عمر بن عبدالعزيز أحد النماذج المثالية في الإدارة ، وأحد أعلام المسلمين في القيادة ، فقد ارتقى في نظر علماء الإسلام ، إلى مستوى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، مما سيجعل لدراستنا هذه إن شاء الله حيِّزاً بين تلك الدراسات ، إذ تختلف دراستنا عن تلك الدراسات في شخصية البحث ، ناهيك عن اختلاف محتويات وزوايا البحث ، حيث سيكون التركيز على الجانب القيادي والإداري في حياة عمر من حيث السمات القيادية والمبادىء الإدارية ، تحليلاً ودراسة ، للوصول إلى نموذج لإدارة عمر كأحد نماذج الإدارة في الإسلام ، والعمل على الاستفادة من ذلك في إداراتنا وبخاصة الإدارة التربوية في الوقت الحاضر ، وذلك ما لم تتطرق إليه الدراسات السابقة .

ذلك ما سنأتي عليه بشيء من التفصيل في فصول هذا البحث الخمسة التالية ، فنرجو من الله التوفيق والسداد .

الفصل الأول

عمر بن عبدالعزيز والظروف البيئية التي نشأ فيها

ويشتمل على :

المبحث الأول : التعريف بعمر بن عبدالعزيز .

المبحث الثاني : تربية وتعليم عمر وأثرهما في سلوكه القيادي والإداري .

المبحث الثالث : بيئة الحكم الأموي وأثرها في إدارة عمر .

* تمهيـــد :

يأتي هذا الفصل ليكون أول فصول البحث ، عقب الفصل التمهيدي ، الذي تحدثنا فيه عن خطة البحث والدراسات السابقة ، وسيكون الحديث فيه إن شاء الله عن عمر ، وعن الظروف التي نشأ فيها ، إذ لا نستطيع الحديث عن سلوك عمر القيادي والإداري ما لم نتعرض لنشأته ، والتعريف به ، وبتربيته ، وتعليمه ، وما أحاط به من ظروف بيئية ، حتماً كان لها أكبر الأثر ، بشكل أو بآخر على منهجه في إدارته للدولة الإسلامية ، ذلك النموذج الإداري الذي نسعى إلى إبرازه في فصول البحث القادمة .

وسنبدأ الفصل بالتعريف بعمر بن عبدالعزيز في المبحث الأول . وفي المبحث الثاني : عوامل ومقومات تربية وتعليم عمر ، وأثرهما في سلوكه القيادي والإداري . ثم المبحث الثالث : نتحدث فيه عن بيئة الحكم الأمَوي ، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وكيف كان لها الأثرُ في الأسلوب القيادي الإداري الذي اتبعه عمر رضي الله عنه .

المبحث الأول

التعريف بعمر بن عبدالعزيز

نسبــه :

هو عمر بن عبدالعزيز بن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأَمَوي القرشي ، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] .

فهو سبط الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، له من دمه نصيب عن طريق جدَّته لأمه، الفتاة الهلالية التي تزوجها عاصم بن عمر بن الخطاب[2]، صاحب القصة[3] المعروفة في اللبن ، أيام خلافة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق د . أحمد أبو ملحم وآخرين ، القاهرة ، دار الريان ، ١٤٠٨ هـ ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ .

(٢) هو أبو عمر عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي التابعي المدني ، ولد قبل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بسنتين ، وأمه جميلة بنت الأفلح ، كان اسمها عاصية فسماها رسول الله عليه الصلاة والسلام جميلة ، كان عاصم خيِّراً فاضلاً فصيحاً طويلاً ، سمع أباه ، روى له البخاري ومسلم ، توفي سنة (٧٠ هـ) . (النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ١ ، ص ٢٥٥) .

(٣) أورد هذه القصة ابن عبدالحكم وملخصها : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء .

وذات ليلة خرج يتفقد المدينة فإذا بامرأة تقول لابنتها : ألا تمذقين لبنك بالماء ؟ فقالت الفتاة : كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟ فقالت : امذقي فما يُدري أمير المؤمنين ، فقالت الفتاة : إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم . ما كنت لأفعله وقد نهى عنه ، فوقعت مقالتها من عمر ؛ وسأل عنها ، فإذا هي جارية من بني هلال ، فزوجها ابنه عاصم . انظر أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢١٤ هـ) : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، تحقيق أحمد عبيد ، دمشق ، مكتبة وهبة ، ١٣٧٣ هـ ، ص ١٩ .

كنيته ولقبه :

يُكْنَى عمر بن عبدالعزيز بـ « أبي حفص »[1] ، مثل جده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولقب عمر بـ « الأشج » ، إثر مأساة حدثت له في مصر ، أو في طريقه إليها من المدينة ـ لزيارة والده وقت ولايته على مصر ـ إذ سقط عن دابة وقيل رمحته[2] فشجت رأسه ، وسال دمه ، وبعد هذه الواقعة لقب بـ « أشج بني مروان » و « أشج بني أمية »[3] . كما كان رضي الله عنه يلقب بـ « المعصوم بالله »[4] .

وصفه :

كان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أسمر اللون ، رقيق الوجه حسنه ، نحيف الجسم ، حسن اللحية ، غائر العينين ، بجبهته أثر الشجة التي تعرض لها وهو صغير ، وكان يخضب لحيته حين شاب[5] .

تاريخ ومكان ولادته :

اختلف المؤرخون في تاريخ ومكان ولادة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، والراجح أنه ولد في سنة إحدى وستين للهجرة . وبه قال أكثر المؤرخين[6] .

ومما يرجح هذا التاريخ على غيره ، سواء قبله أم بعده ، ما يمكن استنتاجه من تواتر الأخبار أنه تُوُفِّيَ رضي الله عنه سنة إحدى ومائة عن عمر

---

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩ .

(٢) رمح الفرس والبغل والحمار وكل ذي حافر: ضرب برجله أو برجليه معاً. (أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، بيروت ، دار صادر، بدون تاريخ، جـ ٢، ص ٤٥٤) .

(٣) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٤) أحمد بن عبدالله القلقشندي (ت ٨٢٠ هـ) : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فرج ، بيروت ، عالم الكتب ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٤١ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٢١ .

(٦) المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٠١ .

يزيد عن التسع والثلاثين ، ويقل عن الأربعين ، وحين إضافة سني عمره التسع والثلاثين وما زاد عليها من الأشهر إلى إحدى وستين تبلغ المائة ، وتتعدى بأشهر إلى إحدى ومائة ، وهي السنة التي أجمع المؤرخون على وفاته فيها .

وكانت ولادته رحمه الله في المدينة[1] . وقيل : في مصر أثناء ولاية والده عليها ، والأرجح أنه ولد في المدينة لأن عبدالعزيز لم يتول إمارة مصر إلا في سنة خمس وستين للهجرة ، بعد أن تمكن هو وأبوه مروان بن الحكم من الاستيلاء عليها[2] ، وبلا شك فقد ولد عمر قبل هذا التاريخ .

ولايته على المدينة والحجاز :

مما يذكر للوليد بن عبدالملك أنه أمّر عمر بن عبدالعزيز على المدينة ، وكان ذلك في ربيع الأول سنة سبعٍ وثمانين ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، بعد أن عزل عنها هشام بن إسماعيل ، ثم اتسعت ولايته في سنة تسعين ، حيث شملت مكة والطائف[3] .

وخلال فترة ولايته أحسن عمر رضي الله عنه السيرة في أهل المدينة وملحقاتها ، وجعل الناس يشهدون بحسن سيرته وعدله ، والتزامه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول ابن عبدالحكم عن ولايته تلك المدينة : « ولي عمر المدينة فسار بأحسن سيرة .. لا يغمص[4] عليه في بطن ولا فرج ولا حكم »[5] .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٠ .

(٢) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٦ هـ ، جـ ٢١ ، ص ٩٤ .

(٣) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار سويدان ، بدون تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٤٣٧ ، ٤٤٧ .

(٤) لا يغمص (بالصاد) أي لا يعاب به (أي بذلك الأمر الذي وقع فيه) ، ولا يطعن به عليه ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٦١ .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١ .

ابن عبدالملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمع فيكم »[1] ، وختم الكتاب ، وأمر بجمع أهل البيت ليبايعوا من عهد إليه فبايعوا رجلاً رجلاً لمن في الكتاب المختوم وأعاد رجاء فأرسل بجمع الناس ، وفيهم وجوه بني أمية في مسجد دابق[2] بعد وفاة الخليفة سليمان وقد أخفى عليهم ذلك ، وطلب البيعة ثانية لمن في الكتاب ، ليزيد الأمر إحكاماً ، فبايعوا فأبلغهم بوفاة الخليفة ، وقرأ عليهم الكتاب[3] .

وهكذا جاءت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز وهو زاهد فيها ، وكان لرجاء في ذلك مأثرة لن ينساها له المسلمون .

وفاته[4] ومدة خلافته :

تُوفي عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة بخناصرة من دير سمعان بين حلب وحماة ، عن عمر يناهز التسع والثلاثين بأشهر[5] ، وبه قال أغلب المؤرخين .

فلم تطل بكل أسف خلافة الخليفة الثامن من خلفاء بني أمية ، وخامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز ، فقد مات بعد خلافة دامت فيما ذكر غير واحد من المؤرخين ، سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام[6] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٥٢ .

(٢) دابق (بكسر الباء) : قرية قرب حلب ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ . (ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، بيروت ، دار صادر، ١٤٠٤ هـ ، جـ ٢، ص ٤١٦)، وهي من أعمال عَزَاز ، ويسمونها اليوم أعْزاز (علي الطنطاوي : رجال من التاريخ، دمشق ، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ ، ص ٧٠) .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٤) للتعرف على كيفية وفاة عمر ، انظر : (صادق بن أحمد داود جودة : قراءة في نهاية عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين ، دار أمية ، ١٤١٠ هـ) .

(٥) إبن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ .

(٦) المصدر السابق : جـ ٩ ، ص ٢٠٠ .

فكانت خلافته يرحمه الله كما كانت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، سنتان وبضعة أشهر[1] . بيد أنه كان لخلافة كل منهما ، الأثر العظيم في مجريات تاريخ الإسلام ، خلال مدتها القصيرة بمقياس الزمن ، فقد أعاد أبو بكر رضي الله عنه المسلمين إلى صوابهم حيث ارتدّ بعضهم ، بعد أن نعى الناعي رسول الهدى ﷺ ، وثبّت قواعد الإسلام ، وحَرَص على استقرار الأمور على ما كانت عليه قبل أن يحلق المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، مما كان له الأثر الكبير في بناء كيان الدولة الإسلامية الشامخ .

وكان من أمر عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أن جدد للمسلمين أمر دينهم على رأس المائة الأولي ، وأعاد لهم سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً . وأثبت أن الدين الإسلامي ، بتعاليمه السمحة ، وشريعته الغراء ، صالح لكل زمان ومكان ، ولكل مجتمع أو كيان ، صغر أم كبر ، وأن الأمر إنما يعود إلى مدى الإلتزام بذلك الدين والإحتكام إلى تلك الشريعة .

---

(١) عبدالعزيز سيد الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

كان هذا شيئاً مما كانت عليه البيئة الأسرية التي نشأ فيها عمر بن عبدالعزيز ، من أم تربّت على الصلاح والتقوى والعبادة ، وأب تحلّى بخلق القرآن ، وجعل السنة له مرشداً ، وتربى وحَرَصَ أن يتعلم على يد صحابة رسول الله ﷺ . الأمر الذي جعله يدرك أهمية التربية ، ويختار لأبنه مؤدباً ـ سيأتي ذكره ـ يثق في علمه وعمله ، وكان لا بد لعمر أن يتأثر بتلك البيئة الصالحة ويقتدي بأبويه ، فنشأ على الإيمان بالله ، وتربى على خشيته ، وتخلق بالأخلاق الفاضلة ، وفي هذا الشأن يقول ابن كثير : « وقد اكتسى عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة »[١] .

٢ ـ صلته ببيت آل عمر بن الخطاب رضي الله عنهم :

لم تقتصر صلة عمر بن عبدالعزيز ببيت آل عمر بصلة القرابة عن طريق أمه فحسب ، بل كانت صلة تربية وتعليم ، فقد كان عمر بن عبدالعزيز في صغره يتردد إلى الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كثيراً ، ليحفظ عنه الحديث النبوي ويُروى أنه كان يعود إلى أمه أم عاصم فيقول لها : « أريد أن أكون مثل خالي » ـ أي الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم (ت ٧٤ هـ) ـ فتستكثر عليه ذلك وتقول : « أنت تكون مثل خالك » ؟ وتكرر عليه ذلك غير مرة[٢] .

وكان ابن عمر قد وجد في هذا الغلام ملامح النجابة والخير ، فما كان منه عندما أرادت أم عاصم الخروج إلى زوجها عبدالعزيز أثناء ولايته على مصر إلا أن قال لها : « خلفي هذا الغلام عندنا ـ يريد عمر ـ فإنه أشبهكم بنا أهل البيت » ـ أي بيت آل الخطاب ـ فخلفته ولم تخالفه ، فسر ذلك والده عبدالعزيز ،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٦٢ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٠ .

وأخبر أخاه الخليفة عبدالملك ، فأجرى عليه ألف دينار كل شهر[1] . فكانت تربية عمر بن عبدالعزيز في المدينة ، على يد عبدالله بن عمر ، الذي لم يمت رضي الله عنه حتى أعتق ألف رقبة ، مكث سنين يفتي الناس من سائر البلاد ، وكان يوم مات خير من بقي[2] من الناس تقوىً وصلاحاً . ولا بد لعمر أن يتأثر بمثل هذا المربي العالم الجليل ، الذي كان عمر معجباً به أشد الإعجاب ، فتأسّى به وكان مثله الأعلى في الدين والخلق .

٣ـ تاديبه على يد صالح بن كيسان (ت ١٤٠ هـ) :

لقد اهتم عبدالعزيز بن مروان بتربية ولده عمر ، فاختار له المؤدب الذي يثق به ، اختار له أحد كبار فقهاء المدينة ـ حين بعثه إليها ليتأدب ويتعلم بها ـ حيث كتب إلى صالح بن كيسان يطلب منه أن يتعهد ولده[3] ، ويربيه ويوافيه بأخباره .

وقد كان صالح بن كيسان تابعياً من رواة الحديث الثقات ، قال عنه ابن حبان : إنه من الثقات من فقهاء المدينة ، والجامعين للحديث والفقه ، من ذوي الهيئة والمروءة[4] .

فما كان من المؤدب الفاضل إلا النصح في تربية عمر ، فقد حدث أن أبطأ عمر يوماً عن الصلاة فسأله عن ذلك ، وعاقبه بأن أخبر أباه ، فأمر بحلق شعر رأسه عندما كان ترجيله السبب في التأخر عن الصلاة[5] .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٦ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣ .

(٤) أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) : تهذيب التهذيب ، بيروت ، دار صادر ، (طبع بحيدر أباد ١٣٢٥ هـ) ، جـ ٤ ، ص ٤٠٠ .

(٥) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤ .

أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ، وكان من الزهّاد الملازمين للمسجد ، التّالين للقرآن . قال عنه عبدالله بن عمر رضي الله عنه : « ولد الناس أبناء ، وولد مروان أباً »(١) .

وبذلك وعلى يد أمير المؤمنين عبدالملك تدرب عمر على فهم شؤون الحياة ، ونمت معرفته ، واتسعت دائرة ثقافته(٢) ، وتعلم أمور السياسة ، وتعرف على أحوال الأمة أثناء خلافة عمه ، الذي تعهده بنوع خاص من الرعاية والتهذيب ، فكان ذلك من المؤثرات الإيجابية في تربية عمر بن عبدالعزيز رحمه الله .

تلك هي مقومات تربية عمر ، والمؤثرات الأساسية في نشأته ، تلك النشأة التي كانت سبباً بإرادة الله عز وجل ، في أن يكون عمر ذلك العلم الذي قلب الموازين في يوم من الأيام إلى خير ما يكون .

ثانياً: الجوانب التي اشتملت عليها تربية عمر بن عبدالعزيز :

اشتملت تربية عمر بن عبدالعزيز على جانبين أساسين هما في الغالب أهم ما يحتاج إليه الناشىء في مدينة الرسول ﷺ في ذلك العصر ، الذي كانت فيه تضم مجتمعاً يمارس أنشطة الإنسان والمجتمع المسلم في هدى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والجانبان هما : الجانب الروحي ، والجانب العلمي الذي أشتمل على مجالات تعليمية منها القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفقه وأصوله ، واللغة العربية وآدابها .

الجانب الأول : الجانب الروحي :

نشأ عمر بن عبدالعزيز على الإيمان بالله ، وتربّى على خشيته ، حتى تأصل الوازع الديني في نفس عمر ، فكان ذا جوهر سليم ، إذ أشبع نزعته

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٦٦ .

(٢) وهبة الزحيلي : الخليفة الراشد العادل عمر بن عبدالعزيز ، دمشق ، دار قتيبة ، بدون تاريخ ، ص ٣٠ .

الروحية منذ طفولته بصحبة العبَّاد ، والزهَّاد ، والأتقياء ، والصالحين ، والتلقِّي عنهم ، فهم الذين كان ينهض بهم الجانب الروحي بالمدينة[1] ، فيغرسون في نفس من صحبهم مراقبة الله في السر والعلن ، فينشأ نشأة إيمانية ، ويتربى تربية أصولها العقيدة ، وقواعدها الأخلاق الكريمة الفاضلة .

وكان عمر بن عبدالعزيز ممن صحب هؤلاء ، وغذَّى روحه بالقرآن ، وتغذى عقله بالتراث الروحي بمدينة الرسول ﷺ[2] فتربى تربية روحية جعلت منه ذلك العلم الصالح التقي .

الجانب الثاني: الجانب العلمي وما اشتمل عليه من مجالات التعليم:

قال عمر بن عبدالعزيز : « لقد رأيتني وأنا في المدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم ، إلى العربية فالشعر ، فأصبت منه حاجتي »[3] .

لذا فقد أشبع عمر طموحه العلمي بجلوسه المتواصل إلى العلماء والفقهاء[4] ، ورواة الحديث ، من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، والذين كانوا يمثلون الجانب العلمي في المدينة ، فتأسى بهم وتعلم منهم . وتربى على أيديهم تربية علمية شملت المجالات العلمية التالية :

١ ـ القرآن الكريم :

كان عمر بن عبدالعزيز قد حفظ القرآن وهو صغير[5] ، وتعلم تفسيره ومعانيه وحرص على ذلك باستمرار حتى جاءه علماء عصره يسألونه ويتفقهون

---

(١) خالد محمد خالد : معجزة الإسلام عمر بن عبدالعزيز ، (ضمن مجلد خلفاء الرسول) ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٥١٠ .

(٢) يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريده ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٥٩ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤ .

(٤) خالد : معجزة الإسلام عمر بن عبدالعزيز (ضمن خلفاء الرسول) ، ص ٥١٠ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠١ .

٤ ـ اللغة العربية وآدابها :

قال عمر بن عبدالعزيز : « ... ثم تاقت نفسي إلى العلم ، إلى العربية فالشعر ، فأصبت منه حاجتي »[١] .

ولقد جمع عمر بين العلوم الإسلامية والأدب ، فتعلم اللغة العربية واطلع على أدب العرب وشعرهم ، فاستوعب قدراً كبيراً من الآداب العربية ، وقرض الشعر وأقبل عليه حافظاً وناقداً[٢] . وكان يؤثر شعر الوعظ على غيره . وصار عمر فصيحاً بليغاً لا يلحن في القول . وأمثلة بيان عمر كثيرة ، نستدل على ذلك بما رُوي أن عبدالملك بن مروان قال لعمر :

قد زَوَّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة ، فقال عمر : « وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة . فأعجب ذلك عبدالملك ، فقال بعض ولده : هذا كلام تعلمه فأداه »[٣] . فتحيَّن عبدالملك فرصة أخرى ليثبت خطأ رأيهم فيه ، فسأله إذ دخل عليه يوماً فقال : « ياعمر كيف نفقتك ؟ قال : الحسنة بين السيئتين يا أمير المؤمنين ، قال : فما هما ؟ قال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْـــتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾[٤] . فقال عبدالملك لأولاده : من علمه هذا ؟»[٥] .

وبذلك يكون عمر بن عبدالعزيز قد جمع وألمَّ بمجالات التعليم الأساسية في عصره ، حتى تكاملت جوانب تربيته الروحية والعلمية في إطار مقومات تربيته وتعليمه ، لتكون بمثابة المحور الأساسي لسيرة عمر وسلوكه القيادي والإداري .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤ .

(٢) سعد عبدالسلام حبيب : عمر بن عبدالعزيز ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٣ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٦ .

(٤) الآية ٦٧ من سورة الفرقان .

(٥) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٦ .

ثالثاً : أثر التربية والتعليم في سلوك عمر القيادي والإداري :

لقد كان لتربية عمر بن عبدالعزيز وتعليمه الأثر البالغ في بناء شخصيته القيادية ، وتكوين جانب إداريٍّ سليم في حياته ، ولما للتربية من أهمية في كل مراحل حياة عمر ، فإننا سنأتي على ذلك بشيء من التفصيل ، من خلال التعرف على أثر المقومات التربوية من حيث تربيته الأسرية ، وصلته ببيت آل عمر بن الخطاب ، وتأديبه على يد صالح بن كيسان ، وعلى أيدي طائفة من كبار علماء وفقهاء المدينة ، وتربيته في كنف عمه عبدالملك بن مروان وقتاً من الزمن ، وكذلك أثر جوانب تربيته الروحية والعلمية وخصوصاً مجالات تعليمه .

١ ـ أثر مقومات تربية عمر في صقل مواهبه القيادية والإدارية :

لم تكن لتبقى ثغرة أو لبنة من البناء التربوي لعمر ، حتى يأتي أحد مقومات تربيته ، فيسد الثغرة ، ليكتمل البناء ، الذي بلور سمات الطفولة عند عمر ، وصقل مواهبه ، فكان كل عامل يهتم بصفة أو جانب من شخصيته ، قد يكون أهملها العامل الآخر .

فقد اكتسب عمر من أبويه معاً جوهر التقوى ، وحب المروءة ، والميل إلى الحق والإنصاف، ومن أبيه ـ بخاصة ـ الذوق الرفيع، والإدراك الدقيق ، واستفاد من تجاربه أثناء ولايته على مصر، واكتسب من أمه حدَّتها وحماستها، وقصدها في الكلام، إذ كانت لا تترك غلطة ولا هفوة إلا حاسبت عليها حساباً عسيراً[١].

وهذا مما أكسب عمر تقوى الله في إدارته ، والعدل والإنصاف في قيادته لأمته ، وكذلك إدراك الأمور على حقيقتها ، وكيف ينبغي لها أن تكون ، وضرورة المراقبة ودوام اليقظة ، وتحرِّي المظالم ، وإجارة المظلومين .

---

(١) الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٢ .

به الشريعة الإسلامية ، وما سنه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعده ، من المبادىء والأسس في إدارة الدولة الإسلامية .

فأيقن عمر مثلاً بأهمية مشورة أهل العلم والرأي ، فجعل الشورى أحد مبادىء إدارته ، وأدرك أهمية القضاء ، فكان القاضي ، الركن الثاني من أركان السلطان في نظره[1] .

وبنشأة عمر في وسط يزخر بالعلم والعلماء ، وبتحقيق عامل التربية والتعلم على أيدي العلماء في طفولته وأول شبابه ـ تلك الفترة الجديرة بالاهتمام وتلقي العلم، فأفضل أوقات التعلم شرخ الشباب[2] ـ ثبت له قيمة العلم وأهمية العلماء ، وأن الأمور لا تُحل على غير علم ، فنجده يقول : « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[3] .

ولقد تحقق لعمر ما ينتج عن التربية والتعليم من توجيه السلوك ، فالسلوك السويُّ ، وتبلور شخصية الإنسان ، يُرجعه علم النفس والصحة النفسية حديثاً ، إلى مرحلة الطفولة[4] ، ففي هذه المرحلة يكون الفرد مرناً ، يمكن تعليمه ، وتشكيل سلوكه ، حسب ما هو سائد في بيئته الاجتماعية . وفيها أساس بناء شخصية الفرد ديناميأً ووظيفياً ، ويوضع أساس السلوك المكتسب ، الذي يساعد الفرد على التوافق في سلوكه خلال مراحل حياته[5] ، فكانت قيادة عمر وإدارته ذات صبغة علمية ، يميزها التقوى والعدل .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٨ .

(٢) برهان الإسلام الزرنوجي (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري) : تعليم المتعلم طريقة التعلم ، تحقيق مروان قباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي، ١٤٠١ هـ ، ص ١١٧ . وشرخ الشباب : أوله .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٣ .

(٤) حامد عبدالسلام زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٢ م، ص ٥٥ .

(٥) المرجع السابق : الصفحة نفسها .

ثم جاءت تربية عمر في كنف عمه أمير المؤمنين عبدالملك ، عاملاً متوِّجاً لتلك المقومات التربوية ، في فترة قارب فيها العشرين من عمره ، فكانت بمثابة المرآة ، تعكس لناظريه مجريات الأمور ، وتعرض عليه أحوال في عهد خلافة عمه عبدالملك فيرى تجربة عمه ، فتدفعه نفسه ليضارع هذا العم المتفوق ، ويتأثر بسياسة وحنكة ذلك الخليفة القوي ، ليعرف ويُقدِّر ما ينبغي له أن يفعل لو آل إليه الأمر ، فكان ذلك من المقومات التربوية التي تداخلت وامتزجت لتبني لنا شخصية عمر عبدالعزيز ذلك العلم المشهور .

٢ ـ تأثير مجالات تعليم عمر في إثراء مواهبة القيادية والإدارية :

وكما ذكرنا عن جوانب تربية عمر الروحية والتعليمية ، وخصوصاً مجالات تعليمه التي أشتلمت على القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفقه وأصوله ، واللغة العربية وآدابها . فقد تكاملت جوانب التربية الروحية والتعليمية لدى عمر ابن عبدالعزيز منذ صغره ، مما كان له الأثر البارز في إثراء مواهبه القيادية والإدارية ، بعد أن صقلتها المقومات التربوية التي تأثر بها عمر في طفولته . فتربية الجانب الروحي لعمر جعلت منه تَقِيّاً ، يَقِظ الضمير، عابداً لله، لا يخشى في الحق لومة لائم ، فكان في كل شيء يفعله يتمثل الحساب أمام عينيه ، ويخشى دائماً أن يقصر في حدود الله ، وكان الورع موجهاً لأعماله في أمور الدولة[1]، وقد اتضح ذلك في قيادته وإدارته بعد توليه مسؤولية الإماة والخلافة .

وجاءت التربية التعليمية لتجعل عمر فيما بعد لا يتخذ القرار ، إلا على علم ودراية، بغية تطبيق ما جاءت به تعاليم الإسلام بقدر الإمكان . فوصل إلى درجة من العلم والثقافة، حتى قال عنه ميمون بن مهران[1] : « عمر بن عبدالعزيز معلم

(١) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٦٠ .

(٢) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزري الفقيه ، روى عن عمر ، والزبير ، وأبي هريرة ، وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، ذُكر في الطبقة الأولى من التابعين ، كان ثقةً ، جليلاً ، ولي خراج الجزيرة وقضاؤها لعمر بن عبدالعزيز ، توفي سنة ١١٦ هـ . (ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٤) .

الأمر أن يؤول إلى عبدالله بن الزبير[1] ، ويبايع أهل الشام له ، إلا أن بعض بني أمية اجتمعوا إلى مروان بن الحكم ، يُحسِّنون له أن يتولى ، فبايعوه ، فلم يكمل عاماً في الحكم ، إذ تُوفي سنة ٦٥ هـ[2] ، وجاء بعده ابنه عبدالملك بن مروان السابق ذكره .

والأسرة الأَمَوية[3] التي حكمت العالم الإسلامي أكثر من واحد وتسعين عاماً ، ترجع في نسبها إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[4] ، الجد الثاني لمعاوية ، والجد الثالث لعبد الملك بن مروان ، وأخيه عبدالعزيز بن مروان والد عمر ، والجد الرابع لعمر بن عبدالعزيز .

وقد تولى الخلافة من بني أمية بيتان ، أحدهما : السفياني نسبة إلى أبي سفيان والد معاوية ، والثاني : المَرْواني نسبه إلى مَرْوان بن الحكم ، فتولى قبل عمر بن عبدالعزيز ممن ينتمي إلى البيت السفياني، معاوية بن أبي سفيان (٤١ ـ ٦٠ هـ)، ويزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤ هـ)، ومعاوية الثاني بن يزيد (٦٤ هـ)، ثم جاء خلفاء الفرع المرواني، وعلى رأسهم مروان بن الحكم (٦٤ ـ ٦٥ هـ)، ثم عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) الذي أرسى دعائم حكم بني أمية، وبعده ابنه الوليد بن عبدالملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ)، وأخيراً سليمان بن عبدالملك (٩٦ ـ ٩٩ هـ) ، الذي عهد من بعده لابن عمه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ، مؤْثِراً إياه على

(١) هو أبو بكر عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المكي المدني الصحابي ابن الصحابي ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين . أول مولود ولد للمهاجرين في المدينة بعد الهجرة ، ولد بعد عشرين شهراً من الهجرة ، كان صوّاماً قوّاماً طويل الصلاة ، وصَولاً للرحم ، عظيم الشجاعة . بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، أطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، جَدَّدَ عمارة الكعبة ، حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي في مكة سنة ٧٢ هـ إلى أن قتله سنة ٧٣ هـ . (النووي : تهذيب الأسماء والصفات ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧) .

(٢) تلتقي الأسرة الأَمَوية مع الأسرة الهاشمية التي ينتمي نبينا محمد عليه الصلاة والسلام إليها في عبد مناف بن قصي ، (المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٥) .

(٣) المرجع السابق : جـ ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٩ .

أخويه : يزيد وهشام وكافة رجال الأسرة الأمَوية ، فكان عمر الخليفة الثامن من خلفاء بني أمية .

أما الحديث عن بيئة حكمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهو كما يلي :

أ ـ الحالة السياسية :

لقد خرج الحكام الأمَويون عن بعض مفاهيم الإسلام المتعلقة بالسياسة والمال ، إذ تميزت هذه الفترة من حياة الدولة الإسلامية ببدء الصراعات السياسية وظهور المذاهب الدينية حول مفهوم الخلافة وأسلوب اختيار الخليفة[١]، ومن يستحق الخلافة ، فقد اختلف نمط الحكم من حيث اختيار الخليفة في عهدهم ، عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، من الشورى والاختيار ، إلى أن جُعِل ملكاً وراثياً ، إذ عهد معاوية بالأمر لابنه ، وباتباع أسلوب جديدٍ ألا وهو : أخذ البيعة للمعهود إليه ، والخليفة لا يزال حياً ، وقد صار العهد من قِبل الخليفة للولد ، أو الأخ أو أحد أفراد الأسرة هو الطريقة المتَّبعة على الأغلب[٢] . وكان كل خليفة من خلفاء بني أمية، الثلاثة عشر مختاراً من سلفه عدا معاوية ، ومروان بن الحكم ، ويزيد بن الوليد بن عبدالملك ، ومروان بن محمد ، فقد استولوا على الحكم بالقوة ، ثم أخذوا البيعة من المسلمين بعد ذلك[٣] .

ثم إن نظام الحكم قد تغير من خلافة دينية أولاً ثم سياسية ، إلى دولة سياسية دينية ، وكانت العلاقة بين الحاكم والرعية في العصر الأمَوي مزيجاً من التسلط والرهبة[٤] .

---

(١) محمد عبدالله الشباني : نظام الحكم والإدارة في الدولة منذ صدر الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٤٠ .

(٢) الخماش : الإدارة في العصر الأمَوي ، ص ٢٧ .

(٣) محمد علي مغربي : تاريخ الدولة الأمَوية ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١ ، ص ١١ ، ص ٣٥٣ ، جـ ٢ ، ص ١١١١ ، ص ١١٣٩ .

(٤) ديرانية : الحكم والإدارة في الإسلام ، ص ١٠٥ .

ب ـ الأوضاع الخارجية :

لم تظهر الأمة الإسلامية أمام الأمم الأخرى بمظهر الضعف ، مع ما نالها من المصائب والفتن الداخلية ، فقد قيض الله لها مجاهدين أخلصوا لله وجاهدوا في سبيله ، ونشروا الإسلام ، فامتد الفتح شمالاً وشرقاً وغرباً .

ففي بداية عهد بني أمية ، وبالذات في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، على سبيل المثال لا الحصر ، غزا المهلب بن أبي صُفرة ثغر السند ، حتى وصل بتة ولاهور ، وفُتحت قبرص ، وحُوصرت القسطنطينية ببلاد الروم ، وفتح عقبة بن نافع أفريقية ، ودخل كثير من البربر في الإسلام[١] .

تلا ذلك فترة كانت البلاد الإسلامية مهددة من قِبَل الروم والبربر في أول خلافة عبدالملك بن مروان ، بسبب انشغاله بإخماد الثورات في الداخل ، مما دفعه إلى مصالحة ملك الروم ، وبعد أن استقر الأمر عادت الغزوات إلى بلاد الروم ، ففتحت قيسارية ، وقالقيلا ، والمصيصة[٢] .

واشتُهر من القواد خلال تلك الفترة من عهد الدولة الأُمَوية أربعة مجاهدون، هم[٣] : محمد بن القاسم الثقفي ، فاتح جميع بلاد السند ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، فاتح مدائن بخارى ، وخوارزم كلِّها ، وبعض مدائن الصين ، وموسى بن نصير فاتح بلاد المغرب ، وناشر الإسلام في قارة أوربة ، ورابعهم مسلمة ابن الخليفة عبدالملك بن مروان ، الذي حارب الروم، وفتح من حصونهم : حصن طوانة ، وحصن عمورية ، وطرسوس ، وهرقلة ، وغيرها كثير .

فكان لهؤلاء القادة الأثرُ العظيم في نشر الإسلام ، واتساع الدولة الإسلامية ، ومساندة الدولة الأُمَوية في مواجهة الأمم الأخرى ، واستقرار الأوضاع الخارجية .

---

(١) الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) جـ ٢ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) المرجع السابق : جـ ٢ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٣) المرجع السابق : جـ ٢ ، ص ١٧٠ ـ ١٧٥ .

تلك حالة وظروف البيئة السياسية في الدولة الأموية ، قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز بصورة مختصرة ، والتي لم يكن عمر بمنأى عنها ، بل كان كل ذلك أمام ناظريه ، فنشأ متأثراً بتلك البيئة وما فيها ، والتي كونت لديه وعياً قيادياً ، وإدارياً لما هو كائن وما يجب أن يكون .

٢ ـ الحالة الاقتصادية :

إن الشؤون المالية والاقتصادية من أدق الأمور وأخطرها ، ومن أصعب ما يواجه الحاكم ، وذلك لارتباطها بأرزاق ومصالح الناس[(١)] . ولقد أفاء الله على المسلمين من جراء الفتوحات الإسلامية أموالاً طائلة وغنى مما كان له أكبر الأثر في تحسين الأوضاع الإقتصادية في الدولة الإسلامية .

بيد أن الضرائب[(٢)] في عهد بني أمية قد زادت عما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين[(٣)] ، ويلاحظ عليهم أنهم أمعنوا في رغد العيش والمتاع ، فامتلكوا موارد الثروات ، وسخروها لخدمة مصالحهم[(٤)] ، فكان الأمراء ورجال

---

(١) محمد علي ضناوي : عمر بن عبدالعزيز في الحكم والاقتصاد والقضاء ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٤٣ .

(٢) الضرائب مفردها ضريبة وهي ما يؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها (ابن منظور: لسان العرب، جـ ١، ص ٥٥٠) . ومن الجدير ذكره أن أهم موارد الدولة الإسلامية في ذلك الوقت هي : ١ ـ الخراج : وهو مقدار معين من المال أو الحاصلات ، يفرض على الأرض التي فتحها المسلمين عنوة . ٢ ـ العشور وهي : ما يؤخذ من تجار الكفار بمقدار العشر لقدمهم من دار الحرب إلى دار الإسلام . ٣ ـ الزكاة : الزكاة والصدقة شيء واحد ، وهي كل ما يؤخذ من أغنياء المسلمين ويوزع بين فقرائهم . ٤ ـ الجزية وهي : مبلغ معين من المال يوضع على الرؤوس وتسقط بالإسلام . ٥ ـ الفيء وهو : مال وصل من المشركين للمسلمين عفواً من غير قتال . ٦ ـ الغنيمة : وهي كل ما أصابه المسلمون من عساكر أهل الشرك بالقتال . (حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م ، جـ ١ ، ص ٤٦١ وما بعدها) .

(٣) المرجع السابق : جـ ١ ، ص ٤٧٤ .

(٤) حبيب : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧ .

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من سنة إحدى وأربعين ـ السنة التي خلع الحسن بن علي نفسه من الخلافة ـ إلى سنة تسع وتسعين ، فلما ولي عمر ابن عبدالعزيز أبطل ذلك ، وكتب إلى نوابه بإبطاله[1] .

يقول الأستاذ محمد قطب حول هذا الموضوع ، وكيف بدأ خط الانحراف في المجتمع الإسلامي وقيمه ومبادئه :

« بدأ العصر الأُمَوي أول كسر في المبادىء الإسلامية في سياسة الحكم وسياسة المال ، إذ بدأ الملك العضوض بنظامه الوراثي ومظالمه ، وبدأ ما يشابه الإقطاع في محيط الأمراء وأتباع السلطان ، ومع ذلك فقد ظل المجتمع إسلامياً في مجموعه . كانت العاصمة وحدها هي التي فسدت ، فسدت فساداً جزئياً ، في سياسة الحكم والمال بالنسبة للملوك والأمراء . ولكن ما زال أولئك الحكام أنفسهم ـ رغم انحرافهم ـ يُقِرون بمبادىء الإسلام ، ويحكمون شريعة الله في شئون الناس ، كبيرها وصغيرها ، مع التحايل عليها أحياناً فيما يختص بأشخاصهم وأقربائهم في شئون الحكم والمال . وهو فساد ما في ذلك شك ، .. ولم يتأثر به المسلمون ـ إلا قليلاً ـ في حياتهم اليومية ، فظلوا يعيشون في مفهوم الإسلام ويكيفون به حياتهم ويعملون ـ في عالم الواقع ـ على نشر المد الإسلامي في بقاع الأرض ، شاعرين بالعزة التي قررها الله لذاته ـ سبحانه ـ ولرسوله وللمؤمنين »[2] .

ونحن نميل إلى هذا القول ، الذي لا ينكر وجود الخير في الأمة الإسلامية في عهد الدولة الأُمَوية ، إذ لا ينكر أحد أن الدولة الأُمَوية قد أخذت على عاتقها مسؤولية استمرار امتداد الفتح الإسلامي ، ونشره في آفاق جديدة ، شرقاً إلى بلاد الهند والسند وبخارى والصين ، وغرباً إلى بلاد الأندلس وأوروبة ، كما ظهر في ذلك العهد من العلماء والفقهاء من يدين لهم المسلمون إلى اليوم بالفضل والعلم .

(١) عماد الدين إسماعيل أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ) : المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ نشر ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) محمد قطب : هل نحن مسلمون ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

إلا أن معظم المؤرخين والكتاب قد بالغوا في وصف حال بني أمية وخلفائهم بالسوء والفساد ، ناسين أو متناسين ما كان للدولة الأموية من دور عظيم في استمرار بناء كيان الأمة الإسلامية والمحافظة عليه .

وخلاصة القول : إن الخلافة الأَموية في معظم عهودها ، وجهاً عربياً مشرقاً ، ودولة إسلامية قوية ، يَعتزُّ بها تاريخ العرب والإسلام على مدى الزمان[1] .

ثانياً : أثر البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العهد الأُمَوي على إدارة عمر بن عبدالعزيز

لقد عاش عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يراقب ما دار ويدور من الأحداث ، وما يقع من الشكاوي والانتفاضات ضد الحكم الأُمَوي ، والحال الذي ترديت إليه الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، فلم يكن بمقدوره عمل شيء وهو خارج الحكم ، إلا أن ينصح دون جدوى في معظم الأحيان .

ثم صار يراقب الأحداث والفتن والثورات وأحوال البلاد السياسية عن كَثَب في عهد الوليد بن عبدالملك ، بعد أن عزله عن إمارة المدينة ، فالحجاج في العراق يُرهِب الناس ، ويسفك الدماء ، وقرة بن شريك في مصر ، ويزيد بن أبي مسلم في المغرب ، ومحمد بن يوسف في اليمن ، وكل هؤلاء وأمثالهم في كل البلاد قساة ظالمون[2] ، وعمر يتأمل ويتألم مما يسمع ويرى ، فيدعو الله قائلاً : « امتلأت الأرض والله جوراً فأرح الناس[3] » . ومع ذلك فقد استطاع عمر أن يرسم خطة للمستقبل . لإصلاح تلك الأوضاع لو آل إليه الأمر، وقد كان له ذلك، فانعكست تلك الخطة بشكل واضح في سياسته وإدارته بعد توليه الخلافة[4] .

(١) مغربي : تاريخ الدولة الأَموية ، جـ ١ ، ص ٩ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤١ .

(٣) الزحيلي : الخليفة الراشد العادل ، ص ١٢٧ .

(٤) جليلة الهاشمي : الاصلاح المالي والاقتصادي في سياسة عمر بن عبدالعزيز ، مجلة المورد ، ص ٣٨ .

وللتدليل على تأثر عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ببيئة الحكم الأمَوي ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سياسته الإدارية ، فإننا نورد بعض المواقف والقرارات الإدارية ، التي كان الدافع لاتخاذها ما كان عليه الحال طيلة عهد الخلفاء الأمَويين قبله ، مما لا يُرضي الله ولا خلقَه .

فنجده فيما يتعلق بأسلوب تولي الخلفاء ، قد حاول تخطئة سياسة الأمَويين في توليهم الخلافة[1] ، وعارض منهجهم ، فاتخذ أسلوباً آخر في توليه الخلافة ، فقرر إعطاء الأمة حقها في اختيار خليفته وولي أمره ، إذ صعد على المنبر حين اتضح أنه المعهود إليه في كتاب الخليفة سليمان بن عبدالملك المختوم، وقال : « .... وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ، فصاح الناس صيحة واحدة ، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فَلِ[2] أمرنا باليمن والبركة ، ورضي به الناس جميعاً »[3] .

وكان مما قرره بعدما تبين له من متطلبات الفتح الإسلامي والأوضاع الخارجية ، وتأثر الفتوحات الإسلامية بالأوضاع الداخلية ، أن وجه أمره إلى مسلمة بن عبدالملك بالقفول[4] من القسطنطينية بمن معه ، وأمدَّه بما يعينه على ذلك ، بسبب ما أصاب المسلمين من مجاعة اضطرت عمر إلى إسعافهم ليعودوا سالمين[5] .

وكان من آثار الأوضاع في الداخل أن انصرف عمر إلى النظر فيها ، وتحرى العدل والإنصاف ، إذ دفعته تلك الشكاوي والانتفاضات ضد الحكم

---

(١) جليلة الهاشمي : الاصلاح المالي والاقتصادي في سياسة عمر بن عبدالعزيز ، مجلة المورد ، ص ٣٨ .

(٢) فل : فعل الأمر من يلي الولاية .

(٣) القفول: الرجوع من السفر، أو رجوع الجند بعد الغزو. (ابن منظور: لسان العرب، جـ ١١، ص ٥٦٠) .

(٤) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٢ .

الأموي إلى الإصلاح الداخلي ، وحلّ تلك الفتن حلاً سلمياً ، بالحوار والإقناع ، ومن ذلك مناظرتُه الخوارج ، حين خرج شوذب الخارجي[1] سنة مائة ، حتى شهدوا أنه على حق[2] .

أما فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية ، فقد حمّل عمر من سبقه من خلفاء بني أميّة مسؤولية تردّي الأوضاع الاقتصادية ، من جراء فرض الضرائب ، والأساليب القسرية في جمعها ، وإرهاق الرعية[3] ، وما لحق الدولة من أزمات مالية خانقة ، ومحق إنتاجها[4]، مما جعل عمر يُخطِىء سياسة بني أمية المالية ، فنجده ذات يوم وقد قدم سليمان بن عبدالملك المدينة ، وكان معه ، فأعطى بها مالاً عظيماً فسأله : كيف رأيت ما فعلنا يا أبا حفص ؟ قال له : « رأيتك زدت أهل الغنى غنىً ، وتركت أهل الفقر بفقرهم »[5] .

ومما اتّخذه عمر بن عبدالعزيز من الإجراءات لإصلاح الأوضاع الاقتصادية والمالية ، ولتحسين أحوال الرعية على سبيل المثال : قرر عزل الولاة الجائرين ، كمرحلة أولى من الإجراءات ، فهو يعدُّهم جزءاً من المشكلة[6] ، ورفع الضرائب عن الرعية[7] ، واستمر رحمه الله في الإجراءات والقرارات الإدارية حتى جعل الرجل يأتي بالمال العظيم لينفقه ، فما يبرح حتى يرجع بماله،

(١) هو : بسطام اليشكري المعروف بشوذب الحروري أو الخارجي ، ثائر جبار ، خرج في أيام عمر بن عبدالعزيز ، تريث عمر في قتاله وأصحابه إلى أن مات ، أذن يزيد بن عبدالملك بقتالهم بعد توليه الخلافة ، فقتل شوذب سنة ١٠١ هـ . (خير الدين الزركلي : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م، جـ ٢ ، ص ٥١) .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) جليلة الهاشمي : الإصلاح المالي والاقتصادي في سياسة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٩ .

(٤) خالد : معجزة الإسلام عمر (ضمن خلفاء الرسول) ص ٥٣٥ .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٢ .

(٦) جليلة الهاشمي : الإصلاح المالي والاقتصادي في سياسة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٩ .

(٧) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٦ .

لا يجد من يأخذه ، فقد اغنى الله الناس على يد عمر بن عبدالعزيز[1] . ذلك من نتائج الإجراءات والإصلاحات الاقتصادية في ظل إدارته رحمه الله بتوفيق الله عز وجل .

وإلى جانب تأثر إدارة عمر بن عبدالعزيز بالنواحي السياسية والاقتصادية، فقد كان للبيئة الاجتماعية والتفاوت الاجتماعي بين الناس ، أثرٌ بارزٌ في سلوك عمر الإداري وقيادته للمجتمع المسلم ، ففي وقت كان لسان حال خلفاء بني أمية يقول : « لا شأن لنا بما يعمله الناس في بيوتهم ، وما يتخلقون به من أخلاق ما دامت هذه الأعمال والأخلاق لا تتدخل في شؤون الدولة ، ... لكن عمر بن عبدالعزيز عني بنزعاتهم وأفكارهم وعقائدهم ورُقِيِّهم الروحي ، فكان أول من اهتم بهذه الناحية »[2] .

وكان انتشار شيء من الفساد واللهو والغناء والفراغ الروحي ، ووضع الأمة اجتماعياً ، مما جعله يجمع بين الإدارة والارشاد ، والسياسة والدعوة ، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعظ المسلمين مواعظ مؤثرة بليغة[3] ، ومن رسائله إلى الأمراء عزمه عليهم بالمحافظة على الصلوات في وقتها ، والعناية بالمدارس ونشر العلم[4] ، وحث عماله على اتباع ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه[5] .

كما شمل اهتمامه بأخلاق المجتمع أموراً دقيقة وهامة في حياة المسلم والمسلمة ، فقد نهى عن النياحة ، واتباع النساء للجنائز ، والتقاليد الجاهلية ،

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٦ .

(٢) الندوي : خامس الراشدين ، ص ٢٥ .

(٣) انظر كتابه إلى أمراء الأجناد يوصيهم بضروب الخير ، ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٨ ، مع العلم أن كل من كتب عن سيرته قديماً وحديثاً ، أورد الكثير من مواعظه وخطبه ورسائله في الدعوة لما فيه خير المسلم في دينه ودنياه .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥) المصدر السابق : ص ٧٧ ، ٧٨ .

التي انتشرت في المجتمع[١] ، وأمر بالتشدد في أمر النبيذ والمسكرات[٢] . وكان من القرارات التي لا تُنْسَى لعمر بن عبدالعزيز أن منع سبَّ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه[٣] .

ويمكن القول : إن ولاية عمر للمدينة ، وقربه من الخلفاء ، ناصحاً تارة ، ووزيراً تارة أخرى ، ومراقبة الأوضاع عن كثب ، كل ذلك مكَّنه من معرفة مظالم وأخطاء السياسة الأُمَوية . فاستطاع أن يصلح الحكم الأُمَوي ، وما لمس فيه مما لا يرضي الله ورسوله ، فكان ذلك منطلقاً لحركته الإصلاحية الكبرى في جميع البلاد الإسلامية .

ومما سبق يتضح لنا أن للبيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد من سبق عمر بن عبدالعزيز من خلفاء بني أمية ، أثراً كبيراً فيما اتبعه من سلوك قيادي ، ومنهج إداري أعاد به سيرة الخلفاء الراشدين في الحكم والإدارة بتوفيق من الله سبحانه وتعالى .

فيما سبق كان الحديث في هذا الفصل عن عمر بن عبدالعزيز والتعريف به ، وولايته على المدينة وخلافته ، ثم تربيته وتعليمه وأثرهما في إدارته رحمه الله، ثم لمحة سريعة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد من سبقه من خلفاء بني أمية . وأخيراً كيف أثَّرت بيئة الحكم الأُمَوي على عمر واتباعه نموذج إداري انفرد به عن غيره من خلفاء بني أمية .

أما في الفصل التالي فسيكون الحديث إن شاء الله عن أبرز توجهات عمر في مجال التربية والتعليم .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٥٤ .

الفصل الثاني

أبرز توجهات عمر بن عبدالعزيز في مجال التربية والتعليم

ويشتمل على :

المبحث الأول : نبذة عن الحالة العلمية في عهد عمر .

المبحث الثاني : توجيهات عمر القيادية والإدارية في مجال التربية والتعليم .

المبحث الثالث : توجيهات عمر القيادية والإدارية في مجال تربية وتعليم أولاده .

تمهيـــد :

لقد أدرك عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فضل العلم ومنزلة العلماء عند الله وعند خلقه ، ففي الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة الدليل القطعي والواضح على اهتمام الدين الإسلامي بالعلم وبيان فضله ، وإعلاء منزلة العلماء وعظم شأنهم . مما زاد من أهمية العلم وفضل العلماء في نظره رحمه الله ، وحسب العلم فضلاً أن الملائكة تحف مجالس طالبيه ، وتتنزّل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، ويذكرهم الله في الملأ الأعلى ، وأن العلماء ورثة الأنبياء .

فما كان من عمر إلا أن جدَّ في تحصيل العلم منذ الصغر حتى وصفه معاصروه من كبار العلماء والفقهاء بمعلم العلماء[1] . ولم يقتصر اهتمام عمر بالعلم على نفسه فحسب ، بل اهتم بنشر العلم ، وحثَّ على طلبه ، وعلى محبة العلماء[2] . وذلك ليقينه رحمه الله بأن أي مصلحة تتعلق إما بالدين أو بالدنيا ، فبالعلماء يُحرس الدين ، كما يحرس الأجناد[3] الدنيا ، وأن الدين والملك توأمان لا غنى لأحدهما عن الآخر[4] .

وإننا في هذه العجالة وقبل أن نتطرق إلى توجيهات وقرارات عمر بن عبدالعزيز في مجال التربية والتعليم وتربية أولاده ، سنأتي بلمحة سريعة عن الحالة العلمية في عهده رضي الله عنه .

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٣ .

(٣) الأجناد : جمع الجند ، والجند : الأعوان والأنصار ، وهم العسكر. والجند أيضاً المدينة ، والأجناد المدن أو الأماكن ، فالشام خمسة أجناد ، كل واحد يسمى جنداً أي المقيمين بها من المسلمين المقاتلين، وللأجناد أمراء . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٣٢) .

(٤) عبدالحي الكتاني : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، المطبعة الأهلية بالرباط ، ١٣٤٧ هـ ، جـ ١ ، ص ٣٩٥ .

المبحث الأول

نبذة عن الحالة العلمية

في عهد عمر بن عبدالعزيز

لقد كانت همّة الصحابة رضوان الله عليهم مصروفة إلى الجهاد وإلى مجاهدة النفوس ، والعبادة ، ولم يتفرغوا للعلم وتصنيفه ، وكذلك التابعون[1] . ولقد تعرضت العلوم الإسلامية للضياع لانصراف الناس إلى أمور السياسة وإدارة الحكم والحروب[2] في عهد بني أمية ، وقلَّ من يعرف من ذوي السلطان في عهدهم للعلماء حقهم ، وعن السبب في ذلك يقول الخضري : « وسبب ذلك فيما نظن من قبل العلماء كثيراً ومن ذوي السلطان قليلاً ، أما العلماء فإنهم رضُوا لأنفسهم الذلة والمهانة بعبادتهم الدرهم والدينار ، فاشترَوْا منهم دينهم بما أفاضوا عليهم من الدنيا ، وحينذاك يضعف احترامهم وتقل مكانتهم ، وأما ذوو السلطان فإنهم أحياناً يأخذهم الجبروت ، فلا يحبون أن يكون لأحد من رعيتهم كلمة فوق كلمتهم ، فيتجهموا لمن يُبدي لهم النصيحة ، أو يعرفهم واجباً فيحاربونهم لقصد إذلالهم وحط درجتهم »[3] .

ونحن لا نوافق الخضري فيما ذهب إليه تماماً فإن هناك من العلماء والفقهاء من لم يعبد الدرهم والدينار في عهد بني أمية ، أمثال أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير وغيرهم كثير رضي الله عنهم ، فلو أن الخضري استثنى في رأيه لكان أصوب .

---

(١) الكتاني : التراتيب الإدارية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٢) الندوي : خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠ .

(٣) الخضري : تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ .

ولقد كان حال علماء الأمة قبل تولّي عمر بن عبدالعزيز الخلافة أنهم معزولون عن المشاركة في الحياة العامة[1] ، حتى جاء عصر عمر فكان عصرَ علم ودعوة إلى الله ، وتقدير للعلماء ، إذ كان يعلم رحمه الله أن العلماء هم مفكرو الأمة ومخططو برامِجها العقائدية ، ورواد شرفها ورفعتها ، وتفردها على الأمم[2] ، فبلغ العلماء مكانة رفيعة في عهد عمر ، إذ أكرمهم وبحث عنهم في كل موطن وجعلهم سنده وأعوانه[3] .

وأما العلم ذاته فقد استولت علوم الدين الإسلامي على جل اهتمام عمر ، إذ اقلقه ذهاب العلماء ودروس العلم ، وكذلك دخول أقوام في الإسلام وهم به جاهلون ، فحمل القرآن والفقه في عهده إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب ، وكانت في عهده أول نهضة بمغرب افريقية بين البربر والمسلمين[4] ، وأمر بجمع الحديث وتدوينه فكان عمر من أوائل من اهتم بأمر تدوين الحديث .

كما اهتم عمر بعلوم الدنيا وخصوصاً الطب ، وذلك لحاجة الناس إليه ، فكان عهده حرباً على الفقر والجهل والأمراض[5] .

وكان المسجد والتلقي فيه الطريقة الأولى لنشر العلم وتدريس القرآن وتلاوته ، كما كان عمر يقتطع من وقته جزءاً لإقامة الندوات العلمية ، وإجراء النقاش الحر ، وتلقيح ألباب الرجال من خلال لقاءاتهم . فكان مركز حُكْمِه رضي الله عنه ساحة يجتمع فيها علماء الأمة وربانيوها[6] .

---

(١) الزحيلي : الخليفة الراشد العادل ، ص ١٢٧ .

(٢) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٩٠ .

(٣) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١٧ .

(٤) الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١٥ .

(٥) المرجع السابق : ص ٢١٧ .

(٦) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٢ .

ومجمل القول فقد كان في عهد عمر بن عبدالعزيز متسع لخلق أجواء ثقافية حرة ، وحركة علمية دائبة في جميع أقطار البلاد الإسلامية ، وحوار فكريٍّ متَّصلٍ بين كبار مثقفي الأمة وعلمائها وفقهائها ، وتداول العلم بين العلماء وعامة الناس ، تلك الأجواء التي جعلت عصر عمر على قصره ـ سنتين وخمسة أشهر ـ يعج بالعدد الكبير من أبرز العلماء والفقهاء والمفكرين ، عدد لم يبلغه أي عصر من العصور السابقة أو اللاحقة[1] .

ولا بأس أن نورد بعض الأسماء التي كان لها الدور الكبير في ترسيخ أصول العلم ونشره بين المسلمين، فكان من الفقهاء والعلماء في عهده : خارجةُ بين زيد بن ثابت ، ويحي بن عبدالرحمن بن حاطب ، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وسالم بن عبدالله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبيد الله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود، ومحمد بن كعب القرظي، وعاصم بن عمر بن قتادة، ونافع مولى عبدالله بن عمر ، وسعيد بن يسار ، ومحمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي ، وعبدالله بن دينار ، ومحمد بن مسلم الزهري ، وعبدالله بن أبي بكر، وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبير ، وعكرمة مولى عبدالله بن عباس ، وعامر بن شراحيل الشعبي ، وسالم بن أبي الجعد ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعبدالملك بن ميسرة الهلالي ، وأبو إسحاق السبيعي ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، وأبو قلابة عبدالله بن يزيد ، وعبدالملك بن يعلمة الليثي ، وزيد بن نوفل، وعلقمة بن عبدالله المُزَني ، ورجاء بن حيوة ، ومكحول الدمشقي ، وراشد بن سعد ، وسليمان بن حبيب المحاربي ، وميمون بن مهران ، ويزيد بن الأصم ، وأبو قبيل المحافري ، وطاووس اليماني[2] .

(١) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٩، ١٩٠ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار بيروت ، ١٩٧٠ م ، جـ ٢ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

وللدلالة على ما تميزت به الحالة العلمية في عهد عمر بن عبدالعزيز عنها في عهد غيره ممن سبقه من خلفاء بني أمية فإننا نورد ما رواه الطبري في تاريخه إذ يقول في مقارنته لحال الناس في عهد ثلاثة منهم :

« كان الوليد ــ ابن عبدالملك ــ صاحب بناء ، واتخاذ المصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع . فولي سليمان ــ بن عبدالملك ــ فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري ، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز ، كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وِرْدُك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ؟ ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ »[1] .

تلك نبذة عما كانت عليه الحالة العلمية في عهد عمر بن عبدالعزيز ، وفيما يلي نتطرق إلى توجيهات وقرارات عمر في مجال التربية ونشر العلم ، وتربية أولاده رحمه الله .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٩٧ .

المبحث الثاني

توجيهات عمر القيادية والإدارية

في مجال التربية والتعليم

لقد كان عمر رضي الله عنه إلى جانب اهتمامه بشؤون التربية والتعليم مهتماً بنشر الإسلام، والدعوة إلى الله، لكنه كان يختلف في طريقة نشر الإسلام عن غيره من خلفاء بني أمية، فقد أخذ أسلوب الدعوة للإسلام سلماً أولاً، وإلا جزية وإلا القتال، وذلك ما يتضح من كتاب عمر لأحد عماله إذ يقول: « لا تقاتلنَّ حصناً من حصون الروم، ولا جماعة من جماعاتهم، حتى تدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فاكفف عنهم، وإن أبَوْا فالجزية، فإن أبَوْا فانبذ إليهم على سواء »[1] وكان ذلك دأب عمر في نشر الإسلام والدعوة إليه في كل البلدان، متبعا ما تمثل به قادة الفتح الإسلامي من وصايا رسول الهدى عليه الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. ففي سنة مائة للهجرة « كتب عمر ابن عبدالعزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام على أن يملِّكهم بلادهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين ـ وقد كانت سيرته بلغتهم ـ فأسلم جيشبة بن زاهر، والملوك تسموا له بأسماء العرب »[2].

والشاهد هنا أن عمر بن عبدالعزيز في نشره للإسلام بالوسائل المختلفة، لم يكن لينشره إلا على أساس من التعليم الصحيح لعلوم الدين الإسلامي سواء بالكتب أم بالدعاة، أمثال يزيد بن أبي مالك، والحارث بن يمجد، وعبد الله بن يزيد المعافري، وإسماعيل بن عبيد الأنصاري، وعبدالرحمن بن رافع التنوخي،

(١) ابن سعد : الطبقات الكبري، جـ ٥، ص ٣٥٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل، جـ ٤، ص ١٦٠ .

وجعثل بن هاعان الرعيني، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي، وحبان بن أبي جبلة القرشي ، وأبو ثمامة بكر بن سوادة ، وسعد بن مسعود التجيني ، وموهب ابن حي المعافري ، وطلق بن جعبان الفارسي[1] . وهذا ما يمكن ذكره في هذا المقام عن دور عمر في نشر الإسلام والدعوة إليه ، قبل أن نأتي على تلك القرارات والتوجيهات التي شملت التربية عموماً ، وتثقيف أفراد الأمة ومحاربة الجهل بين الناس .

أولاً : توجيهات عمر القيادية والإدارية في مجال التربية :

لقد رغب عمر بن العزيز للوصول إلى مرحلة التوجيه التربوي ، ـ ليس على المستوى الفردي فحسب ، بل على مستوى الأمة ـ أن يكون قدوة صالحة للناس ، ليستطيع ممارسة التربية[2] ، والنصح والإرشاد ، والعناية بأخلاق وسلوك المجتمع ، ومن هذا المنطلق بدأ عمر بتوجيهاته وقراراته التربوية ، التي تفوح بروح الإسلام فكراً وتطبيقاً ، فكان من أبرزها :

١ ـ أوامره بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح بين الناس :

لقد كان عمر يرحمه الله ، وانطلاقاً من مركزه القيادي ، واهتمامه بتربية المجتمع وتدينه وأخلاقه ، يرى ضرورة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فنجده تارة يأمر بالمعروف بنفسه ، وتارة يأمر الناس بالأمر بالمعروف ، وتارة أخرى يطلب من ذوي العلم والنهى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، وإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرها في الدنيا والآخرة . فقال في بعض كلماته :

« لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقل الواعظون

---

(١) ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٧٥ ـ ١٧٩ .

(٢) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي ، ص ١٨٠ .

والساعون لله بالنصيحة »[1] . وفي ذلك دلالة على أنه ليس بالضرورة أن يبدأ المرء بنفسه على كل حال عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن ذلك ليس على فئة معينة من الناس .

ويقول رحمه الله : « لقد أفلح من عصم المراء والغضب والطمع »[2] وفي ذلك دلالة على اهتمام عمر بالتربية السلوكية وأخلاق الأمة ونهيهم عن الصفات الذميمة ، حتى أن رياح بن عبيدة قال : « كنت قاعداً عند عمر بن عبدالعزيز ، فذُكر الحجاج ، فشتمته ووقعت فيه ، فقال عمر : مهلاً يا رياح ، إنه بلغني أن الرجل ليظلم بالمظلمة ، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفي حقه ، فيكون للظالم عليه الفضل »[3] .

فكان ذلك بمثابة النهي بل الأمر بترك الغِيبة ، حتى وإن كانت لظالم ، ويتجلى اهتمام عمر وتركيزه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضرورة التناصح بين علماء وعقلاء الأمة وعامتها في كتابه العظيم إلى عماله ، يأمرهم بالأمر بكل معروف ، والنهي عن كل منكر ، وما يسببه التساهل والسكوت على ذلك من العقوبات فيقول : « أما بعد فإنه لم يظهر المنكر في قوم قط ثم لم ينهَهُم أهل الصلاح منهم ، إلا أصابهم الله بعذاب من عنده ، أو بأيدي من يشاء من عباده ، ولا يزال الناس معصومين من العقوبات والنقمات ما قمع فيهم أهل الباطل .. وقد بلغني أنه بطأ بكثير من الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتقاء التلاوم أن يقال : فلان حسن الخلق، قليل التكلف، مقبل على نفسه ، وما يجعل الله أولئك أحاسنكم أخلاقاً ، بل أولئك أسوؤكم أخلاقاً ، وما أقبل على

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٠ هـ ، جـ ٥ ، ص ٢٧٧ .

نفسه من كان كذلك ، بل أدبر عنها ، ولا سلم الكلفة لها ، بل وقع فيها ، إذ رضي لنفسه من الحال غير ما أمره الله أن يكون عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...»[1] .

وفيما قاله عمر ما يدل على اقتناعه بضرورة تناصح المجتمع ، وأن مناهضة الباطل وإقرار الحق مما يخلق مجتمعاً متعاوناً على البر والتقوى ، متربياً على خلق القرآن الكريم ، فكان ذلك دافعاً لاصدار ذلك الأمر التربوي ليشمل المجتمع بأسره .

٢ ـ توجيهه باتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة في الوعظ والإرشاد :

أدرك عمر بن عبدالعزيز ما للكلمة المنبثقة من القلب المؤمن ، وما للموعظة الحسنة من الأثر والمردود التربوي ، وعظيم النفع والفعالية على كثير من الوسائل الأخرى التي يتبعها العلماء والمرشدون والمربون لتوجيه الناس إلى ساحات الخير والعمل الصالح[2] .

فكتب إلى أحد معلمي الأمة يأمره باتباع ذلك الأسلوب التربوي فيقول : « إن الموعظة كالصدقة ، بل هي أعظم أجراً ، وأبقى نفعاً ، وأحسن ذخراً ... فعظ من تعظه لقضاء حق عليك ، واستعمل نفسك حين تعظ ، وكن كالطبيب المجرب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا بنيغي أعْنَتَه[3] وأعنت نفسه ، وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم ، .. واعلم أنه لم يُجعل المفتاح على الباب لكيما يُغلق فلا يُفتح ، أو ليُفتح فلا يُغلق ، ولكن ليُغلق في حينه ، ويُفتح في حينه ، والسلام »[4] .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، نص الكتاب كاملاً ، ص ١٣٧ ـ ١٤٠ .

(٢) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٦ .

(٣) أعنته : أي أهلكه والعنت (بفتح العين والنون) : الهلاك ودخول المشقة على الإنسان (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ٦١) .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٣ .

ويتضح من الأمر السابق مفهومٌ تربويٌ هو أن الموعظة صدقة ، وأنها حق على الجميع ، واجب أداؤها ، ولا سيما على العلماء ، وأن يكون الواعظ والموجه والمرشد ، عالماً بما ينبغي منه، فمن ناحية يكون حسن الموعظة صادق التوجيه ، ومن ناحية أخرى يكون عالماً ومؤمناً فيكون لتوجيهه وإرشاده وموعظته الأثر الطيب في تربية الفرد والمجتمع ، وذلك ما يتطلبه الحال من كل قائد ، سواء أكان معلماً أم مربياً أم رئيساً أم مديراً .

٣ ـ توجيهاته حول علاقة الفرد بالعلم وأهله :

لقد كانت تعليمات عمر وتوجيهاته القيادية التربوية شاملة لكل متطلبات المجتمع الصالح ، إذ كان لديه رحمه الله مفهوم تربوي فيما يتعلق بالموقف الذي ينبغي أن يكون عليه الفرد تجاه العلم والعلماء ، فيقول : « إن استطعت فكن عالماً ، فإن لم تستطع فكن متعلماً ، فإن لم تستطع فأحبَّهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم »[١] .

وفي هذا القول إيثارٌ للعلم وأهله ، فجعل كل فرد من أفراد الأمة يختار إحدى الحالات الإيجابية التي يقفها من العلم والعلماء ، فإما عالماً أو متعلماً أو محباً أو غير مبغض على أقل تقدير ، وفي ذلك منهج تربوي عظيم لجبل الناس على حب العلم والعلماء بأي حال ، فنجده لم يترك للفرد مخرجاً ليكون بعيداً عن العلم وأهله .

٤ ـ توجيهاته في آداب الحديث والمجالس :

وليستمر حديث الناس في العلم، وفيما يعود لهم بالخير في الدنيا والآخرة، نجد عمر يدخل بتوجيهاته التربوية إلى مجالس الناس ومحادثاتهم وما هو من

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٣ .

خاصتهم فيأمرهم ويقول : « إياي والمزاحَ فإنه يبعث الضغن ، وينبت الغِلّ . تحدثوا بكتاب الله ، وتجالسوا به ، وتسايروا عليه ، فإذا مللتم فحديث من حديث الرجال ، حسن جميل »[1] .

وذات يوم اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا بالمزاح، فدخلو ، فتكلم رجل منهم فمزح ، فنظر إليه عمر ، فوصل له رجل آخر كلامه بالمزاح ، فقال عمر : « ألهذا أجتمعتم ؟ لأخس الحديث ، ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعديتم ذلك ففي السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث »[2] .

وقد جاء ذلك في ضوء إدراكه العميق بما يتطلبه الأمر عند مجالسة الناس ، وأن ملاقاة الرجال ببعض بالأفكار والحجج والبراهين يعمق الفكر ، ويلقح الألباب ، يقول لميمون بن مهران : « ويحك يا ميمون إني وجدت لقيا الرجال تلقيحاً لألبابهم »[3] . فكأن عمر بتوجيهاته تلك يدير ندوات علمية يحدد مواضيعها ، فلا يسمح لأعضائها بالخروج عنها إلا فيما يفيد ، فينهى عن المزاح موضحاً آثاره ، ويأمر بما هو أهل ليكون مدار حديثهم ـ كتاب الله وسنة رسوله ـ، ويراعي ما قد يكون من المَلَلْ، فيحدد ما يجب أن يكون عنه الحديث ، ثم يبرز أهمية النقاش والتقاء العقول، وما يتمخض عن ذلك من جديد الأفكار .

في إطار أدب الحديث فقد كان عمر يكره الكذب وينفر منه ، ويتجنب كثرة الكلام خشية المباهاة ، ونهى عن كثرة الكلام ، وعدَّ ذلك من الذنوب ، ففي يوم تقاول عمر وسليمان فكان مما قاله سليمان لعمر : « كذبت » . قال عمر :

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٤ .

(٢) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) : تاريخ الخلفاء ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) ابن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٥ .

« ما كذبتُ منذ شددتُ عليَّ إزاري ، وعلمت أن الكذب يضر أهله »[1] . وفي كثرة الكلام يقول عمر : « إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة »[2] ويقول : « من لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه »[3] .

٥ ـ التأكيد على ضرورة الربط بين العلم والعمل :

لقد كانت رسائل عمر بن عبدالعزيز إلى عماله تؤكد على مفهوم تربوي إسلامي آخر ، ألا وهو الجمع بين العلم والعمل . يقول الله عز وجل : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّــهُ لا إِلَه إِلاَّ الــلَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وِلِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤمِنَاتِ ﴾[4] فبدأ بالعلم وثنى بالعمل ، والعلم في نظر الإسلام دليل للعمل كما هو دليل للإيمان[5] .

وهذا ما يتميز به الإسلام على غيره من المذاهب الوضعية التي تعاني الازدواجية في طبيعة العلم والعمل[6] ، وفصلاً لهما ، ومحاكاة كل جانب منهما على حدة .

فقد أبرز عمر أهمية الربط بينهما ، وسعى ليستمر الاتصال بين التوجيه والتنفيذ ، فهو يرى أن العلم أساس للعمل ، فيقول في ذلك : « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[7] . ثم أخذ عمر يحذر من الوقوع في كارثة الفصل بين العلم والعمل ، فكتب إلى عبدالرحمن بن نعيم عامله على خراسان وأحد مسؤولي الدولة ، محذراً إياه وآمراً له بالتزام الربط بين العلم

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٤ .
(٢) الآجري : أخبار ابن حفص عمر بن عبدالعزيز وسيرته ، ص ٨٤ .
(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٢ .
(٤) جزء من الآية ١٩ من سورة محمد .
(٥) يوسف القرضاوي : الرسول والعلم ، دار الصحوة ، بدون تاريخ ، ص ١٧ .
(٦) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٧ .
(٧) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٢ .

والعمل وسد الثغرة[1] القائمة بين العلم والتطبيق ، فيقول : « إن العمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالا »[2] . ويكتب إليه مرة أخرى فيقول : « أما بعد : فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين »[3] .

فكان من المسلَّم به عند عمر أن العمل دون قاعدة علمية ، وتوجيه سليم لا يأتي بنتيجة جادة ، وسَرعان ما يذهب جفاء لا نفع فيه[4] .

ويتضح لنا من كل ما تقدم التوجيه القيادي السديد من عمر ، وحسن الإدراك لمردود العلم في المجال الإداري والتربوي .

٦ ـ الأمر بتعلم ما ينبغي وإيضاح المردود التربوي والإداري للتعليم :

تميزت توجيهات وإدارة عمر في مجال التربية بالشمولية ، إذ اهتم بالنواحي المنهجية ، والمردود التربوي للتعليم والحاجة لذلك ، فنجده ذات يوم يقول لرجل : « علم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكف الأذى »[5] . حيث رأى أن الولد لا بد له من أن يتربى على القناعة ، فهي كنز لا يفنى كما يقال ، وأن يعتاد كف الأذى أياً كان ، فهما من المقومات الأساسية للمسلم .

ثم أدرك عمر أن العلم الحق ما دعا صاحبه للقناعة وصدَّه عن الطمع[6] ، وهذَّب أخلاقه وكان له وقاراً ، حيث قال : « تعلموا العلم فإنه زين للغني ، وعون للفقير ، لا أقول إنه يطلب به ، ولكنه يدعو للقناعة »[7] .

---

(١) أرى أن هناك ثغرة قائمة في وقتنا الحاضر بين ما نتعلم وما نطبق ، وبين ما نقول وما نعتقد ، وبين ما هو كائن وما يجب أن يكون ، إذ لا نطبق ما نتعلم ، وما نعتقد ، وما نقول في كل الأحيان .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٧ .

(٣) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٤) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي ، ص ١٨٨ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٨ .

(٦) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٦ .

(٧) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٦ .

وكان لعمر ومن خلال الخبرة ، وممارسة الأعمال السياسية والإدارية وقيادة الأمة ، وإدراكه للمردود الإداري للتعليم ، أن اتخذ موقفاً جديداً يختلف عما كان عليه في أول أمره ، فقرر أن العلم الشريف من قرآن وحديث وفقه لا يكفي عن غيره ، وأن مصاحبة سَراة[1] الناس وعلمائهم لا تغني عن رَعاع[2] الناس وعامتهم ، فجعل يقول : « كنت أصحب من الناس سَراتهم ، وأطلب من العلم شريفه ، فلما وليت أمر الناس احتجت إلى أن أعلم سفساف[3] العلم ، فتعلموا من العلم : جيِّده ورديئه وسفسافه »[4] .

كان ذلك منه بعد أن عرف ما كان عليه حاله وعلمه، وأنه لا يفي بالغرض، فكان عن خبرة وقناعة ، فهو حريٌ بالاتباع ، ويتضح لنا ما يتطلبه الأمر من الإعداد لأفراد المجتمع، وبخاصة من ينتظر منهم القيام بمهام قيادية ، وأعمال متخصصة .

ثانياً : التوجيهات الإدارية في مجال التعليم :

لقد رغب عمر بن عبدالعزيز أن يكون عالماً ومثقفاً ، ليستطيع مزاولة نشاطه في مجال التعليم ، وأن يتخذ القرارات التي تخدم الدين والعلم ، والعلماء والمتعلمين ــ مثل اشتراطه أن يكون قدوة صالحة ، ليمارس نشاطه في مجال التربية ــ فقد تعلم وتفقه في الدين ، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد[5] . تلك المرتبة التي مكنته بتوفيق الله من اتخاذ قرارات تعليمية ، خدمت الإسلام والمسلمين . يقول

(١) سراة كل شيء : ما ارتفع منه وعلا . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٤ ، ص ٣٧٨) .

(٢) رعاع الناس : هم أخلاطهم . (أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) : المصباح المنير ، بيروت ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ .

(٣) السفساف : الحقير والرديء من كل شيء . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ١٥٥) .

(٤) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤ .

(٥) تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ) : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ ، جـ ٦ ، ص ٣٣٣ .

أبو الحسن الندوي : « لا يزال المسلمون في أنحاء العالم مدينين لها ـ أي قراراته وتوجيهاته التعليمية ـ في حياتهم الدينية »[1] وكان من أبرز تلك التوجيهات والقرارات التعليمية :

١ ـ الأمر بجمع وتدوين السنة النبوية المطهرة :

لقد مرّت السنة النبوية بثلاث مراحل ، الأولى : مرحلة الكتابة والتي استمرت طوال القرن الأول الهجري . والثانية : مرحلة التدوين ، وقد بدأت حينما أصدر عمر بن عبدالعزيز أمره إلى عماله بجمع السنة . والثالثة : مرحلة التصنيف ، حيث صنفت المسانيد والسنن[2] ، وبذلك يكون عمر بن عبدالعزيز محور المرحلة الثانية وقيِّمَها .

ولقد كان علم الحديث موضع اهتمام عمر منذ توليه الخلافة ، فكان على رأس جيل التابعين رضي الله عنهم في تدوين الحديث وجمعه[3] . فقد لفت انتباهه انصراف المسلمين إلى ميادين السياسة والإدارة ، والحرب ، وأمور الدنيا ، مقارنة بانصرافهم إلى التعلم والتعليم ، فخشي ذهاب العلم ودروس العلماء ، كل ذلك كان دافعاً لعمر حين اتخذ قراره ، حيث كتب إلى أحد كبار علماء الحديث وأوعية العلم في عصره وعامله في المدينة أبي بكر بن محمد بن حزم يقول : « انظر إلى ما كان من حديث رسول الله ﷺ ، أو سنة ماضية ، أو

---

(١) الندوي : خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠ .

(٢) محمد أحمد رضوان صالح : مناهج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي ، مجلة المنهل ، جدة ، العدد ٤٨٤ ، المجلد ٥٢ ، (عدد خاص عن الحديث النبوي والقدسي) ، ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٤١١ هـ ، ص ٢٣) .

(٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : تقييد العلم، تحقيق د . يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٠ .

حديث عَمْرَةَ بنت عبدالرحمن[1] ، فاكتبه ، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله »[2] .

وفي رواية للبخاري قال: « كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكْتُبْه ، فإنِّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا حديث النبي ﷺ »[3]. وفي هذا الجانب يقول الندوي: « وقد أراد الله أن يكون له فضيلة السبق في هذا الميدان ، كما كان لجده العظيم ـ عمر بن الخطاب ـ فضيلة السبق لجمع القرآن ، فإنه هو الذي أشار وألحَّ على خليفة رسول الله أبي بكر الصديق بجمعه »[4] .

كما كتب للغرض نفسه إلى علماء آخرين في المدينة ، يقول ابن شهاب الزهري[5] : « أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً »[6] .

(١) هي أم أبي الرجال عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زراره من بني النجار ، جعلها ابن سعد في طبقة من كان إليهم الفتيا والسؤال بالمدينة ، بعد أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، روت عن عائشة رضي الله عنها . وكان القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وعمر بن عبدالعزيز وغيرهما يسألونها ، قال عنها عمر بن عبدالعزيز : ما بقي أعلم بحديث عائشة منها . (ابن سعد : الطبقات ، جـ ٣ ، ص ٤٨٨ ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٧) .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) : صحيح البخاري ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ ، جـ ١، ص ٦٠.

(٤) الندوي : خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠ .

(٥) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري القرشي الإمام ، ولد سنة (٥٠ هـ)، حدث عن بعض صغار الصحابة وكبار التابعين ، قال عنه عمر بن عبدالعزيز : لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري ، حفظ القرآن في ثمانين ليلة، من أعلم معاصريه ، توفي سنة ١٢٤ هـ . (أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : تذكرة الحفاظ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧٤ هـ ، جـ ١ ، ص ١٠٨ ـ ١١٣) .

(٦) أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) : جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ١٣٨٨ هـ ، جـ ١ ، ص ٩١ ، ٩٢ .

ولم يكتف عمر بذلك ، بل كتب إلى الآفاق يقول : « انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه »[1] .

كان ذلك نتيجة قناعته بأهمية السنة النبوية ، فهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم ، ثم ما ظهر له من حال المسلمين وانصرافهم عن العلوم الإسلامية . ويتضح من قول الزهري ـ كما سبق ـ أنه وصل عمرَ شيء مما تم جمعه من الحديث تنفيذاً لأمره ، وبعث لكل بلاد المسلمين بما جمع ، ومات رحمه الله قبل أن يصله ما تم تنفيذه من أمره من قبل ابن حزم[2] وغيره ، ممن تلقى أمره ذلك . وفي هذا المجال نجد شاهداً على اهتمام عمر بالناحية التطبيقية ، والعمل بالعلم فلم يكتفِ بجمع وتدوين السنة ، ولن يغني ذلك شيئاً إذا لم يصاحبه تعلم واقتناع للوصول إلى الهدف الأساس ، ألا وهو التزام تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية ، فقد أصدر كتاباً يأمر أحد عماله فيقول : « أما بعد : فَمُرْ أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت »[3] .

يقول الشيخ الصابوني في سياق حديثه عن تدوين السنة ، وما قام به عمر بن عبدالعزيز : « وهكذا رأى الخليفة الراشد بثاقب بصره ، ضرورة تدوين الحديث الشريف وكتابته حتى لا يندثر ، فإن في تدوينه ضبطاً له وإبقاء ، ووضع أصول التدريس لحديث رسول الله ﷺ بأن يجلس العلماء في المساجد والمكاتب ليعلموا الناس وأمرهم بأن ينشروا العلم ولا يجعلوه مقصوراً على أفراد معينين، أو يتدارسوه فيما بينهم سراً ، فإن في ذلك اندثار العلم وضياعه »[4] .

(١) جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، بيروت ، المكتبة الثقافية ، ١٩٨٤ م ، ص ٥ .

(٢) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٣ .

(٤) محمد بن علي الصابوني : تدوين الحديث الشريف ، مجلة المنهل ، جدة ، العدد ٤٨٤ ، المجلد ٥٢ ربيع الآخر وجمادى الأول ١٤١١ هـ ، ص ١٣٣ .

كما لم يخفَ على عمر أن يسعى لتذليل الصعوبات لتحقيق هذه المهمة ، فهو لم يقف عند إصدار الأوامر ، ولكنه كعادته رضي الله عنه قرن الأمر بأوامر أُخَر تمكن من تنفيذه والقيام به دون انقطاع ، وذلك ما سيأتي ذكره انشاء الله .

٢ ـ أوامره بنشر العلم في البوادي والأمصار[١] :

إضافة إلى اهتمام عمر بن عبدالعزيز بالعلوم الإسلامية ، وحث المسلمين لتلقي العلم ، فإن إحساس عمر بمسؤوليته تجاه من اعتنق الإسلام حديثاً ، وضرورة تفقيههم فيه وتعليمهم إياه ، كان دافعاً لعمر رضي الله عنه لاصدار أوامر إجرائية بنشر العلم بين الناس ، سواء في باديتهم أو في حاضرتهم ومساجدهم بمختلف الأمصار ، ليمكنهم من العلم والمعرفة ، ولينهلوا من العلوم الإسلامية وغيرها ، ما يكون لهم وقاية من خطر الجهل .

وفي هذا المجال صدر أمر عمر رحمه الله بتكليف يزيد بن أبي مالك ، والحارث بن محمد ، ليقوما بمهام تعليم الناس في البادية[٢] ، وكان فيمن أرسلهم عمر إلى الأمصار للتعليم يزيد بن أبي حبيب ، حيث أرسله إلى مصر قاضياً ومعلماً ، فكان يزيد أول من أظهر العلم بمصر[٣] ، كما أرسل عشرة فقهاء لتعليم الناس[٤] في أمصار إفريقيه ، لما كانت عليه من الظروف السياسية، وما جرى بين المسلمين والبربر . ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن ماكولا أن طلق بن جعبان الفارسي ، أحد النفر التابعين الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز من مصر

(١) الأمصار : جمع مِصر ، والمِصْر البَلَد ، ويقال : فلان مصَّر الأمصار أي مدَّن المدن وحدَّدها . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ١٧٦) .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٢٩ .

(٤) سبق وأن ورد ذكرهم في أول هذا المبحث .

ليفقهوا أهل المغرب[1] . كما كتب عمر إلى أمراء الأجناد يأمرهم بنشر العلم فقال : « ... ومُر أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علَّمهم الله من ذلك ، وليتحدثوا به في مساجدهم »[2] .

كما خص أبا بكر بن حزم بكتاب يأمره في آخره بتكليف أهل العلم فيقول: « ... وليفشوا العلم ، وليجلسوا له حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً »[3] .

ومما سبق ذكره يتضح لنا بجلاء إجراءات عمر الإدارية العلمية وأوامره بنشر العلم بين الناس ، فضلاً عن دور عمر شخصياً في التعليم ، وما يرسله من الكتب والرسائل العلمية إلى الأمصار التي لم يرسل إليها فقهاء ، لثقته[4] بمن فيها من العلماء .

٣ ـ أمره بضرورة إقتران التدوين والكتابة بالتعليم :

أدرك عمر بن عبدالعزيز أن العلم في انتشار وتوسع وتنوع ، إذ تشعبت العلوم الإسلامية ، واتضح له حاجة الناس لتبادل العلم والمعرفة سواء ما يتعلق بعلوم الدين أم علوم الدنيا ، وذلك كله يتطلب وسيلة تبقي على العلم ووجوده ، وتصونه من الضياع لتسير أجيال العلماء من المكان الذي وصل إليه السابقون

---

(١) الأمير الحافظ علي بن هبة الله بن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) : الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، تصحيح عبدالرحمن يحي المعلمي ، بيروت ، الناشر محمد أمين دمج ، بدون تاريخ النشر ، جـ ٢، ص ١٧٦ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٨ .

(٣) عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الربيع الشيباني (ت ٩٤٤ هـ) : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ ، بيروت ، دار المعرفة ١٣٩٧ هـ ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ . البخاري : صحيح البخاري ، جـ ١ ، ص ٦٠ .

(٤) مما يستشهد به على تلك الثقة كتاب عمر إلى واليه على البصرة عديّ بن أرطاة يأمره بأن يكتفي بسؤال الحسن البصري عن السنة ، بدلاً من إرساله إلى عمر بن عبدالعزيز ، (ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢١) .

لهم ، لا أن يبدأ كل جيل من جديد ، من جراء فقدان ما توصل إليه من سبق ، فيكون ذلك عقبة في طريق التطور الفكري والتقدم العلمي .

وفي هذا الإطار ، وكشاهد على اهتمام عمر بهذا الجانب ، إضافة إلى أوامره بجمع وتدوين السنة ، فإنه قد وجه دعوة عامة إلى أفراد رعيته ، ولن تزال الدعوة حريَّة بالإجابة فقال : « أيها الناس : قيِّدوا النعم بالشكر ، وقيدوا العلم بالكتاب »[1] فهو في هذه العبارة القصيرة يدعو إلى أمرين ، هما من الأهمية بمكان ، فقد قَرنَ كتابة العلم وتدوينه بشكر الله على النعم ، مما يوحي بأهمية تدوين العلوم في نظره رضي الله عنه ، ثم أنه رأى ــ لدوام العلم ــ ضرورة تقييده بالكتابة ، كما هو حال النعم ، فبشكر الله تدوم النعم ، بل تزيد ، قال تعالى : « وإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ »[2] .

وبتدوين العلم وكتابته ، يتوارث الناس العلم ، ويسلم من الضياع ، فكانت وصيته تلك دفعة عظيمة في رسوخ أصول العلم[3] .

٤ ــ أوامره بإجراء الأرزاق والأجور على أهل العلم :

لقد كان عمر بن عبدالعزيز أول خليفة جعل في بيت المال نصيباً لأهل الحديث[4] ، فأعطى العلماء وطلبة العلم من بيت المال ، إدراكاً منه أن في الدنيا وزخرفها ما يجعل الناس ينصرفون عن طلب العلم والتعليم ، فأجرى الرزق على العلماء ، ورتب لهم رواتب، ليتوفروا على نشر العلم ، ويكفوا مؤونة الاكتساب[5]،

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٤٢ .

(٢) جزء من الآية (٧) من سورة إبراهيم .

(٣) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد ، ص ٢١٦ .

(٤) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : شرف أصحاب الحديث ، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي ، أنقره ، دار إحياء السنة النبوية ، ١٩٧١ م ، ص ٦٤ .

(٥) الندوي : خامس الراشدين ، ص ٣١ .

فأعطى من انقطع إلى القرآن والحديث نصيباً من بيت المال ، وفرض لكل من نصب نفسه للفقه ، ونشر العلم ، وتلاوة القرآن ، وحبسها في المسجد عن طلب الدنيا مائة دينار كل عام[1] قبضاً عاجلاً[2] .

ومما يذكر أنه أجرى الرزق على يزيد بن أبي مالك ، والحارث بن محمد، حين بعثهما إلى البادية ليعلما الناس السنة ، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث ، وقال: ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجراً ، فقال عمر موضحاً رأيه في ذلك ومبدياً مرونة في أوامره : « ما نعلم بما صنع يزيداً بأساً ، وأكثر الله فينا مثل الحارث »[3] .

ولم يقتصر الأمر على العلماء ، بل شمل طلبة العلم ، فقد كتب عمر إلى عماله أن اجروا على طلبة العلم الرزق وفرغوهم[4] .

وفي أمر آخر خص به والي حمص يقول عمر : « مُر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن ، وما حملوا من الأحاديث »[5] . فكأنه بهذه الأوامر لا يكتفي بـ (التفرغ الكامل) لإنجاز المتطلبات التعليمية ، ونشر العلم وطلبه ، حيث تتولى الدولة كفالة عدد من العلماء والمفكرين لمواصلة إنجاز الأعمال الفكرية[6] .

٥ ـ أمره بتعليم الطب وإخراج كتاب في الطب :

لم يقتصر اهتمام عمر على علوم الدين الإسلامي فحسب ، بل امتد إلى العلوم الأخرى ، ولا سيما الطب ، لحاجة الناس إلى هذا العلم ، فقد استعان

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٦ .

(٢) الأهل : الخليفة الزاهد ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٧ .

(٤) الكتاني : التراتيب الإدارية ، جـ ١ ، ص ٣٩٥ .

(٥) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢٣ .

(٦) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٣ .

عمر بعبدالملك بن أبجر الكناني على تدريس الطب في أمصار المسلمين ، وكان عبدالملك هذا طبيباً عالماً ماهراً يتولى تدريس الطب بمدينة الإسكندرية ، فلما استولى المسلمون على تلك البلاد ، أسلم الطبيب عبدالملك على يد عمر بن عبدالعزيز ، فصحبه عمر بن عبدالعزيز واستطبه واعتمد عليه في صناعة الطب ، وعندما تولى عمر الخلافة اعتمد عليه في نقل علم الطب، وتدريسه في انطاكية[١] وحرّان[٢] ، وانتشر هذا العلم في البلاد[٣] .

كما أن عمر بن عبدالعزيز أمر بإخراج كتاب في الطب ، ترجمهُ الطبيب « ماسر جويه » السرياني الجنس اليهودي المذهب ، من اللغة السريانية إلى العربية[٤] ، وكان عمر قد وجد هذا الكتاب في الطب في خزائن الكتب في الشام حين تولّى ، وهو كنّاش[٥] من أفضل الكنانيش ، ألّفه القس أمرون بن أعين ، فأيده بعض من حوله على إخراجه للمسلمين[٦] ، فما كان من عمر إلا أن وضعه في مصلاة ، واستخار الله في إخراجه إلى المسلمين لينتفعوا به ، حتى تم له في ذلك أربعون يوماً ، ثم أمر بإخراجه للناس وبثه بين أيديهم[٧] .

٦ ـ إسهام عمر شخصياً في التعليم وعزمه على تعليم الرعية :

لم يكن عمر بن عبدالعزيز يكتفي بإصدار أوامره وتوجيهاته التربوية والتعليمية فحسب ، بل كان بالإضافة إلى التوجيه والمتابعة ، يمارس تلك المهام

(١) أنطاكية : بلد عظيم لم تزل قصبة العواصم من الثغور الشامية تبعد عن حلب مسيرة يوم وليلة وعن البحر فرسخين ، (الحموي : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨) .

(٢) حرّان : مدينة عظيمة مشهورة وهي قصبة ديار مصر ، ذكر أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان ، (المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥) .

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٦٣ .

(٤) الكتاني : التراتيب الإدارية ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٥) الكناش : قال الكتاني هو : الحاوي ، والكناشة : مجموعة من الدفاتر تدرج فيها الشوارد والفوائد (لويس معلوف ، وفردينان توتل : المنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٤ م ، ص ٧٠٠) .

(٦) الكتاني : التراتيب الإدارية ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٧) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٦٣ .

بنفسه ، فساعة يربي ، وساعةً يعلِّم وأخرى يصدر قراراً أو توجيهاً في هذا المجال .

فقد نقل ابن عبدالبر ما أكده مالك بن أنس إذ قال : « كان عمر بن عبدالعزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى ، وأن يعملوا بما عندهم »[1] .

وكان عمر رضي الله عنه قد عزم عزماً أكيداً على تعليم الرعية ، وحملهم على الشريعة ، فذكر ابن عبدالحكم أن عمر يقول : « إن للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً ، فمن عمل بها استكمل الإيمان ، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش أُعْلِمْكُمُوها وأحملكم عليها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص »[2] . فكان من إسهاماته رضي الله عنه شخصياً في التعليم أنه كتب كتاباً إلى أمراء الأجناد يحثهم على أداء الصلوات في أوقاتها ، ويعلمهم متى يبدأ وقت كل صلاة ومتى ينتهي[3] . كما كتب إلى بعض عماله يوصيهم بالاحتياط ومخافة الله في تنفيذ العقوبات[4]، وشرح لهم نظام التعزير الإسلامي، فكانت كتبه لعماله لا تخلو من التعليم . كما كان رضي الله عنه يقيم الندوات العلمية في أوقات راحته ، ويعقد مجالس الحديث[5] .

ومن أبرز إسهاماته رضي الله عنه أن جمع مسنداً بالأحاديث الموثوقة ، يعرف باسمه[6] حتى اليوم ، وهو متداول في الوقت الحاضر بين الناس ، وبخاصة المهتمون بالحديث .

---

(١) السيوطي : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، جـ ١ ، ص ٥ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٧ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٣ ـ ١٠٥ .

(٥) عماد الدين : ملامح الانقلاب الإسلامي ، ص ١٨٥ .

(٦) أبو بكر محمد بن سليمان بن الحارث المعروف بابن الباغندي (ت ٣١٢ هـ) : مسند أمير المؤمنين عمر ابن عبدالعزيز ، تخريج محمد السعيد بن بسيوني زغلول، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٠٦ هـ .

ولقد كانت مصادر عمر في العلم أصيلة ، فعن مصدر ذلك العلم الذي يعلمه ، وإشادته بمن علمه إياه يقول : « ... وأنا أُعلِّم من كتاب الله ، وسنة نبيه عليه السلام ، وما سلف عليه أمر الأئمة بين يدي ، علماً من الله ، علمنيه من لم يكن له شغل عنه ... »[1] .

وقول عمر هذا يدفعنا إلى التحرِّي والتدقيق في مصادر علومنا ، وما نتلقاه وما يتلقاه أولادنا ، فنحرص على المصادر الأصيلة والمعلمين الصادقين المخلصين ، لتكون لنا الفائدة العظيمة في الدنيا والآخرة بإذن الله .

كما أننا فيما سبق ذكره من توجيهات عمر القيادية والإدارية في مجال التربية والتعليم ، لا نشيد بما قام به عمر رضي الله عنه فحسب ، بل نشير إلى أنه يجدر بنا النظر في تلك الأوامر والتعليمات والاستفادة منها ، وتبني ما يمكن تبنيه من الأوامر والتوجيهات التي تسعى لبلورة فكرٍ سليمٍ ، جدير بأن ترتكز عليه تربية الفرد والمجتمع المسلم ، من حيث التناصُح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والوعظ بالتي هي أحسن ، وأدب الحديث والمجالس ، إضافة إلى ضرورة مراعاة الربط بين العلم والعمل ، والفكر والتطبيق . ناهيك عن الاهتمام بالعلم ذاته كمّاً ونوعاً، ونشر العلم بين الناس، ومحاربة الجهل ، وتقدير العلماء ، وإبراز فضلهم ، وجعل التربية والتعليم من الخيارات الأولى في اهتمامات المسؤولين وولاة الأمر .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٤ .

المبحث الثالث

توجيهات عمر القيادية والإدارية في مجال تربية وتعليم أولاده(١)

قبل أن نتحدث عن توجيهات عمر القيادية والإدارية فيما يتعلق بتربية أولاده وتعليمهم ، فإننا نورد حادثتين نستدل بالأولى على رحمته بالأطفال ، وشفقته على أطفال رعيته ، والثانية تدل على تقدير عمر رضي الله عنه لمواهب الصغار ، وتشجيعه لهم ، إذ طلب من غلام صغير أن يعظه .

فقد روى ابن كثير أن ابناً صغيراً لعمر بن عبدالعزيز خرج يلعب مع الغلمان ، فشجه صبي منهم ، فاحتملوا الصبي الذي شج ابن عمر وجاءوا به إليه ، فسمع الصوت فخرج إليهم ، فإذا امرأة تقول : إنه ابني وإنه يتيم ، فقال لها عمر : « هوني عليك » ، وذهب رضي الله عنه إلى ما هو أبعد من إصابة ابنه ، فقال لها : « أله عطاء في الديوان ؟ » قالت : لا ! قال : « فاكتبوه في الذرية المستحقين » . فقالت زوجه فاطمة : أتفعل ذلك به وقد شج ابنك ؟ فعل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجُّ ابنك ثانية ، فقال عمر المربي الرحيم : « ويحكِ إنه يتيم وقد أفزعتموه »(٢) . وفي هذا الموقف يتضح حرص عمر على أن لا تكون هذه الحادثة ، وما قد يناله هذا الطفل من عقاب ، لقاء شجه رأس ابن الخليفة ، ذات أثر سلبي قد يلازمه طوال حياته .

(١) ذكر ابن سعد ــ في الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٣٠ ــ أن لعمر من الأبناء : عبدالله وبكر وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعبدالملك والوليد وعاصم ويزيد وعبدالعزيز وزبان ومن البنات أم عمار وآمنة وأم عبدالله . وانفرد ابن عساكر (ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز ص ٥٠) بإضافة بشر وحفص وأصبغ وإدريس ومحمد . وذكر محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : (سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٥ ، ص ١٤٨) أن إسماعيل وعبدالله وأنم من أولاد عمر .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٠ .

وأما الحادثة الأخرى فكانت مع غلام صغير ، كان بين وفد المهنئين لعمر بالخلافة من أهل الحجاز ، وكان الوفد قد اختار الغلام ليتكلم عنهم ، وهو أصغرهم ، فلما بدأ بالكلام قال له عمر : « مهلاً يا غلام ، ليتكلم من هو أسن منك . فقال الغلام : مهلاً يا أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجاد له الحلية[1] ، يا أمير المؤمنين ، لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أسن منك ـ أي أحق بمجلسك هذا ممن هم أكبر منك سناً ـ »[2] .

فتراجع عمر رضي الله عنه وانصاع للحق ، ولم تمنعه مكانته من التراجع أمام غلام صغير ، وقال : « تحدث ياغلام ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، نحو وفود التهنئة ، لا وفود المرزئة[3] ، قدمنا إليك من بلدنا ، نحمد الله الذي منَّ بك علينا ، لم يخرجنا إليك رغبة ولا رهبة ، أما الرغبة فقد أتانا منك إلى بلدنا ، وأما الرهبة فقد أمَّنَنَا الله بعدلك من جورك »[4] . فأعجب عمر بفصاحة الغلام ، وعلمه ، وسداد رأيه ، فما كان من عمر إلا أن شجعه على ذلك ، وزاده ثقة بنفسه وجرأة ، ليكون هذا الحادث موقفاً تربوياً ، يتعلم فيه الغلام في حضرة خليفة المسلمين ، فطلب منه الموعظة فقال : « عِظنا يا غلام وأوجز . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن أناساً من الناس غرَّهم حلم الله عنهم ، وطول أملهم ، وحسن ثناء الناس عليهم ، فلا يغرَّنك حلم الله عنك ، وطول أملك ، وحسن ثناء

---

(١) هكذا وردت في المرجع ، وفي هامش المرجع (استجاد له الخلة) ، ومن سياق الكلام يفهم أن المقصود (استحق أن يتكلم) .

(٢) أبو الحسن على بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) الارتزاء : انتقاص الشيء ، والمرزئة والرزيئة : هي المصيبة لأنها تنقص من تقع عليه . ووفد المرزئة بمعنى وفد الانتقاص ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٨٥ ، ٨٦) .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

الناس عليك ، فتزل قدمك . ثم نظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بِضْعَ عَشْرَةَ سنة ، فأنشأ عمر يقول :

تعلَّم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن بات جاهل

وإنَّ كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفَّت عليه المحافل »[1]

هاتان الحادثتان اللتان اتخذ فيهما عمر مواقف تربوية بناءةً مع بعض أبناء الرعية ، تدل على قدرته على ممارسة المهام التربوية والتعليمية للناشئين . ومن خلال مسؤوليته تجاه أولاده وتربيتهم ، لا بد أن تتضح معالم تلك الفترة في توجيهاته القيادية والإدارية في مجال تربية وتعليم أولاده ، وبشكل خاص تلك التوجيهات التي شملت كل ما تتطلبه تربية الناشئين ، من حسن القيادة والإدارة والتصرف ، حتى كانت منهجاً حريًّاً بالاتباع . فقد اتضح لنا من خلال الاطلاع على معظم توجيهات عمر القيادية والإدارية ، فيما يتعلق بتربية وتعليم أولاده ، أنها تنقسم إلى قسمين ، أحدهما : يتعلق بالتربية ومبادئها والأخلاق الفاضلة ، وما حث عليه الإسلام في هذا الجانب . والآخر : توجيهات وإجراءات إدارية تعليمية ، تتعلق بعملية تعليمهم ، وما يتطلبه ذلك الأمر . وقد تم تصنيف تلك التوجيهات على هذا الأساس كما يلي :

أولاً : توجيهات عمر القيادية في مجال تربية أولاده :

أشرف عمر بن عبدالعزيز على تربية وتعليم أولاده بنفسه ، ولم تشغله مسؤولياته عن تنشئتهم التنشئة الصالحة ، المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي. ونستشف ذلك من خلال رسائله لهم ، ولمن أوكل إليه تأديبهم ، إذ تتضح ملامح قيادته التربوية لهم في النواحي التالية :

(١) المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

١ ـ الربـط الروحي :

إن للتربية الروحية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي أثراً كبيراً في حياة المسلم الدنيوية والأخروية ، لذا اتضح لعمر رضي الله عنه ضرورة ربط الناشىء بالقرآن الكريم ، الدعامة الكبرى للتربية الروحية ، ثم تنشئته على عبادة الله ، وذكره ومراقبته عز وجل ، حيث يبرز ذلك الربط الروحي في إجراءات وتوصيات قام بها عمر رضي الله عنه ، إذ يروي ابن عساكر فيما يذكر عن ربط أولاده رضي الله عنه بالقرآن الكريم أنه كان يأذن لهم يوم الجمعة بالدخول عليه ، قبل أن يأذن للناس ، ليتدارس معهم القرآن الكريم « فإذا قال : إيها[١] قرأ الأكبر منهم ، ثم إذ قال : إيها ، قرأ الذي يليه حتى يقرأ طائفة منهم »[٢] .

وفي وصية[٣] أرسلها عمر بن عبدالعزيز في العام الذي استخلف فيه ، إلى ابنه عبدالملك ، وهو إذ ذاك في المدينة ، يقول فيما قال فيها « ... فمن كان راغباً في الجنة وهارباً من النار ـ يقصد عبدالملك وإخوته ـ ، فالآن التوبة مقبولة، والذنب مغفور، قبل نفاذ الأجل، وانقضاء العمل، وفراغ من الله للمنقلبين، ليدينهم بأعمالهم في موضع لا تقبل فيه الفدية، ولا تنفع فيه المعذرة، تبرز فيه الخفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يَرِدُهُ الناس بأعمالهم، ويصدرون عنه أشتاتاً إلى منازلهم ، فطوبى يومئذ لمن أطاع الله ، وويل يومئذ لمن عصى الله ... »[٤] وهذا

---

(١) قوله (إيها) هي إشارة البدء في القراءة . وكذلك الذي يليه .

(٢) ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ص ٥٢ (عن ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ٢ / ورقة ٢٤٣ م أ) .

(٣) نص الوصية أوردها ابن الجوزي في مؤلفه : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ . وتلك الوصية شاملة لأمور الدين والدنيا . ولم أجد أحداً من الباحثين قد أشار إليها أو تطرق إليها ، ففيها من النصائح والتوجيهات التربوية الإسلامية ما يدل على كفاءة وسعة علم عمر رضي الله عنه بالقيادة التربوية الإسلامية ، وعوامل إنجاحها .

(٤) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٨ .

ربط للولد بعبادة الله عز وجل ، وحث على التوبة والاستغفار والعمل الصالح ، قبل نفاذ الأجل ، فالأمر لا يخلو من منزل في الجنة ، أو منزل في النار ، فطوبى لمن أطاع الله .

وفي موضع آخر من هذه الوصية يحث ولده على ذكر الله وشكره عز وجل ، ومراقبته في القول والعمل ، فيقول : « ... فاذكر فضل الله عليك وعلى أبيك .. وإن استطعت أن تكثر تحريك لسانك بذكر الله تحميداً ، وتسبيحاً ، وتهليلاً فافعل ، فإن أحسن ما وصلت به حديثاً حسناً حمد الله وشكره ، وإن أحسن ما قطعت به حديثاً سيئاً حمدالله وذكره ... »[1] .

وهنا يتضح الأسلوب القيادي الذي يتبعه عمر رضي الله عنه للإقناع والدعوة للعمل ، إذ يقول : « أن تكثر » فهو لا يكتفي بحد معين من ذكر الله ، وكأن ولده قد تعدى ذلك الحد ، فهو يحثه على الإكثار من الحمد والتسبيح والتهليل ، ويؤكد ضمناً ضرورة ذكر الله وشكره عز وجل ، وأن ذلك خير ما وصل أو قطع به حديث حسناً كان أو سيئاً ، فيضيق نطاق الحديث الذي يخلو من ذكر الله عز وجل .

وهكذا يغرس في نفس الولد الناشىء الإيمان ، ويربطه بالقرآن الكريم ، ثم بعبادة الله يقيناً ، ثم المداومة على حمد الله وشكره ومراقبته عز وجل في القول والعمل ، وذلك مما يتطلبه الأمر منا تجاه أولادنا لينشأوا على الفطرة ، ويتربوا على تعاليم الدين الإسلامي .

٢ ـ المعاملة الحسنة :

لقد حَرَصَ عمر بن عبدالعزيز على أن يكون مثالاً للمعاملة الحسنة مع أولاده ، ومع غيرهم ، فقد اهتم بتنمية حسن المعاملة بين أولاده ، سواء

---

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٨ .

بمعاملته لهم أو معاملتهم الآخرين ، فقد كان يحثُّهم على التسامح وحسن الظن في الناس ، فإن بعض الظن إثم ، فيروى أنه قال مرة لابنه عبدالعزيز : « إذا سمعت كلمة من امرىء مسلم ، فلا تحملها على شيء من الشر ، ما وجدت لها محملاً على الخير »[1] .

كما كان رضي الله عنه يتعامل معهم بالأسلوب اللين ، دون أن ينصرف إلى التدليل الذي يفسد الأبناء ، ويحاورهم محاورة العقلاء ، ويستخدم أسلوب الإقناع والمنطق في التفاهم معهم ، وتلبية طلباتهم ، فيروى أن ابنه عبدالله استكساه ذات مرة وهو خليفة ، فأرسله إلى الخيار بن رباح البصري وقال له : « خذ مما عنده لي من ثياب » . فلم تعجبه ، فعاد إلى أبيه وقال : يا أبتاه استكسيتك ، فأرسلتني إلى الخيار بن رباح ، فأخرج لي ثياباً ليست من ثيابي ، ولا من ثياب قومي، فقال : « ذاك مالنا عند الرجل ». فانصرف عبدالله. فما كان من عمر رضي الله عنه الأب القائد، إلا أن اتخذ موقفاً وسطاً مقنعاً، فجمع بين إجابة طلب ولده، وأنه لا يتوفر كل مطلوب أو مرغوب دائماً، فناداه قبل أن ينصرف وقال له مخيِّراً إياه : « هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم؟ قال : نعم يا أبتاه. فأسلفه مائة درهم، فلما خرج عطاؤه حوسب بها فأخذت منه »[2] .

ومما يروى أيضاً في حسن إجابته لأولاده وإقناعهم ، أن ابنة له بعثت إليه بلؤلؤة وقالت له : إن رأيت أن تبعث إلى بأخت لها ، حتى أجعلها في أذني . فلم يرد عليها لا بالإجابة ولا بالرفض ، وإنما الأمر مرتبط بصبرها على الجمر ، إذ أرسل لها بجمرتين وقال لها : « إن استطعت أن تجعلي هاتين الجمرتين في أذنيك بعثت إليك بأخت لها »[3] فكان الجواب المقنع لها .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١٣ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٤ .

ومما يذكر من حسن معاملته رحمه الله لأولاده ، حرصه على العدل بينهم مع كثرتهم ، حتى لا يحقد أحدهم على الآخر أو يبغضه ، فقد تحرى عمر رحمه الله العدل حتى حين إيثاره لابن الحارثية أن ينام معه ، إذ تركه خشية أن يكون جوراً . وفي هذا الصدد يروى عن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قوله : « كان عمر بن عبدالعزيز له ابن من امرأة من بلحارث بن كعب ، وكان يحبه وينام في بيته ، قال : فتعرضت له ذات ليلة ، فقال : أعبدالعزيز ؟ قلت : نعم . قال : شرٌّ ما جاء بك ؟ ادخل ، فجلست عند شاذ كونته[1] ، وهو يصلي ... فأتاني فقال : مالك ؟ فقلت : ليس أحد أعلم بولد الرجل منه ، وإنك تصنع بابن الحارثية ما لا تصنع بنا ، فلست آمن أن يقال ما هذا إلا من شيء تراه عنده ولا تراه عندنا . فقال : أعلَمك هذا أحد ؟ فقلت : لا . قال : فأعد عليَّ . فأعدت عليه . فقال : أرجع إلى بيتك . فرجعت فكنت أنا وإبراهيم وعاصم وعبدالله ــ وهم من إخوانه ــ نبيت جميعاً . فإذا نحن بفراش يحمل ، وتبعه ابن الحارثية ، ــ وهو أخوهم ــ فقلنا : ما شأنك ؟ قال : شأني ما صنعت بي ، قال : كأنه خشي أن يكون جوراً »[2] .

وإن في حرص عمر على العدل والمساواة بين أبنائه في النوم معه ، لدليلاً على إنه أشد حرصاً على ذلك فيما هو أهم من النوم ، وبذلك يتجلى اهتمام عمر رضي الله عنه بالمعاملة الحسنة لأولاده ليكون قدوة لهم ، ويكون ذلك التعامل ذا مردود إيجابي في تربيتهم وحسن نشأتهم .

---

(١) الشاذكونة : هي ثياب غلاظ مضرَّبة تعمل باليمن ، (الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، بيروت ، دار الكتاب العلمية ، ١٣٩٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ٦٨٩) .

(٢) ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٥٢ ، ٥٣ (عن ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق « مخطوط » مجلد ٢٠ / ورقة ١٩٠ ب) .

٣ ـ الأدب الحميد والأخلاق الفاضلة :

إن التربية الخلقية والمبادىء الفاضلة من الضروريات التي يجب تلقينها للأولاد ، وتعويدهم عليها، وذلك مما اهتم به عمر بن عبدالعزيز في تربية أولاده . ومما لا شك فيه أن الفضائل في الأخلاق والسلوك هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ ، والتنشئة الدينية الصحيحة[1] .

فقد حمل عمر رضي الله عنه أولاده على الأدب والأخلاق والفضيلة ، فكان لهم أسوة حسنة تأثروا به وتأثر بهم ، ثم أوكل تأديبهم إلى مؤدب ذي خلق ودين وعلم . فهذا سهل[2] مولاه الذي يقول عنه عمر في أول رسالته له ـ سيأتي الحديث عنها بشيء من التفصيل ـ : « أما بعد : فإني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي ، فصرفتهم إليك عن غيرك من مواليَّ ، وذوي الخاصة بي »[3] ، حيث طلب منه أن يكون أول ما يتأدبون من أدبه بغض الملاهي ، وعدم استماع الأغاني وحضور المعازف ، لما لذلك من مردود سيىء على الناشئين ، فهي تنبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب ، وكذلك طلب منه إقلال الضحك[4] ، وطالما كان يريد ذلك من مؤدب أولاده ، فهو تأكيد على ضرورة إقلال الضحك من المتأدبين ضمناً، ولكن عن طريق المسؤول عن تأديبهم فهو أولى أن يقتدوا به.

أما ما يتعلق بتأديب أولاد عمر على يده ، فكان يحرص على تنمية الأخلاق الفاضلة عندهم ، ويتحين الفرص لتحقيق ذلك ما استطاع ، فيروى أنه ذات مرة قال : لابنه عبدالعزيز ليحمله على التسامح وحسن الظن بالناس :

---

(١) عبدالله علوان : تربية الأولاد في الإسلام ، حلب ، دار السلام ، ١٤٠١ هـ ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .

(٢) هو سهل بن صدقة مولى عمر بن عبدالعزيز روى ابن المبارك عن أبي الصباح الإيلي عنه . (أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧ هـ) : الجرح والتعديل ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧١ هـ ، جـ ٢ / قسم ١ / ص ١٩٩) .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٦ .

(٤) المصدر السابق : الصفحة نفسها ، في سياق رسالة عمر لمؤدب أولاده .

« إذا سمعت كلمة من امرىء مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ، ما وجدت لها محملاً على الخير »[1] .

وفي موقف آخر يعلم أحد أولاده أن يضع نفسه في منزلتها ، ويعرف مقدار نفسه ، إذ أمره أن يكتب على خاتمه « رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه »[2] . وفي سياق رسالته رضي الله عنه إلى ولده عبدالملك ، وهو في المدينة ينهاه عن التفاخر والمباهاة في الكلام ، والإعجاب بالنفس ، والغرور والتعالي على الناس، فيقول له : « ... وإياك أن تفخر بقولك، وأن تعجب بنفسك ، أو يخيل إليك أن ما رُزقته لكرامة لك على ربك ، وفضيلة على من لم يرزق مثل غناك ... »[3] .

وذات يوم وكأن عمر يريد أن يعلم أولاده أن الدين مقامه عال ، وشأنه رفيع ، وأنه ليس لأحد منهم أن يلي أمراً من أمور الناس ، لتعلو همتهم ، وتقوّى عزيمتهم على أعمال الخير والفضل والأخلاق النبيلة ، فإنهم مهما بلغوا قد يدنسوا عليه دينه رضي الله عنه ، فسأل بنيه قائلاً : « كيف أنتم إذا أنا وليت كل رجل منكم جنداً ؟ فقال ابنه ابن الحارثية : لِمَ تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله ؟ قال : أترون بساطي هذا ؟ إنه لصائر إلى بِلَى ، وإني أكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أرضى لنفسي أن تدنسوا علي ديني؟»[4] .

ويلاحظ في تساؤل ابنه حين قال : لم تعرض علينا أمراً لا تريد أن تفعله ؟ دليلاً على درجة عالية من التفاهم ، والتقارب في النظر إلى مقتضيات الأمور ،

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن العزيز ، ص ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٤) الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، جـ ٥ ، ص ٣١٤ .

والتوافق بينهم في الأفكار والآراء ، فهو يعرف ما يدور في خَلَد أبيه ، وكأنه على علم بذلك .

والجدير بالذكر أن بعض أولاد عمر بن عبدالعزيز قد ولي الإمارة في عهد بعض الخلفاء الأمويين بعد عمر ـ كما سيأتي ذكره ـ وكأن هذا التساؤل قد زاد فيهم الحرص على الصلاح والتقوى ، حتى كانوا أهلاً للإمارة .

٤ ـ الزهد في الدنيا والاقتصاد في المعيشة :

عاش أولاد عمر بن عبدالعزيز مع أبيهم فترتين . الأولى قبل الخلافة ، وكانت فترة نعيم ورغد عيش ، والثانية بعد توليه الخلافة ، وقد تبدل فيها كل شيء وتغيرت الأمور فتعرضوا لشظف العيش وخشونته ، ولم يملكوا منه إلا لقمة لقمة ، وعلى ذلك رضي أولاده من البنين والبنات ، الذين نعموا بالعناية والتوجيه التربوي ، واستجابوا له ، ووقفوا بجانب أبيهم على سمع وطاعة[1] .

وتتجلى شخصية عمر رضي الله عنه القيادية التربوية في قدرته على جعل أولاده يتقبلون التحول من فترة النعيم إلى فترة الزهد والتقشف ، وأن يقنعهم بالعيش كعامة الناس ، بدلاً من حياة الترف والرفاهية ، وليتربوا على ذلك ، فالأمر من الأهمية والحساسية بمكان . ولم يتأتَّ ذلك إلا بإجراءات ومواقف اتخذها رضي الله عنه ، فمن أول إجراءاته أن جاء في سياق رسالته التربوية لابنه عبدالملك ، وهو في المدينة ، تلك الوصية العظيمة الشاملة لأمور الدين والدنيا ، قوله : « ... فإن ابتلاك الله بغنى فاقتصد في غناك ، وضع لله نفسك ، وأدِّ إلى الله فرائض حقه من مالك ـ يقصد الزكاة والصدقة وعدم الإسراف ، ـ

---

(١) إبراهيم محمد الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده منهجاً وتربية ، مجلة الأزهر ، الجزء الثاني ، السنة الثانية والستون ، القاهرة ، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، شهر صفر عام ١٤١٠ هـ ، ص ١٢٦ .

وقل كما قال العبد الصالح : ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[1] ...»[2] .

وكانت هذه الرسالة عقب توليه الخلافة مباشرة ، في حين لا تزال فترة النعيم والرفاهية قائمة ، فكان هذا الجانب من الرسالة تمهيداً لما سيؤول إليه الحال ، وإعداداً للإقلاع عن حياة الترف والنعيم ، إلى حياة الزهد والتقشف ، إذ اتبع أسلوباً قيادياً تربوياً رائعاً في ذلك ، حيث أخذ الأمر بالتدرج ، فأشعره بأن الغنى وكثرة المال ابتلاء من الله عز وجل ، ثم أمره بالإقتصاد فيما هو فيه من الغنى ، ثم قرن الأمر بالتواضع لله، وأخيراً أكد على ضرورة أداء حق الله ، من زكاة الأموال والصدقات وامتثال أمر الله عز وجل .

وفي موقف آخر ، إذ بلغه رضي الله عنه أن ابناً له اتخذ خاتماً ، واشترى لهذا الخاتم فصّاً بألف درهم ، فكتب إليه عمر : « أما بعد : فقد بلغني أنك اشتريت فصّاً بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتماً من حديد صيني ، واكتب عليه : رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه »[3] .

وكعادته رحمه الله في الأسلوب القيادي ، ربط أمره ببيع الفص بوجود جائعين وحاجتهم للإشباع ، ليكون ذلك أجدى لإدراك مغزى الأمر ، والتحري في إنفاق الأموال مستقبلاً ، وليكن أمر الفقراء والمساكين نصب أعين أبنائه دائماً .

كما رغب رحمه الله أن يَخْشَوْشِنَ أولادُه ، فإن النعم لا تدوم ، فيروى ابن عساكر عن رجاء بن جميل الإيلي أنه قال : « كان عمر بن عبدالعزيز

---

(١) جزء من الآية ٤٠ من سورة النمل .

(٢) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

يُبدىَ[1] ولده عندنا بالمدينة ، وكان يأمر قيّمه[2] عليهم أن يكسوهم الكرابيس[3] والبتون[4]، وإذا حملهم من منزلهم إلى منزل ، حملهم على الحمر الأعرابية »[5].

وذات يوم طلب أحد أبناء عمر بن عبدالعزيز إلى أبيه أن يزوجه ، وأن يُصدق عنه من بيت المال ـ وقد كان لابنه ذلك امرأة ـ فغضب رضي الله عنه لذلك ، وكتب يقول : « لقد أتاني كتابك ، تسألني أن أجمع لك بين الضرائر من بيت مال المسلمين ، وأبناءُ المسلمين لا يجد أحدهم امرأة يستعف بها ، فلا أعرفن ما كتبت بمثل هذا ... ثم كتب إليه أن أنظر إلى ما قبلك من نحاسنا ومتاعنا فبعه ، واستعن بثمنه على ما بدا لك »[6] .

وفي هذا الموقف لم يكن عمر بن عبدالعزيز يعارض فكرة زواج ابنه ، ولكن هناك أولويات ، فبعض أبناء المسلمين ليس له امرأة يستعف بها ، وهم أولى ممن يريد الجمع بين الزوجات ، وفي الوقت نفسه يرغب أن يربى ولده على الاعتماد على نفسه ، فإن كان يريد المثنى من النساء ، فليستغن عن بعض ما لديه من المتاع ، ويفعل ما بدا له ، وأما ما في بيت المال فهو للمسلمين ، وهم أولى به .

ولم يقتصر الأمر على الذكور من أولاده ، بل شمل الذكور والإناث . فالزهد والتقشف في المعيشة شمل الزوجات والبنين والبنات . ومما يستشهد به

(1) البداوة : خلاف الحضارة وهي الخروج والإقامة في البادية ، وهنا يبديهم بالمدينة ، أي يخرجهم إليها للإقامة فيها (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٤ ، ص ٦٨) .

(2) القيّم : السيد وسائس الأمر وقيّم القوم الذي يُقوِّمهم ويسوس أمرهم (المرجع السابق : جـ ١٢ ، ص ٥٠٢) .

(3) الكرابيس : جمع كرباس ، وهي ثياب فارسية ، وهي من قطن (المرجع السابق : جـ ٦ ، ص ١٩٥) .

(4) البتون : جمع بت ، وهو الكساء الغليظ من الوبر والصوف (المرجع السابق : جـ ٢ ، ص ٨) .

(5) ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ص ٥٠ ، (عن ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣ / ورقع ١٥١ أ) .

(6) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٦ .

على ذلك أن ابنة لعمر بن عبدالعزيز يقال لها « أمينة » مرت به يوماً ، فدعاها عمر : يا أمين ! يا أمين ! فلم تجبه فأمر بها ، فقال : « ما منعك أن تجيبي ؟» فقالت إني عارية ـ أى ملابسها ليست حسنة ـ فقال : يا مزاحم ! انظر إلى تلك الفرش التي فتقناها ، فاقطع لها منها قميصاً »[1] .

هذا عن كساء بنات عمر ، أما عن طعامهن فيروي ابن عبدالحكم أن عمر « كان يصلي العتمة[2] ثم يدخل على بناته فيسلم عليهن ، فدخل عليهن ذات ليلة فلما أحسنه وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب ، فقال للحاضنة : ما شأنهن ؟ فقالت : إنه لم يكن عندهن شيء يتعيشنه إلا عدس وبصل فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن . فبكى عمر ، ثم قال لهن : يابناتي ما ينفعكن أن تعشين الألوان ، ويُمر بأبيكن على النار . فبكين حتى علت أصواتهن ثم انصرفن[3] » .

وفي ما سبق دلالة واضحة على أن عمر رضي الله عنه استطاع أن يقود أبناءه وبناته وزوجاتهِ من حياة التنعم بما لذ وطاب ، إلى حياة الإكتفاء بما هو ضروري وما لابد منه ، كما نستنتج من هذين الموقفين عظم حياء بنات عمر من أبيهن إلى درجة كرههن أن يشم منهم رائحة البصل ، أو يراهنَّ في ثياب غير حسنة ، ثم إنهم لم يشكين حالهن إلى أبيهن رحمهم الله أجمعين ، وذلك ما لا يفعله الكثير من بنات هذا الزمن .

وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قد بدأ الانتقال بأهل بيته ، من فترة الرفاه والتنعم إلى فترة القناعة والزهد في الدنيا ، بأن وضع حلى

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ ٥ ، ص ٢٦١ .

(٢) العتمـة : هي الثلث الأول من الليل ، والعتمة : وقت صلاة العشاء الأخير (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢) .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

ومجوهرات زوجه فاطمة[1] بنت عبدالملك في بيت المال، إذ قال لها : « اختاري ، إما أن تردي حليّك إلى بيت المال ، وإما أن تأذني لي في فراقك ، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد » قالت: « لا بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه، وعلى أضعافه إن كان لي »[2] .

وختم هذا الانتقال بأسرته بمقولة لأولاده في مرض موته ، عندما لامه مسلمة بن عبدالملك[3] على أن ترك أولاده صغاراً ، وهم كثير ، وليس لهم مال ، ولم يوصي بهم إلى أحد ، إذ قال رضي الله عنه : « ... فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم ، ثم قال : إن وصيي فيهم ﴿ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[4] وإنما ولد عمر بين أحد رجلين : إما رجل صالح فسيغنيه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله . ثم دعا بنيه فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه وقال : بنفسي فتية تركتهم عالة[5] لا شيء لهم ، وبكى . يابَني : إني قد تركت لكم خيراً كثيراً ، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم ، إلا رأوا لكم حقاً ، يابَني : إني قد مثلت بين الأمرين ، إما أن تستغنوا وأدخلَ النار ، أو تفتقروا إلى آخر يوم الأبد وأدخل

(١) هي فاطمة بنت الخليفة عبدالملك بن مروان ، التي قال فيها الشاعر :

بنت الخليفة والخليفة جدها ... أخت الخلائف والخليفة زوجها

ولم يعرف لامرأة غيرها أن اجتمعت لها هذه الصفات ، إلى جانب ما كانت تتمتع به من حسن وجمال (ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠٢) ، وقد تزوج عمر ثلاث نساء غيرها ، إحداهن : لميس بنت علي بن الحارث ، وأخرى هي : أم عثمان بنت شعيب بن زبان بن الأصبغ ، وأخرى هي أم ولد (ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٣٠) .

(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٨٣ .

(٣) هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم ، روى عن عمر بن عبدالعزيز ، ذكر في الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام ، له آثار كثيرة في الحروب ، وله مكانة في الروم ، توفي سنة ١٢٠ هـ . (ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، جـ ١٠ ، ص ١٤٤) .

(٤) جزء من الآية ١٩٦ من سورة الأعراف .

(٥) عالة أي فقراء ، وهي جمع عائل أي فقير (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٤٨٨) .

الجنة ، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إليّ ، قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله »[1] .

فتأكد مبدأ الزهد والقناعة من الدنيا في نفوس أولاد عمر رضي الله عنه ، وأن في تقوى الله مخرجاً ، فما احتاج أحد من أولاده ولا أفتقر[2] .

هكذا كانت توجيهات عمر بن عبدالعزيز القيادية فيما يختص بتربية أولاده، إذ أشرف بنفسه على تربيتهم ، وخصص لهم جزءاً من وقته ، ولم تلهه الخلافة عنهم ، حتى جعل بذلك منهجاً إسلامياً صلح لتربية أبنائه ، ويصلح لتربية أبناء المسلمين[3] وفيما يلي نأتي على ما كان من عمر رضي الله عنه فيما يتعلق بتعليم أولاده .

ثانياً : إجراءات عمر الإدارية في مجال تعليم أولاده :

لقد اهتم عمر بن عبدالعزيز بنشر التعليم بين أفراد الأمة في كل مكان من بلاد المسلمين كما سبق ذكره ، وفي إطار اهتماماته التعليمية ، فقد أولَى رحمه الله تعليم وتأديب أولاده جانباً من الاهتمام ، إذ اتبع إجراءات إدارية جعل منها منهجاً جديراً بالإعجاب ، يلبي حاجات الناشىء المسلم ، ليكون موحد الذات والأهداف ، غير منقسم على نفسه بين القول والعمل ، أو بين الواقع والمثال[4] ، حيث تتضح معالم ذلك المنهج في رسالته رضي الله عنه إلى معلمهم ومؤدبهم ، مولاه سهل بن صدقة ، إذ قرر أختياره وتكليفه بمهامٌ تعليم وتأديب أولاده . ثم حدد الطريقة المثلى للتأديب ، والمقررات الدراسية وأوقاتها ، فقال :

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٧٥ .

(٣) إبراهيم الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده منهجاً وتربية ، مجلة الأزهر ، ص ١٢٤ .

(٤) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

« من عبدالله عمر ، أمير المؤمنين : إلى سهل مولاه . أما بعد : فإني اخترتك على علم منّي بك لتأديب ولدي . فصرفتهم إليك عن غيرك من مواليَّ وذوي الخاصة بي ، فحدثهم بالجفاء ، فهو أمعن لإقدامهم ، وترك الصحبة فإن عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فإن كثرته يميت القلب . وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف[1] واستماع الأغاني ، واللهج[2] بها ، ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت العشبَ الماءُ ، ولعمري لتوقيٌ ذلك ، بترك حضور تلك المواطن ، أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيء مما ينتفع به ، وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت في قراءته ، فإذا فرغ ، تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض[3] حافياً ، فرمى سبعة أرشاق[4] . ثم انصرف إلى القائلة[5] ، فإن ابن مسعود رضي الله عنه ، كان يقول : يابَني قيلوا ، فإن الشياطين لا تقيل »[6] .

ومن خلال هذه الرسالة وما اتخذه عمر من مواقف تتعلق بتعليم أولاده ، تتبين لنا إجراءاته الإدارية ، وتوجيهاته التنفيذية ، لتأديبهم وتعليمهم ، حيث يمكننا تلخيص هذه الإجراءات في خمسة أسس هي :

---

(١) المعازف هي : الملاهي والآلات مما يضرب ، والعازف : اللاعب والمغني . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ٢٤٤) .

(٢) اللهج بالشيء : الولوع به والاعتياد عليه . (المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٥٩) .

(٣) الغرض : هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه ، والجمع أغراض . (المرجع السابق : جـ ٧ ، ص ١٩٦).

(٤) الرَّشْق : هو الرمي بالسهم والنبل ، والرشق : هو الشوط من الرمي بجميع الأسهم والنبال ، والجمع أرشاق . وهنا يتضح أن المقصود من كلام عمر سبعة أشواط في كل منها عدد من الرميات ، وليس المقصود سبع رميات فقط ، (المرجع السابق ، جـ ١٠ ، ص ١١٦ ، ١١٧) .

(٥) القائلة : هي الظهيرة أو نصف النهار ، والقيلولة عند العرب : الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحرُّ وإن لم يكن مع ذلك نوم . (المرجع السابق ، جـ ١١ ، ص ٥٧٧ ، ٥٧٨) .

(٦) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

١ ـ اختيار المعلم والمؤدب الصالح :

إن المعلم أو المؤدب أو المربي يعدُّ حجر الزاوية في عملية التعليم ، أو التربية ، لذا فقد اهتم عمر بن عبدالعزيز بعملية اختيار المعلم ، إذ اختار معلم أولاده من بين خاصته ومواليه ، على علم به وثقة فيه ، فاختيار المعلم يخضع لأسس ومقاييس ينبغي أن تراعي[1] ، فالدين أولاً ، ثم علوُّ النفس ، والفقه في علوم الشرع ، والرأى الصائب والكرم والجود وكثرة المعروف[2] .

ولعله من المناسب أن نقول : إن التربية في وقتنا الحاضر تتطلب اهتماماً أكبر ، وعنايةً فائقةً في اختيار معلمي أولادنا ، ومدارسهم وما ينبغي لهم أن يتعلموه ، وما يستعملوه من وسائل تعليم أو ترفيه ، والعمل على الاقتداء بالأساليب والتجارب التعليمية التي تحقق لها النجاح ، طوال العصور الزاهرة في التاريخ الإسلامي ، والتي كان من نتائجها أن ساد أبناؤها العالم ، وبنَوْا حضارة يدين لها العالم حتى اليوم .

كما أن عمر بن عبدالعزيز وفي إطار اختيار المعلم والمؤدب لأولاده ، لم يكتف بمولاه سهل لتأديبهم وتعليمهم ، بل عهد بتأديبهم أيضاً إلى أستاذه ومؤدبه الأول صالح بن كيسان[3] . ولم يقف حرص عمر رضي الله عنه على تعليم أولاده وأدبهم عند هذا الحد ، بل وجدناه يختار من كبار علماء عصره من يختبر عقل أولاده وأدبهم ، فقد كلف ميمون بن مهران أن يأتي ابنه عبدالملك فيستشيره وينظر إلى عقله . قال ميمون : « فأتيته ـ يعني عبدالملك بن عمر ـ فاستأذنت عليه فقعدت عنده ساعة ، فأعجبت به »[4] . فذلك العالم الجليل ميمون ابن مهران ، لن يعجب إلا بمن هو أهلٌ لذلك .

---

(١) إبراهيم الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده ، مجلة الأزهر ، ص ١٢٥ .

(٢) عبدالعزيز الأهل : الخلفة الزاهد ، ص ٢٢٠ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠٢ .

وهكذا يتضح لنا أهمية اختيار المعلم أو المؤدب لأولادنا ، فليس كل إنسان صالحاً لمهام التربية والتعليم ، ولا ينبغي لنا أن نلقي بها على عاتق العامة ، بل ينبغي أن نختار الأعلم والأورع والأسن[1] ، ليصلوا بعلمهم وتأثير سلوكهم إلى قلوب المتعلمين فيكونوا قدوة ونبراساً[2] للناشئين والمتعلمين .

٢ ـ تحديد المنهج التعليمي :

ينبغي أن نختار من كل علم أحسنه ، وما نحتاج إليه في أمر ديننا في الحال ، ثم ما نحتاج إليه في المآل[3] ولقد حدد عمر بن عبدالعزيز المنهج التعليمي والمقررات الدراسية التي يريد لأولاده أن يتعلموها ، في سياق رسالته لمؤدبهم ، حيث يتكون من القرآن من الكريم وعلومه ، وبقية العلم[4] من العلوم الأخرى ، والتدريب على الجهاد والقتال والصبر عليه ، وكذلك التمرين على الرماية ودقة الإصابة ، وأخيراً ممارسة الرياضة البدنية بالسير إلى الأهداف حفاة ليعتادوا على ذلك ، مع ما يحتويه المنهج من أوقات للراحة .

أما حجم المقرر اليومي ، فجزء واحد من القرآن الكريم بتثبت ووعي ، بالإضافة إلى ما يتناسب مع ذلك الجزء من علوم الدين الأخرى ، وكذلك الرمي بسبعة أرشاق مع ما يتطلبه ذلك من السير إلى أغراض والسير بينها .

فكان منهجاً ذا أهداف سامية ، إذ يجمع بين الدين والدنيا ، ويراوح بين البدن والروح ، والقول والعمل[5] . تلك أهداف أرتدت عنها خائبة ، جلّ برامج التعليم والتربية الحديثة[6] ، شرقية كانت أو غربية .

---

(١) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص ٧٢ .

(٢) الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده ، مجلة الأزهر ، ص ١٢٥ .

(٣) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص ٧١ .

(٤) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد ، ص ٢١٩ .

(٥) المرجع السابق : ص ٢٢٠ .

(٦) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الإسلامي ، ص ١٧٨ .

٣ ـ تحديد طريقة التأديب والتعليم :

لم يقف عمر بن عبدالعزيز عند اختيار معلم أولاده ، وتحديد مواد المنهج التعليمي ، بل امتد الأمر إلى رسم الطريقة التي ينبغي لمؤدب أولاده اتباعها ، وكيفية التنفيذ ، ودقة الأداء وإتقان العمل . ففي سياق رسالته رضي الله عنه ، طلب إلى سهل أن يجفو في تخاطبه معهم ، وأن يلتزم الجدّ في قوله لهم ، فذلك أمعن لإقدامهم وأحرز لانتباههم . وطلب إليه كمؤدب لهم أن يترك صحبتهم ، فإن عادتها تكسب الغفلة ، ولتبقى مكانته عندهم ، فليس للمعلم أن يتخذ من تلاميذه أصدقاء وأصحاب له يودعهم أسراره ، ويشاركهم وقته وحياته ، فقد لا تعجبهم مواقفه ، فيكون ذلك أدعى للاستهانة به ، وعدم الاستجابة لما يطلب منهم[1] .

ولعله من المناسب الإشارة إلى أن التربية الحديثة تدعو إلى مناخ اجتماعي ونفسي داخل الفصل ينظمه المعلم ، بإشاعة الشعور بالدفء والصداقة في العلاقات والألفة والراحة والثقة ، الأمر الذي يجعل التعليم ميسَّراً ، فذلك ما كان نتيجة لدراسة أجريت عام ١٩٥٨ م تم فيها مقارنة تحصيل مجموعة من الطلبة تشابه قيمهم قيم معلميهم ، ومجموعة أخرى تخالف قيمهم قيم معلميهم ، إذ كانت النتيجة أن تحصيل المجموعة الأولى أكثر كفاءة وجدية[2] .

وللتوفيق بين موقف عمر ، وما تدعو إليه التربية الحديثة إن كان هناك تعارض ؛ نقول : إن مُعلم اليوم لا يحتك بالمتعلم إلا وقت التدريس في ساعات محدودة من النهار ، فلا يطول لقائهما كثيراً ، أما المعلم في عصر عمر ، وما

(١) الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده ، مجلة الأزهر ، ص ١٢٥ .

(٢) فارعة حسن محمد : المعلم وإدارة الفصل ، عين شمس ، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٠ ، ٢١ .

سبق التعليم النظامي الحديث ، فإن المتعلم يلازم المعلم أوقاتاً طويلة قد تمتد إلى الليل ، فضلاً عن أوقات الصلوات في المسجد ، فيكون طول الوقت أدعى لملاحظة المتعلم لمؤدبه ومعلمه والاقتداء به ، ومن ثَمّ فإن الإفراط في الصحبة والصداقة يؤدي حتماً إلى الأخذ على المعلم ، ورصد هفواته ، والتطاول والتجرؤ عليه .

إضافة إلى ما سبق فإن عمر لم يطلب إلى مولاه سهل في رسالته بشأن تأديب أولاده ، أن يتجنب الصحبة والصداقة ، التي تجلب الألفة والمودة والتقارب ، بل نهى عن جعل صحبتهم وصداقتهم عادة يعتادها ، فتصل إلى درجة إيداعهم أسراره ، ومشاركتهم وقته وحياته ، فطول لقائه بهم قد يزيد من إمكانية حصول ذلك . مما قد يؤدي إلى عدم الإكتراث بالمعلم ، والغفلة عما يقوله من العلم .

وفي نظري إن موقف عمر في مثل وقته أوفق وأولى ، وذلك ما نلاحظه حتى الآن من معلمي القرآن والدروس الدينية ، وحلق الذكر في المساجد ، وأماكن الدروس غير النظامية .

وكذلك طلب إليه أن يقل الضحك ، فإن كثرته تميت القلب ، فمن شأنه عندما يريد أن يضحكهم أن يعدل بالأمور عن جهاتها ، ليعجب السامع ويضحكه وهو نفاق[1] . لذا لا ينبغي له أن يروي لهم النكت والمواقف الهزلية[2] ، حتى لا تكون مدعاة للإنصراف عن الصالح والجاد من الأقوال والأعمال .

ولو نظرنا إلى موقف عمر هذا ، في ضوء رأي التربية الحديثة ، فإننا لن نجد في طرائق التربية : التربية بالنكت والمواقف الهزلية ، لذا فالتربية قديماً

(١) الأهل : الخليفة الزاهد ، ص ٢١٩ .

(٢) الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده ، مجلة الأزهر ، ص ١٢٥ .

وحديثاً لم تستحسن ذلك ليكون أسلوباً معمولاً به في التربية ولو جزئياً ، فمن أبرز ما ذكر من طرائق التربية وأساليبها وبخاصة الإسلامية : التربية بالحوار ، والقصة ، وضرب الأمثال، والقدوة ، والموعظة، والعقوبة، والعادة ، والملاحظة[1] .

وأرى أن اتخاذ المواقف الهزلية ، والنكت غير الهادفة ـ وغالباً ما تكون كذلك ـ والتي قد تسيء للآخرين ، وتنحرف معها القيم والمفاهيم السليمة ، لا ينبغي للمعلم أخذها والاعتماد عليها في تقريب نفسه إلى نفوس طلبته ، وذلك للسبب نفسه الذي ذهب إليه عمر ، وهو الإبقاء على مكانة المعلم ، فالهزل من طرف يولد الهزل من الطرف الآخر . وإذا قال قائل : إنه لا بد أن يسود الفصل شيء من المرح والمناخ الملائم ، فإن ضرره أكثر من فائدته ، ثم إن عمر لم يطلب الابتعاد عن ذلك مطلقاً ، بل طلب الإقلال منه . كما أن من العوامل التي تؤيد ما ذهب إليه عمر من ضرورة الإقلال من الضحك ، أن مدة لقاء الطالب بالمعلم وقتها يطول ، أما في الوقت الحاضر فمحدودة ، يتخللها أوقات إلزامية للراحة ، إذ يستطيع الطالب الترويح عن نفسه فيها ، سواء في المدرسة أم في المنزل ، فيُبقي ذلك على مكانة المعلم وشخصيته . فضلاً عما يستطيع المعلم إضفاءه على الفصل من المواقف المرحة ، والنكت البناءة ، والهادفة ، التي لا تسيء لأحد . علماً بأن علماء التربية الإسلامية وغيرها نادوا بحاجة الطفل إلى اللعب والمرح والترويح عن النفس ، ولكن بعد الانتهاء من دروسه أو علمه[2] ، ولم ينادوا إلى المواقف الهزلية والنكت المضحكة .

كما طلب عمر إلى مؤدب أولاده أن يكون في أدبه لهم ما يصرفهم عن الملاهي وحضور المعازف وسماع الغناء ، لما لها من الأثر السيىء في حياة

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٨٠ وما بعدها . (عبدالرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دمشق ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٨٤ وما بعدها) . (علوان : تربية الأولاد في الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٦٣١ وما بعدها) .

(٢) علوان تربية الأولاد في الإسلام ، جـ ٢ ، ص ١٠١٦ ، ١٠١٧ .

المسلم . ويلاحظ أن عمر لا يصدر أمراً ، أو يحدد طريقة أو أسلوباً حتى يوضح ما دفعه لذلك ، وما فائدته وجدواه ، ومن ناحية أخرى ، فقد أوضح عمر ضرورة إتقان ودقة الأداء ، حين قال : « يتثبت في قراءته » ، فدل ذلك على حرص عمر على ضرورة الوصول إلى درجة عالية من الكفاءة النوعية في التعليم. وأن لا يتنقلوا بين مواد المنهج حتى يفرغ كل منهم مما هو فيه ، فينبغي أن يتثبت الواحد منهم ولا ينشغل بعلم آخر قبل أن يتقن الأول(١) ، كما اهتم رحمه الله بكيفية التنفيذ . إذ اشترط أثناء الخروج إلى الغرض ، السير بين الأهداف حفاة ، ليعتادوا على الصبر والتحمل ، وليرمي كل منهم سبعة أرشاق ، ويفهم من ذلك أن اهتمام عمر بكيفية الأداء ، لابد وأن يشمل دقة الإصابة في الرمي التعويدي أيضاً ، وأن لا ينصرف الواحد منهم حتى يرمي الهدف بسبعة أرشاق .

ذلك مما يتطلبه أمر التعليم ، وعلاقة المعلم بالتلاميذ في حاضرنا ، وما ينبغي من الإهتمام ، والتركيز على الإتقان وحسن الأداء من الطالب والمعلم على حدٍّ سواء ، فضلاً عن الناحية الشمولية للتعليم ، إذ شملت طريقة عمر التي أرسل إلى مولاه سهل باتباعها في تربية وتأديب وتعليم أولاده . لكافة الجوانب الروحية والعقلية والخلقية والجسمية والمهارات الذاتية ، ليتكامل البناء التربوي السليم إن شاء الله .

٤ ـ تحديد أوقات وأولويات التعليم :

ومما اشتمل عليه المنهج الذي حدده عمر بن عبدالعزيز في رسالته لمؤدب أولاده ما يسمى بإدارة الوقت ، إذ حدد برنامجاً يومياً يبدأ الأولاد ومؤدبهم في تنفيذه من الصباح الباكر بجزء من القرآن الكريم ، فكان البدء بالقرآن في

(١) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ، ص ٧٥ .

الفترة الصباحية ، لما فيها من صفاء ذهن التلميذ ، بعد أخذ قسطاً من الراحة في ليله . فجعل أولوية تعليم القرآن الكريم في وقت صفاء الذهن والاستعداد الجيد للمتعلم .

كما ربط وقت الانتقال إلى المادة الأخرى من البرنامج اليومي بالتثبت والإتقان ، والفراغ من المادة السابقة ، فكان ذلك حافزاً للأداء الأفضل كمّاً ونوعاً ، ثم جاء توقيت الخروج بين الأغراض ، وممارسة متطلبات الرماية ، في وقت قد استنفذوا جُلَّ طاقتهم وأول همتهم في تعلم القرآن والعلوم الأخرى ، فيكون ذلك آكد لعلمهم ، ويكون الخروج للرمي بعد العلم ، إذ جعل أولوية الرمي بعد تلقي العلوم والفراغ منها . وبذلك يخرجون للرمي وهم في شوق إليه أيضاً ، فيتحقق لهم بذلك أعلى درجات الكفاءة والإتقان .

ويأتي في ختام البرنامج اليومي فترة القيلولة ، تلك الفترة الضرورية لراحة البدن والنفس والعقل ، فذلك أدعى للعمل المثمر ، والجد والاجتهاد . فكان وقتها بعد الانتهاء من مواد البرنامج ، على أن يكون ذلك وقت الظهيرة ، الوقت الذي لا تقيل فيه الشياطين ، فجمع ذلك التوقيت بين المبادرة إلى القيلولة ، لاتقاء شر الشياطين ، ومخالفتهم من جهة ، وبين الحاجة لذلك ، بعد ما بذلوه من جهد في تلقي العلم ، وما لقيهم من جهد ونصب في ممارسة رياضة الرمي من جهة أخرى . وإن في ذلك ما يدعونا للاهتمام بأوقات أولادنا وملء فراغهم بما يعود عليهم بالفائدة والنفع في الدين والدنيا ، مع مراعاة أولويات الدين على الدنيا .

وأن لا نترك لهم الحبل على الغارب في تحديد أوقات تلقيهم العلم ، واستذكار دروسهم وممارسة هواياتهم ، بما يوافق هواهم ، وما لا يعود عليهم بالنفع ، ولا يحقق لهم الهدف المنشود . وأن لا يقضوا أوقات فراغهم في قراءة ما لا ينفع ، وسماع ومشاهدة ما لا يفيد ، فالمؤمن مسؤول في آخرته عن وقته فيما قضاه ، إضافة إلى المردود الإيجابي للاستفادة من الوقت في حياته .

٥ ـ مراعاة المؤثرات التعليمية :

لقد راعى عمر بن عبدالعزيز كل ما له ارتباط بالعلم ، وما له تأثير على الفهم وحسن التلقي ، وما يزيد من إدراك العقل من قريب أو بعيد ، فكان أول أمر اهتم به وبتأثيره على علم أولاده وأخلاقهم وأدبهم ، هو : معلمهم وجدوى علمه ، واقتداؤهم بأدبه وخلقه ، والأمر الثاني : مراعاة ما قد يسببه اللين وعدم التزام الجد في القول ، وإكثار الضحك ، والهزل واللعب أحياناً ، من التباطؤ في أداء متطلبات التعليم ، من إقدام وعلوٌ همة ، وفهم وإدراك بالكفاءة المطلوبة . والثالث : ما ينجم عن تيار المجون والملاهي والغناء ، وحضور المعازف من ضياع وقت أولى أن يكون للعلم ، وتبلد الإحساس العلمي . ورابعها : مراعاة النواحي النفسية للناشئين ، وما قد يصيبهم من الملل ، وتأثير ذلك على المستوى المطلوب من الفهم ، وضرورة الترويح عن النفس ساعة بعد ساعة ، وجعل وقتاً للراحة بين الحين والآخر ، وأخيراً الاهتمام بالمردود الإيجابي للرياضة ، وممارسة الرماية والسير بين الأغراض على الجسم وصحته والعقل وسلامته ، والذهن وصفائه .

كل تلك العوامل والمؤثرات تتضافر ، وتؤثر سلباً وإيجاباً على التحصيل العلمي للناشئين والدارسين ، وذلك ما لم تهمله رسالة أمير المؤمنين إلى مؤدب أولاده ، وما أدرك تأثيره رحمه الله ، وهو ما ينبغي لنا إدراكه ، فنوليه جانباً من الاهتمام .

وتزداد ضرورة الإهتمام بهذا الجانب في هذا الوقت الذي تنوعت فيه وسائل الترفيه واللهو وإضاعة الوقت ، وكثرت فيه العوامل المؤثرة على انصراف أبنائنا عن العلوم النافعة ، التي تؤدي إلى حدة أذهانهم ، وزيادة فطنتهم وصفاء فكرهم ، وارتفاع كفاءتهم في التحصيل العلمي .

وهكذا تبين لنا مما سبق من التوجيهات القيادية والإجراءات الإدارية ، التي قام بها الخليفة عمر بن عبدالعزيز تجاه أولاده ، وتربيتهم وتعليمهم ، سلامة المنهج الذي اتبعه ، فوضع بذلك منهجاً إسلامياً يصلح لأبناء المسلمين ، ففي رسالته رضي الله عنه التي كتبها إلى سهل مولاه ، ومؤدب أولاده منهجٌ قويمٌ يُنشيء الأمة الصالحة، التي يكون أبناؤها درعاً ووقاية للبلاد والإسلام والمسلمين بعون الله[1] .

ولا بأس ـ حين نقول بسلامة ذلك المنهج ـ أن نستعرض شيئاً من نتائج ذلك المنهج ، ونتعرف على بعض ما تحقق بفضل الله ، ثم بفضل تلك القيادة والإدارة التربوية، من مردود عليه وعلى أولاده ، إذ بلغوا منزلة كبيرة بعد وفاته .

فنذكر من ذلك ، ما وصل إليه ابنه عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز من الصلاح والتقوى ، فيُروى عن بعض مشيخة أهل الشام قولهم : « كنا نرى أن عمر بن عبدالعزيز ، إنما أدخله في العبادة ما رآه من ابنه عبدالملك »[2] .

وكان من برٍّ عبدالملك بوالده أنه عندما علم بتولِّيه الخلافة رغب أن يراه ميتّاً ، ولا يراه خليفة ، لعظم المسئولية والجزاء[3] ، وعاد من المدينة إلى أبيه في الشام ، ليقف بجانبه ويعينه على تحمُّل المسئولية ، فكان لوالده بمثابة الوزير والبطانة الخيرة[4] .

وكان يقول لأبيه : « ياأبت : أقم الحق ولو ساعةً من نهار »[5]، ويطلب إلى أبيه أن لا يتأخر في رد حقوق الناس إليهم ، حتى ولو على حساب راحة أبيه .

(١) الجمل : عمر بن عبدالعزيز وأولاده ، مجلة الأزهر ، ص ١٢٤ .

(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٥٤ . ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ٢٩٧ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٧ .

(٤) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٥) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٩ .

فيروى أن عمر بن عبدالعزيز جلس للناس يوماً ، فلما انتصف النهار ضجر وكلّ وملّ ، فقال للناس : « مكانكم حتى أنصرف إليكم ، ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبدالملك ، وقال : ياأمير المؤمنين ما أدخلك ؟ قال : أردت أن استريح ساعة . قال عبدالملك : أو أمنت الموت أن يأتيك ، ورعيتك على بابك ينتظرونك ، وأنت تحتجب عنهم ؟ فقام عمر من ساعته وخرج إلى الناس »[١] .

وقد بلغ عبدالملك من التقوى والصلاح والبر بوالده مبلغاً ، جعل « النووى » يصفه بأنه كان من أبر أهل زمانه بوالده[٢]، وقال ميمون بن مهران : « ما رأيت ثلاثة في بيت أخْيَرَ من عمر بن عبدالعزيز، وابنه عبدالملك ، ومولاه مزاحم »[٣] .

وقد مات عبدالملك في حياة أبيه سنة ١٠٠ هـ ، عن تسع عشرة سنة[٤] رضي الله عنهما ، بعد حياة حافلة بالمآثر والمواقف العظيمة مع أبيه أثناء توليه أمر المسلمين ، والتي لا يتسع المقام لذكرها ، وإنما أشرنا إلى شيء منها لنستدل به على أثر التربية الحسنة بتوفيق الله .

وكان من أمر عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز أن ولاّه يزيد بن الوليد بن عبدالملك العراق سنة ست وعشرين ومائة[٥] ، لحب أهل العراق لأبيه عمر بن عبدالعزيز ، إلا أن مروان بن محمد عزله سنة ثمان وعشرين ومائة[٦] . وقد روى الحديث عن أبيه عمر ، وروى عنه شعبه[٧] .

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠١ .

(٢) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٣) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٥٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ .

(٥) ابن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٨٢ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٨٢ .

(٧) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦ هـ) : التاريخ الكبير ، بدون تاريخ النشر ، ولا الناشر ، المجلد الخامس ، ص ١٤٥ .

كما ولي عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز مكة ، والمدينة ، والطائف ، ليزيد ابن الوليد بن عبدالملك سنة ست وعشرين ومائة[1] .

وأقره عليها مروان بن محمد بعد وفاة يزيد بن الوليد ، ثم عزله عنها سنة تسع وعشرين ومائة[2] وقد أسند عبدالعزيز الحديث ، فروى عن أبيه ، وعن مكحول، وغيره من التابعين[3]. فرحم الله المعلم المربي العظيم عمر بن عبدالعزيز وأولاده ورضي عنهم أجمعين .

تحدثنا فيما سبق في هذا الفصل عن الملامح التربوية عند عمر ، وأبرز توجهاته القيادية والإدارية في مجال التربية والتعليم وتثقيف الأمة ، ثم إجراءاته تجاه تربية أولاده وتعليمهم بادئين ذلك كله بلمحة سريعة عن الحالة العلمية في عهده رحمه الله .

وسيأتي الحديث في الفصل القادم عن عمر والقيادة ، وأبرز الصفات القيادية التي اتصف بها ، وما يتعلق بهذا الجانب إن شاء الله .

---

(١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٧٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٠٦ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣١١ .

الفصل الثالث

عمر بن عبدالعزيز والقيادة

ويشتمل على :

المبحث الأول : مدخل للإطار الفكري للقيادة .

المبحث الثاني : الصفات القيادية التي اتصف بها عمر.

المبحث الثالث : تطبيقات صفات عمر القيادية في القيادة وبخاصة القيادة التربوية .

المبحث الرابع : النمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر ، وركائزه .

تمهيـــد :

إن مما يشتمل عليه النموذج الإداري الذي نسعى للتوصل إليه في هذه الدراسة : قيادة عمر بن عبدالعزيز وبالذات الصفات القيادية البارزة التي تميز بها ، والتي كانت من مقومات نجاح نموذجه الإداري ، وأين تقع بالنسبة للصفات القيادية في الفكر الإداري ، وتطبيقات تلك الصفات في قيادتنا الحاضرة ، وبخاصة القيادة التربوية .

بالإضافة إلى النمط القيادي الذي غلب على قيادة عمر بن عبدالعزيز للأمة الإسلامية ، وموقعه بين الأنماط القيادية الحديثة . ثم ما هي أهم المقومات والركائز التي قام عليها الأسلوب أو النمط القيادي الذي اتَّبعه عمر .

هذا ما سيتضمنه هذا الفصل الذي سنبدأه بإعطاء نبذة كمدخل للتعريف بالإطار الفكري للقيادة .

المبحث الأول

مدخل للإطار الفكري للقيادة

في هذا المبحث سوف نتطرق إلى المفاهيم القيادية في الفكر الإداري الإسلامي ، والفكر المعاصر ، وأهمية القيادة في كل منهما ، وأهم نظريات وأنماط القيادة ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : القيادة في الفكر الإداري الإسلامي والفكر المعاصر :

يدل لفظ القيادة في اللغة على مهنة القائد ، وقاد قيادة الجيش كان أميراً عليهم أو رئيساً[1] لهم ، والقيادة في الاصطلاح العسكري المكان الذي يكون فيه القائد ، ومنه القيادة العامة ، أي مركز القائد العام[2] . والقيادة : مصدر قاد يقود فهو قائد ، والقوْد : نقيض السوق ، والانقياد : هو الخضوع[3] .

وقد اقتصر لفظ القيادة في صدر الإسلام على إمرة الجيش وقيادته ، ولكن القيادة في معناها الواسع والشامل لكافة أمور الأمة أو المجتمع ، جاءت على ألفاظ أخرى لا تخرج في مدلولها عن مدلول القيادة وهي (الإمامة ، والإمارة ، والولاية) وغيرذلك من الألفاظ التي تُحمِّل كل راع مسؤولية قيادة رعيته إلى ما يصلح أمورها ، وهذا ما حدده حديث رسول الله ﷺ إذ قال : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده ، وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته »[4] .

---

(١) الفرق بين الرئيس والقائد أن الأول يستمد سلطته من التفويض من الأعلى . أما القائد فيستمد سلطته من الجماعة نفسها . (الهواري : الإدارة ، ص ٣٣٣) .

(٢) معلوف وآخر : المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٦٦٠ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٤) زكي الدين عبدالعظيم المنذري : مختصر صحيح الإمام مسلم ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

لذا كانت القيادة في مجملها تحمل مسؤولية تجاه الجماعة ، كما قال عمر بن عبدالعزيز : « ألا إني لست بخيركم ولكني رجلٌ منكم ، غير أن الله جعلني أثقلكم حِملاً »[1] .

ولمفهوم القيادة في الإسلام عناصر أساسية هي[2] :

١ ـ فرد يتمتع بصفات قيادية إسلامية .

٢ ـ مجموعة من الأفراد يفهمون المنهج الإسلامي للحياة أو على الأقل عندهم الاستعداد للانصياع والمساهمة في تطبيق المفاهيم الإسلامية للقيادة .

٣ ـ تأثير ذلك الفرد على سلوك هؤلاء الأفراد بالأسلوب الإسلامي لتحقيق أهداف محددة في ظل النظام الإسلامي ، يسعى الجميع لتحقيقها .

وفي إطار هذه العناصر فإن الألفاظ التي تطلق على من تحمل مسؤولية في العمل الإسلامي ، سواء كان قائداً أم أميراً أم والياً أم إماماً لا تكاد تخرج في مدلولها عمّا يفهم من « ولاية الأمر » وتصريفه ، طبقاً لما ورد في الآية الكريمة ﴿ يأيُّها الَّذينَ آمَنُوا أطيعُوا اللَّهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وأوْلِي الأمْرِ مِنْكُم ﴾[3]، فقد ورد في تفسير هذه الآية أن أولي الأمر هم : الأئمة، والسلاطين، والقضاة ، وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية[4] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٤٠ .

(٢) جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين : القيادة ، الأسباب الذاتية للتنمية القيادية ، الكويت ، دار الدعوة (٥٨) ، ١٤٠٨ هـ ، الهامش ص ١٧ .

(٣) جزء من الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ ، جـ ١ ، ص ٤٨١ .

إلا أن ظهور علم السلوك في الوقت الحاضر ، جعل مفهوم القيادة في الفكر المعاصر يأخذ شكلاً ينحصر في جانب العلاقات الإنسانية ، والتأثير الذي يُحدثه شخص بآخرين[1] .

ولقد عُرِّفت القيادة في الفكر الإداري الحديث والمعاصر ، بتعاريف متنوعة ومتعددة ، لا يمكن القول إن هناك تعريفاً جامعاً مانعاً يمكن الاتفاق عليه ، ولكن تختلف التعريفات باختلاف نظرات أصحابها إلى القيادة .

فقد عرف « أوردواي تيد » القيادة بأنها : « النشاط الذي يمارسه شخص للتأثير في الناس وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه »[2] .

ويعرفها « فيفنر » بأنها : « فن التنسيق للأفراد والجماعات ، ودفع حالتهم المعنوية للوصول إلى أهداف محددة »[3] .

كما قال « كلارنس نيول » إن القيادة : « هي الطريقة التي يؤثر فيها الأفراد ، أو الجماعات ، عن قصد في وضع أهداف الجماعة أو المنظمة ، وتحقيقها ، وتتضمن القيادة السلوك الظاهر وغير الظاهر الذي يكوِّن التواصل في عمليات اتخاذ القرار »[4] .

وتعرف أيضاً بأنها « العملية الخاصة بدفع وتشجيع الأفراد نحو إنجاز أهداف معينة »[5] ، ومن خلال التعريفات السابقة وغيرها مما لم نورده ، والتي لا تختلف كثيراً عما ذكر ؛ فإن القيادة تتكون من عناصر أساسية هي :

(١) كلارنس نيول : السلوك الإنساني في الإدارة التربوية ، ترجمة طه إلياس ومحمد خليل ، عمان ، الدار العربية للتوزيع والنشر ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) سعود محمد النمر، وآخرون: الإدارة العامة : الأسس والوظائف، الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٩ هـ ، ص ٣١٥ .

(٣) سيد الهواري : الإدارة : الأصول والأسس العلمية ، ص ٣٣٠ .

(٤) كلارنس نيول : السلوك الإنساني في الإدارة التربوية ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٥) مدني عبدالقادر علاقي: الإدارة: دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية، جدة، تهامة ، ١٤٠١ هـ ، ص ٥٨٠ .

١ ـ وجود جماعة من الأفراد في تنظيم معين ، صَغُرَ التنظيم أم كَبُر .

٢ ـ وجود شخص يقود تلك الجماعة ويوجهها ، وما ينجم عن وجوده من تأثير وقوة إقناع .

٣ ـ وجود هدف مشترك تسعى الجماعة لتحقيقه .

ومما سبق يمكن القول إن المفهوم الإسلامي للقيادة وعناصرها الأساسية، يتميز عن عناصر القيادة في الفكر الحديث والمعاصر بأن الإسلام وتعاليمه، هو الأساس الذي يقوم عليه عمل تلك العناصر لتحقيق ما تهدف إليه .

وبذلك يمكن القول إن القيادة في الإسلام ، تعني تحمُّل مسؤولية رعاية مصالح الجماعة ، وتوجيههم إلى الصالح العام بما يتلاءم وتعاليمَ الإسلام .

القيادة التربوية :

من خلال مفهوم القيادة والعناصر التي تتكون منها القيادة ، يمكن القول إن القيادة التربوية تختلف في عنصر الجماعة ، بأنه التنظيم أو المؤسسات والإدارات التربوية والتعليمية مع وجود القائد والهدف المشترك المراد تحقيقه في الوقت نفسه . كما أن للقيادة التربوية مفهوماً واسعاً في الإسلام ، فهي تعني من وجهة نظرنا الممارسات القيادية في مجال التربية والتعليم للفرد والمجتمع المسلم ، تربية إسلامية من خلال المؤسسات التربوية والتعليمية الرسمية ، مثل المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، والوزارة المختصة ، وغير الرسمية : مثل المساجد ، والندوات ، والمحاضرات ، والدعاة والخبراء التربويون ، والأسرة ، لتربية الناشئين وأفراد المجتمع تربية إسلامية ، ولبناء القيادات المستقبلية ، والوصول بالمجتمع إلى حالة من الوعي التربوي ، المبني على تعاليم الإسلام .

ثانياً : أهمية القيادة في الإسلام وفي الإدارة الحديثة :

القيادة ضرورة اجتماعية ترتبط بوجود الإنسان ، فالطبيعة البشرية التي خلقها الله ، وخلق فيها غريزة حب الاجتماع، والتعاون لما فيه مصلحة مشتركة[١] ، جعلت القيادة أمراً لا غنى لأية جماعة عنه .

وإن جاءت تلك الأهمية بمقتضى طبيعة البشر ، فإن الإسلام قد أكد على وجوب القيادة وضرورتها لأقل الجماعات البشرية ، وأقصر الاجتماعات[٢] ، ويتضح وجوب القيادة في أمر النبى عليه الصلاة والسلام إذ قال : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم »[٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا أحدهم »[٤] . ومن الحديثين الشريفين نستنتج وجوب القيادة في الإسلام ، وحتمية تولي أمور المسلمين ولاة منهم .

وفي تعليق الإمام الشوكاني على هذين الحديثين الشريفين يقول : إن فيهما دليلاً على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثةً فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم، لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف ، فمع عدم التأمير يستبد كلٌ واحد برأيه ، ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون ، ومع التأمير يقل الاختلاف ، وتجتمع الكلمة .

---

(١) الضحيان : الإدارة في الإسلام : الفكر والتطبيق ، ص ١٤٩ .

(٢) نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الإسلامي ، عمان ، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، ١٩٨٧ ، ص ١١١ .

(٣) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) : سنن أبي داوود ، جـ ٣ ، ص ٣٦ .

(٤) أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) : مسند الإمام أحمد ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، دار صادر ، بدون تاريخ نشر ، (جزء من حديث) جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

ويستطرد فيقول : وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون ، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ، ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى[١] .

ويقول ابن تيمية : « وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون على جلب منافعهم ، والتناصر لدفع مضارهم . ولهذا يقال : الإنسان مدني بالطبع ، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها ، يجتلبون بها المصلحة ، وأمور يجتنبونها ، لما فيها من المفسدة ، ويكونون مطيعين للأمر بتلك المقاصد ، والناهي عن تلك المفاسد ، فجميع بني آدم لابد لهم من طائفة آمر وناه »[٢] .

لذا فالقيادة يفرضها الإسلام حفاظاً على وجود الجماعة وتماسكها ، واستمرارها في تحقيق أهدافها لإشباع الحاجات الجماعية والفردية[٣] .

أما في الفكر الإداري الحديث ، فإن القيادة تعد عنصراً حيوياً في حياة واستمرار وازدهار نشاط المنظمات ، وعملياتها المختلفة[٤] . وذهب كثير من رجال الفكر الإداري الحديث إلى أن القيادة : هي جوهر العملية الإدارية وقلبها النابض ، وأنها مفتاح الإدارة فأصبحت القيادة المعيار الذي يحدد على ضوئه نجاح أي تنظيم في تحقيق أهدافه[٥] .

---

(١) محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، بيروت ، دار الجيل ١٩٧٣ م ، جـ ٩ ، ص ١٥٧ .

(٢) تقي الدين أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : الحسبة في الإسلام ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ نشر ، ص ٤ .

(٣) نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ١١١ .

(٤) علاقي : الإدارة ، ص ٥٨١ .

(٥) كنعان : القيادة الإدارية : ص ١٠٣ .

وفي الوقت الحاضر يزيد من أهمية القيادة كثرة متطلبات الحياة ، وازدياد المنظمات والمؤسسات ، التي تقوم على خدمة الإنسان ، وتفرع الأعمال والتخصصات ، مما يزيد في صعوبة السيطرة والاتقان ، وما يزخر به العصر الحديث من التقدم العلمي ، والإنتاج العملي ، مما يجعل القيادة عنصراً هاماً في العملية الإدارية ونجاحها .

وباختصار فإن أهمية القيادة تبرز من خلال النقاط التالية(١) :

١ ـ بدون القيادة لا يستطيع المدير تحويل الأهداف إلى نتائج .

٢ ـ بدون القيادة تصبح عناصر الإنتاج عديمة الفعالية والتأثير .

٣ ـ بدون القيادة يفقد التخطيط والتنظيم والرقابة التأثير في تحقيق الأهداف .

٤ ـ بدون القيادة لا تستطيع المنظمة تصور المستقبل .

٥ ـ بدون القيادة يصعب على المنظمة التعامل مع متغيرات البيئة الخارجية .

٦ ـ أن سلوك القائد هو الذي يدفع الأفراد إلى تحقيق أهداف المنظمة .

وعلى كل حال فإننا كمسلمين يكفينا دليلاً على أهمية القيادة بل وجوبها ، ما جاء على لسان رسول الله ﷺ من فضل الجماعة ، إذ قال : « إن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال أمة محمد ـ على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ومن شذَّ شذ إلى النار »(٢)، وقال : « ... فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية »(٣)،

---

(١) علاقي : الردارة ، ص ٥٨٢ .

(٢) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) : سنن الترمذي ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ ، جـ ٣ ، ص ٣١٥ .

(٣) أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب علي النسائي (ت ٣٠٢ هـ): سنن النسائي ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، وحاشية الإمام نور الدين بن عبدالهادي السندي ، قرئت الطبعة على الشيخ حسن محمد المسعودي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٤٨ هـ، جزء من حديث، جـ ٢، ص ١٠٧.

وأمره عليه أفضل الصلاة والسلام بضرورة الاجتماع إلى ولى أمر ، إضافة إلى ذلك ما كان عليه حال الأمة الإسلامية ، فلم يأت عليها يوماً دون قائد .

أما وإن كانت القيادة ذات أهمية كبرى للمسلمين على أي حال ، وفي أى مستوى ، فإن القيادة التربوية تأتي في رأس القائمة من حيث الأهميةُ ، وذلك لأن مجهوداتها تنصب على إعداد قادة لكل المهام والمجالات ، لذا فقيادة يتمثل دورها في إعداد القادة أولى بالرعاية والاهتمام .

ثالثاً : نظريات القيادة :

اهتم رواد الفكر الإداري في الإسلام ضمن اهتماماتهم الإدارية بالقيادة، والصفات التي ينبغي أن تتوفر في القائد ، أمثال شهاب الدين أحمد ابن أبي الربيع الذي عاش في عهد الخليفة العباسي المعتصم ابن الخليفة هارون الرشيد، وأبي نصر الفارابي (٢٥٧ ـ ٣٣٩هـ)، وأبي الحسن الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ) وأبي حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) فقد كان لكل منهم نصائحه للملوك والأمراء ، وذكروا صفات وشروطاً للقيادة لا يتسع المجال للتطرق إليها[1] . وفي الفكر الإداري الحديث وجدت ثلاث نظريات أساسية للقيادة[2] :

١ ـ نظريات السمات القيادية :

وترتكز هذه النظرية على الصفات ، أو السمات التي يتمتع بها شخص معين ، داخل مجموعة ، تجعل منه قائداً لهذه المجموعة ، وأن تلك الصفات هي

(١) أورد نعيم نصير في كتابه : القيادة في الإدارة العربية ، ص ٩٥ وما بعدها ، مختصراً لما توصل إليه كل منهم، تحت عنوان : آراء بعض المفكرين العرب والمسلمين في القيادة . وللتوسع انظر ابن الربيع ، مؤلف سياسي « سلوك المالك في تدبير المالك » . وللفارابي « آراء أهل المدينة الفاضلة » . وللماوردي « الأحكام السلطانية في إصلاح الراعي والرعية » وللغزالي « التبر المسبوك في نصيحة الملوك » .

(٢) ذكر نعيم نصير في : القيادة في الإدارة العربية ، ص ٧٩ . وكنعان : القيادة الإدارية ص ٢٩٨ أن تلك النظريات تعد مدخل لدراسة القيادة .

التي تجعله قائداً[1] . وبذلك يرجع الباحثون المقدرة القيادية إلى مدى توفر صفات معينة في الأشخاص حتى يكون من السهل عندئذ اختيار القادة ممن تتوفر فيهم تلك الصفات[2] . وعليه يُعزى نجاح القادة العظام إلى امتلاكهم لقدرات ومهارات وصفات شخصية معينة[3] ، وقد كان للمفكرين المسلمين دورٌ بارزٌ في تحديد معالم هذه النظرية .

إلا أن عدم الاتفاق على صفات محددة ، وصعوبة توفرها في شخص معين ، وإمكانية نجاح القائد في موقف عن آخر ، دفع الباحثين إلى إيجاد نظريات أخرى .

٢ ـ نظرية الموقف :

تقول هذه النظرية : إن الموقف هو الذي يخلق القائد وليست الصفات ، وبالتالي يختلف باختلاف الظروف والمواقف التي يواجهها[4]. فقد أشار « فيدلر » من خلال أبحاثه ودراساته إلى أنه ليس هناك أسلوب واحد في القيادة ، يصلح لكل زمان ومكان ، إذ أن فعالية القيادة يعتمد على التوافق السليم بين القائد وثلاثة متغيرات في الموقف : العلاقة بين القائد ومرءوسيه ، ومدى وضوح مهمة وتركيبة العمل ، ودرجة القوة في مركز القائد من ناحية العقاب والثواب . كما أشار إلى ضرورة الانتباه إلى أنه ليس هناك أسلوب قيادي واحد في محل المواقف . وإذا أردنا ذلك فعلى القائد أن يكون مرناً في استخدامه أساليب القيادة المختلفة[5] .

---

(١) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٣١٩ .

(٢) علاقي : الإدارة ، ص ٥٨٦ .

(٣) نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ٧٩ .

(٤) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٣٢٣ .

(٥) فؤاد الشيخ سالم وآخرون : المفاهيم الإدارية الحديثة ، عمان ، شركة دار الشعب ، بدون تاريخ نشر ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

وإذا كانت هذه النظرية تتميز بأن قدمت مفهوماً ديناميكياً للقيادة ، فإن صعوبة تحديد عناصر الظروف والمواقف ، وعدم الإتفاق على تحديد أنماط السلوك القيادي ، أدى إلى ظهور اتجاه ثالث ، يوفق بين نظريتي الصفات والموقف(١) .

٣ ـ النظرية التفاعلية :

وتقوم هذه النظرية على الجمع بين نظرية الصفات ، ونظرية الموقف ، فالقائد الناجح هو الذي يستطيع أن يحدث التفاعل ، ويخلق التكامل بين أفراد الجماعة(٢) ، وقدرتُه على ذلك تتوقف على ظروف الجماعة ، وشخصيته وأسلوبه في العمل ، وبمعنى آخر فإن القائد لا يكون قائداً بصفاته الشخصية فقط ، ولكن بالظروف المحيطة أيضا ، ودرجة التفاعل بين القائد والظروف(٣) . وقد أسهمت هذه النظرية في تحديد ثلاثة أبعاد للقيادة هي : القائد ، والموقف ، والجماعة(٤) . إلا أن التطورات الحديثة أثبتت عدم كفاية هذه النظريات في تحديد خصائص القيادة ، مما جعل جهود علماء الإدارة حديثا تتجه إلى البحث عن الخصائص اللازمة للقيادة القادرة على مواجهة متطلبات الإدارة الحديثة وتحقيق الفعالية الإدارية(٥) .

رابعاً : أنماط القيادة :

لقد أخذت العلاقة بين القائد والمرءوسين لتحقيق الأهداف المنشودة عدة أساليب ، تبعاً للموقف أو النمط القيادي ، الذي يتخذه القائد ، وأهمها :

---

(١) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢٥ .

(٣) علاقي : الإدارة ، ص ٥٩٠ .

(٤) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٣٢٦ .

(٥) كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٣٧٧ .

١ ـ القيادة الاستبدادية (الأوتوقراطية) :

ويقوم القادة الاستبداديون بإصدار معظم القرارات بأنفسهم دون السماح لمرؤوسيهم بإصدارها[١] ، أو حتى المشاركة في ذلك ، فهو يتخذ القرار بمفرده ، ويجعل الصلاحيات والسلطات ، ووضع السياسات بيده ، دون مشاركة مرءوسيه[٢] ، ولا شك أن هذا النمط سينجم عنه ردود فعل سيئة ، سواء من قبل المرءوسين أم من خلال ما يلاحظ على تحقيق الأهداف .

٢ ـ القيادة المشاركة (الديمقراطية) :

يتخذ القائد في هذا النمط موقفاً مغايراً لسابقه ، فالقائد الديمقراطي يشارك مرءوسيه في اتخاذ القرارات ، ووضع الأهداف ، ورسم السياسات ، ويهدف هذا النمط إلى خلق نوع من المسئولية لدى المرءوسين .

ويتراوح هذا النوع من القيادة بين وجود قائد ، لا يقوم بأي عمل بدون موافقة أتباعه وبين قائد يصنع قراراته بنفسه بعد استشارة مرءوسيه[٣] ، ويعد هذا الأسلوب أكثر أساليب القيادة فعالية ، ولكي يستطيع القائد مواكبة التطورات السريعة في مؤسسات العمل ، والتدفق المستمر للمعلومات والأفكار الجديدة ، لا بد للقائد من تبنى أسلوب القيادة الديمقراطية[٤] .

---

(١) نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ١٥ .

(٢) النمر ، وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٣٢٧ .

(٣) نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ١٥ .

(٤) سالم وآخرون : المفاهيم الإدارية الحديثة ، ص ١٤٣ .

٣ ـ القيادة التسيبية (الحرة) :

وفي هذا النمط تكون القيادة متسامحة ، ولينة ، وتمنح أتباعها درجة عالية من الحرية ، في القيام بأعمالهم[١] . فهو نموذج مفرط للقيادة الديمقراطية، إذ يُحيل القائد المشكلة أو الموضوع برمته إلى مرءوسيه للدراسة ، واتخاذ الحلول اللازمة . وهذا النوع من القيادة غالباً ما يؤدي إلى التشويش والبلبلة ، نظراً لتهتك الزعامة القيادية[٢] ، ولكن قد يكون مرغوبا في بعض الحالات الخاصة، ومن قبل بعض الأشخاص الذين لديهم ميول قيادية ، مع ملاحظة احتمال صلاحيته ، عندما يكون المرءوسون على قدر عال من الكفاءة وتحمُّل المسئولية . .

---

(١) نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ١٥ .

(٢) علاقي : الإدارة ، ٥٩٤ .

المبحث الثاني

الصفات[1] القيادية التي اتصف بها عمر

لقد حدد الفكر الإداري الحديث ثلاثة مداخل أساسية ، لدراسة القيادة ، والتي سبق ذكرها، تحت عنوان : نظريات القيادة. وهذه المداخل الثلاثة هي[2] :

١ ـ المدخل الفردي (نظرية السمات[3]) .

٢ ـ المدخل الاجتماعي (نظرية الموقف) .

٣ ـ المدخل التوفيقي (النظرية التفاعلية) .

ونظراً لأننا نسعى إلى التعرف على الصفات القيادية عند عمر ، فإن ما يهمنا هنا هو المدخل الفردي (نظرية السمات) ، التي يمكن القول إن هذا المدخل ، أو النظرية لم تكن وليدة الفكر الإداري الحديث ، بل إن مفكري الإدارة المسلمين الأوائل، قد سبقوا في هذا المجال (أمثال الفارابي، والماوردي ، والغزالي ، وغيرهم) ، وحددوا صفات قيادية ، يمكن القول إنها شبه متكاملة للمتطلبات القيادية .

أما في الفكر الإداري الحديث ، فقد برز جانب دراسة شخصية القائد بشكل ملحوظ ، وأجريت حوله الكثير من الدراسات والبحوث[4] ، سعياً وراء

(١) الصفة : الحِلْية ، والوصف : هو وصفك الشيء بحليته ونَعْته ، ووصَفَهُ حَلاّه من التحلي بالصفة : ووصفته : نعته بما فيه . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ٣٥٦) . (الفيومي : المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ٦٦١) .

(٢) كنعان القيادة الإدارية ، ص ٢٩٩ ، نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ٢١ .

(٣) الوسم : أثر الكي . والسمة : ما وسم به البعير ، واتَّسَمَ الرجل : إذا جعل لنفسه سمةً يعرف بها ، والسِمة هي العلامة . (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٦٣٥ ، ٦٣٦) . (الفيومي : المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ٦٦٠) .

(٤) أمثال الدراسات التي أجراها كل من : « رالف ستوجديل » ، و« سيسيل جود » ، و« جاك مايلور » ، و« براون » ، و« أرنست ديل » ، وغيرهم ، وللاطلاع على ملخص ما توصلوا إليه ، انظر : كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٨ .

تحديد الصفات اللازمة للقيادة ، وكانت النتائج أن حددت صفات يعد الاتفاق عليها متفاوتاً إلى حد كبير ، إما لاختلاف وجهات نظر الباحثين ومعتقداتهم ، أو لاختلاف متطلبات القيادة باختلاف المناصب القيادية ، أو غير ذلك . وعلى سبيل المثال قسم أحد الباحثين الصفات والمهارات القيادية[1] من خلال استعراضه للكثير من الدراسات والبحوث[2] في هذا المجال إلى أربع مجموعات رئيسة ، وهي[3] :

الأولى : المهارات الذاتية .

الثانية : المهارات الفنية .

الثالثة : المهارات الإنسانية .

الرابعة : المهارات الذهنية .

فكانت شاملة لمعظم السمات والقدرات ، اللازمة لنجاح القادة ، والتي ذكرها الباحثون في علم الإدارة ، وعلم النفس ، إلا أن هناك صفات تتعلق بعقيدة القائد، من حيثُ تقوى الله عز وجل ، والإيمانُ به ، وخشيتُه لله عز وجل ، ومخافةُ عقابِه ، لم يكن لها نصيب في تلك الدراسات . وكذلك بعض المبادىء والأخلاق الإسلامية التي لم تنل كثيراً من الاهتمام .

(١) جعل ذلك الباحث السمات القيادية اللازمة للقيادة ضمن المجموعات الأربع ، التي سماها مهارات ، فعلى سبيل المثال جعل السمات الجسمية ضمن المهارات الذاتية ، والحزم ضمن المهارات الفنية ، والأمانة ضمن المهارات الإنسانية، وبعد النظر ضمن المهارات الذهنية ، والمهارة : الحذق في الشيء ، والماهر : الحاذق بكل عمل ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ١٨٤) . وللتوفيق بين ألفاظ : السمة والصفة ، والمهارة فإننا نرى أن المهارة تتعلق بالصفات العملية ، أما السمة أو الصفة فليس بينهما اختلاف يذكر فيما يعنينا هنا ، ونقصد بهما ـ في هذا البحث ـ شيئا واحداً وهو : ما يتحلى به القائد ، مما يؤهله للنجاح في القيادة .

(٢) معظم هذه الدراسات والبحوث كانت على مستويات قيادية متوسطة ، وصغرى ، تتعلق بقادة مؤسسات، وإدارات ، وشركات ، وليست على مستوى متطلبات قيادية عالية الأداء مثل الخلافة ، أو رئاسة الدولة ، أو الوزارات والقيادات العليا .

(٣) كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٣١١ .

ونحن في هذا المبحث سنتخذ نظرية السمات (المدخل الفردي) مدخلا لدراسة شخصية عمر بن عبدالعزيز ، والتعرف على الصفات القيادية التي دفعته إلى قمة النجاح ، من خلال أقواله وأفعاله ، حيث سيتم تقسيم الصفات[1] ـ التي سوف نحاول التعرف عليها ، عند عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ـ إلى صفات اعتقادية ، وصفات سلوكية ، وصفات عقلية ، والاستشهاد بشيء من سيرته ، أو أقواله وأفعاله، للدلالة على وجود تلك الصفات عند عمر وتحلّيه بها :

أولاً : الصفات الاعتقادية :

لقد تميز عمر بن عبدالعزيز بصفات ، حريٌ بكل مسلم ـ فضلاً عن ولي أمر من أمور المسلمين ـ أن يتصف بها . تلك الصفات التي ينبغي أن تأتي في مقدمة ما يتصف به القائد ، وهي ما يتعلق بصدق عقيدته ، وتوحيده لله عز وجل ، وإيمانه بالله واليوم الآخر ، ومخافة الله عز وجل في السر والعلن ، وفي القول والعمل ، وفيما استرعاه الله عليه .

وذلك ما كان يتسم به عمر بن عبدالعزيز فقد كان الدافع إلى كل ما قام به رضي الله عنه ، هو إيمانه الراسخ بالله عز وجل ، وإيمانه بالمصير والمآل ، وخوفه من الله تعالى . وهذه الصفات هي النقطة المركزية والأساسية في حياة عمر[2] .

يقول أبو الحسن الندوي عن عمر : « ولكن ميزته الكبرى ، والسمة التي يتسم بها ، هو أن الدافع إلى كل ذلك ، هو إيمانه القوى بالآخرة ، وخشية الله

---

(١) هناك بعض الصفات التي أبرزتها الدراسات الحديثة ، مثل الاتزان العاطفي وضبط النفس والذكاء ، والطاقة الجسمية ، والتحمل ، وغيرها ، لا يمكن استنتاجها أو الحكم بتوفرها ، ضمن صفات عمر بن عبدالعزيز ، لأن موضوع الدراسة أصبح في حكم الماضي ، ولا تمدنا المراجع بشيء عن صفات عمر ابن عبدالعزيز الشخصية ، وطاقاته الجسمية ، عدا ملامح وجهه رضي الله عنّه . لذا سنكتفي بدراسة وتحديد الصفات التي وجدنا في سيرة عمر ما يثبت أنه تميز أو تحلى بها .

(٢) الندوي : خامس الراشدين ، ص ٤١ .

والشوق إلى الجنة ... وليس لغير هذا الإيمان القوي ، الذي امتاز به عمر بن عبدالعزيز أن يحفظ إنساناً ـ في مثل شباب عمر بن عبدالعزيز وقوته وحريته وسلطانه ـ من إغراءات المادية القاهرة ، ومن تسويلات الشيطان ، والنفس المغرية، وتفرض عليه المحاسبة الدقيقة للنفس، والاستقامة على طريق الحق »(١) .

فقد كان مشتاقاً إلى الجنة، مؤثراً الآخرة على الدنيا، مؤمناً بقوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾(٢) ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة »(٣) . فأدرك عمر بفطرته السليمة ، وعقيدته الصحيحة ، أن آخرة المسلم أولى باهتمامه من دنياه . يقول عمر في كتاب له إلى يزيد بن المهلب : « ... ولو كانت رغبتي في اتخاذ أزواج ، واعتقال أموال ، كان في الذي أعطاني من ذلك ، ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، ولكنّي أخاف ـ فيما أبتليت به ـ حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ....»(٤) .

كما كان عمر شديد الخوف من الله تعالى ، تقول زوجه فاطمة بنت عبدالملك : « والله ما كان بأكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم صياماً ، ولكن والله مارأيت أحداً أخوف لله من عمر . لقد كان يذكر الله في فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول : ليصبحَنَّ الناس ولا خليفة لهم »(٥) .

---

(١) الندوي : خامس الراشدين ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الآية ٣٩ من سورة غافر .

(٣) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٧ .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ٤٢ .

وقال مكحول[1] : « لو حلفت لصدقت ، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبدالعزيز »[2] . ولشدة خوفه من الله ، كان غزير الدمع وسريعه ، فقد « دخل عليه رجل وبين يديه كانون فيه نار ، فقال : عظني . قال : يا أمير المؤمنين : ما ينفعك من دخل الجنة ، إذا دخلت أنت النار ، وما يضرّك من دخل النار ، إذا دخلت أنت الجنة ، قال : فبكى عمر حتى طفىء الكانون الذي بين يديه من دموعه »[3] .

وقد كان جلّ خوفه ـ رحمه الله ـ من يوم القيامة ، فيدعو الله ، ويقول : « اللهم إنت كنت تعلم إني أخاف شيئاً دون يوم القيامة ، فلا تؤمن خوفي »[4] ، ذلك اليوم الذي أحدث تغيراً جذرياً في مجرى حياته، بعد أن ذكّره إياه غلام له، أراد ضربه ، فقال له الغلام : « اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة »[5] . ذلك اليوم الذي يقول عنه عمر : « ... لقد عنيتم بأمر ، لو عنيت به النجوم لانكدرت ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لتشققت ، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى أحداهما »[6] .

نعم إن الخوف من الله ، والرؤية الواضحة للحياة ، والفناء والخلود ، والاحساس بيوم الحساب ، والانفعال بمشاهد الجنة والنار ، هي التي تصنع

---

(١) هو أبو عبدالله مكحول بن زيد ، ويقال ابن أبي مسلم بن شاذل بن سند بن شروان بن يغوث بن كسرى الفقيه التابعي، سمع أنس بن مالك، وأبا هند، وواثلة بن الأسقع، وأم أيمن، وغيرهم من الصحابة، وسمع جماعات من التابعين ، طاف الأرض في طلب العلم ، كان فقيهاً عالماً اتفقوا على توثيقه ، سكن دمشق وتوفي بها سنة ١١٨ هـ . (النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١١٣ ، ١١٤) .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢١ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٠ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢٤ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١٦٣ .

(٦) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٣٢ .

المسؤلين ، وتجعلهم يرتعدون خوفاً إن هم انحرفوا قيد شعرة عما يريد الله[1] .

فالوعي والإحساس بيوم الحساب ، وغيرها من الصفات الاعتقادية ، تجعل القائد لا يخطو خطوة ، ولا يقول قولاً ، ولا يفعل فعلاً ، إلا ربط ذلك بما يرضي الله عز وجل ، وتلك الصفات والجوانب لم تعط حقها من البحث والتحري في الدراسات القيادية الحديثة ، وهي في نظرنا أساس النجاح في القيادة ، وأهم الصفات القيادية التي ينبغي للقائد أن يتحلى بها ، وهنا تبرز صفتان أساسيتان فيما يتعلق بصفات عمر الإعتقادية وهما : الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر ، وشدة الخوف من الله والوجل من يوم القيامة .

ثانياً : الصفات السلوكية :

إضافة إلى ما كان عليه عمر ، من الإيمان والتقوى ، والخوف من الله ، والشوق إلى الجنة، وخشية النار ، فقد تحلَّى رحمه الله بصفات وأخلاق المسلم ، تلك الصفات التي لا محالة يتسم بها القائد صاحب القلب الوجل ، والعين الدامعة من خشية الله ، فاتصف بصفات منها : الصدق ، والصبر ، والقناعة ، والحلم والعفو ، والجرأة ، والصراحة والجهر بالحق ، وعلو الهمة والطموح ، هذه الصفات إلى جانب صفات رئيسة ، كانت أكثر وضوحاً في عمر ، هي الزهد ، والورع ، والتواضع ، والحزم ، والعدل ، لتكمل بناء الصفات السلوكية في إطار صفات عمر القيادية ، لذا سنبدأ بالصفات الأولى ، جملة ، ثم يأتي تفصيل الصفات السلوكية الرئيسة :

لقد كان عمر صادقاً يكره الكذب وأهله ، ويحسبه مما يشين المرء ، وأنه ليس بخلق للمسلم . والصدق مأمور به في الكتاب والسنة ، قال تعالى :

(١) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب ، ص ٤٥ .

﴿ قَالَ اللَّهُ هَـذَا يَـوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[1] وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يَهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق ، حتى يُكتَب عند الله صدِّيقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، ومايَزال الرجل يكذب ، ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً »[2] . وذلك ما أدركه عمر .

رُوِي أن الوليد بن عبدالملك قال يوماً لعمر ، وهو يكلمه في شيء : « كذبت » . فقال عمر : « ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه »[3] .

وقال سليمان بن عبدالملك يوماً لعمر : ضرب غلمانك غلماني. فقال عمر: ما علمت هذا قبل مقالتك الآن، فقال سليمان : « كذبت ». فقال له عمر : « تقول لي : كذبت ؟ والله ما كذبتُ منذ شددت عليَّ إزاري »[4] .

وفي ذلك يقين من عمر بأن الصدق نجاة ، وأنه خلق المسلم ، وأن من دواعي الصدق ودوافعه عند المسلم : العقل ، والدين ، والمروءة[5] وعمر رضي الله عنه أولى بذلك .

كما كان عمر متصفاً بصبر المؤمن ، وللصبر أقسام هي[6] : الصبر على امتثال أمر الله واجتناب نواهيه ، والصبر على ما تقتضيه الأوقات ، من الصبر

(١) جزء من الآية ١١٩ من سورة المائدة .

(٢) المنذري : مختصر صحيح مسلم ، ص ٤٧٩ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٥) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ نشر ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

على الجهد والحزن ، والصبر على ما فات إدراكه ، ثم الصبر فيما يُخشى حدوثُه من رهبة يخافها ، والصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها ، وأخيراً الصبر على ما نـزل مـن مكروه . ولقد حث الدين الإسلامي على الصبر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]. وقال عليه الصلاة والسلام : « إن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر »[2].

ولـو نظرنـا إلى سيرة عمر ، لوجدناه قد تمثل ضروب الصبر بدافع الإيمان ، فقد كان يقـول : « مُعَوَّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ، ثم انتزعها منه ، فأعاضه مما انتزع منه الصبر ، إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه »[3] . وقال لمسلمة بن عبدالملك يوم مات عبدالملك بن عمر : « يا مسلمة ! إنما الجزع قبل المصيبة ، فإذا وقعت المصيبة فالْهَ عما فاتك »[4] .

ولقد كان من أجل ما صبر عليه عمر في حياته ؛ أمر الخلافة ، فقد قال : « والله ما قعدت مقعدي هذا إلا خوفاً أن يثبت عليه من ليس بأهل ، ولو أني أطاع فيما أعمل لسلمتها إلى مستحقيها ـ يعني الخلافة ـ ولكني أصبر حتى يأتي الله بأمر من عنده ، أو يأتيَ بالفتح »[5] .

وإلى جانب ذلك كان ـ رحمه الله ـ على قدر كبير من القناعة ، والرضا بالقليل من متاع الحياة ، وكان يوصي الناس بالقناعة والرضا بما قسم الله والاجمال في الطلب فيقول : « اتقوا الله أيها الناس ، وأجملوا في الطلب ، فإنه إن كان لأحد رزق في رأس جبل ، أو حضيض أرض يأته »[6] .

(١) جزء من الآية ١٠ من سورة الزمر .

(٢) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد ، (جزء من حديث) جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٦ ، ص ٥٧٢ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠٦ .

(٥) يحي بن علي بن محمد الحضرمي المعروف بابن الطحان (ت ٤١٦ هـ) : تاريخ علماء أهل مصر ، تحقيق أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٨ .

(٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢٤ .

وكان يرى أن القناعة هي الفقه الأكبر ، وأنه من الضرورة والأهمية بمكان ، وليتعلمه الأبناء ، فقال لرجل بعد أن سأله عن حال ابنه : « علِّمْه الفقه الأكبر ، قال وما الفقه الأكبر ؟ قال : القناعة وكف الأذى »[١] .

وكان الحلم والعفو من صفاته أيضاً ، والحلم هو الأناة والتثبت في الأمر ، وما يلزم من ضبط للنفس عن الغضب ، وكظم للغيظ ، وعفو عن السيئة[٢] .

ومن شواهد حلمه وعفوه أن رجلاً قام إليه ، وهو على المنبر ، فقال : أشهد أنك من الفاسقين ، فما كان من عمر إلا أن قال له : « وما يدريك ؟ وأنت شاهد زور لا نجيز شهادتك »[٣] .

وذات مرة نال منه رجل ، فقيل له ما يمنعك منه ؟ . فقال : « إن التقي ملجم »[٤] .

وروي أنه خرج ليلة ، ومعه حرسي ، فدخل المسجد ، فعثر برَجُلٍ كان نائماً في المسجد، فرفع الرجل رأسه، وقال : أمجنون أنت ؟. قال عمر : لا. فهمَّ به الحرسي، فقال له عمر : « مه ! إنما سألني : أمجنون أنت ؟ فقلت : لا »[٥] .

ومما يدل على حلم عمر وعفوه وصفحه وأناته ، أن دار حديث بينه وبين رجل ، فأسمعه ذلك الرجل كلاماً ، فقال عمر : « أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ، ما تناله مني غداً ـ يعني يوم القيامة ـ ، انصرف رحمك الله »[٦] .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢٦ .

(٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٢، ص ٣٣٧ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٠٨ .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٦) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٢٥٢ .

وكثيراً ما كان رحمه الله يقول : « أفضل القصد عند الجده ، وأفضل العفو عند المقدرة »[1] . وإلى جانب ذلك كان يسعى إلى تحقيق هذه الصفة في عماله ، فقد روي أنه كتب لأحد عماله يُلزمه الأناة والتحري في التحقيق ، فقال : « ... فانظر من قامت عليه البينة ، ومن أقر لك بشيء ، فخذه بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخلِّ سبيله ... »[2] .

ومن صفاته وأخلاقه أيضاً ، الجرأة ، والصراحة ، والجهر بالحق ، فلا يخاف في الله لومة لائم . ولا أدلَّ على ذلك مما دار بينه وبين الخليفة الوليد بن عبدالملك ، عندما عزم على خلع أخيه سليمان بن عبدالملك من العهد بالخلافة ، والعهد إلى ولده حين أطاعه الكثير طوعاً أو كرهاً ، أما عمر بن عبدالعزيز فقد اتخذ موقفاً يدل على جرأته على قول الحق ، وصراحته ، وثقته بنفسه ، وكراهته لنقض العهد ، فكان موقفه الرفض لطلب الخليفة وقال : « يا أمير المؤمنين : إنا بايعنا لكما في عقدة واحدة ، فكيف نخلعه ونتركك ؟ »[3] وأصر على ذلك وقال : « لسليمان في أعناقنا بيعة ، وصمم ، فطيَّن[4] عليه الوليد ، ثم شُفع فيه بعد ثلاث ، فأدركوه قد مالت عنقه »[5] .

وموقف آخر مع سليمان بن عبدالملك ، يدل على جرأته على قول الحق ، حين أخذ رأيه في رجل قال له : يا فاسق ابن الفاسق ، فسكت عمر ، فقال : عزمت عليك لتخبرني ، ماذا ترى عليه ، قال عمر : « أرى عليه أن تشتمه كما

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ١٧٣ .
(٢) الآجري : أخبار أبي حفص ، ص ٧٨ .
(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ٥٢ .
(٤) طيَّن الحائط أو البيت : طلاه بالطين (أي أدخله حجرة وسد منافذها بالطين) ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٢٧٠) .
(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٣ .

شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك »[1] . ومثل ذلك الموقف حدث مع الوليد بن عبدالملك[2] . وإن كان هذا دأبه مع الخلفاء ، وبخاصة الوليد وسليمان ابنا عبدالملك ، فإنه حتماً سيكون كذلك مع الآخرين سواء من الأمراء والعمال أم عامة الناس .

أما علو الهمة والطموح فإنه بالإضافة إلى ما تشهد لعمر أعماله ، بأنه يتصف بعلوّ الهمة ، والطموح والرغبة في الأفضل ، قد اعترف بنفسه بذلك ، حين قال : « إن لي نفساً توّاقة[3] ، لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم ، إلى العربية والشعر ، فأصبت منه حاجتي ، وما كنت أريد ، ثم تاقت نفسي إلى السلطان ، فاستُعمِلت على المدينة ، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان ، إلى اللبس والعيش الطيب فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم ، كانوا في مثل ما كنت فيه ، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة ـ يقصد الجنة ـ والعمل بالعدل ، فأنا أرجو أن أنال ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي ، فلست بالذي أُهْلِكُ آخرتي بدنياهم »[4] .

ولم يكن ذلك إلا لعلو همته ، واتساع مداركه ، ونتيجة للطموح الجاد الذي تتصف به نفس عمر التقية المؤمنة ، فلم يزل يتدرج في تحقيق المعالي ، من العلم إلى الإمارة ، ثم الخلافة ، وتحقيق أهدافها الكبرى ، وإحياء الحق ، وإماتة الباطل ، وإقامة العدل ، بين الناس ، مبتغياً بذلك مرتبة أعلى وأعظم ، راغباً في جنات النعيم ، مشتاقاً إلى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

---

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٧٩ .

(٢) انظر ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥١ .

(٣) النفس التواقة : هي : النفس المشتاقة للشيء ، وتاقت : اشتاقت ونازعت عليه (الفيومي : المصباح المنير ، جـ ١ ، ص ٧٨) .

(٤) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٣٢ .

قلب بشر ، وذلك أعظم ما في الدنيا والآخرة ، متبعاً ما قاله الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ رب قد آتيْتَني مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَني مِنْ تَأْويلِ الأحَاديثِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين ﴾[1] . ومصدقاً قول رسول الله ﷺ : « إن الله كريم يحب الكرم ، ومعالي الأمور ويبغض أو قال : يكره سفسافها »[2] . ومتمثلاً قول جده الفاروق رضي الله عنه إذ قال : « لا تَصْغُرَنَّ هِمَمُكم ، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صِغَر الهمم »[3] وذلك ما يتطلبه الأمر للقائد المسلم وللمسلمين عامة .

وإضافة إلى ما سبق من صفات عمر السلوكية ، التي نسعى للتعرف عليها ، فإن هناك صفات سلوكية أساسية في شخصيته القيادية . ولما لكل منها من أهمية ، حيث كان شأنها عند عمر جلياً وتحلّيه بها واضحاً ، ألا وهي : الزهد ، والتواضع ، والورع ، والحزم ، والعدل ، لذا فإننا سنأتي على كل منها بشيء من التفصيل :

١ ـ الزهـــد :

الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا ، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة[4] . وأول الزهد ، الزهد في الحرام ، ثم الزهد في المباح ، وأعلى مراتب الزهد أن تزهد في الفضول وكل مالك عنه غنى[5] . وقد كانت صفة الزهد من

(١) الآية ١٠١ من سورة يوسف .

(٢) محمد بن عبدالله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) : المستدرك على الصحيحين في الحديث ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٣) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٣٠٧ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

(٥) أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي (ت ٣٤٠ هـ) : الزهد وصفة الزاهدين ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، طنطا ، دار الصحابة للتراث ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

الصفات الأساسية التي اتصف بها عمر ، فقد كان ملتزماً بتلك الصفة ، قولاً وعملاً ، حتى قال مالك بن دينار[1] : « إن الزهد بعد المقدرة . قيل له : أنت زاهد قال : كيف أكون زاهداً ولي جُبَّة وكساء ؟ إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز، أتته فتركها »[2] .

وقد كلفه التزامه تلك الصفة ، البعد الكلي والتام عن كل مظاهر الدنيا ، وزخرفها وزينتها ، ونعيمها ، رغم تمكنه منها ، ففي رواية لابن عبدالحكم يقول : « ولم يُحدِث عمر بن عبدالعزيز منذ وليَ دابةً ، ولا امرأةً ، ولا جاريةً حتى لحق بالله ، ولم يُر عمر مغتراً ضاحكاً منذ ولي الخلافة حتى لقي الله ، ... وما اغتسل من جنابة حتى مات »[3] .

وإذا كان من أنواع الزهد كما يقول ابن الأعرابي : الزهد في الرئاسة ، والمحاسنة ، والمحادثة ، والمعاشرة[4] . فإن عمر قد تمثل ذلك كله ، فكان من إعراضه وزهده في أمر الخلافة أن قال لرجاء بن حيوة : « إني أرى أمير المؤمنين ـ سليمان بن عبدالملك ـ في الموت ، ولا أحسبه إلا سيعهد ، وأنا أناشدك الله إن ذكرني بشيء من ذلك إلا صددته عني ، وإن لم يذكرني أن لا تذكرني له في شيء من ذلك »[5] . وليس ذلك فحسب ، فقد أقسم أنه ليس راغباً في الخلافة ، ولكنَّ هناك سبب دفعه إلى ذلك إذ قال : « والله ما قعدت

---

(١) هو أبو يحي مالك بن دينار البصري الزاهد التابعي ومولى إمرأة من بني ناجيه ، سمع مالك بن أنس والحسن البصري ومحمد بن سيرين والقاسم بن محمد وسعيد بن جبير وآخرين من الأئمة ، وثقه النسائي ، توفي سنة ١٢٣ هـ وقيل ١٢٩ هـ . (النووي: تهذيب الأسماء واللغات، جـ ٢، ص ٨٠، ٨١) .

(٢) ابن الأعرابي : الزهد وصفة الزاهدين ، ص ٣٩ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٤ .

(٤) ابن الأعرابي : الزهد وصفة الزاهدين ، ص ٣٩ .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠ .

مقعدي هذا إلا خوفاً أن يثبت عليه من ليس بأهل ...»[1] وهذا مؤشر واضح على أن عمر كان زاهداً ، حتى في توليه منصب الخليفة ، الذي كان القتال يوماً بين المسلمين من أجله . ولكن الله قدّر أن يلي عمر الخلافة ، فأعرض عن مظاهرها ، إذ قُرِّبت إليه المراكب فتركها ، وخرج يتلمس بغلته ، ونصبت له السرادقات والحجر ، فقال : « يا مزاحم ، ضم هذه إلى أموال المسلمين »[2] .

أما زهده في جمع المال فيروي ابن الجوزي أن عمر « لما استخلف بكى ، وقال يا قلابة ـ لأحد الحاضرين ـ : هل تخشى عليٍّ ؟ قال: كيف حبك الدرهم ؟ قال : لا أحبه . قال : فلا تخف ؛ إن الله سيغنيك »[3] .

وعلى النقيض ممن يلي منصباً في وقتنا الحاضر ، فقد كانت غلته حين استخلف أربعين ألف دينار ، ثم أصبحت حين توفي أربعمائة دينار ، ولو بقي لنقصت[4] . حيث لم يرتزق[5] رحمه الله من بيت مال المسلمين شيئاً[6] .

وقد بلغ به الزهد درجة رفيعة جعلته يكره البناء ، فقد قال : « إني أعطيت الله عهداً ، إن وليت هذا الأمر أن لا أضع لبنة على لبنة ، ولا آجرة[7] على آجرة »[8] .

---

(1) ابن الطحان الحضرمي : تاريخ علماء أهل مصر ، ص ٣٨ .

(2) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٣٣ .

(3) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٠ .

(4) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .

(5) إن عدم ارتزاق عمر من بيت مال المسلمين يأتي في إطار زهده ، وامتلاكه ما يفي بحاجته من قبل ، وإذا كانت الإدارة الحديثة تجعل من الأجر أمراً هاماً ، وضرورياً لدفع الفرد للعمل ، فإن عمر قد أدرك هذا الجانب ، فكان يغدق على عماله وولاته ما يسد به حاجتهم ، ويمنعهم عن التفكير في الإنشغال بالتجارة عن أمور المسلمين ، لذا فلا تناقض بين موقف الإدارة الحديثة وموقف عمر .

(6) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٦ .

(7) الآجرة والآجر هو طبيخ الطين وهو ما يبني به (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ١١) .

(8) ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ١٨٦ .

وكان خليفة المسلمين وقائدهم عمر متقشفاً في طعامه وملبسه ، فكان طعامه العدس . دخل غلاماً لعمر يوما على مولاته فغدته عدساً ، فقال : كل يوم عدس ؟ قالت : « يابني ، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين »[1] .

وكان لا يملك إلا قميصاً واحداً ، فقد قال عمر لمسلمة بن عبدالملك ، حين ألح على فاطمة زوج عمر بأن تعطيه قميصاً يُلبسه إياه في مرضه ، فإن الناس يدخلون عليه : « دعها يا مسلمة ، فما أصبح ولا أمسى لأمير المؤمنين ثوبٌ غير الذي يُرى عليه »[2] .

ذلك هو قائد الأمة الإسلامية وتلك هي حاله ، بعد أن كان من أعظم أمراء بني أمية تنعماً وترفهاً ، إذ أصبح من زهاد زمانه بل أزهدهم ، فكان يقول : « إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلاً وتُحزِن طويلاً »[3] .

وذلك هو حال من أراد الآخرة بالدنيا ، وتلك هي نظرته ، فإن كان عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه قد وصل إلى مرحلة متقدمة من الزهد ، والتحلي بصفات الزاهدين ، وذلك ما لا يستطيع الوصول إليه أصحاب العيش في الظروف المادية في وقتنا الحاضر ، الذي طغت المادة فيه على كل شيء في الحياة ، وأصبح الناس يقيسون بعضهم البعض بما يملك من الدنيا وحطامها ، فإن حسبنا من قادة ومدراء هذا العصر المادي إن لم يتصفوا بصفة الزهد ، وعلى أقل تقدير ، أن يكفوا أنفسهم عن الطمع والجشع ، وأن يسعوا إلى الكسب الحلال وأن يعملوا على قهر رغباتهم الدنيوية ، لينالوا ما تاقت إليه نفس عمر بن عبدالعزيز إلى ما هو أسمى من الدنيا ... إلى جنات النعيم .

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ١٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : عمر بن عبدالعزيز ، تقديم وتعليق أحمد الشرباصي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ نشر ، (ط ٣)، ص ٧٣ .

٢ ـ التواضـــع :

قال رسول الله ﷺ : « ... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[١] ، والتواضع لله : الخشوع والذل له[٢] .

وهذه الصفة الحميدة كانت إحدى الصفات الأساسية التي تميز بها عمر بن عبدالعزيز ، فقد أدى زهد عمر إلى تواضعه ، لأن شرط الزهد الحقيقي هو التواضع لله[٣] . وقد كان تواضع عمر في جميع أمور حياته ومعاملاته ، فذلك ما يتطلبه الأمر من قائد خاف الله ، ورجا ما عنده ، وأراد الطاعة والولاء من رعيته .

ومما يذكر من تواضع عمر جوابه لرجل ناداه : ياخليفة الله في الأرض ، إذ قال له عمر : « مه ! إني لما وُلِدت أختار لي أهلي اسماً فسموني عمر ، فلو ناديتني : يا عمر، أجبتك . فلما كبرت اخترت لنفسي الكُنى فكُنيت بأبي حفص، فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتك . فلما وليتموني أموركم سميتموني: أمير المؤمنين، فلو ناديتني يا أمير المؤمنين أجبتك. وأما خليفة الله في الأرض، فلست كذلك ، ولكن خلفاء الله في الأرض داوود النبي عليهما السلام وشبهه »[٤] ، مشيراً إلى قوله تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾[٥] .

ومن تواضعه أن نهى الناس عن القيام له . فقال : « يامعشر الناس : إن تقوموا نقم ، وإن تقعدوا نقعد ، فإنما يقوم الناس لرب العالمين ، وكان يقول للحرس : لا تبتدئوني بالسلام ، إنما السلام علينا لكم »[٦] .

(١) المنذري : مختصر صحيح مسلم ، ص ٤٧٥ .

(٢) الفيومي : المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ٦٦٣ .

(٣) الزحيلي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٦ .

(٥) جزء من الآية ٢٦ من سورة ص .

(٦) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

وكان متواضعاً حتى في إصلاح سراجه بنفسه، فقد « كان عنده قوم ذات ليلة في بعض ما يحتاج إليه، فغشي سراجه، فقام إليه فأصلحه . فقيل له : يا أمير المؤمنين ألا نكفيك ؟ قال : وما ضرني ؟ قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبدالعزيز »[١] .

ومن تواضعه أيضا ، أن قال يوماً لجارية له : « يا جارية روِّحيني ، قال : فأخذت المروحة ، فأقبلت تروحه ، فغلبتها عينها فنامت ، فانتبه عمر . فإذا هو بالجارية قد أحمرَّ وجهها ، وقد عرقت عرقاً شديداً ــ وهي نائمة ــ فأخذ المروحة وأقبل يروحها ، قال : فانتبهت ، فوضعت يدها على رأسها فصاحت ، فقال لها عمر : إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحر ما أصابني ، فأحببت أن أروحك مثل الذي روحتني ...»[٢] .

وكان من فرط تواضعه ــ رحمه الله ــ أنه لا يكثر الكلام ، خشية المباهاة أمام الناس ، فيقول : « إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة »[٣] .

وبذلك كان عمر رحمه الله مدركاً أن الكبر يكسب المقت ويلهي ، عن التآلُّف ، ويوغر صدور الإخوان ، وأن الإعجاب بالنفس يخفي المحاسن ، ويظهر المساوىء ، ويكسب المذام ، ويصد عن الفضائل ، وإن التواضع في الشرف أشرف من الشرف[٤] .

وقد أكد ذلك المعنى في نفسه عندما دس سالم ــ أحد إخوان عمر في الله ــ إليه أحد أهله ليقول له : إن فيك كبراً ، وحين قيل له ذلك قال : قل له : « ليس

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٩ .

(٢) الآجري : أخبار أبي حفص ، ص ٨٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٤) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٣ .

ما ظننت إن كنت تراني أتوقي الدينار والدرهم مراقبة لله عز وجل ، وأنطلق إلى أعظم الذنوب فاركبه ، الكبرياء إنما هو رداء الرحمن أفأنازعه إياه ...»[1] .

ونحن إذ نورد هذه المواقف ، ليس لنعلم أن عمر كان متواضعاً فحسب ، بل لنقتبس من تلك المواقف دروساً ، ونماذج للقيادة الإدارية بعامة ، والتربوية بخاصة ، ليكون عمر مثلاً لنا في تواضعه ، وكيف يمكن تبني ذلك التواضع . وهذا ما سيأتي في حينه إن شاء الله .

٣ ـ الـــورع :

الورع هـو الكف ، والوَرِع هـو الرجل التقي المتحرِّج ، والوَرَع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج منها ، ثم استعير للكف عن الحلال والمباح[2] ، روي أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا هريرة : كن ورعاً ، تكن أعبد الناس ...»[3] . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق »[4] .

والورع إحدى صفات عمر السلوكية التي تحلي بها في حياته، وبخاصة عقب توليه الخلافة ، وإن كان عمر رضي الله عنه قد تورَّع عن المحرمات ، فإنه أيضاً تورع عن الحلال والمباح ، وتورَّع عن صغائر الأمور ، مبتغياً في ذلك ما عند الله عز وجل ، وحرص على أن يكون ذلك دأب عماله وولاته ورعيته ، فلم

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ) : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، تحقيق عبدالقادر بدران ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٩٩ هـ ، جـ ٦ ، ص ٤٨ ، ٤٩ . (لم يكتمل طبعه ، والموجود سبعة أجزاء والباقي لا يزال مخطوطاً إذ طبع تراجم من تبدأ أسماؤهم بحرف الألف حتى بداية حرف العين ، ولم تكن ترجمة عمر بن عبدالعزيز مما تم طبعه) .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٣٨٨ .

(٣) محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة (ت ٢٧٥ هـ) : سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥ هـ ، جزء من حديث ، جـ ٢ ، ص ١٤١٠ .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤١٠ .

يكن ورعه مقصوراً على ذاته ، كما يفعله كثير من الزهاد ، بل كانت سياسة عامة ، كان يريد تطبيقها تطبيقاً دقيقاً على الدولة ورجالها ، فكان يطلب منهم ويعزم عليهم أن يكونوا متورعين في أموال المسلمين ، لا ينفقون منها إلا بالقدر اللازم[١] .

وللدلالة على ما كان يتصف به عمر من الورع . وتحري السلامة من الشبهات . فقد روي أنه كان « يعجبه أن يتأدم بالعسل ، فطلب من أهله يوماً عسلاً فلم يكن عنده ، فأتوه بعد ذلك بعسل ، فأكل منه فأعجبه ، فقال لأهله : من أين لكم هذا ؟ قالت امرأته بعثت مولاي بدينارين على بغل البريد ، فاشتراه لي ، فقال : أقسمت عليك لما أتيتني به ، فأتته بُعكَّة[٢] فيها عسل ، فباعها بثمن يزيد على الدينارين ، ورد عليها رأس مالها والقى بقيته في بيت مال المسلمين ، وقال : أنصبت دوابَّ المسلمين في شهوة عمر »[٣] .

ومن ورعه أنه « كان له غلام يأتيه بقمقم[٤] من ماء مسخن ، يتوضأ منه، فقال للغلام يوماً : أتذهب بهذا القمقم إلى مطبخ المسلمين ، فتجعله عنده ، حتى يسخن ، ثم تأتي به ؟ قال : نعم أصلحك الله . قال : أفسدته علينا ، قال : فأمر مزاحماً أن يغلي ذلك القمقم ، ثم ينظر ما يدخل فيه من الحطب ، ثم يحسب تلك الأيام ، التي كان يغليه فيها ، فيجعله حطباً في المطبخ »[٥] .

---

(١) الندوي : خامس الراشدين ، ص ١٨ .

(٢) العكة : وعاء من جلد ماعز يدبغ ويخصص للسمن والعسل وتجمع على عُكَك وعِكَاك . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٠ ، ص ٤٦٨ ، ٤٦٩) .

(٣) الآجري : أخبار أبي حفص ، ص ٥٤ .

(٤) القمقم : هو ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويقال له أيضا : القُمْقُمة . (ابن منظور : لسان العرب، جـ ١٢ ، ص ٤٩٥) .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٠ .

ومن ورعه أيضاً أن « كانت لفاطمة بنت عبدالملك امرأة عمر جارية ، فبعثت بها إليه ، وقالت : إني كنت أعلم أنها تعجبك وقد وهبتها لك ، فتناول منها حاجتك . فقال لها عمر : اجلسي ياجارية ، فوالله ما شيء من الدنيا كان أعجب إليَّ أن أناله منك ، فأخبريني بقصتك ، وما كان من سببك ؟ قالت : كنت جارية من البربر ، جنى أبي جناية ، فهرب من موسى بن نصير عامل عبدالملك على إفريقية ، فأخذني موسى بن نصير فبعث بي إلى عبدالملك ــ الخليفة ـ فوهبني عبدالملك لفاطمة ، فأرسلت بي إليك . فقال : كدنا والله أن نفتضح ، فجهزها وأرسل بها إلى أهلها »[1] .

ولقد كان عمر ورعاً حتى في الكلام ، فقد قيل له : « ما تقول في أهل صفين ؟ قال : تلك دماء طهر الله يدي منها ، فلا أحب أن أُخضب لساني بها »[2] .

وهكذا يتضح لنا أن ورع عمر كان في شأنه كله ، في مأكله ، وحاجته ، وشهوته ، ومال المسلمين . وقد تورع حتى في الهدايا ، وقال : إنها لغير رسول الله ﷺ رشوة[3] . وكذلك كان يتحرج في شم مسك الفيء[4]، تقوى منه وورعاً ، فليس له في مال المسلمين إلا ما لأي مسلم فيه .

وما روي عن ورع عمر كثير ، وفي كافة أمور حياته ، ذلك الورع النابع من الإيمان القوي ، والشعور بالمسؤولية واستحضاره الآخرة ، الذي كان من صفات عمر الجلية ، فقد بلغ به مبلغاً جعله يشتري مكان قبره الذي سيوارى فيه ، فلا يكون له من الدنيا شيء دون مقابل حتى موضع قبره ، فقد روى ابن

---

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٩٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

عبدالحكم أن « عمر بن عبدالعزيز قد اشترى موضع قبره بعشرين ديناراً ، وقيل : بعشرة دنانير »(١) .

تلك صفة تميز بها عمر ، كانت من أهم ما تحلى به رحمه الله .

٤ ـ الحـــزم :

الحزم في اللغة : ضبط الإنسان أمره والأخذ فيه بالثقة ، والرجل الحازم هو : العاقل المميز ذو الحنكة ، وحَزَم الشيء يحزمه حزماً : شدَّه(٢) .

والحزم من الصفات المتفق على أهميتها بل ضرورة توفرها في القائد ، في نظر الإدارة قديماً وحديثاً على حدٍّ سواء .

ولقد اتسم عمر بن عبدالعزيز بهذه الصفة ، في وقت أكثر ما يكون فيه أمر الأمة والخلافة في حاجة إلى الحزم ، وبخاصة فيما يتعلق بالولاة والأمراء والعمال ، وللدلالة على تحلِّي عمر بصفة الحزم وضبط الأمور ، وعدم التهاون فيما يراه ضرورياً لخدمة الصالح العام ، وما يصلح به أمر المسلمين ، نقول :

لقد أخذ حزم عمر بن عبدالعزيز صوراً مختلفة ، ومجالات عدة ، فكان حازماً مع أعداء الإسلام ، وكان كذلك مع أمراء وشرفاء بني أمية ـ حتى مع ابن الخليفة سليمان بن عبدالملك الذي عهد إليه بالخلافة ـ حين يخرجون عن الجادة ، ويطلبون ما لا يتفق مع قيم الحق والعدل ، التي يسعى لتحقيقها بين أبناء الأمة الإسلامية ، كما كان حازماً مع من يريد شق عصا المسلمين والخروج على جادتهم وإثارة الفتن وسفك الدماء ، ثم كان حازماً أيضاً في أمر يمس دين المسلمين ، وله أثر في إفساد الفرد والمجتمع المسلم ، ألا وهو الخمر

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٥ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ١٣١ .

والنبيذ ، وتهاون الناس في أمره ، وتسميته بأسماء يقولون لا بأس عليهم في شربها ، ذلك ما سنورد عليه الشواهد من باب التدليل لا الحصر .

كان أول مؤشر على حزم عمر موقفه من بني مروان، إذ قال لهم : « أدوا ما في أيديكم ولا تُلجئوني إلى ما أكره فأحملكم على ما تكرهون ! فلم يجبه أحد منهم . فقال : أجيبوني فقال رجل منهم : والله لا نخرج عن أموالنا التي صارت إلينا من آبائنا ، فنُفَقِّر أبناءنا ، ونُكَفِّر آباءنا ، حتى تزايل رؤوسنا ، فقال عمر : أما والله لو لا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحق له ، لأضرعت خدودكم عاجلاً ، ولكني أخاف الفتنة : ولئن أبقاني الله لأردُنَّ إلى كل ذي حق حقه إن شاء الله![1] » .

نعم لقد عزم على ردّ حقوق الناس التي عند بني مروان دون تهاون ، ولكن ليس بما يشق عليه الأمر ، بل بتروٍّ وبصيرة . وهو كذلك مع بني أمية أشرافاً وأمراء ، حازماً شديداً على الحق حريصاً عليه ، فقد كان إذا نظر إلى بعض بني أمية قال : « إني أرى رقاباً ستَرَدُّ إلى أربابها »[2] وكأنه بهذا القول يُشعر بني أمية ، بأنه سيكون حازماً معهم حزماً قد يستخدم فيه حد السيف ، إن أجبروه على ذلك . وفي المجال ذاته يروي ابن الجوزي تحت عنوان ، كان إذا وقع في أمر مضى فيه ، أنه « أتى عمر بن عبدالعزيز كتاب من بعض بني مروان ، فأغضبه ، فاستشاط[3] ثم قال : إن الله من بني مروان يوماً ــ وقيل ذبحاً ــ وأيم الله ، لئن كان ذلك الذبح على يدي . فلما بلغهم ذلك ، كفوا وكانوا يعلمون صرامته ، وأنه إذا وقع في أمر مضى فيه »[4] .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) استشاط الرجل: أي احتدّ واحتدم كأنه التهب في غضبه (ابن منظور : لسان العرب، جـ ٧، ص ٣٢٩).

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٥ .

وفي موقف آخر فيه دلالة على حزم عمر ، وأنه لا يعمل لغير الله ، وأنه لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولو كان على غير ذلك ، فإن ابن الخليفة الذي عهد إليه بالخلافة ـ سليمان بن عبدالملك ـ كان أولى بالمحاباة ، ولكنه رحمه الله رأى الحق ، فآثره على غيره ، وأدرك أن الحزم في مثل هذا الأمر لابد منه ، ليأخذ الحق لأصحابه ، وتطمئن الأمة بالعدل ، الذي جعله الله أحد نواميس الكون . روى ذلك الموقف الأصبهاني فيقول : « قال ابن سليمان بن عبدالملك لمزاحم (مولى عمر) : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ، قال فاستأذنت له ، فقال : أدخله ، فأدخلته على عمر ، فقال ابن سليمان : يا أمير المؤمنين علام تردُّ قطيعتي ؟ قال : معاذ الله أن أرد قطيعة صحت في الإسلام . قال : فهذا كتابي وأخرج كتاباً من كمه ، فقرأه عمر ، فقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال للفاسق ابن الحجاج[1]. قال عمر : فهو أولى بماله ، قال : فإنها من بيت مال المسلمين ، قال : فالمسلمون أولى بها ، قال : يا أمير المؤمنين ردَّ على كتابي ، قال : لو لم تأتني به لم أسألكه، فأما إذ جئتني به فلا ندعك تطلب بباطل . قال: فبكى ابن سليمان ، قال مزاحم: فقلت : يا أمير المؤمنين ! ابن سليمان اللاطىء[2] الحب ، اللازق بالقلب ، تصنع به هذا ؟ قال ويحك يا مزاحم ، إنما هي نفسي أحاول عنها ، وإني لأجد له من اللَّوط ما أجد لولدي »[3] .

هكذا كان عمر مع بني أمية ـ فإذا كان هذا دأبه مع أهله وذويه ، فمن الأولى أن يكون كذلك مع غيرهم ـ وإنني لأجد في مقولة لمسلمة بن عبدالملك الملك شهادة صريحة بليغة ، توحي بحزم عمر بل وصرامته مع بني أمية إذ

---

(١) لم أعثر على ما يدل هل هو ابن للحجاج بن يوسف ، أم أنه لقب أو اسم لشخص آخر .

(٢) لاط الشيء بالشيء : لصق به، ولاط الشيء بالقلب لوطاً وليطاً يعني الحب اللازق بالقلب ، أو اللاصق به ، واللاطىء الحب : لاصق الحب ، واللَّوط : الحب . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٣٩٥) .

(٣) الأصبهاني : لية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ ٥ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

يروي ابن عبدربه ، أنه : « لما مات عمر بن عبدالعزيز، قعد مسلمة على قبره ، فقال : أما والله ما أمنت الرّق حتى رأيت هذا القبر »[1] .

كما تميزت مواقف عمر مع الروم وغيرهم بالحزم والصرامة ، التي لا تقبل المداهنة حتى بلغ الأمر بملكهم أن يجيب طلب عمر بعد وفاته ، فضلاً عن حياته، فقد حدث أن « أرسل عمر بن عبدالعزيز إلى صاحب الروم رسولاً فأتاه، وخرج من عنده يدور ، فمرّ بموضع ، فسمع فيه رجلاً يقرأ القرآن ويطحن ، فأتاه فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم سلم عليه فقال له : وأنى بالسلام في هذا البلد ؟ . فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم . فقال له : ما شأنك ؟ فقال : إني أُسرت من موضع كذا وكذا . فأُتي بي إلى صاحب الروم فعرض عليّ النصرانية ، فأبيت ، فقال لي : إن لم تفعل سَمَلت[2] عينيك . فاخترت ديني على بصري فسَمَل عينيّ ، وصيّرني في هذا الموضع ، يرسل إليّ كل يوم بحنطة فأطحنها ، وبخبزة فآكلها . فلما سار الرسول إلى عمر بن عبدالعزيز أخبره خبر الرجل ، قال فما فرغت من الخبر حتى رأيت دموع عمر قد بلت ما بين يديه . ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم : أما بعد : فقد بلغني خبر فلان بن فلان ، فوصف له صفته ، وأنا أقسم بالله : لئن لم ترسله إليّ لأبعثن إليك من الجنود جنوداً ، يكون أولها عندك ، وآخرها عندي ، فلما رجع إليه الرسول قال : ما أسرع ما رجعت ! فدفع إليه كتاب عمر بن عبدالعزيز ، فلما قرأه قال : ما كنا لنحمل الرجل الصالح على هذا ، بل نبعث إليه به . فأقمت أنتظر متى يخرج به ، فأتيته ذات يوم ، فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره ، أعرف فيه الكآبة. فقال: تدري لم فعلت هذا ؟ فقلت : لا ـ وقد أنكرت ما رأيت ـ فقال : إنه قد أتاني من بعض أطرافي أن الرجل الصالح قد مات ، فلذلك فعلت

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ .

(٢) سَمَلَ العين: فقؤها بحديدة محماة أو شوكة أو غير ذلك، (ابن منظور: لسان العرب، جـ ١١، ص ٣٤٧) .

ما رأيت . ثم قال : إن الرجل الصالح إذا كان بين القوم السوء ، لم يُترك بينهم إلا قليلاً ، حتى يخرج من بين أظهرهم . فقلت له : أتأذن لي أن أنصرف ؟ ـ وأيست من بعثه الرجل معي ـ فقال : ما كنا لنجيبه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته . فأرْسَلَ معه الرجل »[1] .

نعم هكذا كان عمر مع من يستخدم المسلمين ويجبرهم على النصرانية ، حازماً صارماً في القول ، وفي العمل لو أضطر إلى ذلك .

أما فيما يتعلق بمن يريد شق عصا المسلمين والخروج عليهم ، فقد اتبع معهم أسلوب الحوار والمناظرة ـ وهم الخوارج الذين ثاروا ضد بني أمية ، بقيادة شوذب الخارجي سنة ١٠٠ هـ ـ ليقف على ما دفعهم إلى ذلك ، ويرى إن كان الحق معهم نظر في أمره ، وإلا فليدخلوا فيما دخل فيه الناس . إلا أنه في الوقت ذاته قرن إجراءاته تلك بشيء من الحزم والصلابة ، عندما يصل الأمر إلى مرحلة سفك دماء المسلمين أو الافساد ، إذ كتب إلى عامله على العراق يقول : « ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحُل بينهم وبين ذلك ، وأنظر رجلاً صليباً حازماً فوجهه إليهم ، ووجه معه جنداً ، وأوصه بما أمرتك به »[2] .

ودليل آخر على حزم عمر ، وفي مجال آخر له علاقة بالدين ، والمحافظة على سلامة أفراد المجتمع ، وما قد يجر إلى انتشار الخمر والنبيذ[3] ، وأشربة مُسكرة مُفسِدة للدين والخلق ، فكتب ينهَى ويحذر من ذلك ، ومن تسمية هذه

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

(٣) النبيذ : هو ما يعمل من الأشربة من التمر ، والزبيب ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، وغير ذلك حين ينبذ في الماء حتى يصير نبيذاً . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٥١١) .

الأشربة بأسماء يستحلون بها شُربها ، وأوضح ضمن ما أوضح ، في كتاب لعماله : تحريم الخمر والنبيذ ، وأنه لا خير فيه للمسلمين(1) . ثم لمس تهاوناً من أهل مصر ، فكتب إلى أيوب بن شرحبيل ـ وَاليه على مصر ـ وإلى أهل مصر كتاباً، أوضح فيه تأكيد الإسلام على تحريم الخمر ، والنبيذ والطلاء(2) ، ويوضح أضراره والمفاسد التي يجرها ثم يختم الكتاب بشيء من الشدة والحزم، والتذكير بأن عقوبة الله وحسابه أشد من كل عقوبة وحساب ، وأن الله على كل شيء رقيب ، وبكل شيء عليم ، فقال : « ... فإنا من نجده يشرب منه شيئاً ، بعد تقدُّمِنا إليه فيه ، نوجعه عقوبة في ماله ونفسه ، ونجعله نكالاً لغيره ، ومن يستخف بذلك منا ، فإن الله أشد عقوبة وأشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وقد أردت بالذي نهيت عنه من شرب الخمر، وما ضارع(3) إليه من الطلاء، وما جُعل في الدُّبَّاء والجِرار والظروف المزفتة(4) اتخاذ الحجة عليكم اليوم، وفيما بعد اليوم، فإنه من يُطع يكن خيراً له ، ومن يخالف ما نُهي عنه نعاقبْه في العلانية، ويكفينا الله ما أسر ، إنه على كل شيء رقيب ، والله على كل شيء شهيد ...»(5) .

وإذا أمعنا النظر في المواقف والإجراءات التي تحلى فيها عمر بصفة

---

(1) أورد نص الكتاب كاملاً ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٨ ــ ٨٣ ، وكان هذا الكتاب شاملاً لأمور كثيرة .

(2) الطلاء هنا : ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وكان بعض العرب يسمي الخمر الطلاء ، يريد بذلك تحسين إسمها ، إلا أنها الخمر تكنى بالطلاء . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٥ ، ص ١١) .

(3) ضارع : شابه ، والمضارعة : المشابهة والمقاربة والمماثلة للشيء (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٢٢٣ .

(4) الدباء : هو القرع ، وهو وعاء ، والجرار : جمع جرّة وهي إناء من خزف كالفخار ، والظرف وعاء كل شيء حتى الإبريق ظرف لما فيه ، والزفت : هو القار ، ومزفتة : مطلية بالزفت (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٤ ، ص ٢٤٩ ــ جـ ٤ ، ص ١٣١ ــ جـ ٩ ، ص ٢٢٩ ــ جـ ٢ ، ص ٣٤ ، على التوالي) . وجميعها أوعية كان العرب ينتبذون فيها العسل والعنب والشعير وغيرها .

(5) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٨٦ ، ونص الكتاب كاملاً بالمصدر نفسه ، ص ٨٣ ــ ٨٦ .

القائد الحازم ، فسوف نجد أنها جميعاً أموراً على درجة كبيرة من الأهمية والحساسية ، وتهم الأمة الإسلامية جمعاء ، فلم تكن صرامته وحزمه في أمر يخصه هو أو يعود عليه بالنفع لذاته ، وإنما الفائدة للإسلام والمسلمين ، وذلك ما تميز به حزم عمر ، فكان حازماً في أوقات ومواقف كان الحزم فيها أفضل ما يكون ، حتى كان لذلك الحزم مردوداً إيجابياً كبيراً على سير الأمور ، وتنفيذ ما كان يسعى لتحقيقه من العدل والطمأنينة والخلافة الراشدة .

٥ ـ العـــدل :

العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجَوْر ، والعدل : عدم الميل والجور في الحكم[1] . قال الله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[2] . « ولقد أجمع العلماء قاطبة على أنه ـ أي عمر بن عبدالعزيز ـ من أئمة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين »[3] .

لذا فإن صفة العدل من أبرز صفات عمر بن عبدالعزيز القيادية على الإطلاق ـ شأنه في ذلك شأن جده لأمه عمر الفاروق رضي الله عنه ـ تلك الصفة التي كانت محور نجاح عمر في قيادته ، فأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل ، فالعدل نظام كل شيء[4] .

ولعل عدل عمر في أهم أسبابه يرجع إلى إيمانه بأن العدل أحد نواميس الله في كونه ويقينه التام بأن العدل ثمرة من ثمرات الإيمان ، وأنه من صفات المؤمنين المحببين لقواعد الحق . وإلى إحساس عمر بوطأة الظلم للناس في

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٤٣٠ .

(٢) الآية ١٨١ من سورة الأعراف .

(٣) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٠ .

(٤) ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ، ص ٥٣ .

خلافة من سبقه من الخلفاء والأمراء الأمويين ، بالإضافة إلى السبب الأهم وهو : ما أمر الله به من العدل والإحسان ، وأنهما من الأسس العامة لأحكام الشرائع السماوية ، وما نماه الإسلام في نفس عمر ، من حب للعدل وإحياء لقيمه ، قال رسول الله ﷺ : « إن أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة ، وأقربهم إليه مجلساً إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشد عذاباً ، إمام جائر »(١) .

ولقد كان أول ما بدا من رغبة عمر في السير بالعدل في الناس ، أن كتب للحسن البصري ، حين ولي الخلافة ، يطلب منه أن يصف له الإمام العادل ، فكتب الحسن لعمر يقول : « الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصَفَة كل مظلوم ، ومَفْزع كل ملهوف ، الإمام العادل كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، الإمام العادل كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلمهم كباراً .

والإمام العادل كالأم الشفيقة ، البرة الرفيقة بولدها ، الإمام العادل وصي اليتامى ، وخازن المساكين ، والإمام العادل كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وعباده ، يسمع كلام الله ويُسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم »(٢) . فكانت تلك الأوصاف ما تمثل به عمر رحمه الله لتحقيق العدل كما يريد .

ولنتعرف على صور من عدله وإنصافه ، نورد ما رواه الآجري من أن رجلاً ذِمِّيًا من أهل حمص قدم على عمر ، فقال : « يا أمير المؤمنين : أسألك

(١) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد ، جـ ٣ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

كتاب الله عز وجل ، قال : وما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبدالملك اغتصبني أرضي ــ والعباس جالس ــ فقال له : يا عباس ما تقول ؟ قال : أقطعنيها يا أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك ، وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول ياذمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين اسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبدالملك ، فاردد عليه يا عباس ضيعته ، فردَّ عليه »[1] .

ومن مواقفه العادلة ما حدَّث به الحكم بن عمر الرعيني ، قال : « شهدت مسلمة بن عبدالملك يخاصم أهل دير إسحاق[2] عند عمر بن عبدالعزيز بالناعورة[3] ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد ، وخصماؤك بين يدي، ولكن وكِّل بخصومتك من شئت ، وإلاَّ فجاثي القوم بين يدي ، فوكل مولى له بخصومته ــ يعني مسلمة ــ فقضى عليه بالناعورة »[4] .

وإذا كانت عدالة عمر تصل إلى أمر دقيق مثل جلوس مسلمة على الوسائد والفرش وخصماؤه بين يديه ، فإنه ــ حتماً ــ سيكون عدل في القضية ــ وقد كان ــ وعَدْلٌ فيما هو أهم من ذلك . وكفى به دليلاً على عدله رحمه الله ، إلا أننا نذكر موقفاً آخر ، عمر نفسه طرف في القضية ، وتفصيل ذلك :

أنه « أتى رجل من أهل مصر عمر بن عبدالعزيز ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن عبدالعزيز ــ والد عمر ــ أخذ أرضي ظلماً ، قال : وأين أرضك يا عبدالله ؟ قال : حلوان . قال عمر : أعرفها ولي شركاء ، وهذا الحاكم بيننا ،

---

(١) الآجري : أخبار أبي حفص ، ص ٥٨ .

(٢) دير إسحاق بين حمص وسليمة في أحسن موضع وأنزهه (الحموي : معجم البلدان، جـ ٢ ، ص ٤٩٨) .

(٣) الناعورة : موضع بين حلب وبالس يبعد عن حلب ثمانية أميال، ماؤه من العيون (المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٥٣) .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩١ .

فمشى عمر إلى الحاكم فقضى عليه، فقال عمر : قد أنفقنا عليها، قال القاضي : ذلك بما نلتم من غلتها . فقد نلتم منها مثل نفقتكم ، فقال عمر : لو حكمت بغير هذا ما وليت لي أمراً أبداً ، وأمر بردها »[1] .

ولم يكن عمر عادلاً فيما يحكم فيه فحسب ، بل إن عدله بلغ به أن يأمر عماله بالعدل ، وأن يكون منهجهم في القضاء والفصل بين الناس ، فكان يكاتبهم ويأمرهم بالقيام في الناس بالعدل ، ومن ذلك ما كتبه إلى أحد عماله ، يقول : « إن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان ، بمنزلة من كان قبلك في الجور ، والفجور ، والعدوان ، فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله »[2].

وكتب عمر إلى عامل آخر ، بعد أن وصله كتاب منه ، يشكو فيه خراب مدينته ، ويطلب أن يقطع مالاً لترميمها فقال :

« أما بعد : فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت ، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ، ونَقِّ طرقها من الظلم ، فإنه مرمتها ، والسلام عليكم »[3] .

ومما سبق ــ وهو قليل من كثير مما أوردته كتب السير عن عدل عمر ــ يتضح لنا أن عمر قد بلغ شأواً عظيماً في العدل ، وإحياء قيمه ، والحرص على ذلك في كل أمر من أمور الأمة ــ وذلك ما جعل العلماء على إجماع بأنه أحد أئمة العدل ــ وأن ذلك سيكون منهجه ، وصفته في قيادته ، مهما طال به المكوث معهم ، يقول عمر في هذا الشأن : « والله لو أقمت فيكم خمسين عاماً ما أقمت فيكم إلا ما أريد من العدل ...»[4] .

---

(١) ما جدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١٠ (عن العيون والحدائق لمؤلف مجهول ، ص ٦١) .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٠ .

(٤) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٩ .

رحم الله عمر ، ورضي عن جده الفاروق ، الذي يروي ابن سعد وغيره أنه كان يقول : « ليت شعري ، مَنْ ذُو الشَّيْن[1] من ولدي ، الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً »[2] .

هذا فيما يتعلق بصفات عمر السلوكية ، وفيما يلي نتحدث عن صفات عمر القيادية العقلية .

ثالثاً : الصفات العقلية :

إضافة إلى ما اتصف به عمر بن عبدالعزيز من الصفات الاعتقادية والسلوكية ، كما سبق ذكره ، فإن هناك دعامة ثالثة من الصفات القيادية تميز بها عمر ، ألا وهي الصفات العقلية ، تلك الصفات التي سعى لتحقيقها ، والتحلي بها في أدائه القيادي ، وفي أعماله وأوامره وإجراءاته ، فكان القائد الذي لا يتخذ موقفاً بمنأى عن تلك الصفات العقلية وهي : الفهم والإدراك العميقين للأمور ، والبلاغة وفصاحة اللسان وحسن البيان ، بالإضافة إلى صفة أخرى هي على قدر كبير من الأهمية في هذا الجانب ألا وهي العلم ، وسنأتي عليها بشيء من التفصيل بعد أن نتطرق للصفات الأُوَل باختصار :

كان عمر متميزاً بالفهم، والإدراك للإسلام وأهدافه، وللحياة، ولأمور الدنيا، ولمصير الإنسان، وعواقب الأمو ، وما هو دور الإنسان في الحياة ولماذا خلق ؟.

ومن ذلك ما كتب لعامله على مصر، حين قلَّ مال المسلمين بدخول أهل الذمة الإسلام فقال: « أما بعد : فإن الله بعث محمد داعياً، ولم يبعثه جابياً »[3].

---

(١) أراد بالشين ، الشَّجَّة التي كانت في وجهه . (النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١٩) .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٣٠ . ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٨٤ .

وفي هذا القول إدراك عميق من عمر للغرض الذي بعث الله من أجله نبينا محمد ، ومن قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأن مهمة المسلمين الدعوة للإسلام ونشره ، لا فرض الضرائب وجباية الأموال .

ويقول في أمر الدنيا : « إن الدنيا ليست بدار قرار ، دارٌ كتب الله عليها الفناء ... إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا منافس ، وبها قرير عين ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصيّر لقوم آخرين مصانعه ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً ، وتجر الحزن طويلاً »[1] .

وعن تصوره لمصير الإنسان ودوره في الحياة، يقول : « أيها الناس : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سُدىً ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله . التي وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا : إنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه ، وباع نافذاً بباق ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون ــ كذلك ــ حتى ترد إلى خير الوارثين ؟ ؛ وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فتغيبونه في صدع من الأرض، ثم تَدَعونه غير موسد ولا ممهد، قد فارق الأحبة ، وخلع الأسباب ، فسكن التراب ، وواجهة الحساب ، فهو مرتهن بعمله ، فقير إلى ما قدم ، غني عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه ... »[2] .

وإذا كان فهم عمر وإدراكه العميقين لعلاقة الإنسان بربه ومصيره واضحاً، وذلك من أدق الأمور ، فقد كان أيضاً جلي البصيرة ، واسع الإدارك لأمور

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٣٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

استقرار الدولة ، ومتطلبات القيادة الإسلامية ، واحتياجات الرعية في الدين والدنيا ، فقد أدرك في المقام الأول أن استقرار الدولة لا يأتي بإثارة الفتن بين جماعات المسلمين ، سواء الجماعات المعارضة أم غيرها ، فقد اتبع سياسة حكمية في معالجة الفتن ، والثورات المناهضة لحكم بني أمية ، فأخذهم باللين ، والحوار الموصل إلى الهدف ، والمناظرة لتحقيق الغاية الكبرى ، ألا وهي اجتماع المسلمين ، والسير بهم على هدى الكتاب والسنة .

كما حمل الناس على الدخول في الإسلام بالدعوة والترغيب ، إدراكاً منه أن الهدف هو نشر الدين الإسلامي بين الناس، ولا يكون ذلك بالجهاد فحسب . بل المهم نشر الدين ، وإذا كان ذلك بغير الحرب فهو أولى .

كما استشعر عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأدرك متطلبات القيادة واحتياجات الرعية ، ولا أدل على هذا الفهم ، والإدراك العميقين لهذا الجانب ـ والذي يعد روح مسؤولية الخلافة ، وولاية الأمر ـ مما قاله عمر ، حين دخلت عليه زوجه فاطمة يوماً ، وهو جالس في مصلاه ، واضعاً خدَّه على يده ، ودموعه تسيل على خديه ، فقالت له : « مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذي العيال الكثير ، والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فبكيت »(١) .

فيا له من إحساس رفيع ، بثقل الأمانة وعظم المسؤولية ، أمام رب

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠٩ .

العالمين . كما أدرك ـ رحمه الله ـ أهمية نشر الطمأنينة بين الناس ، وتحقيق العدل بينهم ، وإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ، وأن ذلك كله من أهم المقومات ، لقيام مجتمع مسلم حقاً . لذا كان من أول وأهم اهتماماته بعد تولى الخلافة ، ردٌ المظالم[١] إلى أصحابها والكتب التي تتحدث عن سيرة عمر ، تتحدث بغزارة عن هذا الجانب .

ذلك غيض من فيض، فيما يتعلق بفهم وإدراك عمر للأمور، ويمكننا القول : إن نجاح عمر في قيادته ، وحسن إدارته ، يأتي في إطار قدرة عمر الفائقة على الفهم ، والإدراك العميقين للأمور ، إذ يتضح للمتتبع لمواقف عمر ، وإجراءاته ، ومجمل سيرته تميُّز عمر بهذه الصفة القيادية ، الضرورية للقائد .

وكان رحمه الله متصفاً ببلاغة الكلام وفصاحة اللسان ، وحسن البيان ، فإن تكلم جذب القلوب ونبَّه الأسماع ، وإن نصح حرَّك المشاعر والأحاسيس ، لصدقه فيما يقول[٢] ، ولأن ما يقوله يخرج من قلبه ، فهو الذي يقول : « لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب »[٣] .

ولاقتناعه بأهمية البلاغة، وفصاحة اللسان ، كان يقول : « يا أيها الناس : إني وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا اللسان »[٤]. لذا فإن عمر قد حسب للكلام حساباً في أمور قيادته وسياسته، وسماه: السحر الحلال[٥]. فما كان من خطبة لعمر ، ولا كتاب ، ولا كلام ، إلا وهو يضرب في البلاغة بسهم[٦] ، ومن ذلك

(١) راجع ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٨٢ وما بعدها .

(٢) الزحيلي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٥ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٣٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٨ .

(٦) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد ، ص ١٩٣ .

قوله: « أيها الناس : إنما أنتم أغراض تتنضل[1] فيها المنايا، أنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى ، وأي أكلة ليس معها غصة ؟ وأي جرعة ليس معها شرقة ؟ . وإن أمس شاهد مقبول، وقد فجعكم بنفسه، وخلف في أيديكم حكمته، وإن اليوم حبيب مودع ، وهو وشيك الطعن ، وإن غداً آت بما فيه ، وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه، إنه لا أقوى من طالب، ولا أضعف من مطلوب، وإنما أنتم سَفْر ، ستحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار ، ثم أنتم فروع أصول قد مضت ، ما بقاء فرع بعد ذهاب أصله »[2] . ذلك مثال واحد على بلاغته ، وفصاحته ، وحسن بيانه ، وعلى هذا المنوال كان يتكلم عمر ، ولقد أفرد بعض الباحثين في سيرة عمر عناوين عن ذلك ، مثل : هكذا تكلم عمر ، ومن أقوال عمر[3] . إلا أن هذا الجانب في حياة عمر ، لحريٌ ببحث مستقل لبيان ذلك ، فقد أدرك عمر أن إجادة القول سيطرة على القلوب، وهيمنة على النفوس ، وقد يقاد بها الناس[4] . فكانت إحدى صفات عمر العقلية .

أما الصفة الرئيسة من صفات عمر العقلية . والتي اتَّضحت جلياً في قيادته ، وليس لأحد يتحدث عن نجاح عمر في قيادته ، أن يغفل عنها ، ولأهميتها ، فسنأتي عليها بشيء من التفصيل ألا وهي العلم :

العلم : نقيض الجهل ، والعلم بالشيء : معرفته[5] ، والدين الإسلامي يحث على العلم لما له من شرف وفضل ، وليس المقام مقام تبيان لذلك ، فالأدلة من

---

(١) الأغراض : الأهداف ، وتتنضل : تتبارى في الرمي وتختار ، (بمعنى أن المنايا تتباري وتختار في الأغراض ، وهم الناس) . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٦٦٥ ، ٦٦٦) .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٥٠ .

(٣) انظر محمد عمارة : عمر بن عبدالعزيز ، ضمير الأمة وخامس الراشدين ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٨ هـ ، ص ١٦١ وما بعدها . الزحيلي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٤) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد : ١٩٥.

(٥) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٤١٧ .

القرآن الكريم والسنة المشرفة في بيان ضرورة التعلم ، وشرف العلم وأهله . أكثر من أن تحصى ، وفي ذلك تؤلف الكتب .

ولما لهذه الصفة من الأهمية ، فقد أدرك عمر بن عبدالعزيز ذلك ، فكانت صفة العلم وحب العلماء ، إحدى صفاته الأساسية التي تميز بها .

فقد ظل عمر ينهل من موارد المعرفة الإسلامية ، قرآناً ، وحديثاً ، وفقهاً ، وتفسيراً ، وعقائداً ، وتشريعاً على أيدي كبار علماء عصره ، في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأخذ من اللغة والأدب ما أراد ، وإن كان عمر محباً للعلم والعلماء ، فقد حرص في خلافته حرصاً شديداً على نشر العلم بين الناس، والحث على التعليم والتعلُّم ، وأجرى على أصحابه الأرزاق ، وله في ذلك شأن عظيم ، كما سبق ذكره[١] .

ولأننا كنا قد تطرقنا إلى تربية وتعليم عمر ، فإننا في هذا المقام نورد شيئاً مما قاله علماء زمانه عنه ، وعن المرتبة التي وصل إليها ، للدلالة على اتصافه بالعلم ، وتبحُّره فيه ، مستشهدين بذلك على غزارة علمه ومعرفته .

قال ميمون بن مهران : « ما كان العلماء عند عمر بن عبدالعزيز إلا تلامذة »[٢] . وقال :« أتينا عمر بن عبدالعزيز ، فظننا أنه يحتاج إلينا ، فإذا نحن عنده تلامذة »[٣] . وكان ميمون أيضاً يقول : « حدثنا عمر بن عبدالعزيز معلِّم العلماء »[٤] . وقال مجاهد[٥] : « أتينا نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه »[٦] .

(١) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذ البحث .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٥) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبير ، الإمام المشهور ، تابعي متفق على جلالته وإمامته ، سمع ابن عمر ، وابن عباس ، وأبا هريرة ، وعائشة ، وغيرهم من الصحابة والتابعين . وهو ثقة إمام في الفقه والتفسير والحديث ، ومناقبه كثيرة ، توفي سنة ١٠١ هـ وقيل ١٠٠ هـ وقيل ١٠٢ هـ . (النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ٨٣) .

(٦) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٦ .

ويروي الليث أن أحد أصحابه رأى سليمان بن يسار ، خارجاً من عند عمر بن عبدالعزيز، فقال له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ، قال : تعلمونه ؟ قال : نعم ، قال : « هو والله أعلمكم »[1] . وقال أحد عماله : « ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبدالعزيز أعلم الناس بأصله وفرعه »[2] .

وإلى جانب هؤلاء الشهود ، فقد شهد له الإمام أحمد بن حنبل بشهادة لم تكن لأحد من التابعين غيره . إذ قال : « لا أدري قول أحد من التابعين حجة ، إلا قول عمر بن عبدالعزيز »[3] .

ومما سبق فإن هذا الإجماع من علماء عصره بغزارة علمه ، ناجم عن يقين بذلك، إذ كان عمر من العلماء الراسخين الربانيين، ولولا الخلافة وتكاليفها ، لكان من العلماء المعدودين ، ومن الفقهاء المشهورين[4] .

وقد أقر عمر بذلك بنفسه ، إذ قال : « خرجت من المدينة وما من رجل أعلم مني ، فلما قدمت الشام نسيت »[5] .

وعلى أية حال ، فقد كان لعلم عمر أثر كبير في فهم أمور الدين ، وفي قيادته وقراراته وأوامره الإدارية كما سبق ذكره ـ وله من المواقف في القضايا الفقهية والدينية ما لا يتسع المجال لذكره ، والذي سبق أن قدمنا العذر عنه ـ فكان العالم العامل المجتهد المطبِّق ، فيقرن العمل بالعلم ، فذلك ما أكد عليه الدين الإسلامي ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ، أَفَلاَ تَعْقِلُون ﴾[6] وفي الكتاب والسنة وأقوال العلماء الكثيرُ

(١) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠١ .

(٤) الندوي : خامس الراشدين ، ص ٣١ .

(٥) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٨ .

(٦) الآية ٤٤ من سورة البقرة .

من النصوص ، التي تبين العلاقة الوثيقة والارتباط التام بين العلم والعمل ، فقد قال بعض الصلحاء : « العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل »[1] . وكان عمر يقول : « إن العمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان عليهم وبالاً »[2] . وكان يقول : « من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[3] . وحريٌّ بصاحب هذه الدعوة أن يتقيد بها ، وقد كان ذلك مما جعل علمه يزداد عظمة ، فهو يجتهد ويطبق ما يراه[4] . فكان الأمير والخليفة الذي قلَّما يخطىء في قضية ، وفي ذلك يذكر الليث : « أن قادماً البربري ذاكر ربيعة بن أبي عبدالرحمن يوماً شيئاً ، من قضايا عمر بن عبدالعزيز ـ إذ كان بالمدينة ـ فقال ربيعة : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسي بيده ، ما أخطأ قط »[5] .

ولعل ما يُسوغ قول ربيعة ذلك ما رواه ربيعة نفسه ، ويحيى بن سعيد ، قالا : كان عمر بن عبدالعزيز يقول : « ما من طينة أهون عليَّ فتاً ولا من كتاب أيسر عليَّ رداً ، من كتاب قضيت به ، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها[6] »[7] .

وبذلك يمكن القول باتفاق معاصري عمر ، على أنه من أكابر علماء عصره ، وأن العلم صفة تمكن عمر أن يتحلى بها ، يقيناً منه بأهمية العلم للإنسان المسلم وغيره ، فكيف الحال إذا كان خليفة المسلمين ، والحاكم بأمر الله فيهم ، فإذا لم يكن ذلك على علم ودراية بأصول الحكم وما يقوم عليه من

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٨٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٧ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٥٧٢ .

(٤) محمود شلبي : حياة عمر بن عبدالعزيز ، بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٤٧٥ .

(٥) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٥ .

(٦) الفتُّ : أخذ الشيء بين الأصابع فصيره دقاقاً متكسراً ، (ابن منظور: لسان العرب، جـ ٥، ص ٦٤، ٦٥).

(٧) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٣ .

تعاليم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وما عليه سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتفقه فيهما ، وسيرة الخلفاء الراشدين ، وما عليه أعلام الصحابة رضوان الله عليهم فإن الأمر سيكون كما قال الشاعر :

كمثل الطبل يسمع من بعيد وباطنه من الخيرات خالي

هذا ما كان عليه عمر من العلم ، ونحن لسنا بحاجة إلى التدليل على علم عمر ، بل نكتفي بشهادات معاصريه له ، فلن تكن تلك الشهادات إلا لمن يستحقها ، ولمن هو متميز بتلك الصفة ، فرحم الله عمر .

هذا ما توصلنا إليه من صفات عمر القيادية البارزة ، التي جعلته بعون الله القائد الذي يطمئن لولايته ، ويوثق برعايته ، وحسن تصرفاته ، والتي أوردناها فيما سبق من هذا المبحث ، وفيما يلي من المبحث أيضاً ننظر إلى صفات عمر تلك في ضوء الفكر الإداري .

رابعاً : صفات عمر في ضوء الفكر الإداري الإسلامي والحديث :

كان فيما سبق من هذا المبحث ، ما ذكرناه عن صفات عمر بن عبدالعزيز القيادية ، التي كانت بعون الله مما جعل منه قائداً ، وعلماً من أعلام المسلمين ، وكانت صفات تتعلق باعتقاده ، وأخرى بسلوكه ، وأخيراً صفاته العقلية . وذلك ما استنتجناه من إجراءاته القيادية والإدارية ، وأقواله وأفعاله وسيرته ، والتي ثبت بالأدلة والشهادات أنه كان يتصف بها .

ومن ثم فإنه يمكننا إيراد ما توصلنا إليه من صفاته رضي الله عنه ، كنموذج للصفات القيادية ، التي ينبغي أن يتصف بها القادة ، لا نقول كما رآها عمر بن عبدالعزيز فحسب ، ولكن كما رآها واتصف بها ، وجعلها في حيز التطبيق ، وهي :

أولاً : الصفات الاعتقادية :

١ ـ الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر .

٢ ـ شدة الخوف من الله والوجل من يوم القيامة .

ثانياً : الصفات السلوكية :

١ ـ الصدق وكراهية الكذب .

٢ ـ الصبر .

٣ ـ القناعة .

٤ ـ الحلم والعفو .

٥ ـ الجرأة والصراحة والجهر بالحق .

٦ ـ علو الهمة والطموح .

٧ ـ الزهد .

٨ ـ التواضع .

٩ ـ الورع .

١٠ ـ الحزم .

١١ ـ العدل .

ثالثاً : الصفات العقلية :

١ ـ الفهم والإدراك العميقين للأمور .

٢ ـ البلاغة وفصاحة اللسان وحسن البيان .

٣ ـ العلم .

وللتأكيد على أن هذا النموذج من الصفات القيادية ، هو نموذج الصفات القيادية عند عمر بن عبدالعزيز، وأنه كان يتحلى بها، ويتميز بل وينفرد ببعضها عمن سواه ــ غير الخلفاء الراشدين ــ ، مثل شدة الخوف من الله ، والزهد ، والتواضع ، والورع ، والحزم ، والعدل ، والعلم ، فإننا لم نورد أي صفة من تلك الصفات جميعاً ، إلا بعد أن وجدنا ، ويجد غيرنا في سيرة عمر ، وأقواله ، وأفعاله ، وإجراءاته ، ما يثبت قطعاً تحلِّيه بهذه الصفة ، أو وجودها في شخصيته ، وما لم نجد له دليلاً وما لم نستطع إثباته في سيرة عمر من الصفات القيادية الأخرى إن وجد ، فإننا لم نشر إليها بأي حال من الأحوال .

أما فيما يتعلق بتلك الصفات في ضوء الفكر الإداري الإسلامي والحديث، فإننا سنحاول تحديد : ما إذا كانت تلك الصفات بين ما رآه مفكرو الإدارة في الإسلام . أو كانت بين ما جد من الصفات ، التي يراها علماء النفس ، وعلماء الفكر الإداري الحديث .

إذ يمكن القول : إن تلك الصفات كانت ولا تزال موضع اهتمام المفكرين الإداريين ، وأن عمر بن عبدالعزيز سبق أن قدم نموذجاً تطبيقياً يحتذى ، بتحلِّيه بتلك الصفات القيادية المميزة .

أما الصفة الأولى فهي : الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر ، والصفة الثانية هي : شدة الخوف من الله ، والوجل من يوم القيامة ، وهي ما سميناه : الصفات الإعتقادية ، فلم يكن لها ذلك الوجود والاعتبار في الصفات التي يحددها الفكر الإداري الحديث ، وبخاصة الفكر الغربي المادي والشرقي الاشتراكي ، إلا أن هاتين الصفتين قد أُخِذَتا في الاعتبار من قبل مفكري الإدارة في الإسلام ، لكونهم مسلمين ، ويعلمون يقيناً ضرورتها ، وذكر ذلك

ضمناً أحد الباحثين إذ يرى أن العقيدة الصحيحة ، والإيمان الصادق العملي لازمة ومهمة لكل من يتسلم عملاً ومسؤولية إدارية[1] .

ولكن لم يُشر إليها كصفات مستقلة ، وقد يكون ذلك ناتجاً عن قناعتهم ، بأن هاتين الصفتين من الأهمية بمكان بالنسبة للمسلم ، وأنها أكثر أهمية للقائد المسلم ، وأنه مفروغ من ضرورة التحلي بها ، بيد أننا نرى أن تؤخذ في الإعتبار ، لعظم أهميتها ، وأن تُبْرَز كصفات أساسية ، يلزم كل قائد أن يتحلى بها فضلاً عن كل مسلم . وذلك ما أدركه عمر رضي الله عنه ، وتناساه وأهمله القادة ومفكرو الإدارة الحديثة إلى حدٍّ ما .

أما فيما يتعلق بالصفات السلوكية المشار إليها ، فقد كانت موضع اهتمام مفكري الإدارة في الإسلام[2] ، وذلك لأنها تقع في دائرة اهتمام الدين الإسلامي وتعاليمه ، وكذلك كانت نصب أعين علماء الإدارة حديثاً[3] ، والمهتمين بالصفات الواجب توافرها في القادة والمدراء ، وخصوصاً ما يسمى بالمهارات الاجتماعية ، والمهارات الإنسانية[4] التي تشمل كثيراً من هذه الصفات التي أشرنا إلى تحلي عمر رضي الله عنه بها .

أما الصفات القيادية لدى عمر بن عبدالعزيز والتي أوردناها تحت عنوان : الصفات العقلية ، فقد أخذت حظاً أوفر من الاهتمام سواء من مفكري الإدارة

(١) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ١٥٣ .

(٢) للإطلاع على ما توصل إليه مفكرو الإدارة في الإسلام من الصفات القيادية اللازمة للقائد انظر مثلاً :

أ ـ نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية ، ص ٩٥ وما بعدها .

ب ـ حمدي أمين عبدالهادي : الفكر الإداري الإسلامي والمقارن ، الأصول العامة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤٠٤ هـ ، صفحة ١٨٥ وما بعدها .

(٣) للإطلاع على بعض ما توصل إليه مفكرو الإدارة حديثاً من الصفات القيادية ، انظر مثلاً :

أ ـ كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٢٩٥ وما بعدها .

ب ـ الهواري : الإدارة ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٤) كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٣٠٧ ، ٣٢٥ .

المسلمين أم من مفكري الإدارة حديثاً ، ويبدو أن ذلك الاهتمام ناجم عن حرص الإنسان على الناحية الملموسة في الأداء ، وخصوصاً الأداء القيادي ، فعلى سبيل المثال ، ذكر الماوردي : أن العدالة على شروطها الجامعة ، والعلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام ، إنها من أهم الشروط الواجب توافرها في القائد[١] ، وذلك عندما تحدث عن شروط الإمامة .

كما جاءت هذه الصفات العقلية ، وما في حكمها عند علماء الإدارة الحديثة ، تحت مسميات وعناوين مختلفة ، منها المهارات الذاتية ، والمهارات الفنية[٢] ، وغيرها من السمات التي ذكرها كتّاب الإدارة الحديثة[٣] بشكل متفرق .

ونظراً لأننا لسنا بصدد المقارنة بين الصفات القيادية ، عند عمر بن عبدالعزيز وما توصل إليه كل من رأى صفات يجب توفرها في القائد من مفكري الإدارة ، فإننا نكتفي بما سبق للإشارة فقط ، وللنظر في صفات عمر القيادية في ضوء الفكر الإداري .

وبوجه عام يمكنني القول : إن الاهتمام بالصفات الاعتقادية في الإدارة الحديثة قليل ، أما الصفات السلوكية فمتوسط ، أم الاهتمام بالصفات العقلية عند القائد ، فقد أخذ نسبة عالية من الاهتمام .

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٦ .

(٢) كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٣١١ ــ ٣٢٥ .

(٣) النمر وآخرون : الإدارة العام ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

المبحث الثالث

تطبيقات صفات عمر في القيادة

وبخاصة القيادة التربوية

في هذا المبحث سيكون الحديث إن شاء الله عن كيفية تبني العنصر الأول من النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبدالعزيز ، وهو : الصفات القيادية التي تحلى بها عمر يرحمه الله .

وإننا إذ ندرك جميعاً أن من أهم الملاحظات على طبيعة عملنا وأدائنا لمهامنا ، وبخاصة القيادية والإدارية ، أن هناك هوّةً كبيرة بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن ، وبين ما يطرحه التعليم ، وما يُطلب من المتعلم أداؤه أو إنجازه ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، يطلب من المعلم أن يكون واثقاً بنفسه أثناء أدائه للدرس ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه : كيف يكون واثقاً بنفسه ؟. وما هو دور التعليم والكُتّاب والعلماء في منح المعلم سبل الثقة بالنفس ؟. وكذلك يقال للقائد : كن حازماً مثلاً ؛ ولكن كيف له بذلك ، وما ضوابط الحزم ومتطلباته ؟. فالأمر يتطلب اقتحام سر النجاح في الأداء ، بمحاولة طرح سبل التّحلّي بالصفات وأساليب الأداء ، فيسعى العلماء والكتاب والمتخصِّصون إلى إبراز كيفية التطبيق لكل ما يسعون إلى تعليمه ، ليسهموا في جعل المتعلم يربط بين العلم والعمل .

كان ذلك مما دفعنا لكتابة هذا البحث ـ ومثله عن كيفية تطبيق المبادىء الإدارية في مبحث آخر قادم إن شاء الله ـ ، مع ما قد يشوب الحديث عن مضمونه والاجتهاد فيه من احتمال الخطأ والتقصير .

ولعلَّ من المناسب أن أذْكُر أنه خطر ببالي أن أصرف النظر عن الحديث عن التطبيقات للصفات والمبادىء ، لأترك للقارىء الكريم فرصة الاجتهاد في

تبني ما تطرقنا إليه من صفات عمر ، وما سنأتي عليه من المبادىء الإدارية ، حسبما يناسب حالة القارىء ، وما يتطلبه أداء مهمته، وما يتلاءم مع مسؤوليته، وما يتولاه من أمر ، سواء كان قائداً أم مديراً أم مربياً أم غير ذلك . إلا أنني فضلت إدراج هذا المبحث ، والمماثل له عن المبادىء ، لنخرج عما سبق أن ذكرنا من خلو بعض المؤلفات والبحوث من التطبيقات ، ولنساهم بهذا الجهد المتواضع لإيضاح كيف يمكن تطبيق نموذج الإدارة عند عمر بن عبدالعزيز في إدارتنا المعاصرة ، وستبقى محاولة ، ومن الله الرجاء بالتوفيق .

أولاً : تبني الصفات الاعتقادية :

إن الإيمان الراسخ بالله عز وجل واليوم الآخر ، أعظمُ ما يدفع المسلم إلى تقوى الله وإلى فعل الخيرات ، كما أن الخوف من الله ومن يوم القيامة ، من أعظم ما يردع المؤمن عن سيىء الأعمال ، وذلك ما يجعل المسلم يحاسب نفسه ليسير بها على طريق الحق ، ليبتغي في ذلك ما عند الله جل شأنه .

وكما نعلم أن ولاية الأمر أياً كانت هي كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام حين نصح أبا ذر رضي الله عنه عنها : « ... إنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خِزيٌ وندامة ، إلا من أخذها بحقِّها ، وأدَّى الذي عليه فيها »[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرَّم الله عليه الجنة »[2] .

إذ من المعلوم أن كل مسلم راع ومسئول عن رعيته ، ويا له من جزاء لمن يغش رعيته ، إذ يحرم الله عليه الجنة ، وهي غاية كل مؤمن ، وإذا كان هذا جزاءَ كلِّ من يلي أمراً من أمور المسلمين ، والياً كان أو مديراً أو قائداً أو مربياً

(١) المنذري : مختصر صحيح مسلم ، ص ٣٢٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢٩ .

أو معلماً أو مسئولاً أيًا كانت مسؤوليته ، ويغش من هو عليهم رئيساً ، ولا يعطي الإمارة والمسؤولية حقها ، فإنه حريٌّ بالمسلم أن يتّقِ الله فيما تولاّه من أمر المسلمين ، فيجتهد كل منا ، ليكون فينا الوالي المؤمن ، والقاضي المؤمن ، والمدير المؤمن ، والقائد المؤمن ، والمجاهد المؤمن ، والتاجر المؤمن ، والصانع المؤمن ، والمعلم المؤمن ، والطبيب المؤمن ، والعامل المؤمن وغيرهم ، ممن يحتاج إليهم المجتمع المسلم .

وفيما يهمنا هنا ينبغي للقائد أيًا كان مستوى ونوع قيادته ، أن يؤمن بالله حق الإيمان أولاً ــ ونسأل الله أن نكون كذلك ــ ليكون ذلك الإيمان الحق دافعاً لابتغاء الخير ، فيما آتاه الله من حق الأمر والنهي ، والإدارة وتنسيق جهود المسلمين لما فيه خيرهم ومصلحتهم .

ثم يدرك المسؤول يقيناً أن الإيمان بالله واليوم الآخر ، هو الأمر الجليل المعول عليه توجيه القائد للسلوك الحميد ، والصفات القيادية النبيلة ، التي يدعو إليها الدين الإسلامي ، ويرضى عنها أتباع القائد ومرؤوسو المدير .

كما ينبغي للمسلم ــ بخاصة ــ عندما يلي أمراً من أمور المسلمين ، أو يتولى قيادة جماعة منهم، أن يخاف الله فيهم، ويخشى حساب الله يوم القيامة ، فإن القائد لا محالة مسؤول عما استرعاه الله من أمر المسلمين يوم القيامة ، وما أعظمها من مسئولية . إذ الإنسان المسلم مسئول إذا فرط في أمر نفسه ، فكيف به إذا فرط في أمر أسرته مثلاً ، أو طلبته الذي يعلّمهم ، أو أمر جماعة من المسلمين يتولى شأنهم .

أخي القارىء الكريم ... أخي القائد ... أخي المدير ... أخي المربي ، لقد كان عمر بن عبدالعزيز ينتفض في فراشه كما ينتفض العصفور ، حتى يظن من حوله أنه مات خوفاً ووجلاً من الله ، فأين نحن من ذلك ؟ لقد كان عمر يبكي من خشية الله حتى يُخشى عليه مما هو فيه .

روى ابن عبدالحكم أن فاطمة بنت عبدالملك زوج عمر ، وهي أقرب الناس إليه ، قالت : « إن عمر رحمة الله عليه كان قد فرَّغ للمسلمين نفسه ، ولأمورهم ذهنه ، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرغ فيه من حوائج يومه ، وصل يومه بليلته ، إلى أن أمسى مساءً وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذي كان من ماله ، فصلى ركعتين ، ثم أقعى واضعاً رأسه على يديه ، تسيل دموعه على خديه ، يشهق الشهقة يكاد يتصدَّع قلبه لها ، وتخرج لها نفسه ، حتى برق الصبح فأصبح صائماً . فدنوت منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين أليس كان منك ما كان ؟ قال: أجل، فعليكِ بشأنكِ وخليني وشأني . قالت : فقلت : إليَّ أرجو أن أتَّعظ . قال : إذن أخبرك . إني نظرت فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة ، أسودِها وأحمرِها، ثم ذكرت الفقير الجائع، والغريب الضائع ، والأسير المقهور ، وذا المال القليل، والعيال الكثير وأشباه ذلك، في أقاصي البلاد وأطراف الأرض ، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن رسول الله ﷺ حجيجي فيهم، فخفت أن لا يقبل الله مني معذرة فيهم ، ولا تقوم لي مع رسول الله ﷺ حُجَّة ، فرحمت والله يا فاطمة نفسي ، رحمةً دمعت لها عيني ، ووجع لها قلبي، فأنا كلَّما ازددت لها ذكراً ازددت منها خوفاً ، فاتَّعظي إن شئت أو ذري »[1] .

نعم إنه الإيمان بالله واليوم الآخر ، والخوف من الله ومن يوم القيامة ، الذي جعل عمر يصل ليله بيومه لقضاء حوائج الناس .

نعم إنه الإيمان بالله ، الذي جعل عمر يشهق الشهقة يكاد يتصدَّع لها قلبه ، إنه الخوف من الله ، الذي جعل عمر يخشى مساءلة الله له عن أمر هذه الأمة ، وأن رسوله حجيجُه فيهم ، ذلك مما جعله يستشعر حال أمته الإسلامية، الفقير منهم والغريب ، والأسير وأشباههم ، فتدمع له عينه ، ويوجع له قلبه . إنه

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٦ .

ينبغي للمسلم أن يتألم لحال أخيه المسلم وأمته المسلمة ، فما بالك حين يؤول الأمر إليه .

كما أن الوجل من يوم القيامة ، قد جعل عمر يزداد من الولاية خوفاً كلَّما ازداد لها ذكراً ، على النقيض مما يحدث في زمننا الحاضر ، إذ لا يزداد البعض من مسؤولية القيادة والإدارة خوفاً لله وتقوى ، بل يزدادوا لها طرباً وفخراً واعتزازاً ، غير عابئين بما تجلبه عليهم من خزي وندامة يوم القيامة ، ولا آبهين بما قد يسببه أولئك لمن تحت إمرتهم وقيادتهم من ضياع أمرهم في الدنيا والآخرة ، بالإهمال وعدم إعطاء الولاية والمسؤولية حقها .

إننا بدل أن تضطرب قلوبنا خوفاً من الله ، وعواقب الإهمال في المسؤولية وتولي أي أمر من أمور المسلمين ، تكاد تتفطر قلوبنا من الفرح والسرور ، إذ تنهال على الواحد منا حين يلي أمراً ، التهاني والتبريكات بالمنصب والمرتبة ، بل يصل الأمر إلى إقامة الولائم والاحتفالات ، دون أن نتذكر أو يتذكر أحد أن يقدم لصاحب المنصب أو القائد أو المدير أو المتخرِّج النصح الصادق ، والوعظ والإرشاد ، ليستشعر مسؤوليته أمام الله سبحانه وتعالى ، وأمام من هو وليُّهم أو قائدهم ، فيحسن فيهم ويتقي الله فيما أوكل إليه ، ليفوز بالمنصب في الدنيا ، وينجو من وباله يوم القيامة .

إن ذلك لن يتأتي لأحد من ولاة الأمر ــ صغر الأمر أم كبر ــ والقادة إلا بالإيمان الصادق بالله ، والإيمان بالمصير والمآل ، والخوف من الله والوجل من يوم القيامة ، تلك الصفتان اللتان كانتا من أهم ما تميز به عمر بن عبدالعزيز ، والتي كانت بمثابة الموجِّه لكل ما تحلَّى به من صفات ، أو اتخذه من مواقف أو سلكه من طرق .

لذا لابد أن يكون الإيمان بالله واليوم الآخر ، والخوف من الله الموجِّه الحقيقي لسلوكياتنا بعامة والقيادية منها بخاصة .

فليخف الله المسؤول منا في كل قرار يصدره ، وفي كل إجراء يتخذه ، وليتبصر ماذا يعود على مرؤوسيه من النفع ، وماذا يجلب إليهم من المصالح ، وماذا يدرأ عنهم من المفاسد ، وماذا يزيح عنهم من الضيم ، وهل لهذا القرار أو الإجراء تأثير ، بشكل أو بالآخر على الآخرين سلباً أو إيجاباً .

إذ لابد أن يعلم كل منا أننا محاسبون من رب العالمين عن كل ما نسببه من أذىً للآخرين ، مجزيون عن كل ما نفعله من خير لأجلهم .

والكل منا يعلم أن هناك الكثير من المرؤوسين ـ أيًّا كان صنفهم ـ في وقتنا الحاضر ، لابد داعٍ لرئيسه أو مديره أو قائده إما بخير ، أو داعٍ عليه بضده ، فكثيراً ما نسمع : جزى الله فلاناً خيراً ، لقد كان نعم الرئيس أو المدير أو .. أو .. إلخ ، وعلى النقيض بعضهم يقول : لا جزى الله فلاناً خيراً لقد كان قائداً أو معلماً أو .. أو .. لا يخاف الله ، وكذا وكذا (من الصفات الذميمة) .

وحريٌّ بالمسلم الوالي لأمر من أمور المسلمين ، الراعي لهم في شيء أن لا يعرض نفسه لتلك العبارات ، التي بلا شك سيحاسبه ربه عن مضمونها ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

كما أنه من المحسوس أيضاً في وسطنا الإداري المعاصر ، نجاح المؤسسات الخاصة بدرجة تفوق فيها نجاح المؤسسات العامة ، سواء كانت مؤسسات تعليمية أم صحية أم إنتاجية أم خدمات أم غير ذلك ، نجاحاً قد يجلب الكثير من المنتفعين إلى تلك المؤسسات الخاصة ، مع ما يكلف ذلك من تبعات مادية وغيرها ، وإذا نظرنا إلى السبب وراء ذلك ، فقد يكون في مجمله

الهدف الربحي المادي ، الذي تسعى المؤسسات الخاصة لتحقيقه ، إذ يصاحب ذلك جد واجتهاد إداري ملموس ، وبالطبع لا يتحقق ذلك في المؤسسات العامة إلا بالإيمان بالله والخوف منه فيما تحملنا مسؤوليته من شؤون المسلمين .

وتزداد أهمية الإيمان بالله واليوم الآخر ، والخوف من الله ومن يوم القيامة وضرورة التحلِّي بهما في مثل عصرنا الحاضر ، الذي نحن فيه في خضم الحضارات المتداخلة ، والتيارات الفكرية ، والصراعات الاعتقادية ، والمؤثرات الماديَّة ، لنثبت على طريق الحق والصواب ، ونقف موقف المتَّبع لتعاليم ديننا الحنيف والمعتزِّ بها ، والمصدق بأن فيها صلاحَ ديننا ودنيانا .

كما ينبغي أن نعلم أن كلَّ من أُعد للإدارة في الدول التي لا دين لها ، وربِّي تربية خلقية وفكرية ملائمة لطبيعتها ، لا يصلح لإدارة شيء من أمور الدولة الإسلامية ، لأنها دولة تقتضي أن تكون جميع مقومات بنيتها الإدارية ، من الرعية ، والمنتخبين ، والأمراء ، والموظفين ، والقضاة ، وقادة العساكر ، والوزراء ، والسفراء ، ومديري مختلف الدوائر والمصالح والمدارس ، من الطراز الخاص والمنهاج الفذ ، وهي تتطلب بسجيتها رجالاً يَخْشَوْن الله ، ويخافون حسابه ، ويؤثرون الآخرة على الحياة الدنيا[1] .

أيها القارىء الكريم ... يا من ولي أمراً من أمور المسلمين ، إنه ليس لي أن أقول لك : كيف تكون مؤمناً بالله ، خائفاً منه ، مصدقاً بالآخرة ، وجلاً من يوم القيامة ، بقدر ما أقول : لك إن كنت تريد السعادة في الحياة الدنيا ، فلا سبيل إليها بغير الإيمان ، وإن كنت تريد السعادة في الحياة الآخرة ، فسبيلها الإيمان ولا سبيل غيرُه ، وإن كنت تريدهما معاً فالإيمان سبيلهما ولا سبيل غيرُه ، فلنتلمس ونسعى إلى أسباب الإيمان بالله ، والخوف منه ، بالتقرب إلى

(١) أبو الأعلى المودودي : منهاج الانقلاب الإسلامي ، جدة ، الدار السعودية ، ١٤٠٤ هـ ، ص ١٩ ، ٢٠ .

الله بالطاعات ، والعبادات والابتعاد عن المحرمات ، ولنستشعر دائماً عظمة خالقنا ، خالق الكون ، ومدبر الأمر كله ، إذ التحلّي بالصفات الاعتقادية يتطلب الوعظ والإرشاد الديني ، ولن نستغني في ذلك عما جاء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وما نادى به ودعا إليه علماء الإسلام الأجلاّء قديماً وحديثاً . فمنّا الاجتهاد وبالله التوفيق ليجعل قلوبنا عامرة بالإيمان الصادق[1] ، فنخضع سلوكنا القيادي والإداري لحكم هاتين الصفتين المصيريتين ، الإيمان بالله وباليوم الآخر ، والخوف من الله والوجل من يوم القيامة .

ثانياً : تبني الصفات السلوكية :

إنه من المسلم به أن الصفات الاعتقادية ، التي سبق ذكرها هي الموجِّه الرئيس لسلوك الإنسان . وللمساهمة في التعرف على الكيفية التي يمكننا بها تبنِّي صفات عمر بن عبدالعزيز السلوكية ـ والتي كان لها كبيرُ الأثر في نجاحه القيادي والإداري ـ في إدارتنا في الوقت الحاضر ، وبما يتناسب مع عناصر ومقومات إدارتنا ، فإننا سنتحدث عن ذلك بالنسبة لما أثبتناه في المبحث السابق من صفات عمر السلوكية ، وهي : الصدق وكراهية الكذب، والصبر ، والقناعة ، والحلم والعفو ، والجرأة والصراحة والجهر بالحق ، وعلو الهمة والطموح ، والزهد ، والتواضع ، والورع ، والحزم ، وأخيراً العدل .

١ ـ تبني صفة الصدق وكراهية الكذب :

قال الله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ »[2] ، وظاهر الآية أن الأمر للعباد على العموم[3] ، فلما كان الصدق

---

(١) للتوسع والاطلاع على أثر الإيمان في حياة الفرد والمجتمع، انظر يوسف القرضاوي : الإيمان والحياة، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ .

(٢) الآية ١١٩ من سورة التوبة .

(٣) الشوكاني : فتح القدير ، جـ ٢ ، ص ٤١٤.

من أهم ضرورات المجتمع الإنساني ، والكذب عنصر فساد في المجتمع فإن الإسلام قد أمر بالصدق ونهى عن الكذب ، وليس المقام مقام تفصيل ذلك[1] .

وتبرز ضرورة التحلّي بالصدق في القول والعمل ، حين نعلم أن المعاملات الإنسانية والعلاقات الاجتماعية ، تقوم في مجملها على الصدق ، وإذا كانت تلك الأهمية بالنسبة لجميع أفراد المجتمع، فما بالك بأهمية هذه الصفة بالنسبة لولي أمر ، أو قائد ، أو مدير ، أو أي قائم على إدارة مصلحة من مصالح المسلمين، ولقد كان عمر بن عبدالعزيز صادقاً، يكره الكذب وأهله، وقد أقسم أنه لم يكذب منذ شدَّ إزاره ، فأين نحن من ذلك ، فهل يمر اليوم علينا وما قلنا إلا الصدق ، أم أنه يمر يومنا وقد قلنا من الكذب بقصد أو بغير قصد ما الله به عليم .

إن كل محب للصدق كاره للكذب ، يتساءل : كيف لنا بمجتمع ذا كيان متماسك ، وأفراده لا يتعاملون بالصدق ؟. فلولا الصدق لفُقِدت الثقة ، وانحلَّت معظم الروابط الاجتماعية ، فالصدق أساس متين في سلامة التعامل ، وبناء الثقافة والتاريخ الحضاري ، وفي إطار هذا التساؤل تطرح تساؤلات أخرى حول المجتمع ، أو الجماعة ، أو أفراد المؤسسة ، أو الإدارة ، الذين لا يكون الصدق نبراساً لهم .

ونتساءل : كيف يوثَق بنقل العلوم والمعارف إن لم يكن الصدق أساساً يقوم عليه تعامل المجتمع ؟. وكيف يوثَق بنقل الأخبار وأحداث التاريخ في غياب الصدق ؟ وكيف يوثق بالعهود ، والمواثيق ، والشهادات ، والأدلة القولية ، ما لم يكن الصدق سبيل التعامل بين الناس[2] .

---

(١) للتعرف على موقف الإسلام من الصدق والكذب ، انظر الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٥٢٥ وما بعدها .

(٢) الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ .

ثم ما هو مصير الصداقة بين الإثنين؟ وما هو مصير الأسرة، والمدرسة ، والمصنع، والمؤسسة، والإدارة، والوزارة، بل والمجتمع بأسره، إذا لم يكن الصدق روح التعامل بينهم ؟ يخيل إليّ أن المصير سيىء ... فقدان الثقة بين الأصدقاء ، تفكك الأسرة ، انهيار بناء التعليم والتربية ، انهيار مقومات النجاح في المصنع والمؤسسة والإدارة والوزارة وغيرها ، تفكك وانحلال المجتمع ودخوله في دائرة التخلف الحضاري ، وفقدان هويته .

ومن أجل هذا كله ـ فضلاً عما للصادقين عند الله من الأجر والثواب ـ فإننا في حاجة لما اتصف به عمر من الصدق وكراهة الكذب ومقته ، فجعل ذلك أساساً يسير عليه منذ أن علم أن الكذب يشين صاحبه .

ومن هنا ينبغي للقائد منا أيًا كانت قيادته ، والمدير سواء مدير إدارة أم مدير مدرسة أم أستاذ فصل دراسي أم غير ذلك ، أن نخضع أنفسنا وأقوالنا لصفة الصدق ومقت الكذب ، فيَصْدُق القائد في حرصه على تحقيق أهداف المجموعة، ويَصْدُق في وعوده لمقوديه ، وفي أقواله وأفعاله ليوثق به ويطمئن إليه.

ويَصْدُق المدير مع رئيسه ومرؤوسيه ، فيقول الصدق ، فلا يعد بترقية ولا مكافأة وليس بفاعل ، ولا يعد بعفو أو مزية وليس بقادر ، فيختل نظام المؤسسة ، ويصبح العمل مجرد مصدر رزق بلا حرص على أداء أمانة العمل ، من جرّاء ما فقدته المؤسسة من الصدق .

ويصدق مدير المؤسسة التعليمية مع أعضاء هيئة التدريس وفريق العمل بالمؤسسة في التعامل ، وفي النقد للمعلمين ، وفي تقويم كل منهم في أداء مهمة التدريس ، متحرٍ للصدق في عهده ووعده ، فلا يكون مبيحاً للكذب بين عناصر مؤسسته من معلمين وإداريين وطلبة بما قد يقترفه هو من الكذب وتحريه .

وأما المعلم والمربي فشأنهما في قول الصدق شأن عظيم ، ليس لفرق بينهم وبين الآخرين ، ولكن لأجل الطرف الآخر الذي يتعاملون معه ـ المتعلمين والناشئين ـ إذ هم في عمر لا يستطيعون معه إدراك ما قد يدفع الإنسان إلى الكذب ، بل سيأخذون المواقف على علاتها ، فيكون الأمر سجية لهم دون أدنى إدراك .

لذا ينبغي للمعلم أو المربي أن يتحرّى قول الصدق ، وتجنب الكذب مع من يعلِّمَه أو يربِّيه بشكل دقيق ، فلا يجيب على سؤال أحد طلبته بغير الصدق ، ولا يقول : أعلم وهو لا يعلم ، ولا يعد بالإجابة فلا يجيب ، ولا يَعِد بما لا يقدر على الوفاء به ، حتى العلامة يَعِد بها الطالب فلا يعطيه إياها ، وكذلك القصة يرويها لطلبته ، أولى به أن يتحرّى ذكر القِصص الواقعية الصحيحة عن القصص الخيالية البعيدة عن الواقع وقبول العقل .

كما ينبغي أن لا ننسى أننا كمعلمين ومربين قدوة لمن نعلمهم ، فالأولى أن لا نكون قدوة سوء وكذب .

ولعل من أهم ما يلزمنا إدراكه في هذا الجانب أن الله سبحانه وتعالى كرمنا بأن خلقنا على الفطرة ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[1] . فالإنسان بفطرته ـ وبخاصة الناشئون ـ أكثر ميلاً للصدق وأكثر كراهة للكذب ، لذا ينبغي على المربين والمعلمين أن يستغلوا ميزة خلق الإنسان على الفطرة استغلالاً جيِّداً ، ليجبلوا طلبتهم على الصدق بكل يسر وسهولة ، ولا يعتادون الكذب ، ولا يستخفون بعواقبه .

كما أن معلمي المؤسسات التعليمية الجامعية ليسوا بأقل حاجة للصدق من غيرهم ، فيصدق الأستاذ في توجيهه لطالبه ، وأن يتحرّى له الأصح

(١) جزء من الآية ٣٠ من سورة الروم .

والأفضل ، ويراعي الصدق في المواعيد ، فلا يتخلف عن موعد أبرمه مع أحد طلبته ، أو مع أحدٍ ممن يشرف على رسائلهم ، بمجرد أن يطرأ له عذر عادي يقبل التأخير ، ويضرب بشعور الطالب وجهده عرض الحائط ، وإن بدر ذلك من الطالب فيعاتبه ، كما ينبغي الصدق والالتزام الدقيق من قبل الأستاذ الجامعي أيضاً بما يحدّده من الساعات المكتبية ، لكي لا يتولد لدى المتعلم الشعور بعدم مصداقية أساتذته وعدم أهمية ذلك ، إذ من البدهي أن لا يستغرب ذلك مستقبلاً ، وقد يقع في الخطأ ذاته .

ومن هنا يتضح أهمية التحلّي بالصدق ، ومقت الكذب ، وذلك هو ما تحلّى به عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قولاً وعملاً واعتقاداً ، وذلك ما نحن في أمسّ الحاجة إليه في وقتنا الحاضر ، في وقت يعجُّ مجتمعنا بالكثير والكثير من المتغيرات المختلفة ، وتزداد الحاجة إلى ذلك في مؤسساتنا الإدارية بكافة أنواعها ومجالاتها ، من الأسرة إلى السوق إلى المدرسة ، إلى الإدارة ، إلى الوزارة ، إلى المجتمع بأسره ، وهكذا حتى لا يستشري المرض من الأب لإبنه ومن الإبن لإبنه مستقبلاً ، ومن القائد لأتباعه أو العكس ، ومن المدير لمرؤوسيه أو العكس ، ومن الطالب لأستاذه والعكس ، ومن الطالب لزميله، وهكذا دواليك ، فتزداد المشكلة اتساعاً وعمقاً .

وخلاصة القول : إن الصدق بريد إلى الجنة ، والكذب بريد إلى النار ، وإذا علم ذلك بالنسبة لأي مسلم ، فاعلم أن اتصاف ولي أي أمر من أمور المسلمين بالصدق ألزمُ من غيره ، وأن اتصافه بالكذب هو في ذلك أقبح من غيره ، لأمور منها[1] :

(١) عبدالله بن أحمد قادري : الكفاءة والإدارة في السياسة الشرعية ، جدة ، دار المجتمع ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، بتصرف .

الأول : أنه قدوة لمتبوعيه (ومرؤوسيه وطلبته إن كان معلماً) ، فإذا رأوه يكذب اقتفوا أثره ، فكذبوا فيكون قدوة سيئة ، وإن رأوه يلتزم الصدق اقتدوا به فيكون قدوة حسنة .

الثاني : أن وظيفة ولي الأمر (أيًّا كانت ولايته أو مسؤوليته) وظيفة قيادية ، أي أنه راع ، والغالب أنه لا يحتاج إلى الكذب والغش ، لأن دوافع الكذب عند الناس لا يحتاج إليها ، فهو صاحب القوة والقول والحكم .

الثالث : أنه إذا تكرر منه الكذب فقد ثقة الناس في قوله ، فلا يصدقونه إذا حدَّث أو وعد ، وهذا كاف لئلا يطمئن لتصرفاته .

الرابع : أن الكذب يضر بولي الأمر، لأنه حين يعتاد الكذب ويؤثره على الصدق، عامله من في إمرته بالمثل ، فيظهرون له ما يريد إظهاره ، وهم في الواقع بخلاف ذلك .

لذا فالصدق صفة قيادية هامة للغاية ، فهي سر النجاح ، لما تجلبه من الطمأنينة للوالي ورعيته، وللقائد وأتباعه ، وللمدير ومرؤوسيه ، وللمربي وناشئيه ، وتجعل الثقة به أمراً ميسوراً ، والكذب يضر بهؤلاء جميعاً في الدنيا والآخرة بما لا تحمد عقباه .

٣ ـ تبني صفة الصبر :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُفْلِحون ﴾(١) .

والصبر قوة خلقية من قوى الإرادة يُمَكِّن الإنسان من ضبط النفس وتحمُّل المتاعب والآلام ، وبه يتمكن الإنسان بطمأنينه وثبات ، أن يضع الأشياء

(١) الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران .

في مواضعها ، ويتصرف في الأمور بعقل واتزان ، وينفذ ما يريد في الزمن المناسب ، وبالطريقة المناسبة الحكيمة ، وعلى الوجه المناسب الحكيم[1] . وذلك جل ما نريده من القائد أو المدير ، فالقيادة والإدارة تدور في مجمل متطلباتها ، على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب ، والصبر بلا شك مما يعين على ذلك .

وعن الصبر يقول ابن تيمية : « ... فالحاجة إلى السماحة والصبر عامة لجميع بني آدم ، لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا به »[2] .

وذلك ما أدركه عمر بن عبدالعزيز ، وما ينبغي لنا إدراكه ، والصبر له فضل في الدنيا والآخرة[3] ، وبخاصة عندما يكون الصابر مؤمناً محتسباً في صبره .

لذا فالقائد المؤمن ، والمدير المؤمن ، والمعلم المؤمن كل منهم – بل كل مسلم – حريٌّ بهم أن يتلمسوا أسباب ودوافع الصبر ، سواء كانت مادية أو معنوية ، ليتحلى بصفة الصبر ، فيكون الصابر المؤمن المحتسب ، فيصبر القائد على تابعيه ، وما قد يحصل منهم من أخطاء في العمل ، وما قد ينجم عن ذلك من مشكلات مادية ومعنوية، ويحرص على الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة، وكذلك يصبر على ما قد يتلقاه من إساءة قد تمس أي حق من حقوقه .

ومثل ذلك بالنسبة للمدير يصبر على مرؤوسيه ، وما قد يواجهه من اللوم لأجلهم، أو لأجل تقصير أحد منهم ، ويصبر على أعباء القيام بعمل أحدهم مثلاً،

(١) الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) أحمد عبدالحليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد النجدي وابنه محمد ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، طبع بإدارة المساحة العسكرية بالقاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، جـ ٢٨ ، ص ١٥٤ .

(٣) للإطلاع على فضل الصبر والصابرين عند الله ، انظر (الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٨ وما بعدها) .

عندما لا يتمكن من أدائه بسبب جهل ، أو عدم قدرة ، أو لعارض ألمّ به ، أو مرض ، أو غير ذلك .

والقائد أو المدير التربوي تزداد أهمية تحلّيه بالصبر ، تبعاً لكثرة من يتعامل معهم ، واختلاف مداركهم ، وكثرة تعاقبهم من سنة إلى أخرى ، مما يعرضه للمواقف الكثيرة التي تحتاج إلى الصبر وضبط النفس .

أما المعلم أو المربي فإنه في حاجة ماسة لخلق الصبر ، لأن من يتعامل معهم أشخاص متعلمون ، لا يعون ما يعي ، ولا يدركون ما يدرك ، وخصوصاً صغار السن ، لذا ينبغي له تقبل تصرفاتهم بصدر رحب ، والصبر على ما يبدر منهم تجاهه ، وما قد يكون منهم من تقصير في واجباتهم ، أو سوء فهم لأشياء ومواضيع معينة .

والأمر يتطلب صبراً أكثر بالنسبة للناشئين ، على ما قد يبدر منهم من إزعاج ، أو جهل يجهلون به على مربيهم ، أو أحد زملائهم ، أو إهمال لدروسهم وواجباتهم ، فيصبر على مواجهتهم ، وحملهم على فضائل الأخلاق ، وأجل الأعمال ، والإتقان في الأداء ، والحرص على العلم .

كما أن مما ينبغي لهؤلاء وكل من ولي أمراً للمسلمين ، أن لا يقف عند حد تحلّيه بالصبر ، بل يجب عليه أن يسعى إلى تعويد من حوله على الصبر وفضله ، وتعليمهم ما للصبر من مزايا في الدنيا والآخرة ، وخصوصاً المعلمين والمربين ومدراء المدارس ، الذين تتيح لهم طبيعة عملهم أن يعرضوا لتلاميذهم وطلبتهم المواقف الإيجابية ، والصور الرائعة عن الصبر . وهذا ما كان من عمر ابن عبدالعزيز ، فلم يكن يتحلى بالصبر ويعرف فضائله فحسب ، بل كان حاثاً على الصبر ، معلماً لما للصبر من عوض عند الله عز وجل ، كما سبق ذكره .

ولعل من أهم ما يلزمنا إدراكه ، وما يلزمنا تبنيه من صبر عمر ، صبره على الخلافة وولاية الأمر ، وأن يكون من الدوافع لصبرنا على ما نحن فيه ،

الدافع ذاته من الدوافع لصبر عمر على ولاية الأمر وتحمل المسؤولية ، إذ كان من دوافع صبره على ذلك خوفه مما قد يلحق بالإسلام والمسلمين من الضرر والفساد إن ولي الأمر من ليس بأهل له ، فيصبر من يتحمل مسؤولية شيء من أمور المسلمين ، سواء قيادة جند ، أم إدارة مؤسسة ، أم مصنع ، أم رئاسة وزارة ، أم تعليم أبناء ، أم رعاية أموال وحقوق ، أم غير ذلك ، على ما يلقاه من أعباء المسؤولية ونَصَب العمل ، وبخاصة ما قد يتكبده القائد العسكري من مشقَّة وعناء العسكرية ومتطلباتها ، أو المعلم والأستاذ الجامعي ومن في حكمهم من عناء مهنة التدريس ، وخصوصاً صغار السن ، ويدرك الواحد من هؤلاء أنه عندما يقوم بعمله على وجه يرضي الله ورسوله والمؤمنين، فإن لذلك مردوداً على الجميع ، وأن لا يدفعه عدم التحمل وعدم التحلِّي بالصبر ، إلى التخلي عن مهمته ، والآخر عن مهمته في المجتمع ، فيقوم على الأمر من ليس بأهل ، فيكون الأمر على قدر كبير من الإفراط أو التفريط .

وعموماً فالصبر ميزة تحلَّى بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لما لها من فضل في الدنيا والآخرة ، إذ يصعب حصر فضائل الصبر وفوائده وإيجابياته ، والصبر على ثلاث درجات[1] :

الأولى : الصبر عن المعصية ، بمطالعة الوعيد ، إبقاءً على الإيمان ، وحذراً من الحرام .

والثانية : الصبر على الطاعة ، بالمحافظة عليها دوماً ، وبرعايتها إخلاصاً .

والثالثة : الصبر في البلاء ، بملاحظة حسن الجزاء ، وتهوين البلية ، وانتظار روح الفرج ، وذلك ما أدركه سلفنا الصالح ، ومنهم عمر بن عبدالعزيز، وهذا ما ينبغي لنا إدراكه والتحلي به .

---

(١) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ــ ١٧٤ .

٣ ـ تبني صفة القناعة :

إن القناعة[1] من أهم ما يجعل المرؤوسين والأتباع يلتفون حول قائدهم ، ويخلصون له ، ذلك لأنه عندما يتّضح من سلوكه القناعة الصادقة ، يدركون أنه لا يهدف من قيادتهم أو إدراتهم إلا ما فيه مصلحتهم وخيرهم في الدين والدنيا.

ولقد كان عمر بن عبدالعزيز قنوعاً ، مُجْمِلاً في طلب كل ما حوله من أمور الدنيا ، وكان يحثُّ على ذلك .

ولقد وصف عمر القناعة بأنها الفقه الأكبر ، وحثَّ على تعليمها للناشئين .

لذا ينبغي لنا في المنزل والمؤسسات التعليمية أن نعلم : أن القناعة أمر مطلوب التحلي به ، فالقناعة كنز لا يفنى .

وإذا كنَّا قدوة لمن حولنا بالقناعة فيما نرغب الحصول عليه من أمور الدنيا ، كان ذلك شأنَ مَنْ في إدارتنا وقيادتنا ، فنكف ويكفون عن المطاردة والإلحاح في الطلب لأمور الدنيا ، والرضا بالقليل والميسور المبارك ، فلا يلهينا طمعنا عمَّا على عاتقنا من مسؤولية القيادة أو الإدارة ، فنؤجل أمراً ، أو اتخاذ قرار عن وقته المناسب ، ليس للتحري وجمع المعلومات عن هذا القرار ، ولكن لكسب أمر خاص ، أو مصلحة خاصة بدافع الطمع والحرص غير المحدود .

وإذا كنا كذلك فسيكون ذلك دأبَ مرؤوسينا وأتباعِنا ، فيكون حال تلك المؤسسة أو الإدارة في درجة متدنية من الكفاءة ، وحسن الأداء ، وتقديم الخدمة للمستفيدين منها ، إنشغالاً بما يطمعون في تحقيقه من الأمور الخاصة، كل ذلك بدافع من عدم الرضا والقناعة .

---

(١) القناعة : من القنوع ، وهو الرضا باليسير من العطاء والرزق ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٢٩٨) .

ولعل من أهم المؤسسات التي تتأثر بذلك المؤسسات التعليمية ، فيترك الطلبة دون معلّمهم ، أو يأتيهم معلم آخر لا يعلم عن خطة تدريس زميله شيئاً ، ولا أين وصلوا ، مما يؤثر حتماً على سير برامجهم الدراسية ، كل ذلك بدافع تحقيق الكثير والكثير من أمور الدنيا .

وكذلك عدم القناعة والرضا بالقليل ، يجعل صاحبها إن ولي شيئاً من أمور المسلمين ، موظفاً كان أو عاملاً ، مديراً أو غير ذلك ، يميل إلى استغلال وقت العمل الرسمي لصالحه ، سواء بالخروج عن العمل أم بإجراء الاتصالات والمقابلات ، أم حتى بمجرد التفكير ـ على أقل تقدير ـ والانصراف عن متطلبات عمله الموكل إليه ، والذي يأخذ عليه أجراً ، وتزداد أهمية مراعاة ذلك من قبل القادة والمدراء ، لكونهم قدوة لمن حولهم ، فالقرين بالمقارن يقتدي .

ولعل من أبرز ما نلمسه من قناعة عمر ، رغبته في تعليم الناشئين القناعة التي سماها « الفقه الأكبر » كما ذكرنا ، وذلك مما ينبغي تبنيه ، فنعوِّد أنفسنا القناعة ، ونعلم أولادنا القناعة ، والرضا بالقليل ، وأن نُجْمِل في الطلب ، فإنه إن كان لأحد رزقٌ في رأس جبل ، أو حضيض أرض يأته ، كما قال عمر رحمه الله ، فندرك ذلك المعنى الجليل ، ونعمل على تبني هذه الصفة ، فلا يؤثِّر طمعُنا وعدم قناعتنا على إدارتنا في الوقت الحاضر ، الذي يعج بالمغريات والدوافع المادية، فيلحق تأثير الإهمال بجانب على قدر كبير من الأهمية في بناء المجتمع، ألا وهو الإدارة ، وبخاصة الإدارة التربوية . وما يؤديه هذا الجانب من خدمة وبناء حضارة المجتمع المسلم .

٤ ـ تبني صفة الحلم والعفو :

الحلم والعفو من الصفات الحميدة المأمور بها في القرآن والسنة ، وغالباً ما يكون العفو ناجماً عن الحلم ، فالعفو ثمرة من ثمار الحلم وكظم الغيظ[1] ،

(١) قادري : الكفاءة الإدارية ، ص ٧٣ .

قـال الله سبحانـه وتعالى مادحـاً إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيـمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[1] ، كما أثنى رسول الله عليه الصلاة والسلام على الحليم إذ قال لأشج بن عبدالقيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة »[2] ، وقال الله عز وجل آمراً رسوله بالعفو : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنـهَ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3] .

وبلا شك إن عمر علِم أوامر القرآن والسنة ، وعمل بها ، فكان حليماً يحبُّ العفو ، ويؤثر الصفح ، كما سبق أن ذكرنا .

وامتثال ما أمر به الله عز وجل ورسوله من الحلم والعفو ، أمر واجب على كل مسلم ، إلا أننا نقتبس من هذه الصفة عند عمر بن عبدالعزيز ما يناسبنا في الحاضر .

وإذا كان الحال كذلك بالنسبة لعامة المسلمين ، فإن ضرورة الحلم والعفو تزداد ، والحاجة لذلك تبدو ماسةٌ لمن يلي من أمور المسلمين شيئاً ، للقائد ، وللمدير ، وللمعلم ، ولكل ذي أمر ، وذلك لأمور منها[4] :

الأمر الأول : مسؤوليته عن الجماعة الذين ولاّه الله أمرهم ، وبالطبع هم ليسوا سواء في الصلاح والتقوى ، والسمع والطاعة ، والصبر والتحمُّل ، والفهم والإدراك ، وقيادتهم إلى الخير والقيام فيهم بما ينبغي ، يحتاج إلى سعة صدر ، وحلم وعفو ، ولو لم يكن ولي الأمر كذلك لأذاق من يتولى أمرهم سوء العذاب في أغلب أوقاته ، كل على قدر ما تمنحه السلطة أو القانون .

---

(١) جزء من الآية ١١٤ من سورة التوبة .

(٢) المنذري : مختصر صحيح مسلم ، ص٧ .

(٣) جزء من الآية ١٣ من سورة المائدة .

(٤) قادري : الكفاءة الإدارية ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، بتصرف ، وإضافة الأمرين الآخرين .

الأمر الثاني : تمكن المسؤول أو ولي ذلك الأمر من استعمال ما يريد من القوة ، وسلطة النظام باستمرار ، فإن لم يكن حليماً يحب العفو ، لأرهق أتباعه ومرؤوسيه بالعقاب ، مما يجعل تنفيذه لمهمته ، وتحقيق هدف إدارته ، أمراً مستحيلاً في ضوء ذلك .

الأمر الثالث : تكرار ذلك ، سواء ما يبدر من الأتباع والمرؤوسين مما يثير عليهم ، أم تكرار غضب ولي الأمر واستخدامه العقوبات ، وما تمنحه المسؤولية من سلطة الجزاء . فتزداد الثغرة بينه وبين أتباعه اتساعاً ، ويحصل الشقاق والكراهية بينه وبينهم ، مما يجلب الفشل الذريع وعدم الاستقرار للكيان الإداري أياً كان .

الأمر الرابع : ما يجلبه الحلم والعفو من طيب الخاطر ، وكسب مودة الأتباع والمرؤوسين وطاعتهم ، مما يمكِّن من تحقيق الأهداف المرجوة ، لما فيه خير تلك الجماعة .

ومن هذا المنطلق ينبغي لنا الحرص على التحلِّي بالحلم والعفو ، فلا يغضب ولي الأمر فينا إن جهل عليه أحدُ أتباعه ، فقد حدث أن شهد شخص بأن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز من الفاسقين ! فلم يرد عليه ــ وهو من القدرة على تأديبه بمكان ــ إلا بقوله : وما يدريك وأنت شاهد زور لا نجيز شهادتك ؟

فنتقبل ما قد يبدر ممن حولنا ــ من المرؤوسين ومن الأتباع وطلاب العلم ، والتلاميذ ــ برحابة صدر ونُرجع عليهم سلوكهم ذلك بشيء من العفو فيكون ذلك الحلم والعفو مع القدرة علواً في المنزلة وسمواً في الشرف وقد يكون درساً لمن جَهِل فلا يعود .

كما أنه ينبغي أن نحذر أن يستفزّنا الشيطان بعزة السلطان والمسؤولية ، إلى ما لا تحمد عقباه ، فلا نتسلط على الناس بعصا السلطة والقانون ، فيطرد من له سلطة الطرد ، ويسجِن من له سلطة السّجن ، ويحسم من الأجر من له سلطة الحسم ، ويضرب من له سلطة الضرب (إن كان معلماً مثلاً) ويستخدم كل صاحب أمر أقصى ما يمنحه النظام من سلطة العقوبة ، دون أي اعتبار ولا تحرٍّ للأسباب والدوافع ، ولا تدرج في العقوبات ولا إنذار مسبق ، فتأخذه عزّة السلطة بالإثم . وذلك ما لم يكن من عمر بن عبدالعزيز فقد قال لرجل أسمعه كلاماً : أردت أن يستفزني الشيطان لعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً أمام رب العالمين .

أي شعور هذا ؟ أي إدراك لعواقب الأمور ؟ أين نحن من هذا الحلم وبعد النظر ؟ إننا نعرف ونرى بعض الأشخاص ـ هداهم الله ـ ممن ولي أمراً سواء مديراً أم قائداً أم معلماً ، حين يحدث من أحد مرؤوسيه أو من تحت قيادته خطأ ، أو يقال له كلام لا يعجبه ، يولول ويزمجر ، ويسب ويسخط ، ويهدِّد ويتوعد ، وقد تنقلب الإدارة أو المؤسسة رأساً على عقب ، ثم يلتف حوله من لهم منه مصلحة خاصة من المنافقين والمدلّسين ، ويأخذون في تهدئته بشكل يزيد من هيجانه وحنقه على المسيء (إذا اعتبرنا ما حدث إساءة) بأسلوب كله خبث ولؤم ، خصوصاً إن كان المعني ممن يقول الحق ويجهر به ، وقد يكرهه أولئك المنافقون ، عافانا الله مما هم فيه وهدانا وهداهم أجمعين .

كما ينبغي لنا التلطف مع الجاهل ، والرحمة له ، لما قد يحدث منه لجهله سواء مرؤوساً أم طالبَ علم أم ناشئاً ، فلا نشمت به ، ونشهر به بل نحلم عليه رأفة به ، ونعفو عنه رحمة له ، فهو من أول من يحتاج للحلم والعفو ، ثم نعلمه ما جهل .

ولعله من المناسب أن أختم كيفية تبنّي صفة الحلم والعفو عند عمر في وقتنا الحاضر ، بأسباب ودوافع الحلم والعفو ، ليكون واحداً منها إن لم يكن أكثرها أو كلها دافعاً لنا لنتحلى بصفة الحلم والعفو والأناة ، وهي عشرة[1] :

أولها : الرحمة للجاهل، فالجهل من أوكد أسباب الحلم رحمة به. والثاني : القدرة على الانتصار ، فتكون دافعاً للحلم والعفو، ولثقته بالقدرة على الانتصار. والثالث : الترفع عن السِّباب، وذلك من شرف النفس وعلو المنزلة . والرابع : الاستهانة بالمسيىء ، فقد يكون من دوافع الحلم والعفو الاستهانة وذلك ضرب من الكبر والإعجاب ، بيد أن فيه مردوداً إيجابياً . والخامس : الاستحياء من جزاء الجواب ، وذلك من صيانة النفس وكمال المروءة . والسادس : التفضل على السُّبَّاب أو المسيىء ، وذلك من الكرم وحب التآلف . والسابع : استكفاف السابِّ ، وقطع السِّباب وسد باب الإساءة وتبادلها ، وهذا يكون من الحزم . والثامن : الخوف[2] من العقوبة على الجواب ، وذلك يكون من ضعف النفس ، وربما أوجبه الرأي ، واقتضاه الحزم . والتاسع : الرعاية ليد سالفة ، أو لسابق معروف ، أو لحرمة لازمة ، وهذا من الوفاء وطيب الإنصاف . والعاشر : المكر ، وتوقع الفرص الخفية ، وتصيُّد الفرص الأنسب للرد ، وهذا من الدهاء .

كان مما دفعنا إلى عرض دوافع الحلم أن يلتمس كل منا ما يناسبه من تلك الدوافع إن لم تكن معظمها ، ليمكننا التحلي بهذه الصفات الحميدة . فضلاً عن الدافع الأهم وهو امتثال ما أمر الله ورسوله به من التحلي بخلق وفضيلة الحلم والعفو والصفح .

---

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٨ بتصرف .

(٢) إن من أفضل الخوف هنا الخوف من الله وعقابه ، واحتساب الأجر والمثوبة عند الله .

٥ ـ تبني صفة الجرأة والصراحة والجهر بالحق :

إن من الصفات التي ينبغي التحلي بها الجرأة والصراحة في القول ، والقدرة على الجهر بالحق ، ولنا في عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أسوة ، فقد كان جريئاً في قول الحق ، والجهر به ، إذ رفض رفضاً قاطعاً طلب الخليفة الوليد بن عبدالملك المبايعة بالخلافة لابنه وخلع أخيه سليمان بن عبدالملك . وتحمل ما لقي من السجن ، لأن في عنقه بيعة لسليمان ، فلم يذعن للباطل بنقض العهد ، لإرضاء الخليفة .

والحاجة ماسة في ظل الإدارة التي تزخر بالمتناقضات والخلط في المفاهيم والقيم إلى رفض الظلم والاستسلام لأهله ، وضرورة الجرأة في دفعه وردع أصحابه ، وبخاصةً ممن يتولى شأناً من شئون المسلمين ، يؤمل فيه دفع ضرر عن الجماعة من المسلمين ، ورفع ضيم عن أتباع أو مرؤوسين ، سواء من جور مسئول ، أم من انحراف قانون أم نظام ، والعمل على استقامة الأمور بما يصلح للفرد والجماعة، وألا نتواكل، مخافة عاقبة الصراحة والجرأة في قول الحق، فيتمادى الظالم في ظلمه، والجائر في جوره ، وتتسع دائرة هذا المرض .

كما ينبغي أن نقدم الرأي والنصح ، بكل صراحة دون محاباة ونفاق ، فإن رأينا الخطأ ممن له حق السلطة ، والذي ينبغي أن تستقيم الأمور بسلطته ، فإن كان جاهلاً يُعَلَّم ، وإن كان قاصداً ينبه .

والجهر بالحق أول الأمور كلها، فلا ينبغي أن تأخذنا في الحق لومة لائم ، إذ نجد في مواقف عمر بن عبدالعزيز ما يدفعنا إلى الجهر بالحق ، واحتساب ذلك عند الله ، والسعي للإصلاح وإعادة الحق . كما يجب علينا وعلى من تولى منا شأناً من شئون المسلمين ، أن نحب الداعين للحق ، والقائمين به ، لأن في ذلك تذكرة لنا لصيانة ديننا وأماناتنا ، ومما لا شك فيه أن المسؤول المدرك لعواقب الأمور يعلم أهمية الحق والقول به ، ومردوده الإيجابي على إدارته .

ومن الظواهر الحميدة المكملة لهذا الجانب ، الاعتراف بالحق والإذعان له عندما يتضح ، لأن هذا الخلق لا يزيد صاحبه إلا شرفاً ورفعه ، وكثيراً ما تراجع عمر بن عبدالعزيز إلى الحق ، واعترف به حتى لمواليه وعماله ، ولم ينقصه ذلك ، ولنا فيه رضي الله عنه قدوة ، فنعترف بأخطائنا ونتراجع عن إصرارنا عليه ، ولا نتكبر على الحق .

وخلاصة القول : إن التدرج في الجرأة البناءة والصراحة والجهر بالحق تعطينا القوة في الرأي ، والسلامة في القرار ، وتعطي إدارتنا صفاء ونقاء في القول والعمل ، فالاختلاف في الرأي بينة النجاح ، فتقوم إدارتنا على الاحترام المتبادل دون محاباة وخنوع للاستبداد والظلم ، وسكوت عن الحق ، فيكون بناءاً مغشوشاً ، سريعاً ما ينهار وتتكشف مساوئه ، في وقت نحن أحوج فيه إلى البناء والنهوض بقيم الإدارة الإسلامية .

٦ ـ تبني صفة علوِّ الهمَّة والطموح :

إن صفة علو الهمة والطموح لا يحول دون إمكانية التحلِّي بها سوى إرادة الشخص نفسه، وعزمه ورغبته الأكيدة في تحقيق كل أمر يسمو بالنفس والعقل.

ولقد وضع عمر بن عبدالعزيز في مقولة له عن نفسه ـ كما سبق ذكره ـ إطاراً كاملاً وشاملاً لما ينبغي أن يتدرج منه وإليه المسلم من معالي الأمور ، وأن يحرص بهمَّة وطموح إلى الأفضل مما هو فيه ، ثم إلى منزلة هي غاية كلِّ مسلم ، إذ قال : إن لي نفساً توَّاقة ، لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم، إلى العربية والشعر ، فأصبت حاجتي وما كنت أريد ، ثم تاقت نفسي إلى السلطان . فاستُعملت على المدينة ، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش الطيب ، فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم ، كانوا في مثل ما كنت فيه ، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة ، والعمل بالعدل ، فأنا أرجو أن أنال ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي بدنياهم .

هذا هو السُّلَّم الذي ارتقاه عمر يرحمه الله للوصول إلى أشرف مطلب يسعى الإنسان لتحقيقه، مروراً بما يعينه على ذلك، فرسم لنا تلك الخطوات وتلك المراحل الشاملة لما ينبغي للإنسان الكامل الإيمان والمروءة السعي لتحقيقه .

فماذا نحن عليه من عُلُوِّ الهمم والطموح ، ليس في أمور المال والجاه فحسب ، بل في كل الأمور الموصلة إلى أغلى سلعة عند الله ... إلى جنة عرضُها السموات والأرض ، وليكن ما عدا هذه السلعة أمراً ثانوياً .

ومن هنا فإن ما ينبغي تبنِّيه من علوِّ همة عمر وطموحه ، كان أمراً جلياً واضحاً لكل ذي بصيرة ، فينبغي أن لا ندني هممنا وطموحاتنا ، وأن لا نحقِّق أمجاداً على أكتاف الآخرين من حولنا ، وعلى حساب مرؤوسينا وأتباعنا وزملائنا ، بل ينبغي أن يكون تحقيق الأمجاد بجهدنا وقوَّة عزيمتنا وإرادتنا ، فنسعى إلى تحقيق الدرجات العالية من العلم ، ولا نقف عند حدٍّ معين ، فالعلم ليس له حدود على الإطلاق ، وأن نحرص على الوصول إلى تلك الدرجات بكفاءة عالية أيضاً ، وبمستوى عالٍ من الفهم والإتقان للعلم ، سواء كان العلم من علوم الدين أم غيرها .

كما أن لنا قدوةً في عمر بالنسبة للطموح وعلو الهمة ، فذلك لا يتنافى مع الدين ، إذا عزمنا على أداء حق المسؤولية ، وأداء أمانة العمل ، فنسعى إلى الترقِّي للأفضل ، سواء في العلم أو غيره ، لنستعين بذلك الارتقاء والطموح في توسيع دائرة الإصلاح والعمل الجادّ ، وابتغاء الفضل عند الله عز وجل .

ولتكون هذه المرحلة مما نحققه بعلوِّ الهمة والطموح ، وسيلة لنا ــ بما نطبِّقه من قيم الحق والسيرة العادلة ــ إلى أسمى غاية وأغلى سلعة ، إلى الحياة الآخرة ، إلى جنَّات النَّعيم ، فبالسعي إليها ، والفوز بها ، والنجاة من النار ، يمكن أن يقاس طموح المرء وعلوِّ همته ، وليس بسعيه إلى الدنيا وركونه إليها ،

وما يحققه فيها . ولنعلم أن الدنيا بما فيها ليست إلا وسائل وأدوات اختبار ، يجريه الله عز وجل لنا ، ليتعين بمشيئة الله من يفوز بالجنة بما عمل في الدنيا ، ويتعين مَنْ إلى الأخرى والعياذ بالله .

وفي إطار متطلَّبات القيادة ، فإنه يتحقق ــ بعون الله ــ على يد القادة أو المدراء ذوي الهمم العالية ، من خير الأمة أو الجماعة في دينها ودنياها ، ما لا يتحقق مع ذوي الهمم والطموح المحدود .

ولنعلم أن المتعلمين والناشئين في أشدِّ الحاجة لإدارة وتعليم أصحاب همم وطموحات عالية ليقتدوا بهم ويحذوا حذوهم ، فكثيراً ما نسمع من الناشئين والمتعلمين من يتحدثون عن بعض معلِّميهم وأساتذتهم ، وعن غزارة علمهم ، وما حققوه من المآثر العلمية بفخر واعتزاز ، وبلا شك سيكون لذلك مردود إيجابي عليهم .

وهذا بالضبط ما حصل من عمر بن عبدالعزيز أيام صباه كما سبق ذكره، إذ كان يتردَّد على الصحابي الجليل عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ــ عمِّ أمه ــ ليحفظ عنه الحديث النبوي ، وكثيراً ما كان يقول لأمه : أريد أن أكون مثل خالي ــ عبدالله بن عمر ــ كما كان يحلو له أن يسميه ، فتستكثر عليه أمه ذلك . ولكنه ــ يرحمه الله ــ بلغ شأواً عظيماً في علوِّ الهمة والعلم والعدل وفي أمره كلِّه .

ولعلَّ من المناسب أن نختم الحديث عن هذا الجانب بما قاله ابن الجوزي في علوِّ الهمة ، وطلب معالي الأمور ، إذ يقول : « من علامة كمال العقل ، علوّ الهمة ، والراضي بالدون دني ... قال أبو الطيب المتنبي :

ولم أرَ في عيـوب الناس عيبـاً كنقـص القادريـن على التَّمـام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه ، فلو كان يُتَصَوَّر للآدمي صعودُ السموات لرأيت من أقبح النقائض رضاه بالأرض ، ولو كانت النُّبوة تُحَصَّل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض ... ثم ينبغي له أن يطلب الغاية في العلم ، ومن أقبح النقص التقليد المطلق ، فإن قويت همته رَقَّتْه إلى أن يختار لنفسه مذهباً، ولا يتمذهب لأحد ، فإنَّ المقلِّدَ أعمى يقوده مُقَلِّدَه[1]، ثم ينبغي أن يطلب الغاية في معرفة الله ومعاملته ، وفي الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلا حصَّلها »[2] .

٧ ـ تبني صفة الزهد :

عندما يتيقن المسلم أن الدنيا بما فيها ، لا تساوى قطرات من نعيم الدار الآخرة ، ويؤمن بذلك إيماناً صادقاً ، فإن فطرته وإيمانه يدعوانه إلى الزهد[1] في الدنيا ، ومتاعها الزائل ترفُّعاً وطمعاً فيما هو أفضل ، طمعاً في الحياة الباقية الخالدة التي لا فناء فيها ولا زوال .

وإذا كان الزهد مطلوباً من المسلمين عامة فإن ولي الأمر أياً كانت مسؤوليته أولى الناس بذلك ، لأمور منها :

الأمر الأول : أنه بحكم ولايته ومسؤوليته يمتلك من أسباب الدنيا ، أو أسباب السلطة والوظيفة ، ما ينبغي أن يزهد فيه . إذ العبرة بالزهد مع القدرة على الكسب والتملك .

(١) هذا مما يدفعنا إلى التحرر من التقليد الأعمى وخصوصاً تقليد الغرب في أفكاره وثقافاته ومبادئه ، دون التحري لما يتفق مع تعاليم ديننا الحنيف .

(٢) ابن الجوزي : صيد الخاطر، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٣) ليس المقصود بالزهد : ترك السعي في مناكب الأرض ، والانتفاع بخيرها ، فالكسب منها والانتفاع بما يعين على القيام بالعبادات والطاعات أمر مطلوب في الإسلام ، إذ ليس المقصود أن تنصرف عن العمل والإنتاج زهداً في الدنيا ، و تميل إلى الكسل والتواكل ، والاستسلام للفقر ، واللجوء إلى الصوامع والزوايا ، بحجة العبادة (فالعمل عبادة) ، فنكون في حاجة إلى عطاءات الناس ومنحهم ، ومن ذلك ما نلحظه على نطاق واسع ، من عطايا وهبات ومساعدات أعداء الله من الكفار والملاحدة لفقراء المسلمين ومحتاجيهم في بلاد المسلمين شرقاً وغرباً .

الأمر الثاني : أن ولي الأمر والمسؤول قدوة في كل أمره ، فإن زهد كان قدوة حسنة وزهد من حوله ، وإن طمع وجشع قاد من حوله إلى هاوية الدنيا وزخرفها .

الأمر الثالث : إن زهادة ولاة الأمر من قادة ومديرين وغيرهم مع قدرتهم على أسباب الصرف والإسراف ، وما قد ينجم عن ذلك من التكاليف الدنيوية الباهظة ، يوفر على المسلمين أو الأتباع ما يفي بحاجتهم ، ويسد عوزهم في أي شأن من شؤونهم .

وفي هذا المجال لنا في خليفة المسلمين عمر بن عبدالعزيز الأسوة الحسنة، إذ يعد زهد عمر مضرباً للمثل ، على مرِّ التاريخ الإسلامي القديم والحديث ، حتى غلب عليه اسم « الخليفة الزاهد » .

ولعل من أهم ما ينبغي أن نعتبر به من زهد عمر ، زهده في تولي الخلافة ، فقد سعى سعياً حثيثاً في الخفاء ، عن طريق رجاء بن حَيْوة وزير سليمان بن عبدالملك وناشده الله ، إن ذكره سليمان بشيء من أمر الخلافة إلا صده عنه ، وإن لم يذكره ألا يذكره ، وقد أقسم على ذلك .

فينبغي أن لا يزيد حرصنا على مناصب الدنيا ، وتولِّي القيادة ، وتولي الإدارة عن الحد المشروع ، وأن لا نطلبها ونسعى إليها ، خصوصاً عندما لا نقدر أو لا نعزم على إعطائها حقها ، وكذلك عندما نعتقد وجود من هو أحق وأجدر .

أما إذا وقع الاختيار لتولي منصب قيادي أو رداري ، فإنه يلزمنا الزهد في مظاهر القيادة، وتولي منصب المدير أو الوزير، فلا نُمَيِّز بشيء عن الآخرين، ولا نستغل سلطتنا لمصالحنا الخاصة، ولا نحرص على الامتياز بالبناء،

أو المركب ، أو الملبس ، ليس إلا لمتطلبات المنصب ، وأن نزهد في ذلك . وأن نعلم أن هناك معياراً عند الله عز وجل ، غير معيار أهل الدنيا، يقيس به البشر ، ألا وهو التقوى والصلاح ، وليس بما يملكون من المال والجاه .

كما أن من الأمور المهمة التي يجب على المعلمين والأساتذة أن يقوموا بدورهم الحيوي والهام بالنسبه لها ، وهي تربية الناشئين والطلاب على الزهد في الدنيا ، وترغيبهم فيما عند الله عز وجل ، مع مراعاة أن يفرقوا لهم بين الزهد والتواكل والكسل ، وما يجلبه من الفقر والضعف والهوان .

كما ينبغي أن لا يقف زهدنا عند حد الزهد في المحرمات ، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى الزهد في المباحات ، حتى يتحقق لنا الفضل الكبير عند الله جل شأنه ، ودأبنا في ذلك دأب عمر بن عبدالعزيز ، الذي كان يزهد وهو في حال يمكنه من أن يبلغ به أفضل ما بلغ أحد من خلقه ، كما سبق أن ذكرنا ، إذ أتته الدنيا فاغرة فاها ، فزهد فيها وأعرض عنها ورغب فيما عند الله في الحياة الآخرة ، فزهد حتى في أن يأخذ أجراً من بيت المال ، وقال : ما لي يكفيني ، علماً بأن له أن يأخذ الأجر .

ولنعلم أن أفضل الزهد بعد المقدرة ، وأن الزهد ثلاثة أصناف هي : زهد فرض وهو : الزهد في الحرام ، وزهد فضل وهو : الزهد في الحلال ، وزهد سلامة وهو : الزهد في الشبهات[1] .

٨ ـ تبني صفة التواضع :

في الوقت الذي جاءت فيه النصوص الإسلامية تحرم الكبر والغرور بالنفس ، فإنها حثت على التواضع ولين الجانب . ولسنا بصدد إيضاح ذلك[2] ،

(١) ابن الأعرابي : الزهد وصفة الزاهدين ، ص ٢٢ .

(٢) للتعرف على تعريف الكبر ودوافعه وتحذير الإسلام منه ، وحثه على التواضع ، انظر : (الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٧١٨ وما بعدها) .

لكي لا نخرج عما نريد من تبني صفة التواضع عند عمر بن عبدالعزيز في إدارتنا في الوقت الحاضر .

لقد كان عمر متواضعاً تواضعاً جماً وصادقاً ، ونحن في حاجة إلى مثل ذلك التواضع ، فقد تواضع حتى فيما يُنادى به ، وجعل نفسه في موضعها ، إذ ناداه رجل بخليفة الله في الأرض ، فأنكر عليه ذلك ، واستحسن أن يناديه باسمه أو كنيته ، وإذا كان ولا بد فبأمير المؤمنين . وأما خلافة الله في الأرض فهي للأنبياء . ومن هذا الموقف ينبغي لنا أن ندرك ما أدركه عمر من أهمية التواضع ، حتى فيما يطلق على القائد أو المدير من الألقاب المزركشة ، التي جلها مباهاة ومفاخرة إن لم تكن تملق ونفاق حمانا الله .

وكان عمر ينهَى عن القيام له وبدئه بالسلام ، ومن ذلك يجب علينا كقادة ومديرين في هذا الزمن ، الذي غلبت فيه المظاهر المزيفة على حالنا ، أن لا تأخذنا العزة بالسلطة ، فنحرص على أن يصطف لنا الأتباع والمرؤوسون في الغُدوِّ والرواح ، وفي الحل والتِّرحال ، وننتظر السلام من الجميع ، وإلاَّ .... .

ومن ذلك ما يلاحظ من بعض المعلمين إذ يأمر طلبته بالقيام له عند دخوله الفصل . وذلك كله في ضوء ما كان من نهي عمر عن القيام له ، وأن ذلك أمراً ليس مرغوباً فيه .

كما يجب علينا أن لا يمنعنا تولينا الأمر والمسؤولية والمنصب ، قادة ومدراء ومعلمين ، من أن نباشر أمورنا الخاصة ومصالحنا بأنفسنا ، ولا نأنف ذلك ، فلا نُسخر الناس في خدمتنا ، وخصوصاً من لهم مصلحة عندنا من مرؤوسينا وأتباعنا وطلبتنا ، وإن كنا كذلك ، فلنا في عمر بن عبدالعزيز قدوة ، فقد كان عمر يتولى أموره بنفسه ، حتى السراج يصلحه بنفسه ، وبكل تواضع يقول : قمت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر ـ يقصد لإصلاح السراج ـ .

وليس ذلك فحسب ، فقد بلغ عمر أسمى درجات التواضع ، عندما طلب من جارية أن تُرَوِّحَه لحرٍّ أصابه ، فروّحته فغلبها النعاس فنامت ، فتنبه عمر ، فأخذ يروِّحها بكل تواضع ورحمة لها من الإعياء والحر ، فلم تأخذه العزة بالنفس، كيف أمير المؤمنين يروِّح عن جارية ؟ ولكنها قمة الإنسانية والتواضع .

ولنا في ذلك قدوة في قيادتنا فلا نلوم – بل قد يصل الأمر إلى العقاب – من يقصر في خدمتنا ، والإيفاء بمتطلباتنا بحق وبغير حق . فيجب أن ننظر بمنظار الرحمة والتواضع ، ونسأل أنفسنا ماذا عسانا نقدِّم لأتباعنا ومرؤوسينا من الأعمال الإنسانية ؟ ونجعل هذا التساؤل نصب أعيننا دائماً .

وفي جانب آخر ، كان عمر متواضعاً فمنعه تواضعه حتى عن كثرة الكلام خشية المباهاة ، فكيف بنا وقادتُنا ومدراؤنا ونحن نكاد لا نتيح مجالاً للآخرين للحديث ، بل قد نحتقرهم ، ونستخف كلامهم ، ونحرص على أن لا يكون هناك متحدث إلا نحن ، فلا كلام إلا كلام القائد ، أو المدير ، أو المعلم في الفصل ، ولا رأي إلا رأيه ، ولا قرار إلا قراره ، أصاب أم أخطأ ، بل قد يصل الأمر إلى أن يتوغر صدر المسؤول على من يُحاجُّه ويقترح عليه ويناقشه ، بينما يتسع صدره لمن يتشدقون بالضحك والتصفيق والتأييد غير المحدود ، على حق أو على غير حق ، مما يوهمه بصحة ما قاله ، وما أتخذه ويتخذه من القرارات والإجراءات ، إلا من رحم الله تبارك وتعالى ، وذلك كله ما يجب علينا التنبه له ، فالمسؤول وولي الأمر ليس في حاجة إلى الكبر بقدر ما هو في حاجة إلى التواضع ، فزمام الأمور بيده ، ووصل إلى ما هو فيه ، فلا حاجة إلى الكبر ليسدَّ نقصاً فيه ، فالكبر ذاته منقصة عند الله عز وجل وعند خلقه .

ومجمل القول: إن من الملاحظ أن الناس يحبُّون المتواضع ويألفونه، والسر في ذلك أن المتواضع يجعل نفسه في مستوى جلسائه وأتباعه ومرؤوسيه ،

فيعيش معهم بمودة وألفة وحسن إنجاز وإخلاص ، ويعيشون معه بمثل ذلك ، يضاف إلى ذلك أن المتواضع لا يثير في الناس وفي زملائه وأتباعه دافع المنافسة والحقد فيكون مألوفاً محبوباً ومطاعاً ، وتزاد أهمية ذلك بالنسبة للمعلمين وقادة الفصول التعليمية ، إذ يترتب على محبة الطلبة والناشئين لمعلميهم وتواضعهم من عدمه ، فَهْم واستيعاب الدروس والإبداع في التحصيل العلمي ، وعلى النقيض قد يصل الأمر بالطالب أو الناشىء أن يكره درساً أو حقلاً من حقول العلم طوال حياته ، بسبب كراهته لمعلم هذا الحقل في بدء دراسته ، ومن أهم ما يجعل الطالب يكره معلمه : التكبر والاستعلاء وعدم التواضع ولين الجانب والنزول إلى مستوى رعيته من التلاميذ ، فتكون النتيجة ما سبق ذكره أو أكثر من ذلك . مع العلم أن القيادة والإدارة التربوية أكثر مجالات الإدارة والقيادة ملاءمة للتحلي بهذه الصفة لما تلعبه العلاقات الإنسانية من دور بارز في هذا الميدان ، مما يتطلب التواضع ولين الجانب .

٩ ـ تبني صفة الورع :

إن الورع من أهم الصفات التي تحول بين صاحبها وبين المحارم ، بل والحلال والمباح ، ولقد اتصف عمر بن عبدالعزيز بهذه الصفة بكل ما تعنيه هذه الصفة ، بدافع من الإيمان وتقوى الله عز وجل ، كما سبق أن أثبتناه .

ونحن في وقتنا الحاضر أحوج ما نكون في حياتنا إلى الورع والتعفف ، لما تعج به بيئتنا من الماديات ، والمغريات ، ودوافع الطمع ، وازدياد الفاقة ، وحب عوامل الترفه والغنى .

وإذا عُلم ذلك فإن ولاة الأمر والمسؤولين من قادة ومديرين وغيرهم ، في حاجة لهذه الصفة أكثر من غيرهم ، لأمور منها :

الأول : كثيراً ما تكون الأموال والممتلكات والمغريات بشتى أنواعها ، في متناول أيديهم ، كمسؤولين ومؤتمنين عليها ، وبمقدورهم أن يبخسوها بأي شكل كان ، إن لم تردعهم تقواهم لله ، ويردعهم ورعهم ، بتوفيق الله .

الثاني : لكونهم أقرب للاقتداء بهم من قِبَل أتباعهم ومرؤوسيهم ، فيجب أن نعي معنى القدوة ، فإن تورع القائد والرئيس تورع الأتباع والمرؤوسين .

الثالث : إن في ورع ولاة الأمر والمسؤولين في كل المستويات خيراً ووفراً كبيراً لحقوق المسلمين ، وحفاظاً لما أسند للمسؤولين حفظه ورعايته ، بل وتنميته واستثماره .

الرابع : كما يزيد ولي الأمر في مجال التربية والتعليم مديراً كان أو معلماً بأمر آخر ، يزيد من أهمية تحلِّيه بصفة الورع ، ألا وهو : ارتباطهم بأتباع هم في مرحلة التعلم ، وهم بحاجة إلى التنشئة السليمة ، وقد لا يدركون الأمور بمقاصدها ، فلا يتحرجون عن أمر مشبوه ، وقد يكون ذلك بحسن نية ، ثم يعتادوا عليه .

ومن هنا يجب علينا أن نتقي الله ونتورع فيما في أيدينا ـ قلَّ أو كثر ـ من الممتلكات والأموال التي تخص الأجهزة والدوائر، التي نعمل بها أو نديرها .

ليس ذلك فحسب ، بل قد يكون هناك لا قدر الله من يسرع في نهب واختلاس ما يتيسر له ، خشية تنحيته من منصبه لأي سبب ـ عجَّل الله بعزل هؤلاء وأعاذنا منهم ـ فلا وازع من ضمير ، ولا خوف من عزيز مقتدر .

ولعل من سوء الطالع أن منا من يفرق بين ما تحت يده من ملكه الخاص، وما يرجع للدولة أو الجهة التابع لها ، فلكل منها شأن وقيمة وأسلوب استخدام ، ولنجعل مثالاً : مركبة تحت يد واحد من هؤلاء تُصرف له ، أو منزلاً يسكن فيه

إنه لا يتحرج أن يستخدمها أسوأ استخدام ، وقلما يجرى لها الصيانة الوقائية الضرورية . على العكس من مركبته الخاصة أو منزله الخاص ، التي قد يصل به الأمر إلى أن يتفقدها بين الساعة والأخرى ، وعلى هذا ومثله نقيس .

كما يجب علينا أن نتورع في كل صغير أو كبير ليس لنا فيه حق ، نتورع ونتقى الله في الحصول على شيء مما يخص الدولة والآخرين حتى القلم أو الدبوس ، نستحضر أن الله محاسبنا على ذلك ، بل يجب أن لا نستخدم معدات وأدوات وممتلكات الدولة دون أدنى حق .

أيها القائد .. أيها المدير .. أيها المسؤول .. يا ولي الأمر ،، يا من تخاف الله وتخشى عذابه ، أذكرك ونفسي تقوى الله ، وأعلمك أن عمر بن عبدالعزيز قد تورع عن تسخين ماء على نار المسلمين ليتوضأ به ! وتورع أن تُحمل له أرطال من العسل على دوابّ بريد المسلمين ! بل وتورع عن شم مسك جاء من فيء المسلمين حتى ولو بغير قصد ! وغير ذلك كثير .

أين نحن من هذا ؟ يا لهول ما نحن فيه ! نعم يا لهول ما نحن فيه ! إلا من عافاه الله ، وطهر يده .

أخي المسلم المسؤول : أحرص على أن تكون ممن عافاهم الله عن أموال الآخرين ، وعن أموال الدولة وممتلكاتها لتكون القائد الورع ، الممتثل لأوامر الله ورسوله ، المقتدي بعمر رحمه الله .

١٠ ـ تبني صفة الحزم :

الحزم وضبط الإنسان أمره من الأمور الضرورية لتسيير عجلة حياة الإنسان ، والحزم أولى بمن يتقلد أمراً من أمور المسلمين . فالقائد والمدير في حاجة ماسة إلى التحلي بصفة الحزم والتوكل على الله ، فالحزم من ظواهر قوة الإدارة .

والأخذ في الأمور بحزم عند ترجيح الوجه الأصلح ، مطلب إسلامي وسنة من سنن رسول الله ﷺ ، وكثيراً ما كان عليه أفضل الصلاة والسلام حازماً بعيداً عن التردُّد .

وهذا ما نحن في أمس الحاجة إليه في إدارتنا في الوقت الحاضر ، في الوقت الذي تكثر فيه مدخلات الإدارة ومتغيراتها ومؤثراتها ، ويصعب فيه اتخاذ القرارات الصائبة . في ضوء تزاحم تلك المدخلات والمؤثرات الإدارية ، وفي الوقت الذي تزداد فيه الحاجة إلى استمرار اتخاذ القرارات لمواجهة المستجدات الإدارية والقيادية ، والأمور الطارئة ، كل ذلك مما يزيد من أهمية الحزم ، بل يحتم على ولي الأمر قائداً كان أو مديراً أو معلماً أن يكون حازماً متوكلاً على الله .

ولقد ضرب لنا عمر بن عبدالعزيز مثلاً رائعاً في التحلي بصفة الحزم وقت الحاجة له . فكان حازماً مع أعداء الإسلام ، ومع أعيان وأمراء بني أمية ، حين خرجوا عن الجادة ، وكان كذلك مع من أراد الفرقة للمسلمين ، وما له مساس بأمر الدين ، وصور أخرى سبق الحديث عنها .

ومن هنا يتضح لنا ضرورة تحلِّي قادتنا بالحزم ، فلا نقف عند حد طبعنا وعاداتنا ، بل يجب على من لديه ضعف في إرادته أن يدرب نفسه على البتّ في الأمور بحزم ، وأن يتعوَّد على نتائج قراراته ومواجهتها ، فبالتدريب المتتابع يتخلص الإنسان من التردد الناشيء عن ضعف الإرادة وعدم الثقة بالنفس ، ويجعل نصب عينه القدوات الصالحة من أهل الحزم والعزم وذوي الإرادات القوية[1] . ومن هؤلاء كما قلنا عمر بن عبدالعزيز .

(١) الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

أما وقد علمنا ضرورة الحزم في إدارتنا وقيادتنا المعاصرة ، فإنه يمكن أن نذكر صوراً نعتقد وجوب أو ضرورة الحزم فيها :

الأولى : أن نكون حازمين حزماً لا يساوره التهاون ، فيما يتعلق بتنفيذ أوامر الله عز وجلّ ، وتجنب نواهيه ، فيجب على القائد أو المدير أن لا يتهاون مع أتباعه ومرؤوسيه في أمر الصلاة ـ مثلاً ـ في إدارته ومقرّ قيادته ، وأن يكون حازماً ، فلا يقبل في هذا الأمر العظيم وأمثاله أنصاف الحلول . فالحزم فيما يتعلق بأمور الدين مما يرضي الله ، أمراً ونهياً أمر مُسَلّمٌ بوجوبه ، بل هو من أهم مسؤوليات ولي الأمر .

الثانية : ويلزم الحزم مع من تثبت خيانته ، أو سوء سلوكه ، أو تقاعسه عن العمل ، أو ما شابه ذلك . فيكون مثالاً يعتبر به غيره ليصلح أمر من به فساد ، وخاصة عندما تتضح معالم التعمد واللامبالاة .

الثالثة : أن نكون حازمين بالنسبة لاتخاذ القرارات المادية وتنفيذها فيما يتعلق بأمور العمل ، بعد الاستقصاء والمشاورة ، ثم الترجيح لقرار ظهر صوابه وسلامته :

الرابعة : أن نكون حازمين مع من يكون سلوكهم ومطالبهم في إداراتنا لا توافق الحق والمنطلق ، بل يَسْعون لإخضاع الأمور لصالحهم ووفق أهوائهم .

الخامسة : كما يلزمنا الحزم والعدل على إعطاء أتباعنا ومرؤوسينا حقوقهم مما في أيدينا ، أو في مقدورنا ، فيكون حزمنا في العدل والحق ، واضحاً جلياً ، معلناً بصراحة .

السادسة : كما لا ننسى حاجتنا الماسّة للحزم مع من نعلّمهم ونربّيهم ، ليس لنقسو عليهم ، ولكن لنبني في أنفسهم صفة الحزم ، ونعلمهم الجد والتفريق

بينه وبين الهزل في الوقت الذي يسمح لهم بالتعلم وتلقِّي التدريب وكسب الخبرات ، فيكونون حازمين في وقت حاجتهم للحزم .

هذا ما رأينا ضرورة التحلِّي به، إلا أنه يبقى ميدان الحزم رحباً وواسعاً ، تبعاً للموقف والحاجة .

١١ ـ تبني صفة العدل :

العدل من صفات المؤمنين ومحبِّي الحق ، وهو مما أمر الله سبحانه وتعالى به ، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة[١] ، ولقد كان العدل من أبرز صفات عمر بن عبدالعزيز على الاطلاق .

وللعدل مجالات كثيرة منها[٢] : الولاية على الناس ، سواء كانت ولاية خاصةأم ولاية عامة ، والقضاء ، والشهادة ، والكتابة ، ومعاملة الأولاد ، والإصلاح بين الناس وغيرها .

ولعل ولاية الناس وقيادتهم والعدل فيهم من أهم تلك المجالات ، ولنا في عمر بن عبدالعزيز قدوة قل ما نراها ، فقد عدل بينه وبين الآخرين ولم يقبل إلا العدل ، وعدل بين المسلم والمسلم ، وبين المسلم وغير المسلم ، كما أمر بالعدل وحثّ عليه عماله وولاته ، وأغلق عليهم أبواب الإصلاح لولاياتهم وأمصارهم ، ما لم يتم ذلك أولاً بالعدل ، وروائع عدل عمر كثيرة كما سبق الحديث عنها .

ومن هنا علينا أن نتخذ العدل نبراساً لنا في كل شؤون حياتنا ، وبالذات حين نتولّى أمراً من أمور الناس سواء مسلمين أو غيرهم ، فنعدل في تعاملنا مع أتباعنا ومرؤوسينا ، وبخاصة مع ما تموج به الحياة والقيادات والإدارات من عوامل الاختلاف ، ودوافع الظلم والعدوان ، فتزداد متطلبات العدل والقيام بها .

---

(١) للتوسع في هذا الجانب ، انظر : الميداني : الأخلاق الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٦٣١ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ، ص ٦٣٠ ، ٦٣١ .

فيجب علينا أن نعدل فيما دوننا ، فالقائد وولي الأمر يجب أن لا يكون متسلطاً على أتباعه ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم ، ويسعى إلى إزالة ما يواجههم من العقبات . وقبل كل ذلك لا يبتغي من أي قرار يتخذه إلا الحق والمصلحة العامة[1] .

ومما يجب مراعاة العدل فيه في إدارتنا المعاصرة ، وبين أتباعنا ومرؤوسينا مراعاة الحقوق ، وهي من أهم ما ينبغي مراعاة وتحري العدل فيه ، لأنها مما يمس شأن الفرد مباشرة وإشباع حاجاته الأساسية ، وكذلك الجزاءات للمسيئين ، فلا يصدر الجزاء لقاء غياب مثلاً لشخص أو أكثر ، ويخص آخر أو أكثر بعفو أو جزاء من نوع أشد أو أهون ما لم يكن هناك أسباب عادلة . ومراعاة العدل في هذا الجانب مما يمنع الضغائن والأحقاد بين القائد وتابعيه وبين الأتباع بعضهم البعض .

ومما ينبغي أن لا نقع فيه : الميل عن العدل بدافع الرحمة لضعيف ، أو الشفقة على فقير والحق مع غيره واضحاً ، فذلك تبرير للجور، قال تعالى : ﴿ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾[2] ، وعلى النقيض يكون الميل عن العدل لجاه أو منصب أو سلطان، أو لمصلحة، فذلك أدهى وأمر .

كما أن من أهم ما يجب أن نتقي الله فيه من العدل ، ما قد يحملنا عليه كرهنا أو مقتنا ـ وإن كان ينبغي عدم وجود ذلك ـ لأحد من أتباعنا ومرؤوسينا وطلبتنا من الظلم والجور ومجانبة الحق ، وما نعرف من العدل . فكثيراً في وقتنا الحالي ، وإدارتنا المعاصرة ما تحصل أسباب الضغائن والتنافر في إداراتنا ومؤسساتنا ، لأسباب مادية أو معنوية إلا من رحم ربي . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

(١) نعيم نصير : القيادة الإدارية ، ص ١١٤ .

(٢) جزء من الآية ١٣٥ من سورة النساء .

الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١) .

وتزداد أولوية الحرص على العدل ، عندما يكون القائد أو ولي الأمر ، طرفاً في القضية ، ولنا في عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قدوة ، إذ حكم عليه قاضٍ بينه وبين خصمه في « مزرعة حلوان » ، وليس هذا فحسب ، بل قال عمر : لو حكمت بغير هذا ما وليت لي أمراً أبداً ــ كما سبق ذكره ــ .

ومن الجدير ذكره أن القيادة التربوية من أهم المجالات المحتاجة للعدل ، لأن المعلمين وولاة الأمر في المؤسسات التعليمية ، من مديرين وعاملين ، هم في مجال معهم من يقتدي بهم ويتعلم منهم ، وممن لا ينسى المواقف غير العدالة طوال حياته ، وإنني هنا أهمس في أذن المعلمين والأساتذة ومديري المدارس أن ينسوا ويتسامحوا عما قد يبدر من أحد طلبتهم من إساءة ، وأن يرفعوا أنفسهم ويضعوها في موضعها اللائق ، وأن يحملوا تلك الإساءة على المحمل الحسن ، ويعدوا هذا الطالب أحد أبنائهم ، والأب أهلاً للعفو ، فلا يحمل عليه فينقصه حقَّه في علامة ، أو نجاح ، أو إفهام لدرس ، أو تمكين آخر من سبقه في الترتيب ، أو غير ذلك من وسائل الانتقام الممكنة ، لأن الطالب قلما ينسى مثل هذه الصور غير العادلة وقد تدفعه إلى السلوك نفسه ، في وقت يكون زمام الأمور بيده .

ذلك ما اتضح من ضرورة تبنِّي العدل فيه ، وغير ذلك حتماً كثير ، إلا أننا ــ ومن خلال ما عزم عمر بن عبدالعزيز على تنفيذه ــ نؤكد على ضرورة الاستمرارية في التحلي بصفة العدل والبعد عن الجور ، فلا نعدل في أمر ونجور في آخر ، ولا في وقت عن آخر ، ولا في ولاية أو مسؤولية عن أخرى ، فلا تكون صفة العدل والتحلِّي بها والدعوة لها أمراً مستهلكاً دارجاً على الألسن

(١) الآية ٨ من سورة المائدة .

دون تطبيق . ولنتذكر مقولة لعمر أعلن فيها : أن العدل منهجه مهما طال به الأمـد ، ومهما كانت الأحـوال ، إذ قال : والله لو أقمت فيكم خمسين عاماً ، ما أقمت فيكم إلا ما أريد من العدل .

ثالثاً : تبني الصفات العقلية :

تعد الصفات العقلية من أكثر الصفات القيادية قابلية للاكتساب ، ولقد كانت شخصية عمر بن عبدالعزيز تتميز بكثير من هذه الصفات ، ومن أبرزها : الفهم والإدراك العميقين للأمور ، والبلاغة وفصاحة اللسان وحسن البيان ، وأخيراً العلم ، تلك الصفة التي كانت واضحة في شخصيته رحمه الله ، ومشهود له بها .

ومن منطلق أن الصفات العقلية من أكثر ما يمكن السعي لاكتسابه من الصفات القيادية ، فإننا بعد عرض تلك الصفات عند عمر ، نعرض كيف يمكن تبنِّيها في القيادة والإدارة في الحاضر .

١ ـ تبني صفة الفهم والإدراك العميقين للأمور :

إن الفهم والإدراك للأمور أياً كانت ، يعطيان تصوراً كاملاً ، وقدره على سبر أغوار ذلك الأمر ، مما يجعل التعامل معه أمراً ميسوراً .

ولقد تجلَّى واضحاً فهمُ عمر وإدراكه لكل ما يحيط به ، سواء عن طريق السعي للفهم وتقصِّي الأمور والتعرف على كنهها ، أم كمردود لعلمه الأصيل واطلاعه الواسع .

ونحن في وقتنا الحاضر ، في أمس الحاجة إلى الفهم والإدراك والوعي الكامل لما حولنا ، وبالأخص لمتطلبات القيادة والإدارة التي نسعى لتحقيق أعلى نسبة نجاح فيها ، فنسعى لفهم ومعرفة أهداف واستراتيجيات الإدارات

والمؤسسات التي نديرها ، ومهام الجماعات التي نقودها ، وعلاقة تلك المنظمات بالفرد والمجتمع ، وكيفية بناء العلاقة السليمة ، وما تقدمه من خدمة للمجتمع .

ولعل من أهم ما ينبغي إدراكه هو : المهمة الإنسانية والعلمية التي تتولى القيام بها المؤسسات التعليمية والقائمين عليها ، لذا فالقادة والمديرون التربويون والمعلمون هم في أمسّ الحاجة إلى الفهم والإدراك العميقين والصحيحين لكل ما يتطلبه أداء مهمتهم الإنسانية الجليلة .

وفي إطار الحاجة للفهم والإدراك واتساع المعرفة ، فإنه من الضرورة بمكان أن لا يقف الواحد منا وبخاصة القادة والمديرون والمعلمون عند حد متطلبات واجبه ، أو محيط إدراته ، أو تخصُّصَه ، أو مادته التي يُعلمها ، بل من الأولى والأجدر أن نسعى إلى فهم وإدراك الحقائق المتعلقة بمجال عملنا ، وما يتعلق به من بعيد أو قريب ، وأن نوسِّع مداركنا ونسعى إلى تحقيق ذلك بكل الوسائل والسبل .

كما أننا كقادة ومديرين في حاجة إلى التبصُّر والتفكُّر في الأمور من حولنا ، والفهم الشامل للحياة ومتطلباتها ، من علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بأخيه الإنسان ، وعلاقته بالكون من حوله ، وعلاقته بالآخرة ، بالإضافة إلى قدر كافٍ من العلوم الشرعية ، والعلاقات والمعاملات الشخصية في الإسلام ، وغير ذلك مما له علاقة بمجال القيادة والإدارة ، فذلك مما يُيَسِّر لنا فهم مهامنا القيادية والإدارية .

فقد لمسنا ـ كما ذكرنا ـ فهم عمر بن عبدالعزيز مثلاً ، لطبيعة وأهداف الرسل والرِّسالات ، وفهمه لطبيعة وحال الدنيا ، ولمصير الإنسان ودوره في الحياة وعلاقته بربه ، كما شمل إدراكه أسباب استقرار الدولة ، ومتطلبات القيادة الإسلامية واحتياجات الأتباع ، وما يبعث إلى الطمأنينة بينهم ، وعليه

يمكن القول : إن قدرة عمر الفائقة في الإحاطة بمعظم الأمور فهماً وإدراكاً جعلت منه قائداً متمكناً قادراً على مواجهة التقلبات ومتغيرات القيادة .

ونحن في وقتنا الحاضر ، ولأجل ما يتميز به عصرنا من التقدم والغزارة في الوسائل والاتساع في الأهداف ، فإننا في حاجة أشد إلحاحاً للسعي إلى تحقيق درجات متقدمة من الفهم والإدراك . إذ من المعلوم أن عمق الفهم والمعرفة ، يمكّن القائد أو المدير من اتخاذ الإجراء أو القرار المناسب ، ويجعل الأتباع والمرؤوسين يثقون ويطمئنون لذلك القائد ، ولن يتأتى ذلك إلا بقدر كبير من الحرص على الفهم ، وجمع المعلومات وتحليلها ، ومقارنة الحلول الممكنة عند اتخاذ القرارات الإدارية ، ليكون الفهم والإدراك ، وربط العلاقات بين مدخلات الإدارة من أهم الإعتبارات لدى القائد أو المدير ، لتحقق تلك الصفة مردوداً طيباً على سلامة القرار وملاءمته .

٢ ـ تبني صفة البلاغة والفصاحة وحسن البيان :

إنه من المسلم به أنه قد يتحقَّق بالبلاغة وحسن البيان، ما لا يتحقق بغيره، وقد كان من نتائج فصاحة عمر بن عبدالعزيز وبلاغته ، تحريك المشاعر والأحاسيس ، والإقناع ، حتى صار كلامُه أقوالاً مأثورة تتناقلها الأجيال ، وتتحدث عنها كتب التاريخ ، وتؤخذ للتدليل والاستشهاد بها ، والاحتجاج بها في البلاغة والخطابة[١] وسلامة اللغة .

والخطابة ـ بكل ما تحتاج إليه من بلاغة وفصاحة وحسن بيان ـ قوّةٌ فضلُها عظيم وشرفُها جسيم ، ولها غاية ذاتُ شأن كبير ، وهي : إرشاد الناس إلى الحقائق ، وحملُهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل . والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة ، وكانوا يَعُدُّونها شرطاً للإمارة[٢] .

---

(١) للتوسع : في فن الخطابة والخطابة في الإسلام ومبادئها وأنواعها ونماذج منها ، انظر : علي محفوظ (ت ١٣٦١ هـ) : فن الخطابة وإعداد الخطيب ، القاهرة ، دار الاعتصام ، بدون تاريخ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ .

وفي ضوء ما اتصف به عمر من مقوِّمات الخطابة ، فإن القائد الذي يرغب التأثير في أتباعه ، والإقناع لهم بما يهدف إلى تحقيقه ، حتى وإن كان الأمر يتطلب التضحية بالنفس والنفيس ، ـ يتضح ذلك جلياً في قيادة الجند (القيادة العسكرية) وضرورة إقناعهم بما يقاتلون عنه ومن أجله ـ فينبغي له أن يسعى إلى ما يؤهله إلى تحقيق المستوى المطلوب من البلاغة والفصاحة وحسن البيان ، وكافة مقومات الخطابة ، وأن يتعرض بعزم أكيد لطرق تحصيلهما المجملة في أربع طرق ، هي[1] :

الأولى : الفطرة والاستعداد الغريزي ، وهذا هو الأساس .

الثانية : معرفة الأصول والقوانين التي وضعها الحكماء .

الثالثة : الإكثار من مطالعة أساليب البلغاء والخطباء ، ودراستُها دراسةَ متعرِّف لمناحي التأثير ، ومتانةِ الأسلوب وحسنِ العبارة وجودةِ التفكير .

الرابعة : الارتياض ، (أي التدريب) والاحتذاء ، (أي اقتفاء أثر البلغاء) لأن مقومات الخطابة ملكةٌ نفسية لا توجد دفعة واحدة ، بل لابدَّ لطالبها من الممارسة والمِران ، كي تنموَ مواهبه .

وإذا عُلم هذا ، فإن دوافع الحرص على سلوك تلك الطرق كثيرة ، فينبغي لنا ، كسب قدر لا بأس به ، من البلاغة وحسن البيان ، لنحقِّقَ بذلك شيئاً ـ ولو يسيراً ـ مما تحقق لعمر بن عبدالعزيز من تحلِّيه بهذه الصفة ، وحرصه على نيل ما أراد من العربية وعلومها منذ صغره .

وتزيد ضرورة كسب القدر المطلوب من البلاغة وحسن البيان أن هذه الصفة مما يمكن تعلُّمُه واكتسابُه ، بالإضافة إلى أن الحاجة إلى هذه الناحية

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٨ .

ماسةً بالنسبة للقادة والقادة التربويين ، من مديري مدارس وجامعات ، ومعلمين وأساتذة ، لأن هناك من يتربى على أيديهم ويتعلّم منهم ، وهنا يطرح السؤال التالي نفسه : كيف بمعلّم يرغب تعليم القرآن الكريم أو اللغة العربية ، وهو لا يفرّق بين المرفوع والمنصوب ؟. ولا يعرف من البلاغة والفصاحة إلا اسمها ؟ وكيف بأستاذ يريد سبر الأغوار في التعليم والتثقيف ، ودراسة الأدب والبلاغة ، وليس على درجة عالية من المعرفة بها ؟.

إن ذلك ، فضلاً عن حاجة القائد للإقناع ، والحاجة لسهولة الفهم للتعليمات والأوامر ، والنصح والإرشاد ، والدعوة إلى الله وإلى خير الأتباع في الدين والدنيا ، وإيصال ما يخرج من القلب إلى قلب السامع ، والوضوح وحسن البيان في القرارات الإدارية ونصوصها ومدلولاتها ، والوضوح والسلامة في بنود القوانين والأنظمة الإدارية ، وسلامة مدلولات الدعاية والإعلان والإعلام ، ذلك كلّه مما يحتم علينا السعي إلى التمكن من تحقيق قدر كافٍ من البلاغة في الكلام ، والفصاحة في اللسان وحسن البيان ، ولنتذكر قول عمر بن عبدالعزيز : إنّ القلب لا يعبّر عنه إلا اللسان ، وإن الكلام هو السحر الحلال .

٣ ـ تبني صفة العلم :

إن الإنسان ـ بقدر يسير من العقل ـ يدرك أن العلم والتعلم مما لا غنى له عنه ، فقد جعل الإسلام العلم أفضل من العبادة والجهاد . ولقد اتضح أن هناك إجماعاً من قبل علماء ومفكري الإدارة ، مسلمين وغيرهم ، قديماً وحديثاً على أن العلم من الصفات اللازمة للقائد وولي الأمر .

ومن علماء المسلمين ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الذين اشترطوا العلم لولاية الأمر ، الماوردي والفارابي ، وابن خلدون ، وغيرهم . يقول ابن خلدون :

« ... فأما اشتراط العلم فظاهرٌ ، لأنه إنما يكون ـ أي ولي الأمر ـ [منفذاً][(١)] لأحكام الله تعالى ، إذا كان عالماً بها ، وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ـ أي ولاية الأمر ـ ولا يكفي من العلم إلا أن يكون مجتهداً لأن التقليد نقص ... »[(٢)] ، وبطبيعة الحال فدرجة الاجتهاد لن يبلغها أحد إلا بالوصول إلى مرحلة متقدمة وغزارة في العلم والمعرفة .

والعلم والتعلُّمُ قبل هذا وذاك مأمور به في ديننا الإسلامي الحنيف ، بل هو أول ما أمر به في القرآن . وذلك ما أدركه عمر بن عبدالعزيز إدراكاً تاماً ، إذ بلغ مرتبة الإجتهاد ، ولُقِّب بمعلم العلماء ، وشهد له أقرانُه ومعاصروه بذلك ، بل وشهدت له أقواله وأفعاله بذلك ، إذ لا يزال يُحتج برأيه وعلمه وفقهه إلى يومنا هذا .

ونحن في قيادتنا وإدارتنا المعاصرة في أمسّ الحاجة إلى العلم ، إلى العلم بأمور الدين وأحكام الشريعة أوّلاً[(٣)] ، ثم العلم بمجال التخصص ، وما يمكن أن نتعلمه من علم الإدارة ، وفن القيادة ومبادئهما وعلاقتهما بالعلوم الأخرى ، وندرس سيرَ وأساليب قادة وعظماء المسلمين وغيرهم ، وأن نطلع على كل جديد[(٤)] مما يكتب عن علم الإدارة لدى المسلمين وغيرهم ، لنستفيد ونبنيَ قاعدة متينة من الأصول والمبادىء وفي مقدمتها الأصولُ والمبادىء الإسلامية في علم الإدارة وغيره .

---

(١) ما بين المعقوفتين لم ترد في المصدر وأضفناها ليستقيم المعنى .

(٢) عبدالرحمن بن محمد بن خَلْدُون (ت ٨٠٨ هـ) : مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، دار الجيل ، بدون تاريخ نشر ، ص ٢١٣ .

(٣) يجب أن يكون المسلم على علم كاف بأصول دينه ، وكذلك القائد بخاصة ، فلا ينبغي أن يكون الاهتمام بمجال التخصص وما جد حوله فحسب ، بل يجب أن يتعلم كلٌّ منا ما يحتاج إليه من علوم الدين ، سواء أمر العبادات والأحكام ، أم شروط القيادة والمعاملات الشخصية في الإسلام ، فلا نكتفي في ذلك بالدارسين في الكليات الشرعية وعلماء الدين ، وكأننا لسنا مسلمين في حاجة ذلك .

(٤) يجب أن نأخذ حذرنا من هذا الجديد وكل جديد ، خصوصاً ما نتلقاه من الثقافات المجاورة شرقاً وغرباً ، وأن لا نأخذ الأمور على علاَّتها ، بل يجب تمحيصُها وغربلتها في غربال تعاليم الدين الإسلامي .

ومما يزيد من أهمية العلم وضرورته في إدارتنا في الوقت الحاضر ، ما يزخر به العالم المعاصر من الكم الهائل من العلم والمعرفة ، والتقدم « التكنولوجي » في كل المجالات ، إذ بلغ عالم اليوم شأواً عظيماً ، ومبلغاً رفيعاً مذهلاً في التقدم العلمي ، مما يوجب علينا مواكبة هذا التقدم ، ومن المؤكد أن هذا التقدم له تأثيرٌ على الإدارة ومدخلاتها ووسائلها ، والقيادة وأساليبها . وتزداد تلك الأهمية بالنسبة لولاة أمر المؤسسات التعليمية والمعلمين والأساتذة . فهم في حاجة إلى العلم ، فضلِه ، وأصله ، وفرعه ، بحكم نَذْرِهم أنفسهم للعلم وطلابه .

لذا يجب علينا أن نجعل العلم والترقي في درجات العلم من أهم أولوياتنا ، ولا نقف عند حدٍّ معين من الدراسة التخصصية ، أو مستوى معين من الشهادات ، وكأننا قد حوينا العلم ، فالعلم لا حدود له ، ومن اعتقد للعلم حدوداً فقد أنقصه قيمته .

ونقصد هنا ، العلمَ بمعناه الواسع الشامل ، علومَ الدين ، والعلم التخصصي ، وعلم الإدارة ، وفن القيادة ، وعلم التاريخ والاعتبار به ، وفضائل الأخلاق والحرص عليها ، وكل ما من شأنه خلق القائد المسلم العالم المعلم ، الأهلِ لأيِّ منصب أو أيَّة مسئولية تُلقى على عاتقه ، ولنا في عمر بن عبدالعزيز قدوة فيما وصل إليه من العلم وما اقترن عنده من العلم بالعمل ، فلا نجعل ثغرة بين العلم والعمل ، ولنتذكر قول عمر : إن العمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان عليهم وبالاً ، كما سبق إيضاحه.

كما يجب على القادة والمديرين وولاةِ أي أمر من أمور المسلمين ، أن يستنصحوا ذوي العلم والمعرفة ، وأصحاب الخبرات ، ومتقني التخصصات ، فيستفيدوا من علمهم وخبرتهم لتزداد الفائدة ، ويتحقق الإتقان في الأداء والكفاءة في العمل .

وإجمالاً فإن هناك أموراً أرى أنها لا بد أن تدفع القادة والرؤساء والمديرين وكلَّ ولي أمر إلى التزوُّد من العلم ، وبناء الخبرة ، وهي بالإضافة إلى ما يحتاجه المسؤول من علم بأمر دينه أربعة ، هي :

الأول : لعل من أهم الدوافع للعلم ما أمر الله به في كتابه الكريم ، وما حث عليه الرسول ﷺ ، وما للعالم من فضل ، وما يجلبه العلم على أصحابه من خير عند الله عز وجل وعند الناس .

الثاني : الحاجة إلى الأحكام الشرعية في كل الأمور القيادية الإدارية والمعاملات الشخصية والعلاقات وما يتعلق بهذا الجانب .

الثالث : إن العلم والاتصاف به من أعظم ما يجعل الأتباع محبين لقائدهم، أو ولي أمرهم ، واثقين به ، مطيعين له ، مطمئنين لحسن تصرفه ، فضلاً عن المحبة والإجلال اللذَيْنِ يُكِنُّها الناس للعلماء ، حتى وإن لم يكونوا من ذوي المسؤولية والسلطة .

الرابع : إنَّ جهل صاحب السلطة والمسؤولية مما يضيع أمر الجماعة بخاصة ، وأمر المسلمين بعامة ، ويفسد شأنهم في الدين والدنيا ، وهذا ما لا يرضاه ذو خلق ودين .

الخامس : إن الجاهل محل ازدراء الناس وسخريتهم منه، واحتقارهم له ، فكيف به إن كان والياً لأمر أو سلطة، فيظهر حمق تصرفاته، وخطأ قراراته ، وسوء إجراءاته ، وهذا ما لا يقبله ولي أمر لديه من العقل يسيره .

هذا ما تمكنا من إيضاحه عن كيفية تبني صفات عمر بن عبدالعزيز في مجال قيادتنا وإدارتنا في الوقت الحاضر ، وفيما يلي المبحث الرابع ، وسيكون الحديث فيه ـ إن شاء الله ـ عن النَّمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر في

ضوء الأنماط القيادية الحديثة ، وأهم ركائز ذلك النمط القيادي . الذي أثبت نجاحه بتوفيق الله ، لنختم بذلك الفصل الثالث الذي خصصناه للحديث عن القيادة عند عمر بن عبدالعزيز رحمه الله .

المبحث الرابع

النمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر وركائزه

لقد كان للنمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر أثرٌ ملموسٌ في نجاحه في قيادته للأمة الإسلامية ، ولأهمية هذا الجانب ، فإننا سوف نتطرق في هذا المبحث إلى النمط القيادي الذي اتَّبعه عمر في ضوء أنماط القيادة الحديثة بشيء من التفصيل ، ثم نتحدث عن ركائز النمط ، أو الأسلوب الذي اتبعه عمر في قيادته .

أولاً : نمط قيادة عمر في ضوء الأنماط القيادية الحديثة :

لقد تمخض الفكر الإداري الحديث عن ثلاثة أنماط قيادية رئيسة، أحدها : النمط الاستبدادي (الأتوقراطي) ، والثاني : النمط المشارك (الديمقراطي) وأخيراً : النمط الحر أو التسيبي ، ولما لكل منها من جوانب نقص ، حسب مقتضيات العمل القيادي ، فإنه لا يعوِّل نجاح عمر في قيادته إلى أتباعه أياً من هذه الأنماط ، ولم تتسم قيادته بأحد هذه الأنماط منفرداً .

وفي الإطار نفسه فإن هناك الكثير من النماذج والأنماط القيادية التي نتجت عن الدراسات[1] الحديثة ، في مجال القيادة ، وخصوصاً في الغرب ، ومن هذه النماذج والأنماط « نموذج روبرت ROBERT » ، والذي يسمى نموذج « المسلك والهدف »[2] ، أو نظرة « المسار والهدف »[3] ، الذي تبناه وطوره كل

---

(١) للتوسع انظر : قاسم جميل قاسم : مفاهيم أساسية في القيادة الإدارية ، مجلة الإدارة والتنمية ، تصدر عن معهد التنمية الإدارية بدولة الإمارات العربية المتحدة ، العدد الأول ، ١٩٨٨ م ، ص ٨٧ وما بعدها . فؤاد سالم وآخرون : المفاهيم الإدارية الحديثة ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(٢) قاسم : مفاهيم أساسية في القيادة الإدارية ، ص ٨٩ .

(٣) فؤاد سالم وآخرون : المفاهيم الإدارية الحديث ، ص ١٥٣ .

من الباحثين « روبرت هاوس وميشيل ROBERT HOUSE & METCHELL »[1] ، وجوهر هذا النموذج يقوم على إرضاء الاتباع ـ في قيادة عمر الرعية بأكملها ـ مما يؤدي إلى زيادة الإنجاز ، وقد قسم هذا النموذج القيادات إلى أربعة أنواع[2] :

١ ـ القيادة المساندة (المساعدة) ، وهي القيادة التي تهتم بالعنصر الإنساني ، وتعمل على زيادة الرخاء الوظيفي ، من خلال الاستجابة لحاجات الأفراد وتأمين رفاهيتهم .

٢ ـ القيادة الموجهة (المرشدة) ، وهي القيادة التي تعتمد على إرشاد وتوجيه المرؤوسين (الولاة والعمال والرعية) ، وبرمجة العمل ، ووضع آفاق تنظيمية يجري العمل وفقها .

٣ ـ القيادة المشاركة ، وهي قيادة تقصد آراء الأفراد في المنظمة (الدولة)، من خلال التشاور والمشاركة في اتخاذ القرار .

٤ ـ القيادة الموجهة نحو الإنجاز (المهتمة بالإنجاز) وهي قيادة طموحة تضع أهدافاً طموحة ، ولها ثقة كبيرة بقدرة الأتباع (أفراد الأمة) في الإنجاز ، وتحمل المسؤولية .

يقول « روبرت » صاحب النموذج : هذه الأنماط أو الأساليب الأربعة قد تُرى في شخص واحد في أوقات مختلفة ، ووفقاً للحالات المواجهة[3] .

أما عمر بن عبدالعزيز فلا أبالغ إذا قلت : إنه قد جمع بين تلك الأنماط التي ذكرها « روبرت » في نموذجه ، وهذا ما جعلنا نختار نظرية « المسلك

(١) فؤاد سالم وآخرون : المفاهيم الإدارية الحديثة ، ص ١٥٣ .

(٢) سالم وآخرون : المفاهيم الإدارية الحديثة ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ . قاسم : مفاهيم أساسية في القيادة ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) قاسم : مفاهيم أساسية في القيادة ، ص ٩٠ .

والهدف » تلك ، والتي كانت أقرب النظريات إلى النمط الذي اتّسمت به قيادة عمر ، ولكن كما قلنا النظرية في مجملها ، وبكافة أنماط القيادة الأربعة ، التي أشير إليها في هذه النظرية المسماة نموذج روبرت . فقد اتبع عمر أسلوباً في قيادته للأمة الإسلامية ، يتسم باتخاذ كل من هذه الأنماط الأربعة في وقت أو موقف يتلاءم ذلك النمط مع الموقف الذي يواجهه .

ومن خلال النمط المتكامل للقيادة ، الذي اتبعه عمر بن عبدالعزيز ، فإنه قد أدرك أن أكثر أنماط القيادة فعالية ، هو الذي يحقق الحاجات التي تتطلبها كل حالة معينة ، إذ يتطلب ذلك اهتماماً كبيراً بجميع القوى البشرية[1] ، المتمثلة في أفراد الأمة ، والأهداف السامية للدولة .

وقد توقع « روبرت » أن تلك الأنماط قد تُرى في شخص واحد ، في أوقات مختلفة ، فوجدنا عمر يتبع تلك الأنماط قبل ذلك التوقع ، وقبل ذلك التقسيم ، وزاد بأن كان الجمع بين تلك الأنماط أسلوبه في كل الأوقات ، لا في أوقات مختلفة .

وللدلالة على أن عمر بن عبدالعزيز قد تمثل تلك الأنماط ، التي أشار إليها « روبرت » ، وجعلها جميعاً في حيِّز التطبيق ، فإننا سنورد شيئاً مما يشير إلى أن عمر طبق تلك الأنماط في قيادته ، فكانت الأنماط على النحو التالي :

١ ـ نمط القيادة المساندة ، وإن كانت بهذا الاسم ، فإن المقصود في مثل حالة عمر ، مساندة العمال والولاة ، وما أغدق عليهم ، والرعية وزيادة الرخاء بينهم ، والاستجابة لحاجات الأفراد ، وذلك ما دار في خَلَدِ عمر بن عبدالعزيز ، منذ الساعات الأولى لتوليه الحكم، فقد رأى ضرورة الاستجابة لحاجات أتباعه ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، إذ قال لمولاه حين سأله عن سبب اكتئابه في يوم

(١) نعيم نصير : القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث الإسلامي ، ص ٧٥.

توليه : « لمثل الأمر الذي نزل بي ـ يقصد أمر الخلافة وقيادة الأمة ـ اهتممت ، إنه ليس من أمة محمد ، في مشرق ولا مغرب ، أحد إلا له قِبَلي حق يحق عليَّ أداؤه إليه ـ أي يجب عليَّ أداؤه ـ ، غير كاتب إليّ فيه ولا طالبه مني »[1] . وعلى هذا الأساس كان الكثير من أوامره رضي الله عنه ينصب على جوانب زيادة رخاء الأمة ، والاهتمام بمتطلباتهم ، على كافة مستوياتهم وأماكنهم ، ومن ذلك تقليل الضرائب ، وحرية التجارة ، وردُّ المظالم ، ونشر العلم وغير ذلك . ولن يتأتى ذلك إلا باتباع الشيء ذاته مع العمال والولاة والقضاة والمرؤوسين .

والتعرف على مطالب وأحوال الناس كان رحمه الله يتلقى الركبان[2] ، فيسألهم عن أخبار الناس في قراهم ومدنهم ، فقد روى ابن عبدالحكم أنه خرج يوماً ومعه مولاه مزاحم ـ للغرض نفسه ـ فلقيهما راكب من أهل المدينة ، فسألاه عن الناس وما وراءه ، فقال : « إني تركت المدينة ، والظالم بها مقهور ، والمظلوم بها منصور ، والعائل مجبور » فسر ذلك عمر رضي الله عنه ، وهو حال يسر كل حاكم يخاف الله في رعيته . ثم قال عمر : « والله لأن تكون البلدان كلها على هذه الصفة ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس »[3] .

وفي ذلك دليل قاطع على إيثاره رحمه الله راحة الرعية ، على كل شيء طلعت عليه الشمس . أليس هو الذي يقول : « أيها الناس : ما منكم من أحد يبلغنا عن حاجة ، إلا أحببت أن أسد من حاجته بما قدرت عليه .... »[4] .

ولم يكتف عمر رضي الله عنه في هذا المجال بما يقوم به ، أو يأمر القيام به ، بل أشرك في الأمر أفراد الأمة كلهم ، ممن يريد صحبته رضي الله عنه ،

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٥ .

(٢) هم المسافرون من المدن والقرى الإسلامية إلى دمشق مقر الخلافة .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١١ .

(٤) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٩٤ .

إذ جعل أحد شروط صحبته لأي فرد ، أن « يوصل إلينا ـ إلى الخليفة قائد الأمة ـ حاجة من لا تصل إلينا حاجته »[1] . فليس كل صاحب حاجة يستطيع الوصول إلى القائد . لذا فقد خصص رحمه الله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار ، لأى فرد قدم إليه في مظلمة ، أو أمر يصلح به ، خاصاً أو عاماً من أمر الدين[2] . كل ذلك سعياً وراء تحقيق متطلبات الحياة الكريمة للمسلم ورغد عيشه ، ليكون عضواً صالحاً مصلحاً ، مطمئناً في مجتمعه .

ونتيجة لاهتمامات عمر بأبناء الأمة ، وتطبيقه لنمط القيادة المساندة ، لزيادة رخاء الأمة ، فقد وصل الغِنَى بأفراد الأمة أنهم لا يجدون من يأخذ الصدقات والهبات ، فقد قال رجل من ولد زيد بن الخطاب : « إنما ولي عمر بن عبدالعزيز سنتين ونصفاً ، فذلك ثلاثون شهراً ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : اجعلوا هذا حيث ترَوْن في الفقراء ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيهم ، فما يجده ، فيرجع بماله ، قد أغنى الله على يد عمر بن عبدالعزيز الناس »[3] .

وبذلك النمط القيادي والاهتمام بأحوال الرعية والأتباع، جنت الأمة الثمر ، بأن أغنى الله الناس ، بمن فيهم المرءوسين من الولاة والعمال ، وتسابق الأغنياء على البذل والعطاء ، واقتنع الفقراء واطمأنوا ، فلا طمع فيما يأتي من المال والصدقات ، طالما لا حاجة للفرد بذلك ، فهذا ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية من جرَّاء تطبيق عمر لهذا النمط القيادي البناء ، والذي قل ما يصل إليه حال أمة في الوقت الحاضر .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٠ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٦ .

٢ ـ القيادة الموجهة أو المرشدة ، التي تعتمد على إرشاد وتوجيه المرؤوسين ، ووضع آفاقاً يجري العمل وفقها .

إن كان هذا النمط القيادي مما يقره الفكر الإداري الحديث ، فقد كان من أبرز ما اتبعه عمر بن عبدالعزيز في قيادته للأمة الإسلامية ، وبالمقابل فقد كان رضي الله عنه يتعظ ، ويقبل النصح والإرشاد ، بل كان يطلب ذلك من العلماء ، ويلح في ذلك[١] .

وفي اتباعه هذا النمط ، كانت مصادر التشريع الإسلامي (القرآن الكريم والسنة المطهرة) منطلقاً لهذا التوجيه والإرشاد ، فكانت الأساس لكافة توجيهاته لعماله ورعيته ، وتسيير دفة الحكم الإسلامي في الدولة الإسلامية . ولقد أكد التزامه بهدي القرآن والسنة عندما استُخلف ، إذ قال : « أيها الناس : إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ، ولكني منفذ ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع ......»[٢] .

أما فيما يتعلق بتطبيق عمر لهذا النوع من أنواع القيادة ـ حسب تصوير الفكر الإداري الحديث ـ فإنه لا تكاد تغيب شمس يوم تولى فيه الخلافة إلا وعظ فيه ، أو وجّه ، أو أرشد ، أو رسم طريقه لأداء عمل[٣] . وفي ذلك يروي ابن سعد أنه « ما كان يقدم على أبي بكر محمد بن حزم ـ والي عمر على المدينة ـ كتاب من عمر ، إلا فيه رد مظلمة ، أو إحياء سنة ، أو إطفاء بدعة ، أو قسم ، أو تقدير عطاء ، أو خير ، حتى خرج من الدنيا »[٤] .

(١) للاطلاع على ما وُعظ به عمر بن عبدالعزيز ، انظر : ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز : الباب الحادي والعشرون ، ص ١٤٢ ـ ١٧١ .

(٢) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٤ .

(٣) لما يتطلبه البحث فإن ما أوردناه هنا ليس إلا غيضا من فيض ، فجلّ السيرّ والتراجم وما كتب عن عمر بن عبدالعزيز تتحدث عن أعماله وتوجيهاته في كافة المجالات ، مما لا يتسع المجال لذكره .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٤٢ .

فمن توجيهاته الدينية على سبيل المثال لا الحصر ، خطبة قال فيها : « إن لكل سفر زاد لا محالة ، فتزوّدوا لسفَركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ، ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم فتقسى قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه ــ والله ــ ما بسط أمل من لا يدري ، لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسى بعد صباحه ... أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي ، فتخسر صفقتي ، وتظهر غيلتي ، وتبدو مسكنتي ، في يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، والموازين منصوبة .. أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وإنكم صائرون إلى أحدهما »[١] .

كان هذا التوجيه في أمر هام ، وإن كان مصنف هذه الأنماط القيادية يقصد بالتوجيه القيادي من هذا النوع ، ما يتعلق بالتوجيه في مجال المنظمة ، وإنجاز مهامها لتحقيق أهدافها، فإن عمر يوجه ويعظ ، فيما هو أكبر وأعظم من ذلك، إنه يوجه للإعداد ليوم الرحيل، والسفر الطويل ، ليتزود الناس لليوم الآخر .

وفي موقف آخر ، ومن نوع آخر يوجه فيه عامله على اليمن ، بأن يستبعد أشخاصاً معينين لسوء سيرتهم ، ولا يجعل لهم يداً في أي الأعمال ، فيقول : « انظر من قبلك من بني فلان فأقصهم عنك ، ولا تشركهم في شيء من عملك ، فإنهم بئس أهل البيت كانوا »[٢] .

وكتب إلى عامل له يقول : « أما بعد : فالزم الحق ينزلك منازل أهل الحق، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون »[٣] . فوضع لعامله أفقاً يجب أن يسير فيه ، فيلزم طريق الحق . كما شملت توجيهاته القضاة ، إذ حدّد

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق : جـ ٥ ، ص ٣٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٠٧ .

مثلاً ما ينبغي أن يجتمع للقاضي من خصال ، فقال : « يكون عالماً بما مضت عليه السنة ، حليماً ، ذا أناة ، عفيفاً ، مشاوراً »[١] .

وكذلك شملت توجيهاته العلماء ومعلم أولاده[٢] ، والشعراء ، وما ينبغي لهم أن يقولوا من الشعر[٣] .

والأمر لا يقف عند هذا الحد ، فقد كان يسترشد برأيه الخلفاء من قبله ، وبخاصة سليمان بن عبدالملك ، وكان يعظ الخلفاء ويقول الحق أمامهم ، ومن ذلك ما وعظ به سليمان بن عبدالملك، عندما سأله عما رآه من أمر عسكره فقال: « أرى دنيا ، يأكل بعضها بعضاً ، أنت المسؤول عنها ، والمأخوذ فيها »[٤] .

ومما تميز به تطبيق عمر لهذا النمط القيادي ، الشمول ، والتقصي لكافة أمور المسلمين ، الدينية والدنيوية . فلم يترك مجالاً أو أمراً إلا أدلى برأيه فيه ، فكان بذلك مؤثراً لهذا النمط القيادي ، الذي يقوم على التوجيه ، ورسم السياسات ، ووضع الاستراتيجيات ، وتحديد طرق وأساليب التنفيذ ، في ضوء تعاليم الدين الإسلامي .

٣ ـ القيادة المشاركة : التي تتبنى آراء الأفراد العاملين ، من خلال التشاور ، والمشاركة في اتخاذ القرار .

لقد كان أول عمل قام به عمر بن عبدالعزيز بعد أن وصل المدينة والياً عليها للوليد بن عبدالملك ، دعوته لعشرة من فقهاء المدينة ، وقال فيما قال لهم : « ... ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم ، أو برأي من حضر منكم ...»[٥] .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٧٥ .

(٢) انظر المبحثين الثاني والثالث من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٣) انظر : عبدالحميد المعيني : الخليفة عمر بن عبدالعزيز والشعر ، أبها ، نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٦ هـ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٢ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤ .

وإن كان هذا عند ولايته على المدينة فإنها مشاركة جديرة بالإشادة ، إنه لا يريد أن يقطع في أي أمر كان ، إلا برأي أهل العلم والمشورة ، إنها مشاركة قيادية حقة، تدلنا على رغبة عمر وإيثاره مشاركة من حوله، في أمر قيادته لهم ، كما كان ذلك دأبه بعد أن تولى الخلافة .

وشاهد آخر على تبني آراد الأفراد العاملين ـ وفي قيادة عمر آراء الرعية ـ إذ أعطى حق المشاركة والاختيار للناس ، في اختيار خليفة لهم بدلاً عنه ، حين خلع ما في رقاب الناس من بيعتهم له ، بعهد من سليمان بن عبدالملك ، فقال : « .... وأني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم »[١] . فأجمع الناس على اختياره ، وصاحوا صيحة واحدة فَلِ أمرنا باليمنِ وبالبركة .

ومن ناحية أخرى ، لم تكن مواعظ العلماء والفقهاء ، أمثال الحسن البصري ، وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وغيرهم كثير ، إلا من قبيل المشاركة والتبنى لآرائهم ، فيما يتعلق بالعدل وصفته ، وما ينبغي للقائد العادل ، والإمام الزاهد ، وإن الزهد رأس الإصلاح ، وسؤاله عن سيرة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ لعلمه بما كان عليه وقت قيادته للأمة الإسلامية ـ وفتح الأبواب أمام الناس ، وتسهيل الحجاب عنهم ، وتحذيره من ليلة تمخض عنها يوم القيامة ، وغيرها كثيرا جداً من المواعظ والآراء والاقتراحات التي كانت بعد القرآن الكريم والسنة المطهرة هدياً له، فقد تبنى استشاراته للعلماء تلك في تسيير أمور الدولة ، فكان القائد المشارك . وإن كانت المشاركة التي يقصدها مصنف تلك الأنماط (روبرت) ، فيما يتعلق بقرارات إدارة أو منظمة وإنجاز أعمالها ، فإن عمر بن عبدالعزيز قد طبق ذلك فيما هو أهم ، وهو الأمر الأولى والأجدر بالمشاركة .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٥ .

٤ ـ القيادة الموجهة نحو الإنجاز ، أو المهتمة بالإنجاز وهي قيادة طموحة ، ولها ثقة كبيرة بقدرة الأتباع على الإنجاز .

لقد كان عمر بن عبدالعزيز قائداً طموحاً في حياته كلها ، فكان طموحاً في تلقِّي العلم ، وكان طموحاً في تربية الفرد والمجتمع ، وكان طموحاً في تحقيق العدل بين أفراد الأمة ، وزاد طموحاً لما هو أعلى من ذلك وأفضل ، لقد تاقت نفسه إلى الجنة(١) . يقول عمر : « إن لي نفساً تواقة ، لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم ... ثم تاقت نفسي إلى السلطان ... ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل .....»(٢) .

بمثل هذه العزيمة وعلو الهمة ، كان عمر بن عبدالعزيز يقود أمته ، ويوجهها نحو الإنجاز ، فقد جعل من أهدافه الكبرى إحقاق الحق وإقامة العدل، فبالحق والعدل الأزليين خلق الله السموات والأرض ، وكان على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سيعينه على ذلك، ويقيض له من رعيته من يكون له عوناً وسنداً، لتحقيق تلك الأهداف الطموحة ، ومصداقاً لذلك ما قاله له ميمون بن مهران ، عندما سأله عمر : « كيف لي بأعوان على هذا الأمر ، أثق بهم وآمنهم . قال : يا أمير المؤمنين : لا تشغل قلبك بهذا ، فإنك سوق ، وإنما يُحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، فإذا عُرف أن النَّافِق عندك الصحيح، لم يأتوك إلا بالصحيح »(٣) .

فهو رضي الله عنه يبحث عن أعوان ، يثق بهم ويأمنهم ، وقد كان ذلك ، فقاد الأمة الإسلامية ، فتحقق لها في عهده بإذن الله ، ما لا يخفى على ذي بصيرة ، من ترسيخ لقيم العدل والحق ، بعيداً عن الشكليَّات والخيالات ، بل

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٣ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٩ .

واقعاً ملموساً ، فهو الذي يقول رحمه الله : « إن في القول فتنة ، والفعال أولى بالمرء من القول »[1] .

فكان موجهاً للإنجاز في ميدان الحكم والسياسة ، وميدان القضاء ، وميدان الاقتصاد ، والمال ، وميدان التربية والتعليم ، ناهيك عن ميدان الورع والتقوى .

ذلك النمط القيادي المتكامل ، الذي اتسمت به قيادة عمر بن عبدالعزيز ، في ضوء ما جاء به الفكر الإداري الحديث، الذي رأى أن تلك الأنماط الأربعة ، أو أنواع القيادة التي تضمها نموذج « روبرت » المسمى نموذج « المسلك والهدف » أو نظرية المسار والهدف » ، قد تكون في شخص واحد ولكن في أوقات مختلفة ، فكان عمر بن عبدالعزيز ذلك الشخص ، وزاد بأن الجمع بين تلك الأنماط ليس في أوقات مختلفة، بل كانت تلك الأنماط جميعاً في وقت واحد، وباستمرار ، فكان قائداً مسانداً يسعى لتحقيق احتياجات وآمال الأمة ، وقائداً موجهاً لرعيته وعماله ، في كافة الأعمال والمجالات ، وقائداً مشاركاً في اتخاذ القرارات ، مسترشداً بآراء العلماء وذوي المعرفة ، وقائداً موجهاً للإنجاز محفزاً إليه .

ثانياً : ركائز النمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر :

لقد كان عمر بن عبدالعزيز في أسلوبه القيادي ، الذي نهجه في قيادته للأمة الإسلامية ، يعتمد على خمسة أمور جعلها ركائز وأسس راسخة ، في منهجه القيادي وهي :

١ ـ الالتزام بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ .

٢ ـ التأسي بمن قبله من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر عبدالعزيز ، ص ٢٥١ .

٣ ـ الحرص على تقديم القدوة الحسنة .

٤ ـ الاهتمام بمصالح الأمة وشؤون الرعية .

٥ ـ الحوار العلمي والإقناع .

ولما لهذه الركائز من أهمية في نجاح عمر بن عبدالعزيز ، في قيادته لأمته في رأينا . فإننا سنأتي على كل منها بشيء من التفصيل :

١ ـ الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله :

لقد عزم عمر بن عبدالعزيز منذ اللحظة الأولى لولايته ، على التمسُّك بكتاب الله وسنة رسوله ، وأدرك ضرورة الالتزام بتعاليمهما ، وحَرَص على ذلك في كل إجراءاته وأعماله ، متَّبعاً في ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولَ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[١] . وقول الرسول ﷺ : « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه »[٢] .

ذلك ما أعلنه رحمه الله في إحدى خطبه فقال : « أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليكم كتاب ... ألا إني لست بقاض ، وإنما أنا منفذ لله ، ولست بمبتدع ولكني متَّبع ...»[٣] .

وفي ذلك يروي ابن عبدالحكم تحت عنوان : عزم عمر في الاعتصام بالكتاب والسنة ، أن عمر قال : « سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً ، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها

---

(١) جزء من الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٢) أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) : موطأ الإمام مالك ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، إعداد : أحمد راتب عرموش ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٦٤٨ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

ولا تغييرها ، ولا النظر في أمر خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ، ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم ، وساءت مصيراً . قال عبدالله بن عبدالحكم : فسمعت مالكاً يقول : وأعجبني عزم عمر في ذلك »[1] .

ويقول ابن عبدالحكم في إقبال عمر على إحياء كتاب الله وسنة نبيه : « واحتجب عن الناس ثلاثاً ، لا يدخل عليه أحد ... فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعة من الحق فعرفوها ، فردَّ المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا ، وزهد فيها ، وتجرد لإحياء أمر الله عز وجل . فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عز وجل ، فرحمه الله »[2] . ولقد أكد عمر على ذلك ، حتى بلغ به الأمر أن آثر التقيد بكتاب الله ، واتباع سنة نبيه ، ولو نتج عن ذلك تساقط أعضائه . ثم أبدى رغبته الأكيدة في أن يكون موته، وخروج نفسه ، وهو على عمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، فقال : « يا ليتني قد عملت فيكم بكتاب الله ، وعملتم به ، فكلما عملت فيكم بسنةٍ ، وقع مني عضو ، حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي »[3] .

ثم أقسم رضي الله عنه على ذلك ، فقال : « ... والله لولا أن أنعش سنة ، أو أسير بحق ، ما أحببت أن أعيش فواقاً »[4] .

مما تقدم يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك ، أن عمر رحمه الله التزم بتعاليم كتاب الله عز وجل ، والسنة المطهرة ، وحرص على ذلك كل الحرص ، وذلك مما أكده بنفسه، فضلاً عما قاله غيره من معاصريه ، شهادة لعمر بذلك .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

لذا يمكننا القول إن التزام كتاب الله وسنة نبيه أهم ركائز النمط القيادي ، الذي اتسمت به قيادة عمر ، فنعمّا هي من ركيزة .

٢ ـ التأسي بمن قبله من الخلفاء الراشدين :

لقد ملأ قلبَ عمر بن عبدالعزيز حبُّ الخلفاء الراشدين ، والصحابة ، والسلف الصالح من الأمة ، لما يأمره به دافع الإيمان ، ورباط الأخوة في الله ، امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيم ﴾[1] .

فكان رحمه الله يحب القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم في الله ، ويحبه في محبة جده خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى قال ذات يوم : لو كان إليَّ أن أعهد ، ما عدوت أحد رجلين : صاحب الأعوص ، يريد إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص ، بشرقي المدينة ، وكان له فضل كبير ، أو أعيمش بني تميم ، يريد القاسم بن محمد[2] .

كما أحسن إلى آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً حتى ذُكر أن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : « أثنت على عمر بن عبدالعزيز ، وقالت : لو كان بقي لنا ، ما احتجنا بعده إلى أحد »[3] .

كما كان يحب الأنصار ، وكل من كان له وقفة خير مع رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وكذلك أكرم من سمع عنه من الصحابة ، واهتم بما لديهم من العلم والحديث ، أمثال عَمْرة بنت عبدالرحمن ، وابنة الصحابي

(١) الآية ١٠ من سورة الحشر .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣١٩ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٥ .

الجليل أسامة بن زيد إذ دخلت عليه فأكرمها وقام لها وأجلسها مجلسه فما ترك لها حاجة إلا قضاها(١) .

وهذا الحب والإجلال للخلفاء الراشدين ، والصحابة وذويهم رضوان الله عليهم ، سيؤدي ـ حتماً ـ بالمحب إلى الاقتداء والتأسي بمن أحب ، فكان عمر حريصاً على التأسي بالخلفاء الراشدين ، والارتواء من سيرهم العطرة ، وخلافتهم الراشدة ، وبخاصة جده العظيم الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بحكم قرابته وصلته به من جهة أمه، وبحكم تربيته فترة من سنين صباه ، في بيت آل عبدالله بن عمر بن الخطاب، وتأثره بسيرة أجداده من آل الخطاب ، ومعرفته بهم عن كثب . إذ نستطيع أن نقول : إن ذلك التأسِّي والاقتداء كان الركيزة الثانية من ركائز النمط القيادي ، الذي اتسمت به قيادة عمر .

ولا أدل على حرص عمر على التأسي والاقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، من كتابه إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، الذي قال فيه : « أما بعد : فإن الله تبارك إسمه ، وتعالى جده ، ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده ، [والله أسأل](٢) أن يحسن عوني وعاقبتي وعاقبة من ولاني أمره ، وقد رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إن قضى الله ذلك ، واستطعت إليه سبيلاً ، فابعث إليَّ بكتب عمر وقضائه في أهل القبلة ، وأهل العهد ، فإني متبع أثره ، وسائر بسيرته إن شاء الله ، وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى »(٣) .

---

(١) الأصبهاني : الحلية ، جـ ٥ ، ص ٢٧١ .

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المصدر فاخل بالمعنى فوضعناه ليستقيم المعنى .

(٣) الآجري : أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٠ .

فأجابه سالم بكتاب طويل[1] قال في آخره : « وإن عمر رضي الله عنه عمل في زمان غير زمانك ، وعمل بغير رجالك ، وإنك إن عملت في زمانك ، على النحو الذي عمل فيه عمر بن الخطاب في زمانه ، بعد الذي قد رأيت وبلوت ، رجوت أن تكون أفضل عند الله منزلة من عمر بن الخطاب ...»[2] .

فما كان من عمر بعد أن وصله كتاب سالم بن عبدالله، بما فيه من الوعظ والوصايا العظيمة ، وما طلب عن سيرة عمر بن الخطاب، إلا أن احتذى مثاله ، فسلك بالرعية محجته البيضاء ، وأعاد فيهم سيرته[3] ، فحقق عمر بن عبدالعزيز بفضل الله ما لا ينساه المسلمون ، ولا يغفل عنه التاريخ ، إذ عاد بالناس إلى عهد الخلفاء الراشدين ، فجعلها خلافة راشدة ، متَّبعاً قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ »[4] ، ومدركاً رحمه الله ، ما وصل إليه حال الأمة الإسلامية في عهد الفاروق رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين ، ومن اقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين .

وإذا كان عمر ـ رضي الله عنه ـ في حرصه على اتِّباع كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ـ الركيزة الأولى ـ والاقتداء بالخلفاء الراشدين ، وبخاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ـ الركيزة الثانية ـ يطمع فيما عند الله عز وجل ، فإن لذلك ـ أيضاً ـ مردوداً قيادياً ، وهو شاهدنا في الأمر ،

(١) ذكر نص الكتاب كل من الآجري : المصدر السابق ، ص ٧١ ـ ٧٣ . والأصبهاني : الحلية ، جـ ٥ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦ . وابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٩ ـ ١٥٥ بروايات متقاربة . أما ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، فذكره مختصراً وباختلاف بسيط ، ص ١٠٣ .

(٢) الآجري : أخبار أبي حفص ، ص ٧٣ . الأصبهاني : الحلية ، ص ٢٨٦ . ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٥١ ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٥ .

(٣) أحمد زكي صفوت : عمر بن عبدالعزيز ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة إقرأ ٦٥ ، ١٩٦٣ ، ص ٤٨.

(٤) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد ، (جزء من حديث) ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ .

فالأمة الإسلامية ـ قاطبة ـ اطمأنت ووثقت في قيادة عمر ، لما لمسته من حرصه على الالتزام بالكتاب والسنة ، والاقتداء بالخلفاء الراشدين ، والسلف الصالح ، فذلك الأمر له مكانة عالية ومرموقة في نفوس المسلمين ، مما جعل النجاح حليفه في قيادته ، وجعل الأمة تنقاد له ، وتطيعه في غير معصية الله .

٣ ـ الحرص على تقديم القدوة الحسنة :

لقد كان لهذه الركيزة القيادية ـ القدوة الحسنة ـ شأن كبير في نجاح عمر في قيادته للأمة الإسلامية ، إذ جعل من حياته الخاصة والعامة مثالاً يحتذى ، وصورة حية للقائد المؤمن ، فأدرك ضرورة أن يكون القدوة الطيبة لما يدعو إليه ، وجعل نصب عينه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ »[1] .

كما أدرك أن الأمة الإسلامية في وقت ، هي فيه أشد ما تكون في حاجة للقدوة الحسنة ، خصوصاً بعد ما آل إليه حال الأمة الإسلامية في ذلك الوقت ، فكانت القدوة الحسنة سر قيادته رحمه الله ، والمميز الأساس لأسلوبه في القيادة.

لذا فقد كان عمر بن عبدالعزيز قدوة في أمره كله ، في حياته الخاصة والأمور العامة ، وما يخص الرعية ، علماً منه بأن مما يرضي الناس عن ولي أمرهم ، ويجعلهم ينقادون له ، أن يبدأ بنفسه ، في كل أمر يريد من الناس تنفيذه أو اتباعه، فيكون أول منفذ لما يطلب تنفيذه ، وأول ملتزم بما يريد اتباعه ، فَيَنْفُذ أمره ، وإن كان فيه جورٌ عليهم ، أو تعبٌ لهم ، ويكون القائد المطاع .

ذلك ما كان عليه عمر بن عبدالعزيز ، فقد ضرب لنا مثلا في طعامه ، إذ ترك ألوان الطعام ، بعد أن كان يأكل ما لذَّ وطاب من أصناف الطعام ، قال

(١) الآيتان ٢ ، ٣ من سورة الصف .

يونس بن أبي شبيب : « شهدت عمر بن عبدالعزيز وهو يطوف بالبيت ، وإن حجزة إزاره لغائبة في عنكه[1] ، ثم رأيته بعد ما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها لفعلت »[2] .

وقال خادم عمر : « أنه لم يتملأ من طعام ، من يوم ولي حتى مات »[3]، فقد التزم طوال حياته ـ رحمه الله ـ ألا يشبع من طعام ، وكان يرفض أن يُخَص بطعام ، أو يُفَضل بنوع منه على غيره من الناس . روى ابن عبدالحكم : « أن عمر نزل ديراً ، فمرت به أطباق ، فقال : ما هذه ؟. قيل له : صاحب الدير يطعم الناس ، فجاءه بطبق فيه فستق ولوز ، فقال عمر : تلك الأطباق مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : خذ طعامك »[4] .

وكان جلُّ طعامه العدس ، والحمص ، والبصل ، والزيت ، والملح ، حتى أنه كان يؤرقه ، فقد « دخل عليه زيان بن عبدالعزيز ، فتحدث معه ساعة ، فقال عمر : لقد طالت هذه الليلة عليَّ ، وقلَّ نومي فيها ، فاتهمت عشاء تعشيت به . فقال : وما هو ؟. قال : عدس وبصل ، فقال له زيان : لقد وسَّع الله عليك ، ولكن تضيِّق على نفسك ، وأكثر زيان من لائمته ، فقال : يازيان أخبرتك خبري ، وأطلعت على سري ، فوجدتك غاشاً غير ناصح ، أما والله لا أعود إلى مثلها أبداً ما بقيت »[5] .

---

(١) الحجزة : من الحجز أي حاجز الإزار، والعكن : الأطواء ، أو الطي في البطن من السمن (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٤٨٨) .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨١ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٤٥ .

(٤) ابن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٦ . ومثل ذلك رواه ابن سعد .

وجاءت إليه عمة له ، تحدثه في عطاء لها، فلما دخلت عليه « فإذا بين يديه أقراص ، وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: ياأمير المؤمنين أتيت لحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي، قال : وما ذاك ياعمه ؟. قالت : لو اتخذت لك طعاماً ألين من هذا ، قال : ليس عندي ياعمة ، ولو كان عندي لفعلت »[١] .

وكان يشتهي الفاكهة ، مثل التفاح ، والعنب ، فلا يجد ما يشتري به ، فيعدل عن أكلها[٢] والروايات والأدلة على تقشفه في طعامه كثيرة ، فكان قدوة في طعامه .

أما لباسه رحمه الله فقد تغير الحال عما كان عليه قبل توليه الخلافة ، من تذييل الثياب ، وشرائه ألينها وأغلاها[٣] ، فكان لباسه بعد توليه الخلافة يقدر بدراهم قليلة ، قال رجاء بن حيوة :

« لما استخلف عمر بن عبدالعزيز ، قوّموا ثيابه اثني عشر درهما ..»[٤] .

وكان رحمه الله لا يملك غير قميص واحد . فيُروى أن « عمر أبطأ يوماً عن الجمعة قليلاً ، فعوتب في ذلك فقال إنما انتظرت قميصي غسلته أن يجف »[٥] . وقالت زوجه فاطمة عندما أمرها مسلمة بن عبدالملك ، أن يُغسل قميص عمر، لاتساخه في مرضه: « والله ما له قميص غيره »[٦]، وكذلك كان يلبس الثياب المرقّعة، فقد روى ابن الجوزي أن عمر صلى الجمعة بالناس ، « ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب ، من بين يديه ومن خلفه . فقال له رجل :

(١) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٧٧ ، ابن الجوزي : سيره عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٣ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٧٤ .

(٥) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٣ .

(٦) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٢ .

يأمير المؤمنين ! إن الله عز وجل قد أعطاك ، فلو لبست ! فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه ، فقال : إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند المقدرة »(١) .

ذلك هو منطق القائد القدوة ، الذي يريد أن يجبل من حوله على ترك الإسراف والبذخ ، وذلك حال عمر في لبسه ، إذ لم يكن أحسن حالاً منه في طعامه .

أما مركبه فقد انصرف عن مراكب الخلافة وأُبّهتها ، فقد « أُتي بمراكب الخلافة : البراذين(٢)، والخيل، والبغال، ولكل دابة سائس. فقال : ما هذا؟ قالوا : مراكب الخلافة. فقال عمر : دابتي أوفق لي. فركب بغلته، وصرف تلك »(٣) فآثر بغلته على ما أحضروا من المراكب ، فهو والناس سواء ، ولم يكتف بالانصراف عنها، بل أصدر أمراً، فقال لمولاه : « ابعث بها إلى أمصار الشام ، يبيعونها فيمن يريد ، واجعل أثمانها في مال الله ـ يقصد بيت المال ـ تكفيني بغلتي الشهباء »(٤) .

وأما مسكنه فلم يبتن له بيتاً ، بعد تولية الخلافة ، كما كان يفعل خلفاء بني أمية وكانت إقامته في بيت ملاصق للجامع الأموي ورثه عن أبيه(٥) ، وكان لا يبني بناء(٦) . فقد ذكر ابن عبدالحكم أنه كانت لعمر مرقاتان ، يرقى من

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٧٣ .

(٢) البراذين جمع برذون ، وهي البداية ، وقيل هي من الخيل الغير عربية (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٥١) .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ٦٢ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٤ .

(٥) النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ . والبيت في موضع يسمى اليوم السميساطية بجوار الجامع الأموي عند باب العمارة . (علي الطنطاوي : رجال من التاريخ دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ ، ص ٨١) .

(٦) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٠ .

صحن داره إلى قعر بيته عليها ، فانقلعت إحداهما ، فأصلحها رجل من أهل بيته، كراهية أن يشق على عمر ، فقال له عمر : « ويحك يافلان ، أَنَفِسْت على عمر ، أن يخرج من الدنيا ، ولم يضع لبنة على لبنة ؟. والله لولا أن يكون فساد بعد إصلاح ، لغيرتها إلى ما كانت عليه »[١] ذلك دليل كراهته للبناء ، وحرصه على أن يكون قدوة حتى في منزله .

وفي جانب آخر ، فإن الناس كانوا ينظرون إلى أهل بيت عمر وأولاده ، فقد كان كذلك فيما يخص أزواجه وأبناءه وبناته ، فمنهم من جاع ، ومنهم من عري ، فجعل من أهل بيته قدوة للمسلمين أيضا[٢] .

أما قدوة عمر الطيبة في الأمور العامة ، وذلك ما يتعلق به كقائد للأمة، وخليفة المسلمين ، فقد ضرب من الأمثلة ما يعجز عن تطبيقه الكثير .

وأول ما نلاحظه في هذا المجال ، إيثاره أن لا يخصص له مرتباً من بيت المال ، كرئيس للدولة « فكان لا يأخذ من بيت المال شيئاً ، ولا يُجري على نفسه من الفيء درهم ... وكان عمر بن الخطاب يجري على نفسه من ذلك درهمين في كل يوم، فقيل لعمر بن عبدالعزيز: لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب؟. فقال : إن عمر بن الخطاب لم يكن له مال ، وأنا مالي يغنيني »[٣] ، فكأنه يضرب لعماله وولاته المثل في القناعة ، والكف عن أموال المسلمين . وذلك درس لنا فيما نحرص على كسبه من وراء الوظيفة ، وبشتّى الطرق .

ومثال آخر ، إذ اتخذ عمر موقفاً تجاه الهدايا ، التي تعطى له وللولاة ، قال عمر بن المهاجر : « إن رجلاً أتى عمر بن عبدالعزيز بتفاحات ، فأبى أن

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٢ .

(٢) فيما يتعلق بذلك : انظر المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٣) ابن عبد ربّه : العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ .

يقبل ، فقيل له : قد كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ، فقال عمر : هو لرسول الله ﷺ هدية ، وهو لنا رشوة ولا حاجة لي به »[1] .

فكان عمر بموقفه هذا ، يضرب مثلاً صادقاً ، جدير بأن يقتدي به ولاتُه في كل الأمصار ، ونقتدي به في وقتنا الحاضر. فلا نكون ممن يقبل الرشاوي ، تحت إسم الهدايا والهبات ، التي لم تكن لتأتينا لو كان من تأتيه في منصب غير الذي هو فيه .

أما في أمر يمسُّه شخصياً وهو خليفة المسلمين ، فقد اتخذ موقفاً لم يكن دأب من كان قبله وبعده من خلفاء بني أمية ، فقد جاء كتاب من عمر ، يخص رجلاً حكم في مسجد رسول الله ﷺ ، وأشهر السيف فيه ، فلما قرىء عليه الكتاب « شتم عمر والكتاب ومن جاء به، فهَّم أبو بكر [بن محمد والي المدينة][2] بضرب عنقه ، ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه، وأنه همَّ بقتله . فكتب إليه عمر : لو قتلته لقتلتك به ، فإنه لا يقتل أحد يشتم أحداً إلا أن يشتم رسول الله ﷺ ، فإذا أتاك كتابي فاحبس عن المسلمين شرَّه ، وأدعه إلى التوبة في كل هلال ، فإذا تاب فخلِّ سبيله . فلم يزل في الحبس حتى هلك عمر ، فضرب يزيد بن عبدالملك عنقه »[3] .

وقد كان عمر قدوة حسنة في أمر على درجة من الأهمية ، ألا وهو تولية المناصب ، فهو الذي بيده أن يعهد بالحكم إلى من يريد ، فيستأثر به لأحد أولاده مثلاً ، لكنه ضرب مثلاً رائعاً ، لكل من له ولاية بأن لا يختار والياً ، ولا عاملاً ولا مسؤولاً ، لقرابة أو لمصلحة ، أو شيء من ذلك ، فنجده ذات يوم

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المصدر ، فأوردناه للإيضاح .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٢ .

يقيس طموح أولاده ، إذ قال لهم : « أتحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً ...» قال أحدهم : لم تعرض علينا شيئاً لست صانعه بنا ، قال عمر : « إني لأعلم أن بساطي هذا يصير إلى البلى ، وإني لأكره أن تدنسوه بخفافكم ، فكيف أقلدكم ديني تدنسوه في كل جند »[1] .

وإن كنا سنكتفي بالقليل من أمثلة ما كان عليه عمر من القدوة الحسنة ، في أموره كلها ، فإننا سنختم ذلك بأمر دقيق قلَّ من يراعيه ، ألا وهو امتناعه أن يشم طيباً من فيء المسلمين ، حتى ولو كان من غير قصد ، روى الأصبهاني أنه « أُتي عمر بن عبدالعزيز بعنبرة من اليمن . قال : فوضع يده على أنفه بثوبه ، فقال له مزاحم : إنما هو ريحها ياأمير المؤمنين . قال : ويحك يامزاحم ! هل ينتفع من الطيب إلا بريحه . قال : فما زالت يده على أنفه حتى رفعت »[2] .

فكان عمر بن عبدالعزيز ذلك الخليفة القدوة الصالحة ، الذي قرنه الناس بجدّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أعاد للمسلمين سيرة جده العظيم ، من خلال فترة حكمه القصيرة[3] ، وإنني لأجد تقارب شديداً ، وتشابهاً عجيباً في الكثير من إجراءات عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبدالعزيز ، ولكن لا غرو في ذلك فهو حفيده ، وهو الذي كتب إلى سالم بن عبدالله حفيد عمر بن الخطاب ، يطلب إليه أن يكتب إليه بسيرة جده ، ليسير في الناس بها . ومن ذلك ما سار عليه عمر بن عبدالعزيز ، في أن كان قدوة للناس جميعاً ، مما جعلهم يُحبونه ويطمئنون لقيادته ، إذ كانت الركيزة الثالثة للنمط القيادي ، الذي اتسمت به قيادة عمر ، هي حرصه الشديد على أن يكون قدوة في شأنه كله .

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣١٤ .

(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٢٦ .

(٣) سليمان محمد الطماوي : عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦ م ، ص ٨٦ .

٤ ـ الاهتمام بمصالح الأمة وشؤون الرعية :

لقد كان من الأمور الواضحة في قيادة عمر ، ما كان يولي صالح الأمة من الاهتمام ، وما كان يولي شؤون الرعية ، من التحرى ، والرعاية ، والمباشرة بنفسه . وهذا الأمر من الواجبات الأساسية للقائد(١) ، فبقدر ما يولي القائد هذا الجانب من الاهتمام ، بقدر ما يكون مطاعاً ، ومرغوباً عند أتباعه . وذلك ما علمناه يقينا من خلال سيرة عمر بن عبدالعزيز ، فقد كان يدعو الله فيقول : « اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ، اللهم أهلك من كان في هلاكه صلاح لأمة محمد ﷺ »(٢) .

والدلالة على هذا الجانب في قيادة عمر ، وأنه جعل الاهتمام بمصلحة الأمة وشؤونها إحدى ركائز نمطه القيادي ، فقد كان أول إجراء فيه مصلحة للأمة ، أن عزل العمال الجائرين(٣) ، أمثال يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية ، وأسامة بن زيد التنوخي ، وكان على خراج مصر ، وغيرهم .

كما نظر في وضع الدولة الإسلامية، وقدرتها على مواصلة الفتوحات، إذْ كانت القوات الإسلامية في القسطنطينية، بقيادة مسلمة بن عبدالملك في شدة، وكرب، وجوع، حتى ضاق بهم المقام، وكان سليمان بن عبدالملك قد حلف أن لا يرجع منها مسلمة وجنوده قبل فتحها، مادام حياً، فكان ذلك « يغم عمر، فلما ولي رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل، أن يلي شيئاً من أمور المسلمين، ثم يؤخر قفلهم ساعة ...»(٤). فكتب إلى مسلمة بالقفول من القسطنطينية، لما رأى أن مصالح المسلمين ورقابهم معرضة للهلاك، وأن الحال فيه كرب عليهم .

(١) حمدي أمين عبدالهادي : ص ١٧٧ .
(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ .
(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

وكان رحمه الله يُهمه أمر المسلمين ، حتى فيما كان يُجمع لهم من الأموال من بيت المال ، فلا يريد أن يدخل بيتَ مال المسلمين إلا حلالٌ طيبٌ ، فقد ذُكِر أن ميمون بن مهران استعفاه عن الخراج، فكتب إليه « يا ابن مهران : إني لم أكلفك بغياً في حكمك ، ولا في جبايتك ـ أى لا يهمنا كم تجمع ـ فَاجْب ماجبيت من الحلال ، ولا تجمع للمسلمين إلا الحلال الطيب »[1] .

وقد آثر عمر صلاح والي أمر من أمور المسلمين على صلاح ابنه ، لما لأمر المسلمين عنده من الأهمية، فيروي أنه كتب إلى عبدالملك إبنه ، فقال : « إنه ليس من أحد رشده وصلاحه أحب إليَّ من رشدك وصلاحك، إلا أن يكون والى عصابة من المسلمين ، أو من أهل العهد ، يكون لهم في صلاحه ما لا يكون لهم في غيره ، أو يكون عليهم من فساده ما لا يكون لهم في غيره »[2] أي لا حاجة أن يطلب أن يؤذن له للدخول على عمر .

وفي إطار اهتمام عمر بشؤون رعيته أيضا ، قاصيها ودانيها ، كان يقول للناس ـ وقد جاءوه من كل مكان عقب استخلافه ـ : « أيها الناس : الحقوا ببلادكم ، فإني أنساكم ها هنا ، وأذكركم في بلادكم ، وأني قد استعملت عليكم عمّالاً ، لا أقول هم خياركم ، فمن ظلمه عامل بمظلمة ، فلا إذن له عليَّ ...»[3] أي يمكنه الدخول على عمر دون طلب الإذن .

وقد كان يهتم بأمور رعيته جميعاً ، على حد سواء ، وأياً كان ذلك ، فقد كتبت إليه مولاةٌ في مصر تُدعى « فرتونة السوداء » ، فشكت في كتابها لأمير المؤمنين « أن حائطاً لها قصيراً ، وأنه يُقتحم عليها منه ، فيُسرق دجاجها ، فكتب عمر : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين ، إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح . بلغني كتابك ، وما ذكرت من قصر حائطك ،

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

وأنه يُدخل عليك فيه ، فيُسرق دجاجك ... فقد كتبت لك إلى أيوب بن شرحبيل ـ وكان أيوب عامله على صلاة مصر وحربها ـ آمره أن يبني لك ذلك ، حتى يحصنه لك مما تخافين إن شاء الله . والسلام »[١] .

وكتب كتاباً آخر إلى أيوب بن شرحبيل يأمر فيه أن يذهب بنفسه إلى فرتونة السوداء ، ليحصن لها بيتها ، فذهب وحصَّنه لها[٢] .

وشملت رعايته واهتمامه ذوي العاهات ، فكان يفرق الأرقَّاء ، « بين كل مُقعدين ، وبين كل زَمِنين[٣] غلاماً يخدمهما، ولكل أعمى غلاماً يقوده »[٤] . كما شملت رعايته لما دون الإنسان ، فقد حدث أن كتب إلى صاحب السكِك : « أن لا يحملوا أحداً بلجام ثقيل ، من هذه الرَّسَنِيَّة[٥] ، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة »[٦] .

كما كتب إلى حيّان[٧] بمصر ، فقال : « إنه بلغني أن بمصر إبلاً نقَّالات ، يحمل على البعير منها ألف رطل ، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفَنَّ أنه يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل »[٨] . وإذا كان ذلك اهتمام عمر بالحيوان إذ منع استخدام اللُّجُم الثقيلة ، وحدد للجمل حمولة مقررة ، فمن المؤكد أنه لبني الإنسان أرعى وأرحم .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) الزَّمِن : هو الرجل المبتلَى بالعاهة ، وزمنين مثنى (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ١٩٩) .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٦ .

(٥) الرسن : الحبل الذي ترسن أو تشدّ به الدابة ، (لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ١٨٠) ويبدو أن المقصود بالرستنية ، مجموعة دواب البريد المرسَّنة ، فلا تحمل إحدى هذه الدواب لجاماً ثقيلاً .

(٦) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٦ .

(٧) هو حيَّان بن شريح المصري، ولاه عمر خراج مصر، (ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل، جـ ١، قسم ٢ ، ص ٢٤٧) .

(٨) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

ذلك مما يدل لنا على إحدى الركائز في قيادة عمر للأمة الإسلامية ، وغير ذلك كثير مما يجعلنا على يقين قاطع ، بأن عمر كان يولي مصالح أمته، ورعيته الاهتمام الكبير ، مما كان له الأثر الإيجابي والبناء في قيادته ، إلى جانب ما سبق ذكره من الركائز فضلاً عن الركيزة التالية .

٥ ـ الحوار العلمي والإقناع :

جاء الحوار العلمي والإقناع ، وقوة الجدل لدى عمر بن عبدالعزيز ركيزة هامة قام عليها أسلوبه في القيادة ، والذي جعله مطاعاً ومطمئناً لقيادته ، فكان نمطه القيادي ، هو النمط الذي يحتاج إلى أن يمارسه القادة في كل المستويات، وعلى أي مصلحة من مصالح المسلمين .

وفي هذا الجانب ، كان لثقافة عمر رضي الله عنه الدينية والأدبية ، وسعة علمه وغزارته وما تلقّاه من العلوم ، أثر بعيد المدى في قوّة حجّته وشدّة معارضته[١] .

ولقد أدرك عمر أن القيادة ـ وفق أحدث مفاهيمها ـ تعني التأثير في تصرفات الآخرين ، وضرورة لزوم جانب الحكمة ، وأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٢] .

لذا بدأ عمر بهذا الأسلوب مع من حوله ، فقد جاءه هشام بن عبدالملك وقال : « يا أمير المؤمنين : إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما أكلمك به ، إنهم يقولون : استأنف العمل برأيك ، فيما تحت يديك ، وخلّ بين من سبقك وبين ما ولوا به، من كان يلون أمره بما عليهم ولهم ـ وكأنّه يقصد الحقوق، والمظالم ،

---

(١) أحمد صفوت : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٣ .

(٢) جزء من الآية ١٢٥ من سورة النحل .

والاعطيات ، التي كان عمر يردها ـ فقال له عمر : أرأيت لو أتيت بسجلين : أحدهما من معاوية ، والآخر من عبدالملك ـ يقصد الخلفاء ـ بأمر واحد ، فبأي السجلين كنت آخذ ؟. قال : بالأقدم ، ولا أعدل به شيئاً ، قال عمر : فإني وجدت كتاب الله الأقدم ، فأنا حامل عليه من أتاني ، ممن تحت يدي في مالي ، وفيما سبقني »[1] .

وأمعن عمر في أسلوب الحوار ، مع من خرج من الخوارج وغيرهم ، فأخذهم بالحوار العلمي ، والجدل العقلي ، فكان يحاورهم بحذق ومهارة ، ويضيق عليهم الخناق حتى يذعنوا ، ومن ذلك أن خرج شوذب الخارجي ـ واسمه بسطام ـ وأصحابه بالجزيرة في العراق ، فكتب إليه عمر : « بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ، ولستَ أولى بذلك مني ، فهلّم إلى أُناظرْك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس . وإن كان في يدك نظرنا في أمرك ، فكتب بسطام إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك »[2] وتناظر هو والرجلان وحجّهم وغلبهم في قوله ، وأذعنا له ، وأقام أحدهما عنده[3] .

وشاهد آخر على قوة عمر في الجدل ، والحوار العلمي البيّن ما كان إذ « دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبدالعزيز ، فقالا : السلام عليك يإنسان ، فقال : وعليكما السلام يإنسانان . قالا : طاعة الله أحق ما اتبعت . قال : من جهل ذلك ضل . قالا : الأموال لا تكون دُولة بين الأغنياء . قال : قد حرُموها. قالا : مال الله يقسم على أهله. قال : الله بيّن في كتابه تفصيل ذلك .

---

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٨٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١٥٥ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١١ .

قالاً : تقام الصلاة لوقتها. قال : هو من حقها . قالا: إقامة الصفوف في الصلوات. قال : هو من تمام السنة. قالا : إنا بُعثنا إليك . قال : بلّغا ولا تهابا . قالا : ضَعِ الحق بين الناس . قال : الله أمر به قبلكما . قالا : لا حكم إلا لله . قال : كلمة حقٍّ إن لم تبتغوا بها باطلاً . قال : ائتمن الأمناء . قال : هم أعواني. قالا : احذر الخيانة . قال : السارق محذور . قالا : فالخمر ولحم الخنزير . قال: أهل الشرك أحق به . قالا : فمن دخل في الإسلام فقد أمن . قال : لولا الإسلام ما أمنا . قالا : أهل عهود رسول الله ﷺ قال : لهم عهودهم . قالا : لا تكلفهم فوق طاقتهم . قال : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[1] . قالا : خرِّب الكنائس . قال : هي من صلاح رعيتي . قالا : ذكرنا بالقرآن . قال : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّه ﴾[2] . قالا : تردُّنا إلى من أرسلنا . قال : ما أحبسكما . قالا : فما نقول لإخواننا ؟. قال : ما رأيتما وسمعتما . قالا : تردنا على دواب البريد . قال : لا ، هو من مال الله لا نُطيِّبَه لكما . قالا : فليس معنا نفقة . قال : أنتما إذن أبناء سبيل عليٍّ نفقتكما »[3] .

أي حوار هذا ؟! إنه حوار العالم ، المؤمن ، العادل ، حوارٌ لا مِراءَ فيه ، ذلك الأمر هو من الأساسيات التي قامت عليها قيادة عمر ، فالخوارج وغيرهم من المناهضين للحكم الأموي ، كان لهم شأنهم في الأمة الإسلامية ، فأخذهم بقيادته الحكيمة . والحوار . فما كان منهم إلا إجلال عمر وتقديره ، حتى قالوا : « ما ينبغي أن نقاتل هذا الرجل »[4] .

---

(١) جزء من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٢) جزء من الآية ٢٨١ من سورة البقرة .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٧ .

وهكذا كان الحوار العلمي والمنطقي والإقناع دأبه ، في كل محاوراته ومجادلاته ، وكتبه إلى عماله ، وكتبه التي يَعِظ فيها ، وفي شأنه كله ، فكان لا يصدر الأمر ، أو يكتب الكتاب ، حتى يضع المسوِّغ القوى ، والحجَّة الدامغة المقنعة ، مقروناً بهذا الأمر أو الكتاب ، فيكون المُنَفِّذَ أو المعنى بالأمر على قناعة تامة بصواب ما هو عليه .

وذلك ما يفعله القائد الواثق بنفسه ، السائر على الحق، الكاره للباطل ، والذي يريد من أتباعه ورعيته ، أن يَلْتَفُّوا حوله فيصلُح شأنهم ، ويقوى أمرهم بعون الله .

ونظراً لأننا لسنا بصدد حصرٍ تاريخيٍ لمآثر عمر الكثيرة في هذا المجال ، فإننا نكتفي بتلك اللمحات ، ليمكننا القول : إن عمر قد جعل من التمسك بكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، ثم التأسِّي بالخلفاء الراشدين ، والحرص على أن يكون قدوة حسنة ، وكذلك الاهتمام بمصالح الأمة وشؤون رعيته ، وأخيراً الحوار العلمي والإقناع فيما يكون فيه خلاف ، أسس وقواعد لعمله القيادي لأمته ، وركائز للنمط القيادي الذي اتسمت به قيادته ، ذلك النمط التي تميز ـ كما سبق ذكره ـ بالمساندة لتحقيق احتياجات الأمة ، وتوجيهها ، ومشاركتها ، وتوجيهها نحو الانجاز ، في آن واحد تبعاً لمتطلبات الحال . وذلك جُلُّ ما ترجوه الأمة من واَليها ، ويفضله الجماعة من قائدهم .

الفصل الرابع

عمر بن عبدالعزيز والإدارة

ويشتمل على :

المبحث الأول : مدخل الإطار الفكري للإدارة.

المبحث الثاني : المبادىء الإدارية في إدارة عمر .

المبحث الثالث : تطبيقات المبادىء الإدارية عند عمر في الإدارة وبخاصة الإدارة التربوية .

المبحث الرابع : الوظائف الإدارية الحديثة في إدارة عمر.

* تمهيد :

لقد تطرقنا في الفصل السابق إلى الملامح القيادية عند عمر بن عبدالعزيز، وبالذات الصفات القيادية التي توفرت في شخصيته ، وكيف استطاع ممارسة القيادة، وفق نمط مستمد من تعاليم الدين الإسلامي ، مما جعله ـ بتوفيق الله ـ من أبرز قادة الأمة الإسلامية ، وكذلك تطبيقات تلك الصفات القيادية في قيادتنا الحاضرة ، ثم النمط الذي اتسمت به قيادة عمر ، والركائز التي اعتمد عليها ذلك النمط .

وفي هذا الفصل ، سيكون الحديث عن إدارة عمر ، وأهم المبادىء الإدارية التي اتُّبعها في إدارته للدولة الإسلامية ، وكيف يمكن تبني وتطبيق تلك المبادىء في حاضرنا ، وكذلك موقع الوظائف الإدارية الحديثة (التخطيط ـ التنظيم ـ التوجيه ـ الرقابة) من إدارة عمر بن عبدالعزيز ، كجزءٍ مكمِّلٍ للنموذج الإداري ، الذي تبناه عمر رضي الله عنه في إدارته ، والذي حددناه بعنصرين أساسيين :

الأول منهما : الصفات القيادية التي توفرت في شخصية عمر .

والثاني : المبادىء الإدارية التي برزت في إدارته ، لنحدد معالم النموذج الإداري عند عمر بن عبدالعزيز بالصفة والمبدأ .

وبالتحديد فإن هذا الفصل يهدف إلى إبراز مبادىء الإدارة العمرية ، وتطبيقاتها في إدارتنا الحاضرة وبخاصة الإدارة التربوية ، ومدى ممارسة عمر لما اصطلح على تسميته حديثاً : بالوظائف الإدارية .

إلا أننا سنبدؤه بحديث موجز كمدخل للتعريف بالإطار الفكري للإدارة .

المبحث الأول

مدخل الإطار الفكري للإدارة

أولاً : تعريف الإدارة :

الإدارة في اللغة : تدل على الإسم ، والمصدر من : من : أدار ، والمدير : من يتولى النظر في الشيء[1] ، وأدار عن الأمر ، أو أدار عليه ، أي طالب بترك الأمر أو حاول إلزامه إياه[2] .

أما تعريف الإدارة إصطلاحاً : فإنه من الأمور التي لم يُتفق على تحديده، فالمتتبع لما عُرِّفت به الإدارة ، يلاحظ التباين فيما ذكره المهتمون بعلم الإدارة، فمن تلك التعاريف :

ما قاله « ديموك وزملاؤه » إذ يقول : « يمكن التفكير في الإدارة على أنها انسياب النشاط ، من مستوى إلى مستوى آخر ، ومن مرحلة في التنفيذ إلى المرحلة التالية ، من اندماج جميع العناصر بصفة مستمرة في مجرى واحد، وعمل الإدارة في المستوى الأعلى هو التأكد من حدوث الاندماج واستمراره »[3] .

ويعرفها الدكتور سيد الهواري فيقول : « الإدارة هي ذلك العضو في المؤسسة المسئول عن تحقيق النتائج ، التي وجدت من أجلها تلك المؤسسة ، سواء كانت تلك المؤسسة شركة أم مستشفى أم جامعة أم مصلحة أم وزارة ... إلخ »[1] .

---

(١) معلوف وآخر : المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٢٢٩ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ .

(٣) عبدالرحمن إبراهيم الضحيان : الإدارة في الإسلام الفكر والتطبيق ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢١ (عن إدوار ديموك وآخرين : الإدارة العامة ، ترجمة إبراهيم على البرسلي ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص٤١٨) .

(٤) سيد الهواري : الإدارة : الأصول والأسس العلمية ، ص ٦ .

أما الدكتور مدني علاقي فيعرف الإدارة بقوله : « الإدارة هي العمليات الخاصة بتنسيق وتوحيد جهود العناصر المادية ، والبشرية في المنظمة ، من مواد وعدد ومعدات ، وأفراد وأموال عن طريق تخطيط ، وتنظيم ، وتوجيه ، ومراقبة هذه الجهود ، من أجل تحقيق الأهداف النهائية للمنظمة »(١) .

وكذلك يعرفها الدكتور سعود النمر وزملاؤه بأنها : تعني ذلك النشاط الموجه نحو توفير التعاون المثمر ، والتنسيق الفعال بين الجهود البشرية المختلفة ، العاملة من أجل تحقيق هدف معين ، بدرجة عالية من الكفاءة »(٢) .

وأخيراً يعرفها الدكتور عبدالرحمن الضحيان ، مسترشداً بقول الله عز وجل : « إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ »(٣) ، فيقول : « الإدارة هي العمليات ـ مثل التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة ـ التي يوجه إليها المدير ، من تحت إمرته لتحقيقها ، كهدف لإدارته وذلك بأعلى كفاءة وكفاية، وأقل جهد وأكبر عائد »(٤) .

وإذا كان لنا أن نذكر رأياً في ذلك ، فإننا نقول إن الإدارة هي : تلك الممارسات التي يقوم بها المدير لعمليات التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والرقابة ، لمدخلات معينة بما يتطلبه تحقيق هدف منشود ، وذلك بقدر نسبي من الكفاءة النوعية ، والكمية ، والجهد ، تبعاً لصحة اتخاذ القرار ، أثناء تلك الممارسات .

والظاهر من تعاريف الإدارة أن هناك عمليات إدارية يقوم بأدائها المدير ، للوصول بمجموعة مدخلات ، إلى تحقيق هدف معين ، وذلك مما لا بد منه في كافة مستويات الإدارة ، وأياً كان نوعها سواء ، كانت إدارة عامة أم إدارة صناعية أم إدارة مستشفى أم إدارة خاصة ... إلخ .

---

(١) علاقي : الإدارة دراسة تحليلية ، ص ١٠٠ .

(٢) النمر وآخرون : الإدارة العامة الأسس والوظائف ، ص ٥ .

(٣) الآية ٦٢ من سورة الشعراء .

(٤) الضحيان : الإدارة في الإسلام الفكر والتطبيق ، ص ٢٣ .

ثانياً : الإدارة التربوية :

الإدارة التربوية إحدى أنواع الإدارة ذات الأهمية ، فهي تلعب دوراً أساسياً في تسيير العملية التربوية ، والتعليمية في أية مؤسسة تربوية .

وتعرف الإدارة التربوية بأنها « علم وفن تسيير العناصر البشرية، في إطار المؤسسات التعليمية ، ذات الأنظمة واللوائح ، التي تهدف إلى تحقيق أهداف معينة ، بوجود تسهيلات وإمكانات مادية ، في زمان ومكان محددين »(١) .

كما عرفت الإدارة التربوية بأنها « مجموعة من العمليات المتشابكة ، التي تتكامل فيما بينها في المستويات الثلاثة للإدارة (التربوية) : المستوى القومي (وزارة التربية) . والمستوى المحلي (المناطق التعليمية) والمستوى الإجرائي (المدرسة)، وذلك لتحقيق الأهداف المنشودة في التربية »(٢) .

ومن خلال تعاريف الإدارة ، والإدارة التربوية ، فإن الأخيرة تقوم على المبادىء نفسها ، والأسس التي تقوم عليها الإدارة ، في حين تختلف تفاصيل الإدارة التربوية ، تبعاً لما تتطلبه عملية التربية والتعليم ، لأداء مهمة تتلخص في النقاط التالية(٣) :

١ ـ وضع الأهداف العامة للتعليم ، وتحديد الاستراتيجية التعليمية .

٢ ـ تربية النشء وإعدادهم للحياة في المجتمع .

٣ ـ توفير القوى العاملة ، والإمكانات البشرية المتاحة ، لدفع حركة العمل في المجال التعليمي ، لتحقيق الأهداف التربوية ، وأهداف المجتمع القريبة والبعيدة.

---

(١) بستان وطه : مدخل إلى الإدارة التربوية ، ص ٣٩ .

(٢) محمود عليان : الإدارة العامة والإدارة التربوية ، مجلة التربية ، العدد صفر ، الكويت ، تصدر عن وزارة التربية ، بإشراف مركز البحوث التربوية ، ١٩٨٨ م ، ص ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

إلا أننا نرى أن هناك مفهوماً شاملاً للإدارة التربوية سبقت الإشارة إليه(١).

ثالثاً : نشأة الإدارة :

إن المتمعن في تعاريف الإدارة وأهدافها ، ومقتضى وجودها ، يزداد يقيناً بأن الإدارة تمارس منذ أن وجد الإنسان ، وكانت له أهداف يسعى لتحقيقها ، سواء أفراد أو جماعات .

ولكن تختلف الممارسات الإدارية من عصر إلى آخر ، ومن تجمع إلى آخر ، تبعاً لحالة الجماعة ، وما تسعى لتحقيقه . إذ أن أي تجمع بشري صغر هذا المجتمع مثل الأسرة ، أو كبر ، كالعشائر والقبائل ، والممالك القديمة ، تمارس الإدارة كنشاط بشري ، ينبغي للمؤرخ الإداري تفسير تلك التصرفات البشرية ، في ضوء مفاهيم الإدارة(٢) .

ومما يدل على قدم الإدارة ــ والمتوفر لدينا عنها قدر من المعلومات ــ ما كان لدى الفراعنة المصريين ، من السجلات والحكومة المركزية ، برئاسة الملك الملقب بالفرعون ، والحكومات المحلية ، وما كان من الحضارة المصرية القديمة ، التي ترجع إلى ما يزيد عن أربعة آلاف سنة قبل الميلاد .

كما كان للإدارة ، وبالذات الإدارة العامة ، دورٌ بارزٌ في الحضارة الصينية القديمة ، التي ترجع إلى أكثر من ألفين ومائتي سنة قبل الميلاد ، فمن المؤكد أن قيام امبراطورية الصين ، يتطلب مهاماً إدارية كالإشراف والمتابعة ، والاختبارات التي كانت تجرى للعاملين ، ونظام الرقابة المستمر وغير ذلك .

---

(١) ذلك ما أشرنا إليه كتعريف إجرائي للإدارة التربوية ، بين مصطلحات البحث في الفصل التمهيدي من هذا البحث .

(٢) عبدالهادي : الفكر الإداري الإسلامي والمقارن ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

ثم مارس الإغريق في إدارتهم المدن الإغريقية ، التي كان كل منها دولة صغيرة ، أساليب إدارية تميزت بالبساطة ، وتوزيع السلطات ، واتسمت بالطابع الجماعي ، فقد كانت الإدارة الإغريقية تهتم بالتجاوب مع الشعب(١) .

أما فترة الإمبراطورية الرومانية ، فقد وجد فيها العديد من التنظيمات البيروقراطية ، في كافة المناطق التي امتدت السلطة الرومانية إليها ، بما فيها مصر القديمة ، وكان يسود آنذاك فكر إداري روماني متميز(٢) .

رابعاً : الإدارة في الإسلام :

لقد برزت معالم الإدارة في الإسلام ، منذ أن هاجر المسلمون ومعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة. إذ بدأ تأسيس الدولة ، وتوحيد الأمة ، بالمؤاخاة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ، على عُرىً وثيقة من الإيمان ، والأخوة الصادقة ، والمثل السامية .

جاء ذلك نتيجة لما سبق من الإعداد والتخطيط ، الذي قام به الرسول عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة قبل الهجرة .

إذ تركز دور الرسول ﷺ أثناء وجوده في مكة ، على الناحية الروحية ، والدعوة إلى التوحيد ، والإعداد لمرحلة قادمة ، بدأت بالتعليم والتربية الخلقية ، لبناء المجتمع المسلم ، الذي قوامه الإنسان الصالح ، حيث كان دوره عليه الصلاة والسلام في مكة دوراً قيادياً روحياً تربوياً(٣) .

أما في المدينة المنورة فنشأت الدولة الجديدة ، في ظل الدين الحنيف ، وقيادة الرسول الكريم ، الذي مارس مسؤولياته الكبيرة ، من حكم وإدارة شاملة

---

(١) عبدالهادي : الفكر الإداري الإسلامي والمقارن ، ص ٢٨ ـ ٣٥ .

(٢) العلي : الإدارة في الإسلام ، ص ٢١ .

(٣) ديرانية : الحكم والإدارة في الإسلام ، ص ٢٩ .

لنشاطات السلطات التشريعية ، والتنفيذية، والقضائية ، فجمع بين سلطة الدين ، وسلطة الدنيا ، بوصفه نبياً مرسلاً ، وحاكماً سياسيا[1] ، وقائداً عسكرياً ، حين يتطلب الأمر ذلك .

فقد وضع عليه الصلاة والسلام دستوراً في المدينة، بدأ باسم الله تعالى ، جاء في سبع وأربعين مادة[2] ، شاملة لمبادىء الحكم والعلاقات الإنسانية ، والسياسية ، تضاهي ما عرفه ويعرفه التاريخ ، في هذا المجال ، فهي تدل على نبوغ الفكر الإداري في الإسلام ، ولو لم يكن الأمر كذلك ، لما كان قيام الدولة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، مشعلاً للحضارة الإنسانية المعاصرة .

وفي عهد الخلفاء الراشدين ، اتسعت مهام الإدارة ، وأصبح التطوير الإداري من ضروريات دعم الدولة الفتية ، وترسيخ المبادىء الإسلامية من الأمور الحتمية ، كالشورى ، والرقابة الذاتية، واختيار الأصلح، وتكافؤ الفرص ، وتفويض السلطة ، وأنشاء الدواوين وأنظمة الخراج والحسبة ، وغير ذلك من الإنجازات الإدارية الرائعة .

وتوالى نمو الدولة واتساعها ، وبذلك تزداد أهمية الإدارة ، وتطوير مفاهيم الوظائف العامة، والتعيين وأسس الخدمة المدنية والحاجة إلى الإدارة اللامركزية، وبخاصة في أوائل العهد الأموى .

ولقد كان من أبرز سمات العصر الأموي الإدارية، تطوير نظام الدواوين ، وبلورة السلطات التشريعية ، والتنفيذية ، واستحداث الوزارة ، وغي ذلك من التنظيمات الإدارية[3] .

---

(١) ديرانية : الحكم والإدارة في الإسلام ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٢) للاطلاع على تلك المواد انظر المرجع السابق ، ص ٥٤ ــ ٥٨ .

(٣) العلي : الإدارة في الإسلام ، ص ٨١ ، ٨٢ .

أما في الدولة العباسية، فقد بلغت الدواوين ذروة الاتساع والتعدد، فأصبح الجهاز الإداري جهازاً بيروقراطياً، متصلاً يبدأ من القمة إلى القاعدة[١] ـ حيث بلغت تلك الدواوين أكثر من اثني عشر ديواناً ، تتولى كافة أمور الدولة[٢] .

والمتتبع للإدارة الإسلامية ، وتطور الفكر الإداري الإسلامي تتضح له مميزات لهذا الفكر عن غيره ، من حيث إن له ذاتيَّة ربَّانية ، وشمولاً في الاهتمام بالفرد والجماعة ، والشمول لكافة أوجه النشاطات الإنسانية ، والتطبيق العملي وغير ذلك من المزايا والمقاصد السامية[٣] .

وخلاصة القول أن الإدارة الإسلامية وما تبناه المسلمون وعلماؤهم في تطوير الإدارة الإسلامية ، فكراً وتطبيقاً ، والتي تستند على القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، قد سبقت النظريات والأفكار الإدارية المعاصرة ، في خلق أسباب النجاح والنضج الإداري .

خامساً : الإدارة الحديثة والمعاصرة[٤] :

لقد دخل الفكر الإداري الحديث مدخلاً جديداً في ظل بدايات الثورة الصناعية ، التي قامت في أوروبة ، في أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وذلك المدخل يتمثل في تبنِّي الفكر الإداري ، كأحد العلوم الاجتماعية ، والذي تربطه علاقة وثيقة بعلم السياسة، والقانون، والاقتصاد، وغيرها من العلوم الاجتماعية .

---

(١) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، الأسس والوظائف ، ص ٢٧ .

(٢) صنف الماوردي تلك الدواوين إلى مجموعات أربع ، تمثل نشاطات الدولة ، وللتوسع انظر : الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٩ وما بعدها .

(٣) للتوسع في هذا الجانب : انظر الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ٥٧ وما بعدها .

(٤) للتوسع في هذا الجانب : انظر : كتب الإدارة المختلفة .

ومن خلال هذه النظرة ، فقد بدأ علماء ومفكرو الإدارة حديثاً ، في التنظير للإدارة ، وإيجاد المبادىء والأساليب الإدارية ، تبعاً لما يتفق مع إمكانية الباحثين في هذا العلم ، وقدرتهم البشرية المحدودة . مما أدى إلى صعوبة إيجاد نظرية عامة للإدارة .

ويمكن تحديد الروافد الفكرية للإدارة الحديثة والمعاصرة بشكل موجز في المدارس التالية :

١ ـ المدرسة التقليدية :

وهذه المدرسة تمثل الرافد الأول للإدارة المعاصرة ، والتي تشتمل على ثلاث نظريات .

الأولى : نظريــة البيروقراطية ، والتي تعـدُّ كما وصفهـا « ماكس فيبر Max Weber» (١٨٦٤ م ـ ١٩٢٠ م) هي البداية لنظرية التنظيم العلمية[١] .

والبيروقراطية بمعنى سلطة المكتب ، أو حكم المكتب ، وهذا يعنى أن البيروقراطية تعني ممارسة الإدارة ، في إطار تنظيم مكتبي ، وقوانين وسياسات محددة ، متفق عليها ، من قبل الحكومة ، أو الجهة ذات العلاقة .

والتنظيم البيروقراطي يتصل تاريخياً بقيام الحكومات ، إلا أنه كموضوع أثار اهتمام العلماء ، فإنه يرتبط بعالم الاجتماع الألماني « ماكس فيبر » ، حيث أثارت كتاباته عن البيروقراطية ، الاهتمام والتعليق ، والمزيد من الأبحاث والدراسات ذات العلاقة[٢] .

---

(١) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

أما النظرية الثانية : فهي نظرية الإدارة العلمية ، والتي ترتبط بما عرضه « فردريك تايلور Frederick Taylor » عام ١٩١١ م من مبادىء في الإدارة ، وقد ركزت على العمل والتخطيط ، لتنفيذ العمل على أساس قياسي من الحركة والزمن(١) .

وهذه النظرية في مجملها ، تسعى لتحقيق كفاية أداء العنصر البشري ، إلا أن « تايلور » يقول عن الإدارة العلمية : « إنها في جوهرها يمكن أن يقال عنها ، في حالة الصناعة الراهنة . إنها تتضمن ثورة عقلية كاملة ، في ناحيتي الإدارة والعمال كليهما . إنها تغير شامل في الاتجاه العقلي لكل الجانبين نحو واجبات كل منهما ، ونحو خصومهما . وهذا ما يشكل الإدارة العلمية »(٢) .

وفي الفترة نفسها برزت النظرية الثالثة ، التقسيم الإداري لـ« هنري فايول Henri Fayol » ، حيث قسم العملية الإدارية إلى خمسة عناصر أساسية(٣) ، واستنتج أربعة عشر مبدأ ، يقول فايول نفسه : إنه طبقها مراراً وتكراراً(٤) ، أثناء ممارساته الإدارية ، حيث أبرز جانباً مهماً في الإدارة ألا وهو تقسيم العمل الإداري .

٢ ــ مدرسة العلاقات الإنسانية في الإدارة :

لقد اتفق الباحثون في علم الإدارة على أن مدرسة العلاقات الإنسانية ، قامت كرد فعل لنظريات المدرسة التقليدية، وبخاصة نظرية الإدارة العلمية ، التي

(١) الهواري : الإدارة ، ص ٥٨٣ ، ٥٨٤ .

(٢) فريدريك و. تايلور : مبادىء الإدارة العلمية ، المأثورات في الإدارة : تحرير هارورد ف. ميريل ، ترجمة إبراهيم البرلسي ، مراجعة وتقديم د . محمد توفيق رمزي ، القاهرة ــ نيويورك ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، دار المعرفة ، ١٩٦٧ م ، ص ١٠٢ .

(٣) الهواري : الإدارة ، ص ٥٨٤ .

(٤) هنري فايول : المبادىء العامة للإدارة ، المأثورات في الإدارة : هارورد ف . ميريل ، ص ٢٦٨ .

ركزت على جوانب الإنتاج ، والحوافز المادية ، وأهملت العوامل الاجتماعية والإنسانية، ذلك الجانب الذي تسعى هذه المدرسة إلى تحقيقه للعنصر البشري .

وقد بدأ ظهور هذا الرافد الفكري ، بما حققته نتائج تجارب « هورثون » التي أجراها « ايلتون مايو » وزميله « برجر » إذ يعد « مايو » بمثابة المؤسس للمدرسة السلوكية[1] ، حيث فتحت تلك التجارب الطريق أمام العلماء والباحثين السلوكيين ، والإداريين ، إلى مزيد من الدراسات العلمية لمعرفة آثار ممارسات الإدارة ـ أياً كانت ـ على العنصر البشري[2] . ومن الملاحظ أن هذه المدرسة ، وإن كان قيامها كان رد فعل للمدرسة التقليدية ، ونظرياتها ، إلا أنها تعد مكملة لها ، وليست بديلاً لأي من النظريات التقليدية السابقة .

٣ ـ المدرسة السلوكية :

هناك الكثير من الباحثين يجعل مدرسة العلاقات الإنسانية ، والمدرسة السلوكية مرحلة فكرية واحدة ، إلا أن هذه المدرسة تجعل السلوك الإنساني للأفراد والجماعات ، في المنظمة ، والإجابة على السؤال : ما الذي يمكن إنجازه، وكيف، ولماذا ؟. هو مركز الفكر لهذه المدرسة ، إذ تستمد نظرياتها من مساهمات علماء الاجتماع ، والنفس في ميدان الإدارة[3] . ولقد كانت « ماري فوليت Mary Voleete » أول المهتمين بالنواحي السيكلوجية للأفراد، إذ تحدثت عن بعض المفاهيم ، التي أثّرت في الفكر الإداري ، ومن هذه المفاهيم « مبدأ التعارض البناء »[4] .

(١) الهواري : الإدارة ، ص ٥٨٥ .

(٢) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٦١ .

(٣) علاقي : الإدارة ، ص ٦١ .

(٤) النمر وآخرون : الإدارة ، ص ٦٤ .

كما تعد مساهمات « ماسلو Maslow » من المساهمات الرائدة ، في مجال العلوم السلوكية . والحاجات الإنسانية ، بل تمثل نقطة البداية في دراسة الدوافع السلوكية ، والحوافز . فقد قام « ماسلو » بوضع التدرج الهرمي للحاجات الإنسانية ، حيث تمثل الحاجات الفسيولوجية الأساسية للإنسان ، كالطعام ، والكساء ، قاعدة الهرم ، ثم الأمن والحماية ، ثم الحاجة للانتماء ، والارتباط بالآخرين ، ثم الحاجة إلى التقدير والاحترام . وأخيراً تأتي الحاجة إلى تقدير الذات ، في قمة الهرم ، الذي أدرك فيه « ماسلو » أن الحاجات التي يمثلها هذا الهرم ، من أهم محددات السلوك الإنساني ، الذي يأتي بالتالي ، وفي كثير من الأحيان ، إنعكاساً لهذه الحاجات(١) .

ونتيجة لما وُجِّه لنظرية « التدرج الهرمي » من النقد ، قام « الدرفر » باختصار مستويات هرم « ماسلو » الخمس ، إلى ثلاث مستويات ، هي : حاجات البقاء ، وحاجات الارتباط ، وحاجات النمو ، وتميز عن « ماسلو » بأنه يمكن للإنسان تحقيق حاجتين في وقت واحد ، وذلك ما ينكره « ماسلو » إذ يرى أن الإنسان لا يسعى إلا لتحقيق حاجة واحدة في الوقت ذاته(٢) .

ومما سبق يتضح أن هذه المدرسة قد لفتت نظر الإدارة ، والمديرين ، إلى أمر حيوي وهام ، لا يمكن للإدارة الوصول إلى الكفاية المطلوبة بمنأىً عنه ، ألا وهو الحاجات الإنسانية بكافة مستوياتها .

٤ ـ مدرسة اتخاذ القرارات :

لقد جاءت مدرسة اتخاذ القرارات لتهتم بجانب آخر من جوانب الإدارة ، في الوقت الذي كان جانب العلاقات الإنسانية ، والسلوكية قد أخذ قدراً من الاهتمام ، وهذا الجانب هو مرحلة اتخاذ القرار في الإدارة .

---

(١) النمر وآخرون : ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٩ ، ٧٠ .

فقد وضع « لهربرت سيمون » منهجاً علمياً لاخاذ القرار ، يجب أن يتبعه المدير ، وهو تحديد المشكلة ، وجمع المعلومات ، وتحليل المعلومات ، ووضع بدائل الحل ، ومقارنة البدائل ، واختيار الأنسب[١] .

ولقد أحدث كتاب « السلوك الإداري » « لسيمون » وقبله كتاب « وظائف المديرين » « لبارنارد » تطوراً في الفكر الإداري ، وأحدثا تأثيراً عنيفاً ، في طبيعة الفكر التنظيمي ونظرياته[٢] .

وهذه المدرسة تهتم بالعوامل السلوكية المؤثرة ، على عملية اتخاذ القرار ، وكيفيته ، وطرق الاتصال لنقل القرار ، وما يؤثر على تنفيذه[٣]. كما أضيف على عملية اتخاذ القرار أبعاد جديدة، بعضها سلوكي، والآخر رياضي ، وإحصائي ، للمساهمة في رفع كفاءة اتخاذ القرار[٤] ، وبالتالي رفع مكانة هذه المدرسة ، وأهميتها ، والتي أخذت بعداً فكرياً ، أكثر عمقاً وأصالة .

٥ ـ مدرسة النظم :

تنظر مدرسة النظم التي قامت منذ الستينيات إلى المنظمة على أنها كيان متحد . مرتبط ببعضه البعض ، يؤثر كل جزء ، أو عنصر في هذا الكيان على الأجزاء الأخرى ، ويتأثر بها .

فبدلاً من التركيز على أحد جوانب العملية الإدارية، والتي كان كل من تلك الجوانب في إطار اهتمام إحدى المدارس الإدارية، فإن المنظمة في نظر هذه المدرسة تتكون من عناصر ثلاث هي: المدخلات والعمليات والمخرجات، حيث

---

(١) د . علي محمد عبدالوهاب : مقدمة في الإدارة ، الرياض ، معهد الإدارة ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٠٣ .

(٢) النمر وآخرون : الإدارة ، ص ٧١ .

(٣) المرجع السابق : ص ٧١ ، ٧٢ .

(٤) عبدالوهاب : مقدمة في الإدارة ، ص ٢٠٤ .

تمثل الأموال ، والمواد ، والأساليب ، والأفراد عنصر المدخلات ، أما العمليات فهي كافة الأنشطة . التي تمارس تجاه المدخلات ، لتكون المخرجات ذلك الناتج النهائي ، المحدود بأهداف المنظمة[1] .

وتبعاً لهذه العناصر فإن المنظمة على علاقة بالبيئة المحيطة ، فهي تأخذ منها المدخلات ، وتقدم إليها المخرجات . حيث يؤكد الاتجاه الحديث في مدخل النظم النظر إلى العملية الإدارية ، ومبادئها ، ثم يحاول بناء مفاهيم أساسية ، انطلاقاً من التأثير ، والتأثر ، الناتج عن تفاعل نظرية الإدارة ، بالعناصر البيئية المحيطة[2] . فقد تعدى اهتمام هذا الاتجاه معطيات مدرستي العلاقات الإنسانية ، والعلوم السلوكية ، إلى العلاقات التأثيرية ، والمدخلات ، والمخرجات ، والتغذية العكسية ، والسيطرة ، والتحليل للمعلومات[3] ، لتكون المخرجات أكثر كفاية وملاءمة ، ومرضية لعناصر البيئة .

كل ذلك التطور الذي طرأ ويطرأ على الفكر الإداري ، أوجد مناخاً مناسباً لعلم الإدارة ، ليأخذ اتجاهاً علمياً أصيلاً ، للوصول إلى النظرية العامة للإدارة في نظر علماء ومفكري الإدارة المعاصرين .

---

(١) عبدالوهاب : مقدمة في الإدارة ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) د . إبراهيم عبدالله المنيف : الإدارة ـ المفاهيم ـ الأسس ـ المهام ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٠ م ، ص ٩٤ .

(٣) النمر وآخرون : الإدارة ، ص ٢٨ .

المبحث الثاني

المبادىء الإدارية في إدارة عمر

تمهيـــد :

يهدف هذا المبحث إلى التعرف على ما يمكن من الأسس ، والمبادىء الإدارية ، التي اتَّبعها عمر بن عبدالعزيز في إدارته ، ومحاولة بلورتها في نقاط محددة قابلة للتطبيق .

ولا شك أن هذا الجانب ــ المبادىء الإدارية ــ قد لقي اهتماماً من علماء ومفكري الإدارة قديماً وحديثاً . فقد كان لعلماء المسلمين دورٌ بارزٌ في محاولة إيجاد القواعد والأسس ، والمبادىء التي يتطلبها أمر الحكم والإدارة ، كما قُدمت النصائح والرسائل للملوك والخلفاء ، فيما يتعلق بحكم وإدارة الدولة الإسلامية ، فالتراث الإسلامي يزخر بمثل هذه المؤلفات والرسائل .

وفي العصر الحاضر اهتم الفكر الإداري الحديث ، بموضوع المبادىء الإدارية ، وكُتب حول هذا الموضوع الكثير ، كما حدد بعض العلماء أمثال « فريدريك تايلور » و« هنرى فايلول » مبادىء إدارية رأوْا أنها مما يحتاج إليه المدير ، أياً كان لأداء مهمته . إلا أن مؤلفات علماء المسلمين والتطبيقات الإدارية لقادتهم وإدارييهم ، تحتوي تلك المبادىء الحديثة ، إذ نكاد لا نجد مبدأ يخلو منه الفكر أو التطبيق الإداري في الإسلام ، بل إن هناك الكثير من المبادىء الإدارية في الإسلام ، لم يتطرق إليها الفكر الإداري الحديث والمعاصر ، وهي من الأهمية بمكان .

وفيما يلي نتعرف على بعض المبادىء الإدارية، عند أحد أعلام المسلمين ــ أحد نماذج التطبيق لمبادىء الإدارة في الإسلام ــ ألا وهو عمر بن عبدالعزيز ، فما هي تلك المبادىء التي طبقها رضي الله عنه ؟

هذه المباديء على وجه الإجمال ، هي : مبدأ الحاكمية لله وحده ، ومبدأ الشورى ، ومبدأ استعمال الأصلح ومبدأ المساواة ، ومبدأ الولاء الكامل للحق ونصرة المظلومين ، ومبدأ الحرية الإنسانية العامة ، ومبدأ الوقاية من الفساد الإداري ، ومبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية ، ومبدأ المرونة ، ومبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت ، ومبدأ تقسيم العمل ، ومبدأ الحفز والترغيب . وفيما يلي نأتي على تطبيق عمر لكل منها بالتفصيل :

أولاً : مبدأ الحاكمية لله وحده :

لقد أقرت كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » أن الحاكمية لله عز وجل ، وهي من أولى خصائص الألوهية ، التي ينفرد بها سبحانه وتعالى ، وليس لأحد من البشر كائناً من كان ، أن يدعيها ، فالمُشرع والمُحلُّ والمحرِّم هو الله عز وجل ، ومن الآيات التي تُصَرِّح بأن الحاكمية لله ، قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾[1] . وقوله تعالى: ﴿ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ، أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾[2] .

ومما لا شك فيه أن مفهوم الحاكمية يشمل جميع نواحي الحياة الإنسانية، فإلى جانب العلاقة بين الإنسان وخالقه من شعائر تعبدية ، فإن هذا المفهوم يشمل أيضا العلاقات بين الإنسان ونفسه ، والعلاقة بين الإنسان وأسرته وأقاربه ، وما له عليهم وما لهم عليه من حقوق التربية والرعاية مثلاً ، وكذلك علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، وأخيراً علاقة الإنسان بالسلطة الحاكمة ، فيطيعها ما دامت مطبقة لشرع الله ومنفذة لأوامره[3] .

(١) جزء من الآية ١٥٤ من سورة آل عمران .

(٢) جزء من الآية ٤٠ من سورة يوسف .

(٣) محمد عبدالقادر أبو فارس : النظام السياسي في الإسلام ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية بالكويت ، تسلسل (٦١) ، لبنان ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٣ .

ولقد أشار العالم المسلم أبو الأعلى المودودي إلى أن الحاكمية لله وحده لا تعني الديمقراطية، إذ لا يصح إطلاق تلك الكلمة على نظام الدولة الإسلامية ، بل أصدق منها تعبيراً كلمة « الحكومة الإلهية » أو « الثيقراطية » (The-Cracy) مع ملاحظة الاختلاف الكلي بين مفهوم الثيقراطية الإسلامي والأوروبي ، ففي أوروبة طبقة من السدنة يشرعون من عند أنفسهم ــ فما أجدر تلك الحكومة أن تسمى الحكومة الشيطانية ـ أما الثيقراطية التي جاء بها الإسلام ، فلا تستبد بأمرها طبقة من السدَنة أو المشايخ ، بل هي في أيدي المسلمين عامة ، يتولون أمرها وِفْقَ ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله ، ليمكن بذلك ابتداع مصطلح جديد هو : « الثيقراطية الديموقراطية » (Theo-democracy) أو « الحكومة الإلهية الديمقراطية » ، لأنه خول للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة ، تحت سلطة الله القاهرة ، وحكمه الذي لا يُغلب[1] .

والمسلم يسعى إلى تحقيق نظام الحكومة الإلهية ، وتطبيق قانون الله في كل أمور حياته وعلاقاته ، لأن إقامة حاكمية الله هي الهدفُ الذي بعث من أجله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2] ، فالاختلاف بين الأنبياء والرسل من جهة ، وبين الطواغيت والكافرين من جهة أخرى ، ليس حول مَن الخالق ، ولكن الاختلاف حول مَن تكون له الحاكمية .

ولقد حَرِص المسلمون في صدر الإسلام على تطبيق قانون الله عز وجل ، في كل جوانب حياتهم، بما في ذلك أمور الحكم والإدارة وقيادة الجيوش، يقيناً منهم بأن الله وحده خالق الكون بمن فيه وحاكمه الأعلى . أما الإنسان فهو

(١) أبو الأعلى المودودي : نظرية الإسلام السياسية ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية ، ترجمة أحمد إدريس ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٣٥ .

خليفة هذا الحاكم الأعلى ونائبه، ومهمته تطبيق قانون الحاكم الأعلى في كل شيء، وإدارة النظام الإنساني طبقاً لأحكامه[1]، والتي توافق فطرة ذلك الإنسان.

والنظام الإداري والقيادي أياً كان نوع تلك الإدارة أو القيادة لا غنى لها عن القانون الإلهي فكراً وتطبيقاً ، وذلك لتوافقه مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها ، ولإحاطة الخالق بمصلحتهم .

وهذا ما أدركه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، إذ جعل الأمر لله عز وجل بتطبيق مبدأ الحاكمية لله ، وأنفذ قانون الله على خلقه ، حين إدارته للدولة الإسلامية ، وصبغ أوامره وإجراءاته في كافّة شؤون الدولة بصبغة الله تبارك وتعالى وذلك ما أعلنه رضي الله عنه منذ الساعات الأولى لتوليه أمر المسلمين، إذ قال : « أيها الناس : إنه ليس بعد نبيكم نبي ، وليس بعد الكتاب الذي أنزل عليكم كتاب ، فما أحلَّ الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة ، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة ، ألا إني لست بقاض ، وإنما أنا منفذ لله ، ولست بمبتدع ، ولكني متَّبع ، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عز وجل ...»[2] .

ويتضح من هذا ، إدراك عمر لمفهوم الحاكمية لله عز وجل ، وأنه عازم على تطبيق حكم الله في كل أمر ، وأنه منفذ لله . وبذلك يحقق الخلافة في الأرض ، بتطبيق قانون الله في خلقه ، وذلك ما يبعث الله الرسل من أجله .

كما كتب رضي الله عنه إلى العمال ، فقال : « أما بعد : فإن الله بعث محمداً ﷺ ﴿ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[3].

---

(١) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية ، ص ١١٩ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) جزء من الآية ٣٣ من سورة التوبة ، وجزء من الآية ٩ من سورة الصف .

وإن دين الله الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام كتابه الذي أنزل عليه أن يُطاع الله فيه ، ويُتَّبع أمره ، ويُجْتَنَب ما نهى عنه ، وتُقَام حدوده ، ويُعْمَل بفرائضه ، ويُحلُّ حلاله ويُحرِّم حرامه ، ويُعترف بحقه ، ويُحْكَم بما أنزل فيه ، فمن اتَّبع هدى الله اهتدى ، ومن صد عنه ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيل ﴾(١) . وأن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يفتح لأهل الإسلام باب الهجرة ، وأن توضع الصدقات والأخماس على قضاء الله وفرائضه ، وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر ، لا يمنعون ولا يحبسون »(٢) .

وفي هذا الكتاب نقل عمر مفهوم مبدأ الحاكمية لله إلى عماله ، وأنه يرغب إليهم تطبيق ذلك المبدأ على حقيقته ، حيث يتبين أنه عزم أن يكون أي قرار أو إجراء يُتَّخذ في كافة أنحاء الدولة ، بالنسبة لأي أمر كان ، لابد وأن يخضع لحكم الله عز وجل ، وتجرى عليه سنة رسوله عليه الصلاة والسلام . وبذلك يكون تطبيق هذا المبدأ الأساسي ، من قبل كافة الولاة والعمال ، في كل أنحاء الدولة الإسلامية .

بل ونجده في آخر الكتاب أوضح أن هناك قرارات إدارية شرع في إتِّخاذها في حينه ، مثل فتح باب الهجرة ، وأن تكون الإجراءات المالية حسب قضاء الله ، وأن تكون هناك حريةٌ استثمار الأموال براً وبحراً ، فكانت تاكيداً ودليلاً للولاة ، بأنه عازم على إدارة الدولة في دائرة قانون الله وحكمه ، وأن ذلك من طاعة الله التي أنزل في كتابه الكريم ، فأصدر أمر التنفيذ وقرنه بالتطبيق .

---

(١) جزء من الآية ١٠٨ من سورة البقرة ، وجزء من الآية ١٢ من سورة المائدة ، وجزء من الآية ١ من سورة الممتحنة .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٨ .

فكان ذلك منهجًه في إدارته للدولة الإسلامية ، طوال مدة خلافته رضي الله عنه[1]، فقد قال كلمته المشهورة ، التي تغني عن ذكر الشواهد الفردية، فهي ذات دلالة قاطعة على أنه جعل وسيجعل الحاكمية لله ولسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنهما قاعدة ينطلق منها في إدارته للدولة، حيث قال: « ياليتني قد عملت فيكم بكتاب الله ، وعملتم به، فكلما عملت فيكم بسنة وقع مني عضو ، حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي »[2] . ولقد أخرج عمر بن عبدالعزيز بتطبيقه هذا المبدأ الإجراء الإداري من الرأي الشخصي إلى الحكم الإلهي ، الذي جعله الله عز وجل ، فيكون ذلك مرضياً لله ولمن اتُّخِذ القرار بحقه .

وإذا عددنا أن الحاكمية لله أحد المباديء الإدارية عند عمر ، فإنه يمكن القول إنه أساس لغيره من المباديء الأخرى ، وإذا لم يكن مفهوم الحكم لله هو المنطلقَ لأي مبدأ آخر ، فإنه قد يخرج عن إطاره الصحيح ـ حكم الله ـ شكلاً ومضموناً ، لأن قانون الله يحكم العامل ، والتاجر ، والموظف ، ورجل الدولة ، ويحكم الميادين كلها من المسجد ، إلى المنزل ، والأسرة ، والمدرسة ، والسوق ، والدوائر ، والهيئات كلها .

ومن الجدير ذكره أننا لم نجد لهذا المبدأ الأساسي مكاناً فيما تطرق إليه مفكرو الإدارة حديثاً ، وخصوصاً في الغرب ، فإن قال قائل : إنه مبدأ يختص بالأمور التعبدية والفرائض ، فإنه قد جانب الحقيقة ، لأسباب منها :

---

(١) لم يكن الاتفاق على أن عمر بن عبدالعزيز أحد الأئمة المهديين ، وأنه خامس الخلفاء الراشدين وليد صدفة ، وإنما كان ذلك نتيجة لصلاحه وتديُّنه ، وسلامة منهجه واجراءاته الإدارية التي كان فيها متمشياً مع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، وللاطلاع على مثل تلك الإجراءات . انظر أحد الكتب عن سيرة عمر بن عبدالعزيز .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢٥ .

أن إدارة الدولة ، أو ولاية أمر من أمور المسلمين في حد ذاته ، أمر تعبُّدي يثاب عليه من يقوم به ، بما يتفق وشرعَ الله ، ويعاقب عليه من أساء في ذلك .

وأن الله جل شأنه قد جعل أحكاماً للأمور التي لا تقبل الاجتهاد ، وجعل للإنسان فرصة الاجتهاد في أمور أخرى ، شريطة أن يتوافق الاجتهاد مع روح الإسلام ومبادئه العامة .

وأن الإدارة برمَّتها مجموعة من القرارات ، قد تتعلق بالفرد وعلاقته بالدولة ، أو بالفرد وعلاقته بجماعة ، أو الفرد وعلاقته بفرد آخر ، أو غير ذلك ، وأياً كان نوع تلك العلاقة ، فلابد أن تكون في إطار تعاليم الدين ، وعلى منهج حكم الله ورسوله . وذلك مما يزيد من أهمية هذا المبدأ ، الذي تقيَّد به عمر بن عبدالعزيز ، والذي لا وجود له فيما تعرفت عليه من مباديء إدارية حديثة .

ومن جهة أخرى ، فإننا نرى أن تطبيق عمر لهذا المبدأ يتضمن تطبيقاً لمباديء إدارية ، تنادي به الإدارة الحديثة ، ومنها « وحدة الأمر » و« وحدة التوجيه »[1] ، إذ كان مبدأ الحاكمية لله مجالاً رحباً ، لتطبيق مبدأ وحدة الأمر والتوجيه عند عمر . حيث كانت الأوامر الإلهية هي مصدرَ الأمر والتوجيه، فلا يخرج عمر في أوامره وتوجيهاته عن نطاق تعاليم الدين الإسلامي ، وذلك في نظرنا تطبيقاً ــ بشكل أو بآخر ــ لِمَبْدَئَي « وحدة الأمر » و« التوجيه » . فحقق عمر ــ بتطبيق مبدأ الحاكمية لله ــ تطبيق مباديء أخرى ، ساهمت جميعها في نجاح إدارته بعون الله .

---

(١) هذان المبدأن ضمن المباديء الإدارية الأربعة عشر عند « فايول » .

ثانياً : مبدأ الشورى :

يُقصد بالشورى ، والتشاور ، والمشاورة ، عرض أمر مًّا من الأمور التي تهم الأمة، أو أحد أفرادها على ذوي الرأي والخبرة، لدراسته وإبداء الآراء فيه ، مع بيان الحجج لاستخراج الراجح من تلك الآراء(١) . أو هي صورة من صور النصيحة ، وشكل من أشكال التعاون ، وبذلك ترتبط بموضوع النصيحة والرأي في الإسلام(٢) . وتطبيق مبدأ الشورى غالباً ما يكون حول الأمور الطارئة ، والتي لا نص فيها ، أو حكم قرآني ، أو سنة للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

وتستمد الشورى أهميتها أوَّلاً من كونها ضرورة بشرية ، يحتاج الناس إليها بطبيعتهم ، لاختلاف مداركهم ، وتفاوت قدراتهم العقلية . فقد يرى إنسان ما لا يراه آخر ويكون الصواب مع أحدهما ، وذلك ما عليه البشر من قديم الزمان .

كما أن للشورى أهميَّة من حيث أنها ضرورة إسلامية ، فمبدأ الشورى في الإسلام قاعدة من قواعده ، وهذا الجانب ذو أهميَّة بالنسبة لنا كمسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾(٣). وقال تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُم، وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾(٤) .

---

(١) عبدالله بن أحمد قادري : الشورى ، جدة ، دار المجتمع ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٣ .

(٢) عدنان على رضا النحوي : ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية ، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٨١ .

(٣) الآية ٣٨ سورة الشورى .

(٤) جزء من الآية ١٥٩ سورة آل عمران .

فالشورى بالنسبة لنا كمسلمين ، ليست أمراً محصوراً على المصلحة في الحكم ، أو الإدارة ، أو السياسة فحسب ، بل إن أمر العقيدة والإيمان وامتثال وطاعة أمر الله عز وجل ، مما يزيد من أهمية هذا المبدأ في حياة المؤمن وأمته[1] .

ولقد كان هذا المبدأ أحد المبادىء الإسلامية التي طبقها الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته من بعده ، فالسيرة النبوية العطرة ، وسيرة الصحابة الكرام ، مليئة بالمواقف التي كان فيها مبدأ الشورى وسيلة الحل ، واختيار الرأي الراجح .

ذلك المبدأ الذي أعاد له أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أهميته ، وضرورة تطبيقه ، وانتفاع المسلمين به ، فكان أحد المبادىء الإدارية التي قامت عليها إدارته للدولة الإسلامية ، وذلك ما يهمنا إذ نسعى لتوضيح الأدلة والشواهد[2] ، على تطبيق عمر لهذا المبدأ ، وإدراكه لأهميته على مستوى الفرد ، وعلى مستوى الأمة ، فكان للمشورة في نظر عمر بن عبدالعزيز تصورٌ فكريٌ ناجمٌ عن إدراكه لفضل المشورة ، إذ يقول : « إن المشورة والمناظرة باب رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يضل معهما رأي ، ولا يفقد معهما حزم »[3] .

فهو يرى أنهما من أبواب الرحمة بالعباد ، وبولي الأمر ، وأنهما مدخلٌ للبركة ، لما في الشورى ومقارعة الحجج من الوصول للرأي الراجح البناء . ومن

(١) النحوي : ملامح الشورى ، ص ٦٥٠ ، ٦٥١ .

(٢) إننا في هذا البحث حين نذكر أدلة أو شواهد ، وخصوصاً ما سنورده من أقوال أو مواقف لعمر ، للدلالة على تطبيقه لأي من المبادىء الإدارية التي نحن بصدد التعرف عليها عنده رحمه الله ، لا نقصد إثبات تبنّي عمر للمبدأ فحسب ، بل نقصد ذلك ، بالإضافة إلى إبراز القول ، أو الرأي ، أو الموقف ، أو الإجراء ليتمعن فيه القارىء الكريم ، فيستشعره محاولاً تبنّي وتطبيق ذلك فيما يناسب حالته ، ومسئوليته الإدارية ، أو القيادية لتعم الفائدة إن شاء الله .

(٣) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٢٨٩ .

جهة أخرى ، فإن عمر ينفي عن خبرة وإدراك أن الآراء لا تضل مع المشورة ، لأن المستشير يجمع إلى عقله عقول من استشار ، كما أن الحزم لا يُفْقَد عند المشاورة ، كما يعتقد البعض ، بل إنه من الحزم أن لا يبرم أمراً ، ولا يُمضى عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ، ومطالعة ذي العقل الراجح[1] .

وبعد هذا التصوير الفكري يحق لنا أن نتساءل : هل اكتفى عمر بإبداء رأيه في الشورى وأهميتها ، أم أنه جعلها في حيِّز التطبيق ، فأصبحت أحد المبادىء التي طبقها في إدارته ، وعلى هذا التساؤل تأتي الإجابة بأنه طبق مبدأ الشورى بكل خصائصه .

نعم ، لقد كان أول قرار اتَّخذه عمر بعد أن ولي أمر المدينة للوليد بن عبدالملك يتعلق بتطبيق مبدأ الشورى ، وجعله أساساً في إدارته ، حين دعا عشرة من فقهاء المدينة وكبار علمائها ، وجعل منهم مجلساً استشارياً دائماً ، إذ قال لهم : « إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم ، أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأُحرج بالله على أحدٍ بلغه ذلك إلا بلغني ، فجزوه خيراً وافترقوا »[2] .

ومن هذا الموقف لعمر يتضح لنا عدة أمور ، أهمها :

١ ــ إدراك عمر لأهمية مبدأ الشورى فكراً وتطبيقاً .

٢ ــ جعل الشورى فيمن هم أحق بها من أهل العقد والحلِّ ، وهم العلماء .

٣ ــ ترغيب أعضاء مجلس الشورى فيما يقدِّموه من المشورة ، وأن لهم الأجر في ذلك .

---

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤ .

٤ ـ عزمه على الأخذ برأيهم في كل أمر قبل أن يقطع فيه .

٥ ـ أحقية أعضاء مجلس الشورى في رفع المظالم إليه ، بل القسم بالله سبحانه عليهم بأن يبلغوه عن كل شكوى .

٦ ـ إقرار مبدأ مراقبة العمال والولاة ، وردُّ الأعمال التي لا توافق الشريعة الإسلامية . ذلك من أهم الشواهد التي تدلُّ دلالة قاطعة على اعتماد عمر على مبدأ الشورى في إدارته للمدينة المنورة .

كما شهد الإمام مالك بن أنس أن عمر يطبق مبدأ الشورى تطبيقاً . قاطعاً فقد روى ابن سعد أنه قال : « كان عمر بن عبدالعزيز لا يقضي بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب »[(١)] ، وذلك حتماً حين تولِّيه إمارة المدينة المنورة .

وحريٌ بمن جعل الشورى أحد مبادىء إدارته حين كانت مسؤوليته جزئية، أن يطبقه وقت المسؤولية الكاملة ، والمهمة العظمى ، ألا وهي : ولاية أمر المسلمين كافة .

أما وإن كان لنا من شاهد بعد توليه أمر المسلمين ، فلا أدل على تبنِّيه مبدأ الشورى ، من موقفه عقب إعلان أنه الخليفة من بعد سليمان بن عبدالملك، وبعهد منه ، فقد قال : « أيها الناس : إني قد ابتليت بهذا الأمر ، من غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ، فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك ياأمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فَلِ أمرنا باليُمْنِ والبركة »[(٢)] .

وبذلك يخرج عمر من مبدأ توريث الولاية الذي تبناه معظم خلفاء بني أمية . إلى مبدأ الشورى والانتخاب ، ولم يكتف عمر باختياره ومبايعة

(١) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٢ ، ص ٣٨٢ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٥ .

الحاضرين ، بل كان يَهُمُّهُ رأي المسلمين في الأمصار الأخرى ومشورتهم ، فقال في خطبته الأولى عقب توليه الخلافة « ... وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم ، وإن هم أبَوْا فلست لكم بِوَالٍ ، ثم نزل »[1] .

وقد كتب إلى الأمصار الإسلامية ، فبايعت كلها ، وممن كتب لهم يزيد بن المهلب يطلب إليه المبايعة ، بعد أن أوضح له أنه في الخلافة ليس براغب ، فدعا يزيد الناس إلى البيعة فبايعوا[2] .

وبذلك يتضح أنه لم يكتفِ بمشورة من حوله ، بل امتد الأمر إلى جميع أمصار المسلمين . ونستنتج من موقف عمر هذا ما يلي :

١ ـ أن عمر كشف النقاب عن عدم موافقة الأصول الشرعية في تولي معظم الخلفاء الأمويين .

٢ ـ حرص عمر على تطبيق مبدأ الشورى في أمر يخصه هو ، ألا وهو : تولِّيه الخلافة .

٣ ـ أن من طبق مبدأ الشورى في أمر مثل تولِّي الخلافة حريٌّ بتطبيقه فيما سواه .

ولقد كان عمر يستشير العلماء ، ويطلب نصحهم في كثير من الأمور ، أمثال سالم بن عبدالله ، ومحمد بن كعب القرظي ، ورجاء بن حيوة ، وغيرهم ، فقال : « إني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا عليَّ »[3] . كما كان يستشير ذوي العقول الراجحة من الرجال ، فقد قال لرجل : « أشِر عليَّ فيمن استعمل » .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٩١ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٦ .

فأشار عليه الرجل، وقال : « أما أرباب الدين، فلا يريدونك ـ أي أنهم لا يرغبون المناصب زهداً فيها ـ ، وأما أرباب الدنيا فلا تُرِدْهُم ، ولكن عليك بالأشراف ـ أي بالأخلاق لا بالأنساب ـ ، فإنهم يصونون شرفهم عما لا يصلح »(١) .

وكان أيضاً يطلب المشورة والرأي ، فيما يتعلق بأمور الناس ، فقد روى ابن سعد أنه « كان لعمر بن عبدالعزيز سُمَّار ينظرون في أمور الناس ، وكان علامة ما بينه وبينهم إذا أراد القيام أن يقول : إذا شئتم »(٢) .

كما أن عمر قد جعل الشورى إحدى الخصال التي ينبغي أن تجتمع للقاضي ، والتي إن نقصته إحداهن كان وصماً فيه(٣) .

تلك أهم الشواهد الدالة على تبني عمر لمبدأ الشورى ، والتزامه به فكراً وتطبيقاً ، ذلك المبدأ الذي بدأ يلوح في أفق الإدارة ـ وفي الإدارة الحديثة بالذات ـ أهميته وضرورة تطبيقه ، وذلك ما نلمسه في عقد الاجتماعات ، والمؤتمرات ، والمجالس ، وغير ذلك من أوجه النشاطات ، التي يتم فيها تبادل الآراء ، ومداولتها للوصول إلى القرارات الراجحة ، حيث ثبت لعلماء الإدارة نجاح القرارات الإدارية ، التي تتخذ في إطار مشاورة ذوي الاختصاص ، ومشاركة الأفراد في ذلك .

وإذا كان هذا ما توصل إليه علماء الإدارة حديثاً ، فإن هذه الضرورة وتلك النتائج قد توصل إليها الإسلام منذ خمسة عشر قرناً ، وذلك ما طبقه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

---

(١) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) : صيد الخاطر ، تحقيق ناجي الطنطاوي ، مراجعة علي الطنطاوي ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٣١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٨٣ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر ، ص ٢٧٥ .

ثالثاً : مبدأ استعمال الأصلح :

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « من استعمل رجلاً من عصابة ، وفي تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين »(٢) . من خلال هذه الآية الكريمة والحديث الشريف ، وأمثالهما في القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، يتضح لنا أهمية مبدأ استعمال الأصلح ، واختيار الأقدر ليتولى أمراً من أمور المسلمين .

ولقد كان هذا المبدأ في نظر علماء المسلمين المهتمين بسلوك الملك وقواعده من القواعد المهمة ، فعلى سبيل المثال جعله ابن الأعرج أحد الأمور العشرة ، التي هي قرار قواعد الملك ، وقطب السلطنة . فيقول : « والثامن استخدام الكفاة والأمناء الأتقياء ، واستعمال النصحاء الصلحاء الأقوياء ، لتكون الأحوال بكفايتهم ملحوظة مضبوطة وبأمانتهم ونصحهم محفوظة محوطة »(٣) .

لذا يجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين ، أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ، ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية ، أو سبق في الطلب ، بل إن ذلك من أسباب المنع ، فإن عدل عن الأحق والأصلح إلى غيره ، لأجل قرابة بينهما ، أو صداقة ، أو موافقة في مذهب ، أو جنس ، أو لرشوة يأخذها ، أو لمنفعة ، أو غير ذلك من الأسباب ، فقد خان الله

---

(١) الآية ٢٧ من سورة الأنفال .

(٢) الحاكم : المستدرك ، جـ ٤ ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) أبو الفضل محمد بن الأعرج (ت ٩٢٥ هـ) : تحرير السلوك في تدبير الملوك ، تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ نشر ، ص ٢٧ .

ورسوله والمؤمنين ، ودخل فيما نهى الله عنه[1] . والصلاح المطلوب استعمال صاحبه هنا ، هو الصلاح الذي يشمل الدنيا والدين ، ولا يقتصر على الكفاءة العملية ، أو العلمية ، أو الجسمية ، فحسب ، بل يشمل الصلاح في الدين ، من سلامة العقيدة ، والإيمان القوي ، والإخلاص لله عز وجل ، والخوف من الله ، وخشيته فيما اؤتمن عليه .

ولقد أُوليَ هذا الجانب اهتماماً كبيراً جداً في عهد رسول الله ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، فهناك من طلب الولاية ولم يُعطَها ، وهناك من كُلِّفَ بها وأعانه الله عليها ، والتاريخ الإسلامي ـ وخصوصاً في صدر الإسلام ـ غني بالشواهد على ذلك .

ثم توالت الشواهد على ذلك ، ويهمنا هنا ما فعله الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، إذ جعل استعمال الأصلح ، والتحري عن كل من يوليه أمراً من أمور المسلمين ، أحد مبادئه الإدارية الأساسية ، فعزل ولاةً لعدم صلاحهم ، وولى آخرين لصلاحهم ، إذ كان ميزان عمر في اختيار ، الولاة ، والعمال ، والقضاة ، هو الصلاح ، واتباع القرآن الكريم ، والسنة الشريفة .

ومن شواهدنا على ذلك ، أنه دعا عمرو بن مهاجر الأنصاري وقال له : « والله إنك لتعلم أنه ما بيني وبينك قرابة ، إلا قرابة الإسلام ، ولكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد ، فرأيتك تحسن الصلاة ، وأنت رجل من الأنصار ، خذ هذا السيف ، قد وليتك حرسي »[2] .

---

(١) أحمد عبدالعليم بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الاتفاق الجديدة ، ١٤٠٣ ، ص ١٠ ، ١١ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٠ .

وفي ذلك دلالة على اهتمام عمر بصلاح وإخلاص من يولِّيه أمراً من أمور الدولة لله عز وجل، وذلك يقين منه رحمه الله بأن قدر نجاح الوالي ، أو الخليفة ، أو القائد ، أو المدير ، يكون بقدر نجاحه في اختيار عماله ومعاونيه ، وأمانته في ذلك .

وقد كان هذا دأبَه فقد كان أساس اختياره للولاة ، الصلاح ، والعدل ، والكفاءة ، والعلم ، ولم يقتصر في ذلك على الولاة ، بل تعدَّى ذلك إلى كافة الطبقات العاملة : قضاة ، وكتَّاباً ، وقادة حرب ، وعمال خراج ، وصدقات ، وقادة حرس ، وشرطة ، وحجَّاباً ، وأصحاب خاتم[١] ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، كان من ولاته وقضاته بعد أن عزل ولاة ليسوا أهلاً لذلك[٢] :

على المدينة : أبو بكر بن محمد بن حزم ، وقاضيها أبو طوالة .

وعلى الكوفة : عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب ، وقاضيها عامر الشعبي .

وعلى مكة : أمَّر عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد .

وعلى البصرة : عديُّ بن أرطأة الفزاري ، وقاضيها إياس بن معاوية .

وعلى اليمن : عروة بن محمد .

وعلى إفريقية : عبدالله بن مهاجر الأنصاري، بعد أن عزل عنها محمد بن يزيد .

وعلى دمشق : عبد بن الحسحاس العذري .

وعلى خرسان : الجراح بن عبدالله الحكمي .

---

(١) عماد الدين خليل : ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة للنشر ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٥ .

وعلى مصر : أيوب بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح ، وغيرهم من العمال والقضاة ممن لم نذكرهم .

ويلاحظ أن عمر قد أحسن اختيار الولاة والقضاة فقد كان عمال عمر خير معاصريهم ، صلاحاً وعلماً ، وفي ذلك يقول صاحب حلية الأولياء : « كان رأيه وبطانته ووزراؤه وأهل إربه[1] : القراء والفقهاء ومن وسم عنده بورع ، فكان يبعث إليهم حيث كانوا من بلدانهم »[2] ، كما قال ابن كثير : « ... وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبدالعزيز ثقة ... »[3] .

وكما كان رحمه الله يختار الأصلح ، فإنه قد حدد للقاضي صفات ، لابد من توفرها فيمن يتولى أمر القضاء ، لإدراكه أهمية عمل القاضي ومكانته ، فكأن هذه الصفات معيار اختياره للقاضي ، فقال :

« ينبغي أن يجمع للقاضي خمس خصال : يكون عالماً بما مضت عليه السنة ، حليماً ذا أناة ، عفيفاً ، مشاوراً ، فإذا اجتمع ذلك في القاضي كان قاضياً ، وإن نقص منهن شيء كان وصماً فيه »[4] .

ولقد كان من إمعان عمر رضي الله عنه في تطبيق مبدأ اختيار واستعمال الأصلح ، في إدارته للدولة الإسلامية ، أنه لم يقف عند حد الاختيار ، بل تعدّى ذلك إلى اختبار من يريد توليته ، فقد ذكر « ابن الجوزي » أنه وفد على عمر بلال بن أبي بردة ، فهنأه بالخلافة ، وبالغ في ذلك ، فجزاه عمر خيراً ، ولزم

---

(١) الإربـه هي : الحاجة ، فالعلماء والفقهاء ممن يحتاج إليهم (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٨) .

(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، جـ ٥ ، ص ٣٢٧ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٦ ، ومن الجدير بالذكر أن الصفة (ثقة) يعتمد العلماء على من يوصف بها في رواية الحديث الشريف ، وعليه ، فوصف عمال عمر بأنهم (ثقات) يزيدنا يقيناً بصلاحهم ، وتقواهم .

(٤) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٧٥ .

بلال المسجد يصلي ، ويقرأ ليله ونهاره ، فهمَّ أن يوليه العراق ، ثم قال : « هذا رجل له فضل ، فدس إليه ثقة له ، فقال له : إن عملت في ولاية في العراق ما تعطيني ؟ فضمن له مالاً جليلاً فأخبر بذلك عمر ، فنفاه وأخرجه . وقال يا أهل العراق : إن صاحبكم أعطى مقولاً ، ولم يعط معقولاً ، وزادت بلاغته ونقصت زهادته »[١] .

وهكذا لم يقبل الأمور على علاَّتها ، فلم يولِّ بمجرد إظهار الصلاح ، بل تحرَّى عن ذلك المراد توليته ، حتى تأكد له عدم صلاحيته لتولي أمر من أمور المسلمين .

ذلك هو مبدأ استعمال الأصلح، أحد المبادىء الإدارية الرئيسية في إدارة عمر، والتي أولى تطبيقها اهتماماً كبيراً، وليس ذلك فحسب، إذ لم يكن الأمر من جانبه فقط، بل كان يأمر ولاته، الذين على رأس العمل، بأن يكون هذا المبدأ نصب أعينهم دائماً ، ومن ذلك ما كتبه إلى عامله على البصرة عدي بن أرطاة يقول له : « ليكن أمناؤك أوساط الناس ، فهم خيار الناس ، لا يَدَّعون حقاً ، ولا يكتسبون باطلاً ... »[٢] .

وكتب إلى عماله : « أما بعد : فإن المشركين نجس حين جعلهم الله جنداً للشيطان ، وجعلهم ﴿ الأخْسَرِينَ أعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[٣] ، فأولئك لعمري ممن تجب عليهم باجتهادهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ، إن المسلمين كانوا فيما مضى إذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك ، يستعينون بهم لعلمهم بالجباية، والكتابة، والتدبير، فكانت لهم في ذلك مدة، فقد قضاها الله بأمير المؤمنين، فلا أعلم كاتباً ، ولا عاملاً في

---

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٣ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٢ .

(٣) جزء من الآية ١٠٣ ، والآية ١٠٤ من سورة الكهف .

شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته، واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً، فإن محق أعمالهم محق أديانهم، فإن أولى بهم إنزالهم منزلتهم، التي أنزلهم الله بها ، من الذل والصغار ، فافعل ذلك ، وأكتب إليَّ كيف فعلت ...»[1] .

وكتب أيضا إلى عماله : « إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن . فكتبوا إليه : يا أمير المؤمنين ، إنا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خَوَنَةً . فكتب إليهم : إياكم أن يبلغني عنكم . أنكم استعملتم على شيد من أعمالنا إلا أهلَ القرآن، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير، فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير »[2] . فأبدى عمر في هذا بعد نظر ، وحكم الأمر بقرار صائب لا يجادل فيه .

وحول ذات الموضوع ، حتى على مستوى عرفاء العشائر ، كتب إلى عديٍّ بن أرطأة يقول : « إن العرفاء من عشائرهم بمكان ، فانظر عرفاء الجند ، فمن رضيت أمانته لنا ولقومه فأثبته ، ومن لم ترضه فاستبدل به من هو خير منه ، وأبلغ في الأمانة والورع »[3] . ويتضح هنا أهم المعايير التي يعتمد عليها عمر في اختيار الأصلح ، وهي الأمانة والورع .

كما أخذ إدراك عمر لمبدأ اختيار الأصلح بعداً آخر ، نلمسه في قول له يتعلق بالخلافة ، وولاية أمر المسلمين ، إذ قال : « والله ما قعدت مقعدي هذا ، إلا خوفاً أن يثبت عليه من ليس بأهل ، ولو أني أُطاع فيما أعمل ، لسلمتها إلى مستحقيها ــ يعني الخلافة ــ ولكني أصبر ، حتى يأتي الله بأمر من عنده ، أو يأتي بالفتح »[4] .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٩٦ .

(٤) ابن الطحان الحضرمي : تاريخ علماء أهل مصر ، ص ٣٨ .

ومما سبق يتضح لنا أن عمر بن عبدالعزيز قد قام بإجراء سلسلة من التعليمات ، والاصلاحات القيادية ، والتغييرات في الولاة ، والقضاة ، للحصول على قيادات قادرة على الأداء ، بأمانة وبكفاءة عالية .

فقد صفى الكوادر الإدارية القديمة ، وأحل بدلاً عنها عناصر جديدة ، ممن يقدر على تحمل المسؤولية ، ومواصلة طريق التغيير الذي قام به عمر حتى النهاية . وفتح المجال أمام كل الناس ، للوصول إلى أعلى المناصب[1] .

ومن الجدير ذكره أن الله سبحانه وتعالى قد أعان عمر ، بأن قيض له من أهله، سهل أخيه، وعبدالملك ابنه ، ومزاحم مولاه ، فكانوا أعواناً له على الحق[2]، وثبته الله ، وحفظه في أهله ، وماله، لحفظه أمانة الخلافة، وولاية أمر المسلمين ، ففي هذا الصدد يقول ابن تيمية رحمه الله : « إن المؤدي للأمانة ـ يقصد أمانة الولاية ـ واختيار الأصلح ـ مع مخالفة هواه يثبته الله، فيحفظه في أهله ، وماله بعده ، والمطيع لهواه ، يعاقبه الله بنقيض قصده، فيذل أهله ، ويذهب ماله »[3] .

وفي ذلك يستشهد ابن تيمية بالحكاية المشهورة ـ كما سمّاها ـ إذ قيل لعمر : « يا أمير المؤمنين : أقفرت أفواه بنيك من هذ المال ، وتركتهم فقراء لا شيء لهم ـ وكان في مرض موته ـ فقال : أدخلوهم عليَّ ، فأدخلوهم ، وهم بضعة عشر ذكراً ، ليس فيهم بالغ ، فلما رآهم ذَرَفَتْ عيناه ، ثم قال : يا بَنِيَّ ، والله ما منعتكم حقاً هو لكم ، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وأنتم أحد رجلين : إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح ، فلا أترك له ما يتسعين به على معصية الله ، قوموا عَني ، قال :

(١) عماد الدين خليل : حول انهيار الدولة الأموية ، مجلس البحث العلمي والتراث الإسلامي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى ، العدد الرابع ، ١٤٠١ هـ ، ص ٣٠٣ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٥ .

(٣) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ١١ .

فلقد رأيت بعض ولده ، حمل على مائة فرس في سبيل الله ، يعني : أعطاها لمن يغزو عليها »(1) .

كل ذلك مما يعطينا دلالة واضحة على تَحرِّي عمر بن عبدالعزيز للأصلح، ممن يستعملهم ، وحتى من يصحبه بأي حال من الأحوال ، فقد جعل لصحبته شروطاً ، تفوح بروح الإسلام ومحبة العدل ، إذ قال في خطبة له :

« ... ومن أراد أن يصحبنا ، فليصحبنا بخمس : يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته ، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي إليه ، ويكون عوناً لنا على الحق ، ويؤدي الأمانة إلينا وإلى الناس ، ولا يغتب عندنا أحداً . ومن لم يفعل فهو في حَرَج من صحبتنا ، والدخول علينا »(2) .

وبذلك أدرك الناس أنه لا بقاء إلا للأصلح ، قولاً وعملاً ، وأن استعمال الأصلح بات أحد الأمور والمبادىء ، التي جعلها عمر نصب عينيه دائماً ، فيمن يوليهم أمراً من أمور إدارة الدولة ، أو من أراد مجالسته أو مصاحبته .

ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى أن هذا المبدأ قد أخذ حيِّزاً من الأهمية ، في الإدارة الحديثة ، فقد جعله « فريدريك تايلور » أحد المبادىء الأربعة للإدارة العلمية ، التي حددها لنجاح الإدارة تحت مسمى الاختيار العلمي للعمال(3) . وقد عُرف هذا المبدأ في عام ١٨٥٥ م ، حيث اعتمد مبدأ الجدارة في الاختيار والتعيين ، بعد تقرير لجنة « نورثكوت واترافيليان » ، ثم انتشر في أوروبا وأمريكا ، واليوم أصبح معتمداً في معظم دول العالم(4) ، إلا أن

---

(1) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ١١ .

(2) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ .

(3) فريد ريك تايلور : مبادىء الإدارة العلمية ، المأثورات في الإدارة ، تحرير فيريل ، ترجمة إبراهيم البرسلي ، ص ١٠٦ .

(4) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٢٦٤ .

ذلك التطبيق يهتم بجانب الكفاءة العملية ، والصلاح العملي ، مهملاً الصلاح الديني ، والأمانة في العمل، وذلك مما قد يصيب هذا المبدأ من شوائب التطبيق، سواء في تحَرِّي الصلاح في الدين ، أو الأمانة في الاختيار ، أو ما قد ينجم عن الصلات ، والعلاقات الشخصية ، أو غير ذلك ، مما تمخض عن المجتمعات من الوساطات في الوقت الحاضر .

وبهذا نعلم يقيناً بأن عمر بن عبدالعزيز رضي الله قد سبق كل علماء الإدارة ، ومنظريها إلى هذا المبدأ ، فكراً وتطبيقاً على حَدٍّ سواء ، وأن ذلك السبق جدير بأن نتبناه في إدارتنا المعاصرة ، ونستفيد منه .

رابعاً : مبدأ المساواة :

يعد مبدأ المساواة أحد المبادىء العامة ، التي أقرها الإسلام ، وحين أقر هذا المبدأ فقد جاء بمبدأ جديد ، سبق به تشريعات وقوانين العصر الحاضر .

ومما ورد في القرآن الكريم تأكيداً لمبدأ المساواة ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(1) .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى »(2) .

ولقد اعترف بعض المستشرقين أن هذا المبدأ كان أهم المبادىء التي جذبت الكثير من الشعوب قديماً نحو الإسلام ، فكان هذا المبدأ مصدراً من

---

(1) جزء من الآية ١٣ من سورة الحجرات .

(2) الإمام أحمد : مسند الإمام أحمد ، جـ ٥ ، ص ٤١١ .

مصادر القوة للمسلمين الأولين[1] . وليس المقصود بالمساواة هنا « المساواة العامة » بين الناس جميعاً ، في كافة أمور الحياة ، كما ينادي بعض المخدوعين ويرون ذلك عدلاً[2] ، فالاختلاف في المواهب والقدرات ، والتفاوت في الدرجات غاية من غايات الخلق[3] . ولكن المقصود المساواة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية ، مساواة مقيدة بأحوال فيها التساوي ، وليست مطلقة في جميع الأحوال[4] . فالمساواة تأتي في معاملة الناس أمام القانون والقضاء وكافة الأحكام الإسلامية ، والحقوق العامة دون تفريق بسبب الأصل ، أو الجنس ، أو اللون ، أو الثروة ، أو الجاه ، أو غيرها[5] .

ومن هذا المنطلق ، فقد أدرك عمر بن عبدالعزيز أهمية مبدأ المساواة لأمرين : أولهما : أنه أحد المبادىء التي دعا إليها الإسلام ، وثانيهما : يقينه بحاجة المسؤول لتطبيق ذلك المبدأ ، كبرت مسؤوليته أم صغرت ، واقتناعه بجدوى ، بل بضرورة التطبيق في وقت اتسعت فيه رقعة البلاد الإسلامية وكثرت فيه الرعية من المسلمين ، وغير المسلمين .

وللدلالة على اهتمام عمر بهذا المبدأ، فإننا نورد بعض المواقف والتطبيقات، التي تبين لنا منها تبني عمر لهذا المبدأ ، كواحد من مبادىء إدارته للدولة الإسلامية .

---

(١) عبدالحميد متولي : مبادىء نظام الحكم في الإسلام ، مع المقارنة بالمبادىء الدستورية الحديثة ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٧ م ، ص ٣٨٥ .

(٢) الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، جـ ١ ، ص ٦٢٤ .

(٣) ماجد عرسان الكيلاني : فلسفة التربية الإسلامية ، مكة المكرمة ، مكتبة هادى ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٧٩ .

(٤) شوكت محمد عليان : الثقافة الإسلامية وتحديات العصر ، الرياض، دار الرشيد، ١٤٠١ هـ ، ص ٣٠٨.

(٥) محمد نور الدين عبدالرزاق : مبادىء علم الإدارة ، مع دراسة تطبيقية ، للإدارة العامة بالمملكة العربية السعودية ، جدة ، مكتبة الخدمات الحديثة ، الكتاب الأول من سلسلة الكتاب الجامعي ، الطبعة الأولى ، بدون سنة النشر ، ص ١١٦ .

فقد كان أول مؤشر على رغبته في تطبيق مبدأ المساواة ، حين أقسم أنه يودُّ أن يساوي في المعيشة بين نفسه ولحمته، التي هو منها وبين الناس ، فقال : « أمَ والله لوَدِدْتُ أنه بُدىء بي ، وبلحمتي ، التي أنا منها ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، أمَ والله لو أردت غير هذا من الكلام ، لكان اللسان به منسبطاً ، ولكنت بأسبابه عارفاً »[1] .

وقال في خطبة له : « ... وما منكم من أحد تبلغنا حاجته، إلا أحببت أن أسد من حاجته، ما قدرت عليه ...»[2] . كما أن عمر أتخذ مبدأ المساواة بين الناس ، في الحقوق والواجبات في كافة مجالات الحياة، فلم يميز بين الناس في حقهم ، في تولي الوظائف ، والولايات ، ولم يعط أحداً كائناً من كان شيئاً ليس له فيه حق .

فقد ساوى بين أمراء وأشراف بني أمية وبين الناس فمنع عنهم العطايا والأرزاق الخاصة ، وقال لهم حين كلَّموه في ذلك : « لن يتسع مالي لكم ، وأما هذا المال ـ يقصد المال الذي في بيت مال المسلمين ـ فإنما حقكم فيه كحق رجل ، بأقصى برك الغماد[3] »[4] ، فكانت سياسته المالية تقوم على مبدأ المساواة ، فبيت المال لجميع المسلمين ، ولكل واحد منهم حق أن يأخذ منه ، أسوة بغيره ، فلا يكون حكراً على فئات معينة من الناس .

ومن الإجراءات الإدارية التي تدل على تطبيق عمر لمبدأ المساواة ، ما أعلنه عندما رأى أمراء بني أمية قد استحوذوا على قطع واسعة من الأرض

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٢ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧١ .

(٣) برك الغماد ، قيل : هو موضع بمكة يبعد عنها مما يلي البحر بخمس ليال ، وقيل هو : بلد باليمن وهو أقصى حجر باليمن ، والأخير أرجح لملائمته مع سياق كلام عمر من حيث البعد . (الحموي : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ ، ٤٠٠) .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

وجعلوها حِمىً ، يُحرم من الاستفادة منها عامة الناس ، فقال : « إن الحمى يباح للمسلمين عامة ... وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين ، إنما هو الغيث ينزله الله لعباده ، فهم فيه سواء »(١) .

كما ساوى بين من أسلم من أهل الأديان الأخرى من النصارى واليهود، وبين المسلمين ، وعمل على كسر حاجز التنافر بينهم ، فقال : « ... فمن أسلم من نصرانيٍّ ، أو يهوديٍّ ، أو مجوسي ، من أهل الجزية اليوم ، فخالط عَمَّ المسلمين في دارهم ، وفارق داره التي كان بها ، فإن له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه ...»(٢) .

ويروى ابن سعد: « أن عمر بن عبدالعزيز جعل العرب والموالي في الرزق، والكسوة ، والمعونة ، والعطاء سواء ، غير أنه جعل فريضة المولى المُعْتَق خمسة وعشرين ديناراً »(٣) .

وفي مجال المساواة بين الناس أمام القضاء ، وأحكام الإسلام ، نكتفي بدليل واحد ، كان عمر فيه أحد أطراف النزاع أمام القاضي . وتفصيل ذلك : أنه « أتى رجل من أهل مصر عمر بن عبدالعزيز ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن عبدالعزيز ـ يقصد والد عمر ـ أخذ أرضي ظلماً ، قال : وأين أرضك يا عبدالله؟ قال : حلوان. قال عمر : أعرفها ولي شركاء ـ أي شركاء في حلوان ـ وهذا الحاكم بيننا ، فمشى عمر إلى الحاكم فقضى عليه ، فقال عمر : قد أنفقنا عليها ، قال القاضي : ذلك بما نلتم من غلتها ، فقد نلتم منها مثل نفقتكم ، فقال عمر : لو حكمت بغير هذا ما وليت لي أمراً أبداً . وأمر بردِّها »(٤) .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٧٥ .

(٤) زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في ردِّ المظالم ، ص ٢١٠ (عن العيون والحدائق : لمؤلف مجهول ، ص ٦١) .

وكان عمر يقيم وزناً لمبدأ المساواة بين المسلمين ، حتى في الأمور العامة، ومن ذلك أمره بأن لا يخص أناس بدعاء المسلمين ، والصلاة عليهم ، فكتب إلى أمير الجزيرة يقول : « ... وقد بلغني أن ناساً من القصاص قد أحدثوا صلاة على أمرائهم ، عِدْلَ ما يلصون على النبي ﷺ ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فمُرِ القصاص ، فليجعلوا صلاتهم على النبي ﷺ خاصة ، وليكن دعاؤهم للمؤمنين والمسلمين عامة ، وليَدَّعوا ما سوى ذلك »[1] .

ومن ذلك يتضح اهتمام عمر بالمساواة بين عامة الناس ، حتى في الدعاء لهم، ولا يختص أحد بدعاء ، فالمسلمون عامة في حاجة دعوة الله عز وجل لهم ، والله سبحانه وتعالى جدير بالإجابة .

ومما يذكر أيضاً في هذا المجال ، وفي أمر أسري داخل منزله ، أنه رحمه الله أخذ في الاعتبار المساواة بين أولاده ، حتى في مسألة النوم معه على فراشه ، إذ جاءه ابنه عبدالعزيز متسائلاً عن أخ له (ابن عمر من إمرأته الحارثية) كان ينام معه ، وأنه لابد يؤثره لشيء ليس في إخوته ، مما دفع عمر إلى المساواة بين أولاده ، فأعاده لينام في بيته وعلى فراشه مع إخوته[2] .

وتحت عنوان : « إغراق عمر في الأخذ بمبدأ المساواة » ، يذكر ابن الجوزي : « أن عمر بن عبدالعزيز كان ينهَى سليمان بن عبدالملك عن قتل الحرورية ، ويقول له : ضمنهم الحبوس ، حتى يُحدثوا توبة . فأُتي سليمان بحروري مستقتل ، فقال سليمان : عليَّ بعمر بن عبدالعزيز . فلما أتاه عمر ، عاود سليمان الحروري ، فقال : ماذا تقول ؟ فقال : ماذا أقول : يا فاسق بن

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٧٣ .

(٢) ماجدة زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٥٢ ، ٥٣ (عن ابن عساكر : تاريخ دمشق (مخطوط) مجلد ٢٠ ، ورقة ١٩٠ ب) . (لقد ذكرنا هذا الموقف كاملاً في المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث) .

الفاسق ؟ . فقال سليمان لعمر : ما ترى عليه يا أبا حفص ؟. فسكت . فقال : عزمت عليك ،لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال : أرى عليه أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك . فقال سليمان : ليس إلا ؟. قال : ليس إلا . فلم يرجع سليمان إلى قوله ، فأمر به فضربت عنقه »[1] .

وفي هذا الموقف يتضح فعلاً إغراق عمر في الأخذ بمبدأ المساواة ، كما ذكر ابن الجوزي رحمه الله ، فقد اتخذ موقفاً ساوى فيه بين الحروري وبين الخليفة من جهة ، في أن يقتص الخليفة من الحروري ، بسبه مثل ما سبه ، ومن جهة أخرى ساوى بين الخليفة وأي مسلم قد يحدث أن يُسب ويُسب أباه ، فلا يؤمر بضرب عنق مَنْ سبَّه ، مثل ما قد يحصل لو كان السب للخليفة .

أما وإن كان هذا موقفَ عمر قبل أن يلي الخلافة ، حيث الأمر يخص خليفة قبله ، فكيف حاله في تطبيق مبدأ المساواة بينه وبين عامة الناس ، فقد حصل أن شتمه رجل بالمدينة لسبب أو لآخر ، فلم يكن ما أمر به سوى ما قد يأمر به كما لو كان المشتوم أحد أفراد الأمة ، ذلك ما حدث حين « حُكم رجل في مسجد رسول الله ﷺ وأبو بكر بن محمد في صلاته ــ هو أبو بكر بن محمد بن حزم والي عمر على المدينة ــ فقطع عليهم الصلاة ، وشهر السيف . فكتب أبو بكر إلى عمر . فأُتي بكتاب عمر ، فقرىء عليه فشتم عمر ، والكتابَ ومن جاء به . فهمَّ أبو بكر بضرب عنقه ، ثم راجع عمر وأخبره أنه شتمه ، وأنه همَّ بقتله . فكتب إليه عمر : لو قتلتَه لقتلتُك به ، فإنه لا يقتل أحد ، بشتم أحد إلا أن يُشتم النبيُّ ﷺ ، فإذا أتاك كتابي فاحبس عن المسلمين شره ، وادعُهُ إلى التوبة في كل هلال ، فإذا تاب فخلِّ سبيله »[2] .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٤٩ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٤٢ .

ولم يكن عمر يكتفي بالأخذ بمبدأ المساواة بنفسه فحسب ، بل كان يأمر عماله وولاته بذلك ، فقد كتب إلى عامله على المدينة يقول له : « أخرج للناس ، فآس بينهم في المجلس والمنظر . ولا يكن أحد الناس آثر عندك من أحد . ولا تقولن هؤلاء من أهل بيت أمير المؤمنين ، فإن أهل بيت أمير المؤمنين وغيرهم عندي اليوم سواء . بل أنا أحرى أن أظن بأهل بيت أمير المؤمنين أنهم يقهرون من نازعهم »[١] .

كانت تلك بعض مواقف عمر ، وإن كانت متفاوتة ، إلا أن فيها دلالةً واضحة على أخذ عمر بمبدأ المساواة في إدارته ، وإدراكه لأهمية هذا المبدأ ، في تحقيق الطمأنينة بين أفراد الأمة .

ومن الجدير ذكرُهُ أن هذا المبدأ حظي باهتمام علماء الإدارة حديثاً ، من حيث الفكر ، فعلى سبيل المثال كان مبدأ المساواة أحد المباديء الأربعة عشر[٢]، التي تبناها العالم الفرنسي (هنري فايول) ، أما المبدأ من حيث التطبيقُ في الوقت الحاضر ، فهناك تفاوت في التطبيق الفعلي له ، وإن كان هناك مناداةٌ بضرورة تطبيق هذا المبدأ في الإدارة الحديثة ، وبسطٌ لنتائجه الحسنة على الأداء الإداري .

خامساً : مبدأ الولاء الكامل للحق ونصرة المظلومين :

يعد حب الحق وإيثارُه ، والولاء له ، من الأصول الخلقية وكلِّياتها العامة ، ولهذا الأصل فروعاً أخلاقية متعددة ، منها : الصدق ، ومنها العدل ، وكراهية الظلم ، ومنها : الوفاء بالعهد ، والوعد ، ومنها : الأمانة إلى غير ذلك[٣] .

(١) ابن سعد : الطبقات جـ ٥ ، ص ٣٤٣ .

(٢) فايول : المبادىء العامة للإدارة ، ميريل : المأثورات في الإدارة ، ص ٢٦٨ .

(٣) الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، جـ ١ ، ص ٥١٩ .

والحق يتفاوت ما بين الإيمان بالله عز وجل ـ أجل وأعظم الحقائق ـ وبين حب الناصحين والداعين للحق ، والاعتراف به، فالمؤمنون يحبون الحق ، ويؤثرونه على أهوائهم وشهواتهم، وهناك الكثير من الناس، يكرهون الحق متى تعارض مع مصالحهم ، وأهوائهم ، وملذاتهم الخاصة . قال الله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ ، لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾[1] .

ومبدأ الولاء للحق كان مما نلحظ تأكيد عمر بن عبدالعزيز الدائم عليه ، فالحق والعدل من نواميس الله ، وهو مفتاح السياسة التي مارسها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، وسار عمر بن عبدالعزيز على هدى تلك السياسة[2]، التي تقوم على محبة الحق ، وإيثاره بكافة فروعه الخلقية ، ومنها : الصدق والعدل الذي سبق أن أثبتنا أنها من صفات عمر بن عبدالعزيز .

ولأهمية الولاء للحق أياً كان نوعه ولمن كان ، سواء بالعدل في الحكم أم الصدق في القول والعمل، أو الاعتراف بالحق، أو نصرة المظلومين أم غير ذلك ، إذ قال الله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[3] . فقد كان مبدأ الولاء الكامل للحق أحد المبادىء البارزة ، التي طبقها عمر في إدارته للدولة الإسلامية ، والتي آتت أكلها في إقرار الأمن والطمأنينة ، في نفوس الرعية ، وبالتالي نجاح إدارته .

وللدلالة على ما نحن بصدده من ولاء عمر للحق، وتبني هذا الأمر كمبدأ من مبادىء إدارته ، فإننا نورد شيئاً مما اتَّخذه في هذا المجال ، فقد جعل

---

(١) جزء من الآية ٧ ، والآية ٨ من سورة الأنفال .

(٢) عماد الدين خليل : ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦١ .

(٣) الآية ١٨١ من سورة الأعراف .

الإعانة على الحق أحد الشروط الخمسة، التي اشترطها لمن يريد صحبته ، ومن لم يعينه على الحق ، فإنه في حرج من صحبة عمر ، بل وحتى الدخول عليه[(١)] .

أما المواقف والقرارات الإدارية التي تدل على ولاء عمر للحق ، وابطال الباطل ، ونصرة المظلومين ، ففيما يلي نورد بعض تلك المواقف .

لقد كان منذ الساعات الأولى لتوليه الخلافة ، راغباً في إيصال الحقوق لأصحابها . فقد ذكر ابن الجوزي تحت عنوان : « اهتمام عمر بما لأفراد الأمة على الخليفة من حقوق » ، أن عمر حين سئل عن سبب اهتمامه ، فقال : « لمثل الأمر الذي نزل بي اهتممت، إنه ليس من أمة محمد في مشرق ولا مغرب، أحد إلا له قبلي حق يحق عليَّ أداؤه إليه ، غير كاتب إليَّ فيه ، ولا طالبه مني »[(٢)] .

ولم يكتف بذلك الشعور تجاه حقوق الأمة ، بل أقسم بالله عز وجل في خطبته، عقب استخلافه على عزمه على ذلك، فقال : « ... وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً »[(٣)]. كما أعلن في السياق نفسه مسمعاً الناس، أنه لا حق له في طاعة الناس له ما لم يتقيد هو بشرط ذلك الحق، ألا وهو طاعة الله، فقال: « أيها الناس : من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصي الله فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لي عليكم »[(٤)] .

كما عبر عن واقع الحق بوضوح، فقال: « إنما هلك من كان قبلنا بحبسهم الحق، حتى يشترى منهم، أو بسطهم الظلم، حتى يفتدى منهم »[(٥)]. وكثيراً ما كان عمر يقول: « ما وجدت في إمارتي هذه شيئاً ألذَّ من حق وافق هواي »[(٦)].

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

ولقد أدرك عمر ما لإعطاء الحق لصاحبه ، وبخاصة المسلم، من أهمية في أداء فروض الدين، وأن الدين يضيع بضياع الحق، إذ ربط بين قيم الحق، والقيم الدينية ، حين قال : « لم أر شيئاً أعونَ للمسلم على دينه من إعطائه حقَّه »(١) .

وقد قرن ذلك كلَّه بمواقف، يطلب فيها العون على الحق ، فنجده يطلب من عمرو بن مهاجر طلباً قلَّ من يطلبه اليوم، إن لم يكن معدوماً، فيقول : « يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ، ثم هزّني ، ثم قل لي : ماذا تصنع ؟ »(٢) .

ولم يكتف بمثل هذا الموقف ، بل أعلن للناس في أكبر مؤتمر إسلامي ، يجتمع المسلمون فيه ، ألا وهو الحج ، حين كلف المسؤول عن الحج أن يبلغ الناس على لسانه ، فقال : « .. أنا معوِّل كل مظلوم ، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم ... ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق، أحياها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم.. »(٣).
وبذلك الإعلان ، علم العامل أنه لا مناص من إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وعلم أفراد الأمة أن لهم الحقَّ ، ليس في الحصول على حقوقهم فحسب ، بل أن أمر من حاد عن الحق بيدهم ، بذلك نستدل على عظم ولاء عمر للحق وحبه له .

ومن الإجراءات الإدارية التطبيقية الموافقة للحق ، الدالة على تبنّي عمر مبدأ الولاء للحق ، ونصرة المظلومين ، نجده يقول لعامله على اليمن « ... وإن لم

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

ترفع إليَّ من جميع اليمن إلا حَفْنَةٌ من كَتَم[1] ، فقد علم الله أني بها مسرور ، إذا كانت موافقة للحق .. »[2] .

وكتب لعامله على خراسان ، يحذِّره قائلاً : « ... إياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق »[3] .

كما كتب إلى عامله على الكوفة يقول : « .. أعلم أني قد أشركتك في أمانة عظيمة ، فإن ضيعت حقاً من حقوق الله كنت أهون خلقه عليه ، ثم لا يغني عنك عمر من الله شيئاً »[4] . وكتب لآخر « أما بعد : فالزم الحق ينزلك منازل أهل الحق ، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون »[5] .

وتوالت الإجراءات التي يسعى بها صوب قيم الحق فشملت جوانب أخرى، فنجده يأمر عماله ألا تهدم كنيسة، ولا بيعة ولا بيت نار صولحوا عليه... ولا يجروا الشاة إلى مذبحها ، ولا يحدوا الشفرة على رأس الذبيحة[6] ، كما أصدر أوامر تمنع استخدام المناخس[7] ذات الرؤوس الحديدية ، وحدد حمولة البعير بستمائة رطل[8] ، يقيناً منه بأنه مسؤول أمام الله عن كل ما يشعر بتخويف ، أو جور على أي مخلوق .

---

(١) الكَتَم : هو نبات لا ينبت إلا في الشواهق ، يخلط مع الوسمة للخضاب الأسود ، ويشبب الحناء به ليشتد لونه (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٥٠٨) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦١ ، ٥٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٩٣ .

(٥) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٤ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٢ .

(٧) نخس الدابة : أي غرز جنبها أو مؤخرتها بعود أو نحوه لتنشط ، والمناخس : جمع منخاس وهو ما يستخدم لنخس الدواب . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٢٢٨) .

(٨) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٦ .

ومما يدل على إغراق عمر في الولاء للحق وإنصاف المظلومين ، أنه كان لا يحب تأخير القضاء إذا تبين له الحق ولكن لا يمنعه إصدار الحكم من التراجع إن أخطأ فقد حدث أن قضى في إحدى المسائل فتقدم رجل قائلاً : « إن لي بينة غائبة » . فأجابه عمر : « إني لا أؤخر القضاء بعد أن رأيت الحق لصاحبه ، ولكن انطلق أنت فإن أتيتني ببينة وحقٍ هو أحقُّ من حقهم فأنا أول من رد قضاءه على نفسه »[1] .

هكذا كان عمر بن عبدالعزيز في موالاته وحبه الكامل للحق ، مطبقاً لقيمه وإن ذلك الولاء لا يتأتى إلا بإعطاء الحق لأصحابه وإنصاف كل مظلوم سُلب حقه دون حول ولا قوة ، فقد أولى جانب رد المظالم[2] كل الاهتمام ، فكان يتولى ردَّ المظالم بنفسه تارة ويأمر ولاته وعمَّاله بردها تارة أخرى ، وما قام به عمر رحمه الله في هذا المضمار أكبر وأعظم من أن نحصره فيما أوردناه حول هذا المبدأ ، فالمتتبِّع لحياة عمر يدرك أنه كان يَصِلُ الليل بالنهار ويستغرق الساعات الطوال ، لكي يستردَّ لأصحاب الحقوق حقوقهم ، ويردَّ المظالم للمظلومين ، ويبثَّ طمأنينة العدل ، فكان هذا دأبَه منذ وُلِّيَ إلى أن مات . حتى شهد أحد معاصريه ـ سليمان بن موسى ـ له بذلك ، إذ قال : « ما زال عمر بن عبدالعزيز يرد المظالم ، منذ يوم استخلف إلى يوم مات »[3] .

وفي هذا المجال (رد المظالم) نكتفي بذكر قرائن دالة على ذلك ، فقد كان عمر رضي الله عنه يبيح دخول المظلومين عليه، في أي وقت بغير إذن ، فيقول : « ... ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة ، فلا إذن له عليَّ ...»[4] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٨٦ .

(٢) للتوسع في هذا الجانب ، انظر : ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧ هـ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٤١ .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٦ .

كما كان يكتفي باليسير من البينات لردِّ المظالم ، ولم يكن يكتفي برد الظلامة لصاحبها ، فقد كان من إغراقه وحرصه على إنصاف المظلومين ، أن رجلاً جاء إليه يشكو عديَّ بن أرطاة في أرض له ، فأمر عمر بردِّ أرضه إليه ، ثم قال له : « كم أنفقت في مجيئك إليَّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : تسألني عن نفقتي ، وأنت قد رددت عليَّ أرضي ، وهي خير من مائة ألف ؟ فقال عمر : إنما رددت عليك حقك ، فأخبرني كم أنفقت ؟. قال : ما أدري . قال : أحرزه . قال : ستين درهماً ، فأمر له بها من بيت المال ، فلما ولَّى صاح به عمر . فرجع فقال له : خذ هذه خمسة دراهم من مالي ، فكُلْ بها لحماً حتى ترجع إلى أهلك إن شاء الله »[1] . فكان عمر في هذا المضمار من أبرِّ خلفاء وحكام المسلمين وقادتهم ، طوال التاريخ الإسلامي القديم والحديث .

ومن جهة أخرى فقد كان لهذا المبدأ أهمية عند علماء المسلمين ، المهتمين بأسس الإدارة ومبادئها ، فعلي سبيل المثال جعله ابن الأعرج أحد الأمور العشرة التي يَقِرُ بها قواعد الملك ، إذ قال : « والتاسع : الانتصاب لأمور العامة، بأن يجلس لها وقتاً من الأوقات ، لكشف المظالم ، وإقامة فريضة العدل لإزالة المظالم »[2] . وقد استشهد ابن الأعرج بمواقف[3] لعمر بن عبدالعزيز في هذا الجانب لجدارتها بالاستشهاد بها ، لا يتسع المقام هنا لذكرها .

أما في الإدارة الحديثة ، فقد اتخذ هذا المبدأ طابعاً آخَرَ ، تميَّز بالتفاوت في التطبيق بين الحين والآخر ، ومن إدارة إلى أخرى ، ويمكننا القول : إن هذا المبدأ يأتي في نطاق ما يسمى بالنظام ، الذي جعله « هنري فايول » أحد

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٦ .

(٢) ابن الأعرج : تحرير السلوك في تدبير الملوك ، ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ .

مبادئه الأربعة عشر[1] ، ذلك النظام الذي يعطى للفرد في الإدارة الحديثة حقَّه ، سواء كان مديراً أم رئيساً أم مرؤوساً ، حقَّه في كافة الأمور المالية والقانونية وغير ذلك .

ومما يذكر أن هناك الكثيرَ من الهيئات والمنظمات في الوقت الحاضر ، التي تعنى بحقوق الإنسان وحمايته ، لكنها ليست في نطاق الحكومات والإدارات ، كما كان الحال في عهد عمر بن عبدالعزيز ، الذي كان يمثل قمة الولاء للحق ، مما جعل هذا المبدأ يؤتي ثماره . ومن لطيف العبارة ما علق به الأستاذ أبو الأعلى المودودي في إطار البحث عن الحقوق الأساسية للإنسان إذ يقول : « من العجيب حقاً أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي لا يزال البحث والسؤال عن حقوقه الأساسية يظهر بين أفراده أنفسهم . فالمخلوقات الأخرى ـ وما أكثرها في هذا الكون ـ أعطتها الفطرة حقوقها تلقائيًا ، ولا تزال تنالها ، دون تحمُّل عناء التفكير في أمرها ، ومشقة السعي للحصول عليها ، ولكن الإنسان وحده هو المخلوق الذي يظهر السؤال عن حقوقه ، وتقتضي الضرورة تحديدها وتعيينها »[2] .

ذلك ما أردنا أن نختتم به الحديث عن مبدأ الولاء للحق، ونصرة المظلومين، في إدارة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

سادساً : مبدأ الحرية الإنسانية العامة :

تعنى الحرية في نظر الإسلام ممارسة الأفراد لكل حق من الحقوق الشخصية (الجانب المادي) ، والفكرية (الجانب المعنوي) ، التي لا تتعارض مع

(١) هنري فايول : المبادىء العامة للإدارة ، المأثورات في الإدارة : تحرير هارولد ف . ميريل ، ص ٢٦٨ .

(٢) المودودي : الحكومة الإسلامية ، ص ٣٣١ .

أحكام الشريعة وتعاليمها ، ولا تصطدم مع المصالح الجماعية ، ولا تتنافي مع الآداب الاجتماعية[1] .

لذا فالحرية العامة للإنسان من الأمور الأساسية في حياته ، فهي جزء لا يتجزأ من تكوينه النفسي وتركيبه السلوكي منذ أن وجد ، ولكن الدنيا لم تعرف حرية بالمعنى الذي جاءت به رسالة الإسلام[2] ، فالحرية في الإسلام لا تحتاج إلى أي تحديد من السلطة أو إعتراف ، ولا يحتاج المسلم للوصول إلى حريته العامة إلى إتخاذ أي إجراء ، إذ كفل الإسلام حق المسلم في الحرية فكانت أحد مبادىء الحكم والإدارة التي أقرها الإسلام .

ولقد حرص رسول الله ﷺ ، والخلفاء الراشدون من بعده ، على تطبيق هذا المبدأ ، بمنح المسلمين وغيرهم حقّهم في الحرية ، وتربية الأمة على ذلك .

ثم جاء الخليفة الخامس عمر بن عبدالعزيز ، ليعيد لهذا المبدأ دوره وأهميته ، في الحكم والإدارة ، وطبق كافّة صور الحرية الإنسانية ، من الحرية الشخصية والفكرية ، وما تشتمل عليه من حريات مختلفة ، مما سيأتي عليه الكلام بالتفصيل والتدليل ، فالذي يهمنا هنا هو إثبات تطبيق عمر بن عبدالعزيز لمبدأ الحرية الإنسانية . وإلى أي حد أخذ به وراعاه ، في إدارته للدولة الإسلامية ، وأدلة ذلك من مواقفه وإجراءاته الإدارية .

لقد اهتم عمر بكافة صور الحرية الإنسانية ، فجاء مستعرضاً لأنواع وصور الحرية ، فأقر ما كان فيها موافقاً لتعاليم الإسلام ، وأعاد ما لم يكن كذلك إلى دائرة التعاليم الإسلامية ، فكانت أول اهتماماته في هذا الجانب سعيه

---

(١) محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الإسلامية ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) إبراهيم سعادة : الإسلام وتربية الإنسان ، الزرقاء ـ الأردن ، مكتبة المنار ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٣٩ .

لتحقيق الحرية الشخصية لأفراد الأمة الإسلامية . إذ بدا له بعض القيود على الهجرة أو ما يسمي بحرية التنقل ، أو الغدوّ والروّاح ، فاتخذ إجراء فتح فيه باب الهجرة لمن يريد ، إذ قال : « ... وأما الهجرة فإنا نفتحها لمن هاجر من أعرابي فباع ماشيته ، وانتقل من دار أعرابيته إلى دار الهجرة ، وإلى قتال عدوّنا ، فمن فعل ذلك فله أسوة المهاجرين فيما أفاء الله عليهم ...»[١] .

كما قال في كتاب لعماله: « .. وأن يُفتح لأهل الإسلام باب الهجرة ..»[٢].

وإذا كان ذلك موقفه من حرِّية الناس في الهجرة والتنقل ، فقد تجلَّى حرصه على مبدأ حرية الإنسان في أمر قلَّ من يراعيه ، أو يهتم به ، أمر يخص من هم في ملكه ، ألا وهو تخييره لجواريه ، عقب تولِّي الخلافة بين العتق والإمساك على غير شيء ، فقد علم أن لهن عليه حقوقاً لن يستطيع الإيفاء بها بعد تولِّيه الخلافة ، فترك لهن حرية الإقامة معه من غير شيء أو العتق ، فتكون الواحدة منهن حرَّة حرِّيَة شخصية كاملة .

فقد روى ابن عبدالحكم « أن عمر خيَّر جواريه ، فقال : إنه قد نزل بي أمر شغلني عنكن فمن اختارت منكن العتق أعتقتها ، ومن أمكستها لم يكن لها مني شيء ، فبكين بكاءً شديداً يأساً منه »[٣] .

أما في حرية التجارة والكسب، وابتغاء فضل الله في البر والبحر، كجزء من الحرية الاقتصادية ، فقد أكد في كتاب له إلى عمَّاله ، على ضرورة منح الناس حرية استثمار أموالهم ، والإتِّجار بها في البر أو البحر على حد سواء ، فقال : « ... وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر، لا يُمنعون ولا يُحبسون ...»[٤].

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

وفي شأن البر والبحر ، وأنهما مما سخر الله لعباده لابتغاء فضله ، ولحرية الكسب فيهما يقول : « ... وأما البحر فإنا نرى سبيله سبيل البر ، قال الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾[1] . فأذن فيه أن يتَّجر فيه من شاء ، وأرى أن لا تحول بين أحد من الناس وبينه ـ يقصد البحر ـ فإن البر والبحر لله جميعاً ، سخرهما لعباده يبتغون فيهما من فضله ، فكيف نَحُول بين عباد الله وبين معايشهم »[2] .

كما أعلن عمر استئناف الحريَّة السياسيَّة التي منحها الإسلام للمسلمين، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، حتى وإن كان حاكماً أو والياً ، فقد أعلن عمر في أول يوم من أيام حكمه الحرية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مُنْكِراً على الناس واقعهم المظلم ، وأن الإسلام لا يرضى السكوت على الظلم[3] ، فقد خطب الناس يوماً فقال « ... ألا لا سلامة لامرىء في خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا وإنكم تسمون الهارب من ظلم إمامه : العاصي ، ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم »[4] .

ومما يدلُّ أيضاً على إعطاء الناس الحرية السياسيَّة ، أول إجراء اتخذه عقب إعلان العهد له بالخلافة ، ألا وهو تنازله عن الخلافة ، وأن يختاروا لهم خليفة .

فإذا كانت الحرية السياسية تتجلي في ممارستها في موضعين : أولهما : المشاركة في اختيار الحاكم ، عن طريق أهل الحل والعقد ، وبيعة المسلمين

---

(١) جزء من الآية (١١) من سورة الجاثية .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٢ .

(٣) ضناوي : عمر بن عبدالعزيز في الحكم والاقتصاد والقضاء ، ص ٣٣ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٤٠ .

ورضاهم ، وثانيهما : إبداء الرأي والنصح للحكام ، ونقد أعمالهم بمقاييس الإسلام[١] . فإن عمر قد مارس الحرية السياسية في هذين الموضعين ، فجعل لهم الخيار في تولّيه الخلافة ، وقَبِل الوعظ والنصح[٢] ، بل وطلب ذلك ، وأدلة ذلك أكثر من أن تحصى .

أما من ناحية الحرية الفكرية ، وخصوصاً حرية العقيدة ، فبالإضافة إلى الحفاظ على وضع الإسلام ، والمسلمين القائم ، فقد كان يتبع أسلوب الدعوة إلى الإسلام دون إكراه ، فقد كتب إلى ملوك الهند يدعوهم للإسلام ، وكذلك دعا البربر للإسلام ، وكتب أيضاً إلى ملوك ما وراء النهر يدعوهم للإسلام[٣] ، دون إكراه أو حرب .

وفي هذا المجال أورد المؤرخ الألماني « يوليوس فلهوزن » ما ذكر المؤرخ « تيوفانيس » وعلق على ما قال ، فقال : « فلهوزن » :

[أما فيما يتعلق بمعاملة عمر بن عبدالعزيز لأهل الأديان الأخرى، فإن « تيوفانيس » ـ في حوادث عام ٦٢١ من تاريخ الخليقة ـ يذكر في ذلك ما يلي : « ولمّا حدث في تلك السنة زلزال كبير في الشام[٤] ، حرم عمر النبيذ في المدن ، وأكره النصارى على الدخول في الإسلام ، وكان من فعل ذلك رفع عنه الجزية ، أما من لم يفعل فإنه قتلهم . وقد استشهد كثيرون ، وأمر بألا تقبل شهادة نصراني على عربي ، وكذلك وجه القيصر (ليو) كتاباً بيّن له فيه عقيدة الإسلام ، أملاً في أن يقنعه بالدخول فيه » . وفي الذي يذكره (تيوفانيس) خلط بين باطل وحق : أما الحق فهو أن عمر عبدالعزيز كان مسلماً متحمساً ، وأن النصارى أحسُّوا بذلك ، ولكن عمر لم يُكره النصارى

(١) محمد المبارك : نظام الإسلام ، الحكم والدولة ، دار الفكر ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٢٢ .

(٢) للاطلاع على ما وعظ به عمر ، انظر ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ١٤٢ إلى ١٧١ .

(٣) الندوي : خامس الراشدين : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩ .

(٤) كان الزلزال في ١٥ من جمادى الأولى سنة ٩٩ هـ ، الموافق ٢٤ ديسمبر ٧١٧ م وكان عمر قد تولى الخلافة في شهر صفر من عام ٩٩ هـ . (عن فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، هامش الصفحة ٢٨٩) .

على الدخول في الإسلام مهدداً إياهم بالقتل ، لأنه لو كان فعل ذلك لكان فيه اعتداء على الحق القائم (الذي ضمنه الإسلام للنصارى) .

وهذا ما لم يكن من عمر لأنه مسلم حق . وهو فيما يتعلق بالنصارى قد التزم حدود الشرع التزاماً تاماً[1] ، وإن كان الأمر ربما بدا في أعين النصارى على غير ذلك][2] .

أما حرية الفكر من حيث الرأي والتعبير ، فقد أخذت نطاقاً واسعاً في إدارة عمر للدولة الإسلامية ، وقيادته لعماله ورعيته ، فقد أتاح لكل متظلم أن يشكو من ظلمه وأطلق للكلمة حريتها ، وترك للناس حرية أن يقول كلٌ ما يريد ، ولن أقول في هذا أكثر مما قاله القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[3] رضي الله عنهم ، فلا أدل على ذلك مما وصف به القاسم عصر عمر ، ذلك الوصف الموجز الرائع ، حين قال : « اليوم ينطق كل من كان لا ينطق »[4] .

ذلك شيء يسير عن ممارسة عمر بن عبدالعزيز لمبدأ الحرية الإنسانية العامة ، ذلك المبدأ الذي يوم يُتاح لكل فرد في دولته ، ولكل مرؤوس في إدارته ، فإن القوة والنجاح ـ حتماً بعون الله ـ سيكون حليف تلك الدولة أو الإدارة .

(١) إن كنا هنا نستشهد بما ذكره المستشرق الألماني (فلهوزن) لواقعيته ، فإنه يبدو لي أنه يُثبت وبطريقة ذكية ، وغير مباشرة حقوق النصارى في الإسلام ، وأن المسلم الحق هو من يترك للنصارى حريتهم في دخول الإسلام من عدمه ، ليضعف حماس من يقرأ تاريخه عن الجهاد في سبيل نشر الإسلام . وأن من يفعل ذلك ، ويترك للنصارى حريتهم فإنه الملتزم بحدود الشرع الإسلامي .

(٢) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٣) هو حفيد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .. التابعي الجليل أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وعائشة ، وآخرين من الصحابة وخلائق من التابعين ، كان ثقةً نزهاً ، رجلاً صالحاً ، عالماً ، رفيعاً ، فقيهاً ، إماماً ، كثير الحديث ، ورعاً . توفي في سنة ١١٢ هـ وقيل سنة ١٠٨ هـ . (النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ٥٥). قال عنه عمر بن عبدالعزيز : « لو كان لي من الأمر شيء ما عدوت بها ـ يقصد الخلافة ـ القاسم بن محمد » (ابن سعد : الطبقات، جـ ٥ ، ص ٣٤٤) .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٤٤ .

ذلك المبدأ الذي نلحظ في وقتنا الحاضر صوراً له ، تموت وتحيا ... تحت رحمة الحكام ، أو الإداريين والقادة .

سابعاً : مبدأ الوقاية من الفساد الإداري :

إذا كانت الإدارة تقوم على مبادىء إدارية عديدة ، يتفاوت الحكام والأداريون والقادة في تطبيقها ، تبعاً للظروف والأهواء الشخصية ، والوقوع تحت طائلة النفس الإنسانية ، وهواها في ممارسة وتطبيق تلك المبادىء أم عدم تطبيقها ، وإلى أي حد يكون ذلك التطبيق ، مما قد يحدو بالحاكم ، أو الإداري ، أو القائد إلى الإخلال بتطبيق تلك المبادىء ، وما قد ينجم عنه من فساد إداري ، فإن مبدأ الوقاية من هذا كله ، والعمل على إيجاده في دائرة تلك المبادىء لهو أساس متين وضروري لدرء الفساد الإداري ، الذي قد ينجم عنه فشل ذريع للإدارة ، فالوقاية خير من العلاج .

ذلك ما أدركه عمر بن عبدالعزيز ، فقد سعى لتحقيق السلامة من الفساد الإداري ، بالحرص على سبل الوقاية منه ، وسد المنافذ على السموم الإدارية ، مثل الخيانة ، والكذب ، والرشوة ، والهدايا للمسؤولين والأمراء ، والإسراف ، وممارسة الولاة والأمراء للتجارة ، واحتجاب الولاة والأمراء عن الناس ، ومعرفة أحوالهم ، والظلم للناس والجَوْر عليهم ، وغير ذلك مما سنأتي بالأدلة عليه . مما قاله عمر واتخذه من إجراءات إدارية .

لقد كان أول إجراء إداري رأى فيه عمر الوقاية من الخيانة، أن وسع على العمال في العطاء ، رغم تقتيره على نفسه وأهله، يقول ابن عبدالحكم : « وكان عمر قد طلق نفسه عن الفيء فلم يرزق منه شيئاً إلا عطاءه مع المسلمين ، فدخل عليه « ابن أبى زكريا » فقال : يا أمير المؤمنين : إني أريد أن أكلمك

بشيء ، قال : قل . قال : قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلثمائة دينار ، قال : نعم ، قال : ولم ذلك ؟ قال : أردت أن أغنيهم عن الخيانة . قال : فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك . قال : فأخرج ذراعه وقال : يا ابن أبى زكريا إن هذا نبت من الفيء ولست معيداً إليه منه شيئاً أبداً »[1] .

وفي ذلك يروي ابن كثير فيقول : « وكان يُوسِّع ـ يعني عمر ـ على عماله في النفقة ، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار . وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقيل له : لو أنفقت على عيالك ، كما تنفق على عمالك ؟ . فقال : لا أمنعهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم ، وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم ، فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً قبل ذلك »[2] .

وبهذا الإجراء ، ألا وهو التوسيع على عماله يحقق عمر أمرين هامين :

أولهما : سد منفذ الخيانة ، وما قد يدفع العمال من حاجة إلى الخيانة وسرقة أموال المسلمين .

وثانيهما : ضمان فراغ الولاة والعمال والأمراء لأشغال المسلمين وحوائجهم .

ومن الفساد الإداري الكذب والتحايل ، سواء من العمال أو غيرهم ، ولحرصه على الوقاية من الكذب ، وما قد يقود إليه مما هو أعظم خطراً ، فقد ذكر ابن الجوزي ما رواه ميمون إذ قال: « دخلت على عمر بن عبدالعزيز، وعنده عامله على الكوفة، فإذا هو متغيظ عليه، فقلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنه قال : لا أجد شاهد زور إلا قطعت لسانه . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين : إنه لم يكن بفاعل . قال : فقال : انظروا إلى هذا الشيخ ـ مستنكراً

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٩ .

(٢) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٠ .

ما قال ميمون ـ إن منزلتين أحسنهما الكذب لمنزلتا سوء »[1] والمقصود ، فإن الكذب أحد منازل السوء ، وبذلك يسعى عمر إلى قطع دابر الفساد الإداري بالتحذير والوقاية عما قد يجر إليه الكذب ، والتحايل في اتخاذ القرارات .

ثم اتخذ مبدأ الوقاية من الفساد الإداري مساراً آخر ، بدأ عمر بتطبيقه هو على نفسه ، إذ امتنع عن أخذ الهدايا والهبات ، محذِّراً عن مثل ذلك ، عن ميمون بن مهران قال : « أُهدي إلى عمر بن عبدالعزيز تفاحٌ وفاكهةٌ ، فردها ، وقال : لا أعلم أنكم بعثتم إلى أحد أهل عملي ـ يعني أيًا من عماله ـ شيئاً . قيل له : ألم يكن رسول الله ﷺ يقبل الهدية ؟ . قال : بلى ؛ ولكنها لنا ولَنْ بعدنا رشوة »[2] .

فكأن لسان حاله يقول : كيف لنا ومَنْ بعدنا بنزاهة وطهارة قلب رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وأصحابه ، لذا فالأولى اتقاء الشبهات ، والاستغناء عن الهدايا .

كما أبطل عمر أخذ الهدايا ، التي كان الولاة الأمويون يأخذونها ، وبخاصة هدايا النيروز والمهرجان ، وهي هدايا تعطى في مناسبات وأعياد الفرس ، فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله كتاباً ، يُقرأ على الناس ، يبطل فيه أخذ التوابع والهدايا ، التي كانت تؤخذ منهم في النيروز والمهرجان وغيرها من الأثمان والأجور[3] .

كما أنذر ولاته وعماله من أن يتخذ أحداً منهم تلبية طلبات الخليفة أو أحد أهله شيء مسلم به ، ومن ذلك ما حدث عندما أرسلت فاطمة بنت عبدالملك إلى

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٩ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٦ .

ابن معدي كرب[1] . تطلب عسلاً من عسل سينين أو لبنان لأمير المؤمنين بعد أن علمت رغبته فيه ، إذ كتب إلى إبن معدي كرب يقول : « إن فاطمة بنت عبدالملك بعثت إليك تخبرك بأني تشهيت عسلاً من عسل سينين أو لبنان ، فبعثت إليها، وأيم الله لئن عدت لمثلها، لا تعمل لي عملاً أبداً ، ولا أنظر إلى وجهك »[2].

وبهذه المواقف ، إذ رفض الهدية وإن كانت تفاحاً أو عسلاً أو غيره ، مما أهدي له ، وحذر أن يُتخذ الأسلوب نفسه إلى عماله ، وما اتخذه من قرارات أبطل فيها الهدايا وغيرها ، تحقق لإدارته الوقاية من فساد في الإدارة ، بما قد تجرُّه تلك الهدايا على عماله وإداراتهم ، من عواقب الرشوة ، وما ينجم عنها من محاباة ، وميل إلى غير الحق ، ومما يزيد الموقف قوة ، والقرار فعالية ، أن بدأ بتطبيقه على نفسه .

أما فيما يتعلق بالاقتصاد في أموال الدولة، والنهي عن الإسراف والتبذير، فقد اتخذ مواقف وقرارات إدارية ، تنم عن حرص شديد على أموال المسلمين . فكان أول إجراء له بعد توليه الخلافة ، هو انصرافه عن مظاهر الخلافة ، إذ « قربت إليه المراكب ، فقال ما هذه ؟ فقالوا : مراكب لم تركب قط ، يركبها الخليفة أول ما يلي. فتركها، وخرج يتلمس بغلته وقال : يا مزاحم - يعني مولاه - ضُمّ هذه إلى بيت مال المسلمين ، ونصبت له سرادقات وحجر ، لم يجلس فيها أحد قط ، يجلس فيها الخليفة أول ما يلي . قال : يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين ، ثم ركب بغلته ، وانصرف إلى الفرش والوطاء الذي لم يجلس عليه أحد قط ، يفرش للخلفاء أول ما يلون . فجعل يدفع ذلك برجله ، حتى يفضي إلى الحصير . ثم قال : يا مزاحم ضم هذا لأموال المسلمين »[3] .

---

(١) لم تمدنا المصادر ما إذا كان ابن معدي هذا ، عامل لبنان أو سينين (سيناء) ، ولا ترجمة له .

(٢) أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧ هـ) : المعرفة والتاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٣٣ .

ذلك موقف قلَّ من يقفه من الأمراء والولاة ، وقرار سليم قلَّ من يتخذه ، ويختار له ذلك الوقت المناسب ، فسلامة القرار أنه لا بد للناس خاصتِهم وعامتِهم من الاقتصاد في أموال الدولة ، طالما هذا مبدأ خليفتهم ، والتوقيت المناسب أنه جاء القرار في وقت قد يغترُّ فيه الخليفة بملكه ، أو السلطان بسلطانه راغباً في الأبهة والعظمة في أول توليه ، وكذلك جاء في وقت ، كل من حوله ومن هم بعيدون عنه ، يراقبون عن كثب ، ويمعنون النظر في كل إجراء يتخذه الخليفة في الساعات الأولى لخلافته ، مما كان له عظيم الأثر في ترسيخ مبدأ الوقاية من الإسراف والتبذير ، والحرص على الاقتصاد في أموال المسلمين .

وإذا كان هذا ما تبناه عمر في شأن مظاهر الخلافة ، التي جرى على اتخاذها الخلفاء من قبله ، فقد كان له إجراء أدق في أمر أقل أهمية وإسرافا ، وإن دل على شيء فإنما يدل على أن عمر ، لا يفوته أمر فيه شيء من التبذير ، وإنفاق أموال المسلمين من غير حاجة ، فمن المؤكد أن من اهتم بما يُكتب فيه من الصحف ، وضرورة الاقتصاد فيها ، فهو لما سواها أكثر اهتماماً . ذلك ما كان منه ، حين قال له ميمون ـ وهما ينظران في أمور الناس ـ : « ما بال هذه الطوامير[1] ، التي تكتب فيها بالقلم الجليل ، وتمد فيها وهي من بيت مال المسلمين ؟ . فكتب إلى العمال أن لا يُكتبن في طومار ، ولا يمد فيه ، قال : فكانت كتبه شبراً أو نحو ذلك »[2] .

كما أنه ـ وبشكل إجرائي ـ أكثر فاعلية ، كتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم ـ والي المدينة ـ رداً على كتابه لسليمان بن عبدالملك قبل وفاته ، فقال :

(١) طوامير : جمع طومار وهو الصحيفة . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٥٠٣) .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٨ .

« أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان ، تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قبلك من أمراء المدينة الشمع كذا وكذا ، يستضيئون به في مخرجهم ، فابتليت بجوابك فيه ـ يعني أمر الخلافة ، إذ صار الخليفة بعد سليمان ـ ولعمري لقد عهدتك يا ابن أم حزم ، وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ، ولعمري لأنت يومئذ خير منك اليوم ، ولقد كان في فتائل[1] أهلك ما يغنيك ، والسلام »[2] .

فأوضح عمر لواليه على المدينة في هذا الكتاب أنه لا ينبغي أن تكون ولايته للمدينة مدخلاً له لطلب أشياء لم يكن يجدها قبل توليه ، ثم يبالغ في الطلب وكميته ، ثم أشعره بأنه قبل تولِّيه أمر المدينة خير منه الآن ، لعظم الأمانة والمسؤولية أمام الله عز وجل .

وكتب إلى والي المدينة أبي بكر بن حزم أيضاً جواباً بشأن القراطيس ، التي كان قد طلبها فقال : « إذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم ، وأجمع الخط ، واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة ، فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر ببيت مالهم ، والسلام عليك »[3] .

ذلك هو شأن عمر في كل أمر يخص مال المسلمين ، صغر أو كبر ، ومع كافة الولاة ، فإنه من المسلَّم به أن عمر لن يكون كذلك مع والي المدينة فحسب، بل هو كذلك مع غيره من الولاة والعمَّال ، فكان يسعى للتوفير والاقتصاد في الإنفاق من بيت المال ، ليحول بذلك دون الإسراف والبذخ ، وما قد يخالج من يتولى أمراً مالياً حين تتوفر الاحتياجات ، وتزيد عن الحاجة من التفكير في

(١) فتائل : جمع فتيلة وهي الذبالة التي تتخذ للسراج ليضيء . (الفيومي : المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ٤٦٢) .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

السرقة والتحايل، بل يكون اهتمامه منصباً على توفير ما يحتاج في أمر الولاية أو العمل ، وبذلك يسد منفذاً للفساد تخشى عواقبه .

كما أن عمر وفي إطار مبدأ الوقاية من الفساد الإداري ، قد منع الإمام والولاة والعمال عن مارسة التجارة منعاً باتاً ، إذ قال في كتاب له إلى عماله : « نرى أن لا يتجر إمام ، ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه ، فإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصيب أموراً فيها عنت، وإن حَرَص أن لا يفعل »[1] .

وذلك إدراك منه أن ممارسة العمال والولاة للتجارة[2] ، لا تخلو من أحد أمرين ، إن لم تكن الاثنان معاً : فإما أن ينشغل في تجارته ومتابعتها عن أمور واحتياجات المسلمين ، وإما أن تحدث محاباة له في التجارة لموقعه ، ويصيب أموراً ليست له من الحق في شيء ، وبهذا القرار سدّ عمر منفذاً خطيراً قد يؤدي إلى فساد إداري قل ما تتوارى عواقبه .

كما أمر الولاة والعمال ، وهو قبلهم ، بأن يحرصوا على فتح قنوات الاتصال بينهم وبين الرعية ، ويسمعوا منهم ، ويتعرفوا على أحوالهم ، فإن ذلك يمنع ممارسة الظلم والتعدي على حقوق الآخرين ، ويتيح لكل فرد طلب ما يريد، دون اللجوء إلى أساليب وطرق لا تمت للإسلام بصلة .

فقد أمر العمال في كتب كثيرة ، بالحرص الشديد على ردّ المظالم ، بل ويطلب استبراء الدواوين من كل ظلم ، فقد كتب لأبي بكر بن حزم قائلاً : « استبرىء الدواوين ، فانظر إلى كل جَوْرٍ جَاره مَن قبلي من حق مسلم ، أو معاهد فردّه عليه ، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم »[3] .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٣ .

(٢) تتضمن نصوص أنظمة الخدمة المدنية بالمملكة العربية السعودية حالياً عدم جواز جمع الموظف بين وظيفته ، وممارسة مهنة أخرى . (نظام الخدمة المدنية الصادر بالأمر الملكي رقم ٤٩ وتاريخ ١٣٩٧/٧/١٠ هـ ، المادة ١٣ ، والمادة ١٤) . وذلك ما سبق إليه عمر بن عبدالعزيز لأخذ الحيطة ، واتقاء ما قد ينجم عن ممارسة رجل الدولة أو الولاية للتجارة من آثار سلبية وفساد إداري .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

والمتمعن في أمر عمر بردّ مظالم من كان قبله ، إلى أصحابها ، أو ورثتهم ، يدرك أنه بمثابة رادع لكل من له نية الظلم ، من عماله وولاته ، فالظاهر أنه طالما حَرَص على ردّ مظالم من قبله ، حريٌ أن لا يرضى أي نوع من الظلم في عهده ، فكان ذلك وقايةً من وقوع الظلم مرة أخرى ، وبالتالي درء لهذا الفساد الإداري .

وقد امتدّ اهتمامه بمبدأ الوقاية من الفساد إلى جوانب أخرى ، ففي تعبير دقيق أوصى ميمون بن مهران ، مندّداً بالمجاملات للأمراء وغير ذلك ، مما قد يجلب الفساد والمنكر ، فقال : « لا تجالسْ أميراً ، وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر ، ولا تخلونَّ بامرأة غير ذات محرم ، وإن علمتها القرآن ... »[١] .

هذا مما كان من عمر ، حيال تطبيقه لمبدأ الوقاية من الفساد الإداري .

ثامناً : مبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية :

لقد حظي موضوع المركزية واللامركزية في الإدارة بنصيب وافر من اهتمامات علماء وكتّاب الإدارة ، وأخذ النقاش حول ذلك الموضوع طابع التفاوت بين مؤيد ومعارض . ومن الجدير ذكره أن الإدارة الإسلامية وعلماء المسلمين قد عرفوا هذا اللون من الإدارة ، إذ كانت تعرف اللامركزية ، « بإمارة الاستكفاء » ، التي تنعقد لمن يختاره الخليفة من الأكفاء ذوي القدرة العظيمة فيصير عام النظر في كل أموره[٢] . ولكل من المركزية واللامركزية عند التطبيق إيجابيات وسلبيات[٣] ، وغالباً ما تكون إيجابيات اللامركزية سلبيات للمركزية والعكس صحيح .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٤٦ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣٥ .

(٣) للتعرف على مزايا وعيوب المركزية واللامركزية انظر: النمر وآخرون : الإدارة العامة الأسس والوظائف ، ص ١٥٩ وما بعدها .

ولقد جعل « هنري فايول » المركزية أحد مبادئه الإدارية ، فقال : إن مسألة المركزية أو اللامركزية موضوع تناسبي بسيط ، بقصد الوصول إلى الدرجة المثلى بالنسبة لكل منشأة بذاتها[1] ، وإذا كانت مشكلة المركزية واللامركزية هي في التوصل إلى مقياس يمكن باستخدامه تحقيق أكبر قدر من الإنتاجية الكلية ، كما يقول « فايول »[2] ، فإن عمر بن عبدالعزيز قد جعل مقياسه الدقيق لذلك ، هو مصلحة الأمة الإسلامية ، في دينها ودنياها ، حين اتخذ مبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية في إدارته للدولة الإسلامية وقيادته لها ، وأدرك ضرورة تطبيق كل منهما ، بما يخدم الموقف تبعاً لمعايير معينة .

فكان يأخذ بالمركزية أو اللامركزية ، حين يرجح مصلحة للأمة ، أو لأحد أفرادها في تطبيقه لأحدهما ، سواء كانت المصلحة دينية أم دنيوية .

وللدلالة على أن عمر أخذ بمبدأ الجمع، والموازنة بين المركزية واللامركزية، خلال إدارته للدولة ، بتطبيق أحدهما بحسب الموقف ، تبعاً لمعايير محددة فإننا نورد بعض المواقف والإجراءات التي توضح ذلك .

فقد كان من الأوامر التي تدل على تطبيقه للمركزية ، ما ضمَّنه رسالته إلى عامله على الكوفة ، إذ قال : « ... فإني قد ولَّيتك من ذلك ما ولاَّني الله ، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب ، حتى تراجعني فيه ... »[3] .

وهنا رجح عمر أن مصلحة الأمة في تطبيق المركزية ، في هذه المسألة البالغة الأهمية ، فقد يسبق السيف العذل ، فلا مصلحة للأمة في التعجيل في أمور القتل والصلب ، بل التأني أولى ، وكلٌّ سيلقى جزاءه طال الوقت أم قصر ،

(١) فايول : المبادىء العامة للإدارة ، المأثورات في الإدارة ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٩ .

فقد كان عمر يرجح التحقيق العادل على التحقيق الصارم[1] ، فما بالك به في أمر أهم ، وهو إزهاق الأرواح .

وهناك أمور أخرى أعم وأشمل ، أوضح عمر لعماله وولاته وقضاته ، أنه لابد من الرجوع إليه فيها ، متَّخذاً أسلوب المركزية فيها ، وهي كل ما تُبتلى به الأمة، وليس لها سابقة في قرآن أو سنة ، إذ كتب إلى عماله يبين لهم سياسته ، فقال : « ... وأما ما حدث من الأمور التي تُبتلى الأمة بها ، مما لم يُحكمه القرآن ولا سنة النبي ﷺ ، فإن والي أمر المسلمين وإمام عامتهم ، لا يُقدَّم فيها بين يديه ، ولا يُقضى فيها دونه ، وعلى مَن دونه رَفع ذلك إليه ، والتسليم لما قضى »[2] .

وفي ذلك أيضاً يروي ابن الجوزي أن عمر استعمل ميمون بن مهران على قضاء وخراج الجزيرة ، فكتب ميمون إليه يستعفيه من ذلك ، فكتب إليه عمر : « أجب الخراج الطيب، واقض ما استبان لك، وإذا التبس عليك أمر فارفعه إليَّ . فإن الناس لو كانوا إذا كثر عليهم شيء تركوه ، ما قام لهم دين ولا دنيا »[3] .

وفي مجال آخر رأى ضرورة أسلوب المركزية ، حيث جعل للعراق أكثر من وال ، وأصبحت خراسان وسجستان وعمان كل منها مرتبطة بالخليفة مباشرة ، كما عين والياً على الأندلس من قبله ــ رغبة منه في الاعتناء بإقليم الأندلس ــ دون الارتباط بوالي إفريقية[4] .

هذا مما يدل على أن عمر بن عبدالعزيز كان يأخذ بالمركزية ، وضرورة الرجوع إليه .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٣ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٣ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٩ .

(٤) نجدة الخماش : الإدارة في العصر الأموي ، ص ١٠٧ .

أما ما يدل على ممارسته اللامركزية فنورد المواقف التالية :

روي أن عمر كتب إلى عروة بن محمد ، عامله على اليمن ، يقول : « أما بعد : فإني أكتب إليك آمرك أن تردّ على المسلمين مظالمهم ، فتراجعني ولا تعرف بعد مسافة ما بيني وبينك ، ولا تعرف أحداث الموت ، حتى لو كتبت إليك أن أردد على مسلم مظلمة شاة ، لكتبت أرددها عفراء أو سوداء ، فانظر أن تردّ على المسلمين مظالمهم ، ولا تراجعني »[1] .

وحول الموضوع نفسه ـ ألا وهو رد المظالم لأصحابها ـ روى ابن عبدربه أن عمر كتب إلى واليه على المدينة ، عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب[2] ، يقول : « إنه يخيل إلى ، أني لو كتبت إليك أن تعطي رجلاً شاة ، لكتبت إليّ : أذكراً أم أنثى ؟ ولو كتبت إليك بأحدهما ، لكتبت إليّ : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت إليك بأحدهما ، لكتبت إليّ : ضائنة أم معِزى ؟ فإذا كتبت إليك ، فنفذ ولا ترد عليّ ، والسلام »[3] .

ويبدو في هذا القرار دقة متناهية في تحديد الشيء المرغوب فيه من المركزية واللامركزية ، وما حداه هنا إلى تبني اللامركزية من مصلحة للأمة .

وموقف آخر فيه دلالة على رغبة عمر في اتباع اللامركزية ، فقد كتب إلى عديّ بن أرطاة يقول : « أما بعد : فإنك لن تزال تُعَنّي إليّ رجلاً ـ أي يتعبه بإرساله إليه ـ من المسلمين في الحر والبرد ، تسألني عن السنة ، كأنك إنما تعظمني بذلك ، وايم الله لحسبك بالحسن ـ يعني الحسن البصري ـ ، فإذا أتاك كتابي هذا فسل الحسن لي ولك وللمسلمين ... »[4] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٨١ .

(٢) عبدالحميد بن عبدالرحمن هذا ليس بوالي عمر على المدينة ، فذلك وهم من ابن عبد ربه ، إنما هو والي عمر على الكوفة حتى مات عمر ، أما والي المدينة لعمر : فهو أبو بكر بن محمد بن حزم ، ذكر ذلك ابن خياط في تاريخه ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣. ولم يوافق ابنَ عبد ربه فيما ذهب إليه أحدٌ من المؤرخين .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٧٢ .

(٤) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣٠٧ .

فكان عمر يؤثر اللامركزية وعدم مراجعته في المسائل ، طالما هناك من يثق بعلمه ، مثل الحسن البصري رحمه الله ، فالحسن أهل لأن يُسأل لعمر ، ولعدي الوالي وللمسلمين كافة .

وكتب إليه قاضي مصر في مسألة ، فكتب إليه عمر : « إنه لم يبلغني في هذا شيء ، وقد جعلته لك فاقْضِ فيه برأيك »(١) .

وموقف آخر يدل على رغبته في اللامركزية أيضاً. وقد كتب إلى عامله في المدينة أن يقسِّم عشرة آلاف دينار ، في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما أجابه عامله بأن ولد علي موزعون على قبائل شتى من قريش ، ففي أيُّهم يكون العطاء ؟ .

فرد عليه عمر يقول : « لو كتبت إليك في شاة تذبحها ، لكتب إلي : سوداء أم بيضاء ؟. إذا أتاك كتابي هذا فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم »(٢) .

وبالإضافة إلى ما سبق ، هناك الكثير من الإجراءات الإدارية تدل في فحواها على اتخاذ عمر للمركزية أو اللامركزية ، ولكننا نقتصر على المواقف والإجراءات والقرارات الصريحة ، ذات الدلالة المباشرة على ممارسته للمركزية أو اللامركزية ، وبالتالي نثبت أنه اتخذ مبدأ الموازنة بينهما في إدارته .

ولقد كان لعمر في ممارسته المركزية واللامركزية معايير وعوامل ، تدفعه إلى أي منها ، فإذا اتضح للإداريين وعلماء الإدارة حديثاً ما لكل من المركزية واللامركزية من مزايا وعيوب، وحساسية الموازنة بينهما، فإن عمر قد أدرك هذا الجانب إدراكاً جعله يمارس الجمع بينهما ، في ضوء معايير دقيقة ، قل من يتنبه لها ويراعيها ، يمكنني تلخيصها فيما يلي :

(١) محمد أمين : فجر الإسلام ، ص ٢٣٦ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٩٤ .

١ ـ ارتباط الموقف أو الإجراء بمصلحة عامة أو خاصة .

٢ ـ أهمية الأمر الذي سيحدد فيه ممارسة المركزية أو اللامركزية ، فالإجراء الذي يتعلق بالقتل والصلب مثلاً ، حريٌّ أن تكون المركزية فيه أصلح .

٣ ـ مستجدات الأمور مما لم يرد في القرآن أو السنة، فهي من الأهمية بمكان.

٤ ـ مراعاة البعد الجغرافي بين الخليفة والولاة .

٥ ـ مراعاة الوقت وما قد ينجم عن ذلك من ضرر قد يصل إلى الموت .

٦ ـ وجود من يعتمد عليه ويطمئن له ولعلمه ويثق به .

٧ ـ التأثير على سرعة وسلامة الإنجاز في العمل .

٨ ـ مراعاة منح الثقة للقضاة والولاة والعمال .

في ظل هذه المعايير جمع عمر بن عبدالعزيز في ممارساته الإدارية بين المركزية واللامركزية ، بالموازية بينهما ، وتحديد الدرجة الملائمة في ممارسته لكل منهما ، وبذلك يسبق منظري وعلماء الإدارة في إدراك أبعاد هذا المبدأ .

تاسعاً : مبدأ المرونة :

لقد برزت معالم المرونة في إدارة عمر بن عبدالعزيز بشكل واضح ، سواء في معالجة الأمور الطارئة ، أم في اتخاذ الأوامر والقرارات الإدارية وتنفيذها ، أم في التفاهم والنقاش الهادئ والحوار البناء ، بل وفي شأنه كله . فقد كان عمر يسعى إلى تحقيق أهداف إدارته بأقل كلفة ، وجهد وضرر ، وبقدر كاف من المرونة .

كما كان يرجح الاعتراف بالخطأ والتراجع عنه ، أكثر من التمادي فيه ، حتى وإن كان هو مصدر الخطأ .

إذ جاءت تطبيقاته لمبدأ المرونة في إطار عدم التشدد والقسوة على الولاة، وأفراد رعيته ، عالماً بأن الخلاق سبحانه وتعالى قد رخص لعباده فيما لا يطيقونه من الأوامر التعبدية والشرعية ، مدركاً أن هذا المبدأ مما جاء به الدين الإسلامي إذ قال الله تعالى : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[1] ، وقال الرسول ﷺ : « ... فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ... »[2] .

فإذا كان هذا هو الحالَ في أوامر الدين والتشريع الإسلامي ، فمن باب أولى أن تخضع أوامر عمر لهذا المبدأ ، ألا وهو المرونة ، واختيار أسهل الخيارات في تنفيذ الأوامر الإدارية ، وتعليمات التقيّد بها ، وإمكانية استحصال المراد ، وتحقيق الهدف سواء كان إدارياً أم فكرياً على الوجه المطلوب بدرجة مناسبة من المرونة . وذلك ما جعله عمر نصب عينيه أثناء ممارساته القيادية والإدارية .

ولقد مارس عمر المرونة في التفاهم والحوار والفكر ، وتنفيذ الأوامر والتقيد بها ، ولنتمكن من الجزم بأن عمر طبق هذا المبدأ ، يجدر بنا أن نورد بعض الأدلة التي لا تدع مجالاً للشك في أنه كان يؤثر المرونة على غيرها في إدارته .

فمما يدل على ذلك أنه كان هناك هدف يراد تحقيقه، ألا وهو إقامة العدل، وكان ممن يعينه على ذلك ولدُه عبدالملك، فقد روى ميمون بن مهران : « أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز قال : يا أبتِ ؛ ما يمنعك أن تمضي لما تريد من العدل ؟ فوالله ما كنتَ أباً لي لو غلت بي وبك القدور في ذلك . قال : يابني إنما

---

(١) جزء من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٢) المنذري : مختصر صحيح مسلم ، جزء من حديث ، ص ١٧١ .

أروِّض الناس رياضة الصعب، وإني لا أريد أن أحيي الأمور من العدل ، فأؤخر ذلك حتى أُخْرِج معه طمعاً من طمع الدنيا ، فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه »[1] .

وقال عمر : « ما طاوعني الناس على ما أردت من الحق ، حتى بسطت لهم من الدنيا شيئاً »[2] .

فأبدى بهذا الإعلان منذ توليه الخلافة ، أن تحقيق الأهداف يتطلب شيئاً من المرونة والتَّغاضي ، فليس الأمر كما يرى ولده ، بأن لا مانع لديه من أن تغلي بهم القدور في سبيل تحقيق العدل ، بصرف النظر عن أي اعتبار آخر .

وفي موقف آخر ، وبإصرار من ولده عبدالملك أيضاً ، إذ دخل عليه ذات يوم وقال له : لي بك حاجة ، فأخلني ــ وعنده مسلمة بن عبدالملك ــ فقال عمر : أسرٌ دون ابن عمك ؟. قال : نعم. فخرج مسلمة، وجلس بين يديه، فقال : يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك إذا سألك فقال : رأيتَ بدعةً فلم تُمِتْها ، أو سنة فلم تُحيها ؟ فقال له قولاً يرجو أن يكون ولده عوناً على الخير، ثم قال : « يابني ؛ إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما في أيديهم ، لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لَزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يهرق في سببي محجمة[3] من الدم ... »[4] .

فأبدى عمر لولده أن أمر الأمة في حالة معقدة وأن الأمر لابد محتاج إلى شيء من المداراة والمرونة ، في سبيل تحقيق الهدف ، فلا ينبغي معالجة الأمور بشيء من الضرر ، حتى ولو كان ملء محجمة من دماء المسلمين .

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) أي ملء الآلة التي يجمع فيها دم الحِجامة ، فالمِحجمة : ما يحجم فيها وهي قارورة . (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ١١٧) .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

وفي رواية لابن عبدالحكم حول هذا الموضوع ، قال : « لما ولي عمر بن عبدالعزيز قال له ابنه عبدالملك : إن لأراك يا أبتاه ، قد أخرت أموراً كثيرة ، أحسبك لو وليت ساعة من النهار عجلتها ، ولوددت أنك قد فعلت ذلك ، ولو فارت بي وبك القدور ، قال له عمر : أي بني : إنك على حسن قسم الله لك ، وفيك بعض رأي أهل الحداثة. والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئاً من الدين ، إلا ومعه طرف من الدنيا ، استلين به قلوبهم ، خوفاً أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به »[1] .

وروى ابن الأثير أن عمر قال لابنه عن الموضوع ذاته : « يابني : إن بادهت الناس بما تقول ، أحوجوني إلى السيف ، ولا خير في خير لا يحيا إلا بالسيف ، فكرّر ذلك »[2] .

فكان عمر يفضل تحقيق الإصلاحات الإدارية ، بما ينبغي لها من المرونة واللين ، تبعاً لحالة الرعية ، وما يرغبونه من الدنيا ، لا لشيء ، وإنما ليقي نفسه والمسلمين خرقاً ليس بالهين رقعه .

كان ذلك من أدلة مرونة عمر في إدارته ، فيما يتعلق بتنفيذ السياسة العامة ، سياسة إقامة العدل ونشر السلام ، وبناء دولة العقيدة .

أما أدلة ممارساته لمبدأ المرونة ، في تنفيذ الأوامر الفردية ، فقد ذكر ابن الجوزي أن عمر خرج على حرسه يوماً ، فقال : « أيُكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر ؟. قالوا : كلُّنا نعرفه ـ وكان قد كلف رجلاً بمهمة إلى مصر قبل وقت ليس ببعيد ـ قال : فليذهب إليه أحدثكم سنّاً فليدعُه ـ قال : وذلك في يوم جمعة ـ فذهب إليه الرجل ، فظن الرسول أن عمر بن عبدالعزيز استبطأه ،

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٥١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٠٩ .

فقال له : لا تعجلني حتى أشد على ثيابي ، فشد عليه ثيابه . فأتى عمر ، فقال : لا روع عليك ، إن اليوم يوم الجمعة ، فلا تبرح حتى تصلي الجمعة ، وقد بعثناك لأمر عجلة من أمر المسلمين ، فلا يحملنك استعجالنا إياك أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ...»[١] . فأبدى عمر في هذا الموقف مرونة في التنفيذ ، رغم أنه أرسل مندوبه لأمر يهم المسلمين إنجازه على عجل .

وللتأكيد على تطبيق عمر لهذا المبدأ ، حتى مع العمال والولاة ، نذكر موقفاً آخر من المواقف التي عبر فيها عن قدر كبير من المرونة ، فقد استدعى عامله على خراسان ذات مرة ، إثر سماعه أنباء تشير إلى عدم التزام ذلك العامل العدل الكامل مع أهالي خراسان . فما كان من العامل إلا أن أسرع بالمغادرة إلى الخليفة تنفيذاً لأمره . وعندما وصل إلى مقر الخلافة في دمشق ، ورأى الخليفة ملامح التعب والإجهاد على وجهه ، سأله : متى خرجت ؟ فقال : في شهر رمضان ، فقال له عمر : « قد صدق من وصفك بالجفاء !! هلاّ أقمت حتى تفطر . ثم تخرج »[٢] .

وفي موقف آخر ذكر ابن سعد أن ميمون بن مهران – وكان على ديوان دمشق – قال : « ففرضوا لرجل زمنٍ[٣] ، فقلت : الزمِن ينبغي أن يُحسن إليه فأما أن يأخذ فريضة رجل صحيح فلا . فشكوني إلى عمر بن عبدالعزيز ، فقالوا : إنه يتعنتنا ويشق علينا ويعسرنا . قال فكتب إليَّ : إذا أتاك هذا فلا تعنت الناس ولا تعسرهم ، ولا تشق عليهم ، فإني لا أحب ذلك »[٤] .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٦ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٠ .

(٣) الزَمِن : هو المبتلى بالعاهة ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ١٩٩) .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٨٠ .

فكان لا يحب التعنت والمشقة للرعية ، رغم أن ميموناً قد يكون على حق في عدم مساواة الرجل المريض بالرجل الصحيح في العطاء ، إلا أن عمر إنطلاقاً من مبدأ المرونة وتسهيل الأمور كتب إليه بذلك .

أما في إطار مبدأ المرونة في الحوار والتفاهم ، فقد كان الحوار الهادئ ومقارعة الحجة بالحجة أسلوبه في حواره ومناظراته[1] ، مع من كانوا ضد الدولة الأموية سواء من المعتزلة أو الخوارج أو الهاشميين أو غيرهم .

فقد حدث أن « دخل على عمر أناس من الحرورية ، فذاكروه شيئاً ، فأشار إليه بعض جلسائه أن يرعبهم ، ويتغير عليهم ، فلم يزل عمر بن عبدالعزيز يرفق بهم ، حتى أخذ عليهم ، ورضوا منه أن يرزقهم ويكسوهم ما بقي ، فخرجوا على ذلك .

فلما خرجوا ضرب عمر ركبة رجل يليه من أصحابه ، فقال : يافلان ! إذا قدرت على دواء تشفي به صاحبك ، دون الكي ، فلا تكوينه أبداً »[2] . وأبدى مرونة في كافة أساليب التعامل معهم ، وليس هؤلاء فحسب بل مع الجميع ، الولاة والعمال وأفراد الرعية على حد سواء ، ومن ذلك ما يروي أن رجلاً يدعى أبا مجلز قال لعمر : « إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموال. قال : يا أبا مجلز قلبت الأمر ، قال يا أمير المؤمنين : أهو لنا أم لك ؟. قال : بل هو لكم إذا قصر خراجكم عن أعطياتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض قال : أحمل إليكم إن شاء الله »[3] .

كما أن عمر كان يتحلى بمرونة فكرية ، متجنباً الجمود والتشدد ، فقد حدث أن أرسل عمر يزيد بن أبي مالك ، والحارث بن محمد ، ليعلما الناس

(١) سبق أن أشير إلى بعض منها ضمن المبحث الثالث من الفصل الثالث من هذا البحث .

(٢) ابن الجوزي : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧٠ .

السنة ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فقبل يزيد ، ولم يقبل الحارث ؛ وقال : ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجراً ، فذكر ذلك لعمر ، فقال : « ما نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر فينا مثل الحارث »[1] . فلم يتخذ موقفاً محدداً تجاه العالمين ، رغم اختلاف موقفهما تجاه قبول الأجر على تعليم الناس ، فأيَّد أخذ الأجر على التعليم ، وأنه لا بأس فيه ، ثم دعا الله أن يكثر من أمثال الحارث ، فاتضحت مرونته في تأييد الموقفين في آن واحد ، رغم اختلافهما .

ويأتي ذلك في إطار ما عبر عنه عن قناعته التامة ، أن مبدأ المرونة أمر مطلوب وضروري ، حتى قال : « ما يسرني لو أن أصحاب محمد ﷺ ، لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا ، لم تكن رخصة »[2] . وقال : « ما يسرني باختلاف أصحاب النبي ﷺ ، حُمْرُ النعم »[3] .

كانت تلك أدلة على تطبيق عمر لمبدأ المرونة في إدارته ، والتي يتضح لنا منها أن تطبيق مبدأ المرونة لا ولن يكون عائقاً لتنفيذ القرارات ، وتحقيق الأهداف المرسومة ، والوصول إلى مرامي وتطلعات الإدارة والإداريين .

ذلك المبدأ الذي لم نجده مبدأ منفرداً في الإدارة الحديثة ، ضمن ما اطلعت عليه من مبادىء في الإدارة ، إلا أنني وجدته من الأمور الأساسية والمبادىء الضرورية لبعض وظائف الإدارة ، وخصوصاً التخطيط ، في حين أن عمر بن عبدالعزيز جعله أحد مبادىء إدارته التي يمكننا وصفها بأنها ناجحة .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٧ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٧٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٨١ .

عاشراً : مبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت :

الوقت في مفهومه المجرد هو شيء ثمين يتحكم في جميع أعمالنا ، ويقسمها بين العمل ـ أياً كان ـ والراحة[1] ، ولقد عني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالوقت وأهميته ، فالحياة كلها ليست إلا وقتاً ، طال أو قصر ، والدين الإسلامي بطريقة أو بأخرى قرر مسؤولية الإنسان عن الوقت .

ونحن هنا لن ينصبّ اهتمامنا على خصائص الوقت وقيمته واغتنام الفراغ[2] ، بل سنتطرق إلى ضرورة تحري واختيار الوقت المناسب للإجراءات في مجال الإدارة واتخاذ القرارات الإدارية في الوقت المناسب ، وأهمية الوقت في الإدارة والإنجاز الأول فالأول ، ثم التعرف على موقف عمر بن عبدالعزيز من الوقت ، والتدليل على تبنِّي عمر لمبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت ، كواحد من المبادىء الإدارية التي طبقها في إدارته .

لقد اهتمت الإدارة بالوقت وبخاصة الإدارة الحديثة في إطار إدارة الوقت[3] ، فإذا كان موضوع اتخاذ القرار في الإدارة قد حظي بقدر من الاهتمام ، فإن الوقت المناسب لاتخاذ القرار لا يقل أهمية عن عملية اتخاذ القرار ذاتها ، فإذا كان القرار مناسباً وصحيحاً وبدرجة عالية من الملاءمة ، ولكن لم يصاحب ذلك توقيتٌ سليمٌ ، فإن الفشل قد يكون حليف هذا القرار .

---

(١) محمد عبدالله البرعي وعدنان عابدين : الإدارة في التراث الإسلامي مع حكم وأمثال للمسئولين ورجال الأعمال ، جدة ، مكتبة الخدمات الحديثة ، ١٤٠٨ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ .

(٢) للتوسع في هذا الجانب انظر (يوسف القرضاوي : الوقت في حياة المسلم ، دار الصحوة ، بدون مكان وتاريخ نشر) .

(٣) للتعرف على اهتمام الإدارة الحديثة بإدارة الوقت ، انظر (النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣) .

لذا فإن فاعلية القائد أو المدير تعتمد على قدرته في تحليل وتقدير الوقت ، وتحرِّي الوقت المناسب ، وأولويات العمل ، وكما يقول « دركر » : « القائد الذي لا يستطيع إدارة وقته لا يستطيع إدارة شيء آخر »(١) ، ولا يقتصر مفهوم إدارة الوقت من حيث الأهميةُ وضرورةُ المراعاة على الإداري ، بل يشمل كل عامل سواء كان إدارياً أم غيره ، ويشمل العمل المحدود ووقته الخاص . وإذا كان ذلك مما يهم الإداري أياً كان ، فإن الإداري المسلم في إطار اهتمام الدين الإسلامي ، وما ورد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى مسؤولية المسلم عن الوقت ، وأمرت بالعناية به ، أولى بالحرص على تنظيم الوقت ، ومراعاة خصائص الوقت وأهميتها له .

ذلك ما أدركه الخليفة عمر بن عبدالعزيز يقيناً، مما يجعلنا نستطيع القول: إن مبدأ تحري ومراعاة الوقت ، كان واحداً من مبادىء إدارته ، حيث يمكننا القول : إن تطبيق عمر بن عبدالعزيز لهذا المبدأ أخذ اتجاهين رئيسين ، أولهما : اغتنام الوقت ، سواء في فعل الطاعات ، أم سرعة اتخاذ الإجراءات الإدارية ، وتلافي التأخير وأسبابه .

والثاني : مراعاة الوقت من حيث ملاءمته للإجراء الإداري ، وتحري الأوقات المناسبة لاتخاذ القرار ، أو الإعلان عنه .

وإليك الشواهد والأدلة على ذلك :

لقد كان أول مؤشر على إدراك عمر لأهمية الوقت ، وأنه لا فراغ لديه ، حين آل إليه أمر الخلافة، وأن المسؤولية تتطلب تكريس الجهود ، واغتنام الوقت ، والتفرغ لمقتضيات هذا المطلب العظيم ؛ « أنه خير امرأته ، بين أن تقيم معه على

(١) كنعان : القيادة الإدارية ، ص ٤٠٢ .

أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ... ثم اختارت مقامها معه على كل حال »[١] .

ولعل تخيير عمر لزوجته بين البقاء معه وبين أن تلحق بأهلها ، يأتي في إطار استشعار عظم المسؤولية ، والخوف والفرق من حق الرعية يوم الحساب ، إذ لا يستطيع أن يكون كما هو عليه حاله قبل توليه أمر خلافة المسلمين ، فتعذره زوجته عن كثير من الوقت الذي يرى عمر أن حالة الأمة أشد ما تكون بحاجة إليه ، إذ لا يخفى على عمر ما شرع الله للأزواج من حق في الإسلام .

ثم خير جواريه ، إذ رُوي أنه قال لهن : « قد نزل بي أمر ، قد شغلنا عنكن ، فمن أحب أن أعتقه أعتقته ، ومن أمسكته لم يكن مني إليه شيء ، فبكين يأساً منه »[٢] . وكذلك الأمر بالنسبة لأصدقائه وجلسائه ، فقد روى ابن سعد أنه « قال رجل لعمر بن عبدالعزيز : لو تفرغت لنا ، فقال عمر : وأين الفراغ ؟ . قد ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله »[٣] .

وذكر ابن كثير أن رجلاً قال لعمر : « تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشد يقول :

قد جاء شغل شاغل ... وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغ فلا فرا ... غ لنا إلى يوم القيامة »[٤]

وفيما سبق دلالة على أن عمر عزم على اغتنام الوقت ، فيما يخدم مصلحة الأمة ، وأن ذلك أولى من غيره ، حتى وصل به الأمر أن يستقطع من وقته الخاص مع زوجته وجواريه .

---

(١) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٠ ، ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ . ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٩٧ .

(٤) ابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٠ .

فكان يقضي جُلّ وقته ، إن لم يكن كله ، في تسيير أمور الدولة ، أو في عمل فيه مصلحة للأمة ، أو في أداء حق الله من العبادة ، ولو كان لنا أن نأخذ مثالاً ، ـ كما ذكر ذلك ابن الجوزي ـ كيف كان يقضي ليلته كجزء من وقته ، فقد كان يقضي ليلته في الصلاة والمناجاة ، وكان لا يكلم أحداً بعد أن يوتر[1] .

وفي إطار اغتنام الوقت ، نسب إلى عمر قولُه : « إن الليل والنهار يعملان فيك ـ أي في الإنسان ـ فاعمل فيهما »[2] .

أما اغتنام الوقت في الأعمال الصالحة ، فأورد ابن الجوزي ذِكْر ذلك ، إذ قال : « كان عمر بن عبدالعزيز قلَّما يدع يوماً يقرأ في المصحف بالغداة فلا يطيل »[3] .

أما من حيث اغتنامُ الوقت في سرعة التوجيه، والبتُّ السريع في الأمور ، واتخاذ القرارات الإدارية ، وتلافي كل ما من شأنه تأخير عمل أو مصلحة ، فإن أهم الأدلة على ذلك ما كان منه من سرعة إجراء لإصدار ثلاثة قرارات ، تحدث عنها ابن عبدالحكم ورواها قائلاً : « .. فلما دفن سليمان ـ وكان دفنه عقب صلاة المغرب ـ دعا عمر بدواة وقرطاس ، فكتب ثلاثة كتب ، لم يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل أن يؤخرها ، فأمضاها من فوره ، فأخذ الناس في كتابته إياها هنالك في هَمْزِهِ يقولون : ما هذه العجلة ؟. أما كان يصبر إلى أنْ يرجع إلى منزله ؟. هذا حب السلطان . هذا الذي يكره ما دخل فيه . ولم يكن بعمر عجلة ، ولا محبة لما صار إليه ، ولكنه حاسب نفسه ، ورأى أن تأخير ذلك لا يسعه »[4] .

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
(٢) البرعي وعابدين : الإدارة في التراث الإسلامي ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ .
(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١٢ .
(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣١ ، ٣٢ .

وكان الكتاب الأول عن أمر لا يمسه هو شخصياً في شيء ، بقدر ما يمس المسلمين المجاهدين في القسطنطينية ، بعد الذي أصابهم من الجوع والضنك ، وأشتد بهم الأمر أمام عدوهم « فكتب بقَفْل مسلمة بن عبدالملك من القسطنطينية ، وقد كان سليمان أغزاه إياها براً وبحراً ، وأشفى على فتحها ، ثم خُدع عنها ، حتى أحرزوا طعامهم وحوائجهم ، ثم أغلقوها دونه بعد الإشفاء عليها ، فبلغ ذلك سليمان ، فغضب مما فعل به ، فحلف أنه لا يقفله منها ما دام حياً ، فاشتدّ عليهم المقام ، وجاعوا حى أكلوا الدواب من الجهد والجوع ، حتى يتنحى الرجل عن دابته فتقطع بالسيوف ، فبلغ رأس الدابة كذا وكذا درهماً ، ولجّ سليمان في أمرهم . فكان ذلك يغم عمر ، فلما ولي رأى أنه لا يسعه فيما بينه وبين الله عز وجل، أن يلي شيئاً من أمور المسلمين ، ثم يؤخر قفلهم ساعة ، فذلك الذي حمله على تعجيل الكتاب »[١] .

حقاً .. إن الحال الذي كان عليه مجاهدوا القسطنطينية لا يحتمل التأخير في قرار عودتهم على الإطلاق ، فكان الإجراء المناسب في الوقت المناسب ، ومثله الكتابان الثاني والثالث ، إذ كتبهما ليكفّ عن المسلمين في مصر وإفريقية شراً أحدق بهم ، ولكنه هذه المرة ليس من أعداء ، بل من مسلمين ، والأشد من ذلك أنهم ولاة الأمر .

« فكتب بعزل أسامة بن زيد التنوخي ، وكان على خراج مصر ، وأمر به أن يحبس في كل جُند سنة ، ويقيّد ويُحل عن القيد عند كل صلاة ، ثم يرد في القيد ، وكان غاشماً ـ يعني أسامة ـ ظلوماً معتدياً في العقوبات ، بغير ما أنزل الله عز وجل ، يقطع الأيدى في خلاف ما يؤمر به ، ويشق أجواف الدواب فيدخل القطاع[٢] ويطرحهم للتماسيح .. »[٣] .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٢ .

(٢) القطاع في اللغة : صرام النخل ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٢٧٩) ويبدو أن المقصود بالقطاع هنا الأطراف المقطوعة ، إذ توضع في أجواف الدواب وتطرح .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٢ .

كما « كتب بعزل يزيد بن أبي مسلم عن إفريقية ، وكان عامل سوء يُظهر التألُّه[1] والنفاذ لكل ما أمر به السلطان مما جلَّ أو صغُر من السيرة بالجور والمخالفة للحق ، وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح ، ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون ، وهو يقول : « سبحان الله والحمد لله شُدَّ يا غلام موضع كذا وكذا ، لبعض مواضع العذاب وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر ، شدَّ يا غلام موضع كذا وكذا ، فكانت حالته تلك شرَّ الحالات ، فكتب بعزله ، فهذا سبب الثلاثة ـ أي الكتب ـ التي عجل بها »[2] .

ومما يدل أيضاً على حرصه على عدم تأخير الأعمال وتراكمها ، من يوم إلى يوم ، أن رجلاً قال : « قلت لعمر بن عبدالعزيز ، للذي رأيته فيه : يا أمير المؤمنين ؛ لو تروحت وركبت . قال : كيف لي بعمل ذلك اليوم ؟ قلت : يكون في اليوم الذي يليه ؟ قال : حسبي عملُ يوم في يومه ، فكيف بعمل يومين في يوم ... »[3] .

أما فيما يتعلق بمراعاة الوقت ، من حيث ملاءمته للإجراء الإداري ، فإنه بقدر ما في الكتب الثلاثة ، التي سبق ذكرها من دلالة على حرص عمر على عدم تأخير ما فيه مصلحة للرعية ، فإن فيها كذلك دلالةً على حسن اختيار وقت الإجراء ، إذ فيها ما يوحي بأن ذلك سيكون دأبَ عمر، وأن الأمر من رأيه هو. ولم يكن برأي غيره، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، فإن الوقت مناسب لذلك ، لما تتطلبه إدارة عمر من الأخذ بالأصلح للمسلمين واختيار الأصلح من العمال ، غير أولئك ، ليكونوا من عناصر الإدارة الجديدة .

(١) التأله في اللغة : بمعنى التنسك والتعبد (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٤٦٩) ، ويبدو أن المقصود : يظهر كثرة التقرب والموالاة للسلطان ، وما يأمر به إلى درجة كبيرة مبالغ فيها .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٢٥ .

كما أن فيما قام به من إجراءات ، لرد المظالم إلى أصحابها أيضاً ، دلالةً على ذلك، وتلك الإجراءات أكثر من أن تحصى ، إلا أننا نذكر « أن رجلاً من أهل أذربيجان ، أتى عمر بن عبدالعزيز ، فقام بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اذكر بمقامي هذا مقاماً ، لا يشغل اللهَ عنك فيه كثرةُ من يخاصم من الخلائق ، يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذنب . قال : فبكي بكاءً شديداً ، ثم قال : ويحك ، اردد عليَّ كلامك هذا ، فجعل يردده عليه ، وعمر يبكي وينتحب . ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : إن عامل أذربيجان عدا علي فأخذ مني اثني عشر ألف درهم . فجعلها في بيت مال المسلمين . فقال عمر : اكتبوا له الساعة ، إلى عاملها حتى يرده إليه ـ أو عليه ـ »(١) .

فأدرك عمر أن كلما طال وقت ظلامة الرجل كلما طال وقت مسؤوليته عنها ، وأنه قد يأثم على ذلك ، وكذلك ما قد يكون الرجل فيه من الحاجة إلى المال ، فأصدر أمره في الساعة ذاتها .

أما من ناحية اهتمام عمر بالوقت من حيث اختيارُ الوقت المناسب لإعلان التوجيهات أو القرارات الإدارية ، وسهولة إبلاغها ، فكان حين يستخدم البلاغة لإبلاغ الناس ، يراعي الوقت الأكثر ملاءمة ، سواء من حيث كثرة المجتمعين ، أم من حيث قدسية المكان وحرمته ، وبالتالي زيادة الاهتمام بما يكون فيه ، ألا وهو الموسم السنوي ، موسم الحج إلى بيت الله الحرام ، فقد كان يتحرى وقت الحج ليخطب في المسلمين ، أو يكتب إلى المسلمين في يوم حجهم الأكبر بما يراه على قدر كبير من الأهمية من أمورهم ، إذ يتحقق باختيار ذلك الوقت المناسب أمرين ، أحدهما : نشر التوجيه أو القرار أو الإجراء في أكبر عدد من المسلمين ، من كل بلد من بلدانهم ، والثاني : سرعة الانتشار الذي يحققها إعلان القرار أو التوجيه في هذا الجمع في ذلك الوقت .

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

ومن ذلك كتابه إلى أهل الموسم[1] ، الذي أعلن فيه البراءة من ظلم من ظلمهم ، وأنه معول كل مظلوم ، وأنه لا طاعة عليهم لعامل رغب عن الحق ، وغير ذلك من الأمور التي تهم الراعي والرعية .

كان ذلك بعضَ ما رأيناه دليلاً علـى تطبيق عمر لمبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت ، حيث لم يقتصر عمر في إدارته للوقت على اغتنام الوقت وإدراك أهميته ، بل كانت إدارة كاملة لكل مقتضيات اغتنام الوقت ، وكل ما يتعلق به من ضرورة سرعة اتخاذ القرارات ، والتوجيه في الأوقات المناسبة ، والمبادأة والعمل على تلافي التأخير وأسبابه ودوافعه ، وما ينجم عن ذلك من تأثيرات عامة كانت أو خاصة ، والحرص على ما ينبغي للإداري المسلم أن يحرص عليه من الإيجابيات المتعددة للوقت ، فالوقت من ذهب .

أحد عشر : مبدأ تقسيم العمل :

إن من طبيعة البشر عدمٌ القدرة على الإحاطة بكل شيء ، فذلك ليس إلا لله سبحانه وتعالى ، ومبدأ تقسيم العمل أمر يتبع طبيعة الإنسان ، قبل أن يكون مبدأ من مبادىء الإدارة قديماً أو حديثاً ، إلا أن الدقة في تقسيم العمل ، والتقسيم بشكل يخضع لوضع معين ومقصود ، تتفاوت فيه القدرات من قائد لآخر ، ومن إداري إلى آخر .

وإذا كانت الإدارة الحديثة قد أولت موضوع تقسيم العمل قدراً كبيراً من الأهمية ، فإن مما يجب أن لا نُغْفِله أن عمر بن عبدالعزيز قد سبق في إدراك هذا المبدأ فكراً وتطبيقاً ، فذلك ما سنأتي عليه بشيء من الإيضاح .

أما في إطار ما لقي مبدأ تقسيم العمل في الإدارة الحديثة من الاهتمام ، فإن من أوضح تلك الاهتمامات أن جعله « تايلور » رابع مبادئه الإدارية[2] ،

(١) انظر نص الكتاب ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٠ .

(٢) تايلور : مبادىء الإدارة العامة ، ميريل : المأثورات في الإدارة ، ص ١٠٨ .

وكذلك « هنري فايلول » إذ جاء هذا المبدأ على رأس مبادئه الإدارية الأربعة عشر[1] ، وقال : إنه يستند التخصص إلى النظام الطبيعي ، وهو يلاحظ في عالم الحيوان ، وأن الهدف من تقسيم العمل هو زيادة الإنتاج ، وإتقان العمل ، وتخفيض عدد الأشياء التي يجب أن يوجه إليها الاهتمام والمجهود ، وأخيراً يعد أفضل وسيلة للاستفادة من الأفراد والجماعات[2] .

ثم توالت اهتمامات الإدارة الحديثة وعلمائها بهذا المبدأ في إطار الاهتمام الذي لقيه المبدأ من « تايلور » و« فايول » بما يتطلبه من تفصيلات .

إلا أنه من الجدير ذكره أن الفكر الإداري الإسلامي قد تطرق بالتفصيل إلى مبدأ تقسيم العمل . إذ نقتصر في الحديث عن هذا الموضوع على إيضاح أن هناك ثلاث سلطات تهتم بسير العمل في الدولة الإسلامية ، وهي[3] :

السلطة التشريعية : لوضع النظم والتشريعات الخيرة للأمة .

والسلطة القضائية : لرفع ميزان العدل والعمل به بين الناس دون تفرقة .

والسلطة التنفيذية : لتنفيذ النظم والأحكام وتطبيقها على الجميع .

فكانت كل سلطة تمارس أعمالاً تختص بها في اطار تعاليم الدين الإسلامي وتشريعاته .

كما عرف الفكر الإداري الإسلامي[4] تقسيماً للعمل تبعاً لنوع المسئولية والأعمال المنوطة بذلك القسم ، مثل الولايات ، كولاية الأقاليم ، والحج ، والصدقات وغيرها ، وكذلك الدواوين وأقسامها والوزارة وأقسامها .

(١) فايول : المبادىء العامة للإدارة ، المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٢) فايول : المرجع السابق ، ص٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٣) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ١٨٢ .

(٤) لمزيد من المعلومات في هذا الجانب انظر الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مرجع سابق.

وبعد هذا العرض السريع والمختصر عن مبدأ تقسيم العمل قديماً وحديثاً، يجدر بنا أن نعود إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز لنلقى الضوء على ما كان من تطبيقه لمبدأ تقسيم العمل ، لنتلمس كيف أدرك أهميته ، وكيف أحس بحسه الإداري المرهف أنه لابد من تطبيق هذا المبدأ لمن يريد أن يكون النجاح حليفاً له في إدارته بعون الله .

فلقد كان عمر بن عبدالعزيز فيما أعرف ، أول من أشار صراحة وبجلي العبارة إلى مبدأ تقسيم العمل ، ومهام المسؤولية للدولة ، فقد قال في كتاب كتبه إلى عقبة بن زرعة الطائي ، بعد أن ولاه خراج خراسان : « ... إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن ، والركن الرابع أنا ـ يعني الخليفة ـ ...»[1] .

لقد كان ذلك الكتاب قمة في الدقة ، وسلامة المدلول ، إذ قسم مهام سلطان الدولة إلى أقسام رئيسة ، سماها أركاناً ، يرى أنها التي تنهض ببناء السلطان ، فيقوم عليها ولا يثبت إلا بها .

وأراد بذلك أيضاً تمييز سلطان كل ركن من هذه الأركان ، وأهمية دوره في تثبيت السلطان ، فلا يذوب دور ركن في دور الآخر ، وبخاصة في الركن الرابع ، وأنه واحد من هذه الأركان وليس كلها ، كما كان حال من سبقه[2] .

فكان كتاب عمر أوضح دلالة على تبنيه لمبدأ تقسيم العمل ، وأن ذلك من مقومات ثبات السلطان واستقراره ، وذلك ــ أي تقسيم العمل ـ حتماً من مقومات نجاح الإدارة على كافة المستويات ، ولكل مجالات الإدارة ، وخصوصاً في الوقت الحاضر الذي ازدحمت فيه مدخلات الإدارة الحديثة .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٨ .

(٢) محمد عمارة : عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣٥ .

هذا من حيث التقسيم الرئيسي العام ، أما بالنسبة للتقسيم الفرعي ، فإننا ومن خلال التعرف على مجالات العمل عند ولاته وعماله وكل من كلفهم بالقيام بأية نشاطات ومسؤوليات ، وأناط إليهم أيّ عمل ، يتعلق بتسيير أمور إدارته للدولة ، سوف نستخلص بقدر ما نستطيع ، تلك التقسيمات والمجالات الفرعية ، لنتعرف على تقسيم عمر لمهام ومسؤوليات إدارته ، لتكون بمثابة الدليل على تطبيقه لهذا المبدأ .

فبالإضافة إلى الأركان الرئيسة لإدارته ، وهي : الولاية ، ويمثلها الوالي للإقليم، والقضاء ، ويمثلها القاضي ، ومالية الدولة ، ويمثلها رجل أو صاحب بيت المال ، والرابع رجل الدولة أو الخليفة ، ويمثلها أمير المؤمنين ، كانت هناك تقسيماتٌ فرعية سنورد فيما يلي أبرزها وأمثلة على من تولى تلك التقسيمات لعمر[1] :

كان من أبرز تقسيمات عمر الفرعية لمهام الدولة ، ما يتعلق بإمارة الجهاد فقد كان منصور بن غالب على ولاية الحرب[2]، وعلى الصائفة كل من الوليد بن هشام ، وعمرو بن قيس السكوني[3] .

وقسم آخر ، وهو ما يتعلق بالأمن الداخلي ، إذ استعمل عمر يزيد بن بشر الكلبي على الشرطة[4] ، وولى الحرس عمر بن مهاجر بن أبى مسلم

---

(١) لا نقصد بذلك حصراً لعمال عمر وولاته وقضاته ومن ولاهم أمراً من أمور المسلمين ، بل المراد هنا التدليل فقط . للتوسع في معرفة عمال عمر وولاته انظر (خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٣٢٢ وما بعدها) و (زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٢٦٩ وما بعدها) .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧١ .

(٣) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ص ٣٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

الأنصاري ، وحاجبه حبيش مولاه[1]، وأنشأ نقاط العبور وولّى عليها ، مثل جواز مصر، وكان عليها عمر بن رزيق الأيلي ، وهي ما يعرف الآن بنقاط الجمارك[2].

وقسم ثالث يختص بالكتابة (الكتّاب) ، ومنهم ليث بن أبي رقية أم الحكم بنت أبي سفيان[3] ، والخاتم ، وعليه نعيم بن سلامة[4] .

وهناك قسم يتولى متابعة الشؤون المالية ، وله تفريعات ، منها الخراج ، ومن ولاته على الخراج عقبة بن زرعة الطائي[5] ، والصدقات إذ وليها لعمر عبدالله بن عبدالرحمن بن عتبه القرشي[6] . وهناك دار للضرب (سك العملة) ، وهي تمثل « مؤسسة النقد » في الوقت الراهن ، وليها لعمر علي بن أبي حملة القرشي[7] ، وكذلك الخراج المركزي ، وكان عليه صالح بن جبير الغداني[8] .

أما في مجال التعليم والتثقيف[9] ، فقد أنشأ عمر مجالس التعليم الدائمة في المساجد ، وكلف من يقوم بالتفقيه والتعليم المتنقل في البادية ، كما كلف أناساً بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأقام دور الإفتاء ، إذ جعل الفتيا في مصر إلى ثلاثة فقهاء[10] .

(١) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ص ٣٢٥ .

(٢) زكريا : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٢ .

(٣) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ص ٣٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦٨ .

(٦) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) : أمراء دمشق في الإسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، بيروت ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٥ م ، ص ٤٨ .

(٧) زكريا : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٩٥ .

(٨) ابن خياط : تاريخ خليفة ، ص ٣٢٤ .

(٩) للتعرف على دور عمر بن عبدالعزيز في مجال التربية والتعليم والثقيف أرجع إلى المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا المبحث .

(١٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٩٣ .

إضافة إلى ما سبق ، فقد كان هناك ولايات أخرى ، مثل ولاية الصلاة ، وولاية الحج وتسيير أموره ، والبريد ، وغير ذلك مما لم يسعفنا المقام بالإحاطة والتفصيل له ، خشية الإطالة والخروج عن هدف المبحث .

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال ، أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز عندما يرى كفاءة وأمانة وعلم بعض ولاته أو عماله ، فانه يسند إليهم مهام أخرى ، إضافة إلى أعمالهم الرئيسة . ومثال ذلك ما أسند إلى واليه على خراسان عبدالرحمن بن نعيم من ولاية للصلاة والحرب[١] ، وكذلك بعض الولاة أسند إليهم القضاء . مثل عدي بن عدي بن عميرة الكندي واليه على الجزيرة[٢] ، إذ ضم إليه القضاء فيها . ومن جهة أخرى كان عمر يجعل لولاة الأقاليم الكبرى والمهمة أعواناً ، فقد أعان عمر واليه على الكوفة ، بأبي الزناد عبدالله بن ذكوان القرشي كاتباً[٣] .

كان ذلك بعض ما تحدثت به المراجع عن ولاة وعمال ومسؤولين حملهم عمر أمانة العمل معه، في ميدان إنجازه الإداري ، والذي استخلصنا من ذلك ، التقسيمات الرئيسة وبعض التقسيمات الفرعية للعمل ـ نقصد بالعمل إدارة الدولة ـ في إطار تطبيقه لمبدأ تقسيم العمل ، الذي تحدثت عنه الإدارة الحديثة باهتمام ، إذ كان لعمر قصبُ السبق في الإشارة ، والتطبيق لهذا المبدأ ، ذلك التطبيق الذي كان مجالاً واسعاً لممارسة عمر لمهام ووظائف الإدارة الحديثة ـ التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والرقابة ـ تلك الممارسات التي سيأتي الحديث عنها في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٦١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٨٠ .

(٣) زكريا : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٧٨ .

ثاني عشر : مبدأ الحفز والترغيب :

لقد أقر الدين الإسلامي مبدأ الترغيب ، وعلى النقيض منه الترهيب ، وقد تجلى مبدأ الحفز والترغيب في إدارة عمر واضحاً ، إذ أدرك أن حالة الدولة تتطلب تطبيق هذا المبدأ ، فهناك الكثير من عوامل الظلم والطغيان ، والمناهضة للدولة ، والأمور التي لن تستقيم في ظل الترهيب .

ولقد اهتمت الإدارة الحديثة بموضوع الحوافز والترغيب في سبيل زيادة الإنتاج وإنجاز الأعمال ، وأجريت في هذا المجال الدراسات والبحوث[1] وخصوصاً بحوث ودراسات علماء النفس ، نظراً لارتباط هذا المبدأ بطبيعة النفس البشرية وتطلُّعها إلى تحقيق رغباتها واحتياجاتها المتدرجة الأساسية إلى الحاجات الأقل أهمية ، كما في سلم الحاجات الإنسانية عند « ماسلو » .

ومن الجدير بالذكر أن اهتمام الإدارة الحديثة بقضية الحفز والترغيب ، جاء في معظم الأحوال ضمن إحدى وظائف الإدارة الأربع، ألا وهي التوجيه[2]، إلا أن عمر بن عبدالعزيز قد جعل الحفز والترغيب أحد مبادىء إدارته على الإطلاق، وذلك لإدراكه ما عليه الدولة من بعض عوامل الظلم والفساد الإداري ، وضرورة العمل على الإصلاح ، فلم يقتصر عمر في استخدام مبدأ الحفز والترغيب في وقت التوجيه ، بل جعله أمراً قائماً طوال ممارساته الإدارية ، حتى ميزه شيخ الإسلام ابن تيمية بهذه الطريقة إذ قال : « لا تصبر النفوس على المر إلا بنوع من الحلو ، وهي طريقة عمر بن عبدالعزيز »[3] .

(١) انظر علاقي : الإدارة ، ص ٥٤٩ وما بعدها .

(٢) الهواري : الإدارة ، ص ٣٠١ .

(٣) ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جـ ٣٧ ، ص ٤٨٨ ، هكذا وردت العبارة في المصدر (الجزء السابع والثلاثون صفحة ٤٨٨) ، وهو جزء فهارس عامة ، ولم أجد النص كاملاً في الجزء والصفحة التي تشير الفهارس إلى وجوده فيها ، حيث لم أجد سوى عبارة « لا تصبر النفوس على المر إلا بنوع من الحلو » ولا أدري هل هو خطأ في التصحيف ، أم سقط الجزء الباقي من النص عند الطبع ، أم أن الجامع للفتاوى أضاف عبارة « وهي طريقة عمر بن عبدالعزيز » ، إلى النص حسبما يراه .

ومما يذكر أن عالم الإدارة « هنري فايول » جعل موضوع المكافآت والحوافز ضمن مبدأ الأجر ، المبدأ السابع من مبادئه الأربعة عشر[1] ، إلا أنه جعل تطبيقه لهذا المبدأ في نطاق ضيق ، يقتصر على رفع الناحية الإنتاجية وتحقيق الأرباح[2]، أما تطبيق عمر لهذا المبدأ فقد جاء في إطار الإصلاح العام، والعون على درء الفساد الإداري ، وتحقيق مقومات النجاح في إدارته .

ونورد هنا بعض المواقف والإجراءات التي نستدل بها ، ونتعرف عن طريقها على تطبيق عمر لهذا المبدأ ، وكيف كان ذلك ؟. ذلك التطبيق الذي شمل جميع مجالات العمل والإنجاز في جميع أنحاء الدولة الإسلامية .

لقد أقر عمر بهذا المبدأ ، وأعلن العمل به في أكبر مؤتمر يجتمع فيه المسلمون ، ألا وهو موسم الحج ، فقد روى ابن عبدالحكم وغيره من المؤرخين أن عمر كتب إلى أهل الموسم : « أما بعد : فأيما رجل قدم علينا في ردّ مظلمة، أو أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً ، من أمر الدين ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار، بقدر ما يرى من الحسبة وبُعد الشُقة، رحم الله امرءاً لم يتكاءده[3] بعد سفر ، لعل الله يحيي به حقًا ، أو يميت به باطلاً ، أو يفتح به من ورائه خيراً ... »[4] .

فأقر في كتابه لأهل الموسم مكافأة مالية ثابتة إن لم تزيد ، وأخرى معنوية إذ دعا الله بالرحمة لمن لم يشق عليه السفر في سبيل ذلك . ثم أوضح مسوغات ذلك الإجراء ودوافعه إليه ، والمردود الذي تجنيه الأمة من ذلك العمل ، من إحياء

(١) فايول : المبادىء العامة للإدارة ، تحرير ميريل : المأثورات في الإدارة ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٣) يتكاءده : الأمر : يشق عليه ويصعب (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٣٧٤) والمقصود هنا لم يُعِقْه بُعد السفر من أن يَقدم إلى الخليفة عمر في أمر إصلاح .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٧ .

حق ، أو إماتة باطل ، أو فتح باب خير ، وذلك كله من أهم ما يحتاج إليه المجتمع المسلم .

كما جعل من شروط صحبته أن يدله من يريد صحبته على الخير والعدل مما لم يهتدِ إليه ، فرغب الناس في صحبته ، ورغبهم في أن يدلوه على الخير بأن لهم صحبته ، إذ قال : « ... ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس : يوصل إلينا حاجة من لا تصل إلينا حاجته ، ويدلنا من العدل إلى ما لا نهتدي إليه ... ومن لم يفعل ذلك فهو في حَرَج من صحبتنا والدخول علينا »[1] .

أما بالنسبة للعلم وأهله ، فقد جعل لهم الحوافز والمكافآت ، ومن ذلك ما كتب به إلى والي حمص إذ قال : « انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، فحبسوها في المساجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار ، يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ... »[2] .

كما أعطى المعلمين أجوراً ومكافآت . منهم من قبل ومنهم من لم يقبل ، أمثال يزيد بن أبي مالك ، والحارث بن محمد[3] .

وكان يغدق على عماله من الأرزاق ، إذ كان يعطي العامل منهم ثلاثمائة دينار[4] ، ولم يكن هذا غاية أجر العامل عنده ، بل كان يرتفع عن ذلك كثيراً حتى بلغ ألف ألف درهم في العام الواحد[5] .

كما رغّب الناس في الاتجار وابتغاء فضل الله ، فأتاح لهم أن يبتغوا ويتجروا بأموالهم في البر والبحر ، وفتح لهم حرية الهجرة[6] ، ورغّب الناس

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٤ .
(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١١٥ .
(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ١٣٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٥) الأهل : الخليفة الزاهد ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٦) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٧٨ .

أيضاً في الزراعة واستصلاح الأرض وإحياء الأراضي البور ، إذ أخذ بمبدأ من أحيا أرضاً ميتة فهي له ، فقد حدث أن « قوماً من الأعراب خاصموا إلى عمر بن عبدالعزيز قوماً من بني مروان ، في أرض كانت الأعراب أحيوها ، فأخذها الوليد بن عبدالملك فأعطاها بعض أهله ، فقال عمر بن عبدالعزيز : قال رسول الله ﷺ : البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، من أحيا أرضاً ميتاً فهي له فردها على الأعراب »[1] .

وقال أيضاً في شأن الزراعة والمزارع : « ونرى أن تُردَّ المزارع لما جعلت له ، فإنما جعلت لأرزاق المسلمين عامة ، فإن أمر العامة هو أفضل للنفع ، وأعظم للبركة »[2] .

وبهذا جعل حافزاً للمسلمين لاستصلاح الأراضي والاستثمار الزراعي والتجاري الذي لا ينكر أحد مردوده على الرعية .

أما فيما يتعلق باعتناق الدين الصحيح ، والدخول في الإسلام ، فقد رغَّب فيه بأن جعل لمن يعتنق الإسلام من أهل الذمة ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، وساوى بينهم[3] ، كما أكد على عماله تأكيداً لا يقبل المساومة ، أن يضعوا الجزية عمن أسلم ، وليس عليه في حالة إسلامه إلا الصدقة ، ومن ذلك ما كتبه إلى عدي بن أرطاة بعد أن تلقى كتاباً منه ، كأنه يستأذنه فيه في أخذ الجزية ممن أسلم من الموالي وأهل الذمة ، إذ قال عدي في كتابه لعمر « أما بعد : فإن الناس قد كثروا في الإسلام ، وخفت أن يقل الخراج . فكتب إليه عمر : فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلَّهم أسلموا ، حتى نكون أنا وأنت حرَّاثين نأكل من كسب أيدينا »[4] . وعما قام به عمر من الترغيب للدخول في الإسلام

(١) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٢٧٤ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٨٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٩ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢٠ .

والدعوة إليه ، يقول سيد الأهل :

« وكأنما عاد في مدته حق المؤلفة قلوبهم ، بعد أن منعه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فكان ذلك سبباً في الإقبال على الدين ، في حركة منظمة ملؤها الحماسة في نشر الدعوة وقبولها . ورأت الشعوب المختلفة من الخليفة وعماله ضروباً من الإغراء والتحبيب ، حتى أن عمر لم يألُ جهده في الهبات لتأليف القلوب ، حتى أنهم ليقولون إنه أعطي بطريقاً نصرانياً يتألفه بالعطاء ألف دينار . ومع أن المسلمين حديثاً لم يكونوا يعفون من ضريبة العشر ، فقد لقي عمر بن عبدالعزيز نجاحاً رائعاً في إتمام ما قام به جده عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، فبادرت جموع هائلة إلى الدخول في زمرة المسلمين ، وكان الإعفاء من الجزية وإبقاء الأرض في أيدي أهل الذمة ومعاملتهم بالحسنى – كل أولئك كانت عوامل دافعة إلى الدخول في دين الله أفواجاً »[1] .

إضافة إلى ما سبق ، فقد كان عمر يُرغِّب أيضاً في الطاعات والأعمال الصالحة ، ويُذكِّر الناس مسؤولياتهم أمام خالقهم ، متَّبعاً في ذلك النُّصح والنظرة الإرشادية، فقد صعد المنبر ذات يوم فقال: « أيها الناس: اتقوا الله؛ فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس لتقوى الله خلف . يا أيها الناس ؛ اتقوا الله ، وأطيعوا من أطاع الله عز وجل ، ولا تطيعوا من عصى الله عز وجل »[2] .

إذ رغب الناس في مقولته هذه في تقوى الله ، بأنها خلف من كل شيء ، وأنه لا خلف لمن لم يتق الله ، وذلك من أعظم فوائد التقوى ، بعد إرضاء الله عز وجل . فكان في هذا الموقف وغيره ناصحاً وواعظاً ، وما وعظ به ونصح أكثر من أن نحصيه .

(١) عبدالعزيز الأهل : الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٣٦ .

هكذا كان عمر فيما يتعلق بالحفز والترغيب لكافة الأعمال ، وفي كافة المجالات من طاعات وعون على الخير ، ودعوة للإسلام ، وابتغاء فضل الله فيما خلق وغير ذلك من الوجوه التي تتطلب مبدأ الحفز والترغيب ، ليتحقق لإدارته ما رسم لها بعون من الله .

كان هذا ما يسر الله استخلاصه من مبادىء إدارية ، رأينا أن عمر بن عبدالعزيز الخليفة العادل طبقها في إدارته ، لتكون إلى جانب الصفات القيادية ، التي سبق الحديث عنها في الفصل السابق ، النموذج الإداري الذي تبنَّاه عمر وطبقه إبَّان خلافته الزاهرة والذي سعينا لإبرازه بتوفيق الله . وسيكون الحديث في المبحث القادم ـ إن شاء الله ـ عن تطبيقات هذه المبادىء ، في إدارتنا الحاضرة ، وبخاصة الإدارة التربوية .

المبحث الثالث

تطبيقات المبادىء الإدارية عند عمر
في الإدارة ، وبخاصة الإدارة التربوية

لقد طبق عمر مبادىء إداريةً كانت تعاليم الدين الإسلامي منطلقاً لها وموجِّهاً ، ولأن هذه المبادىء تفوح بروح الإسلام أولاً ، ولما لمسناه وعرفناه من نجاح إداري حققه عمر ـ بتوفيق من الله ـ في إدارته للدولة الإسلامية في كل المجالات وعلى كافة الأصعدة ثانياً ، فإننا في هذا المبحث ، سوف نحاول عرض المبادىء الإدارية ، والتي تمثل العنصر الثاني من نموذج إدارة عمر بن عبدالعزيز ، في صورة يمكننا تبنِّيها والعمل على تطبيقها ، بعد أن عرضنا في المبحث الثالث من الفصل السابق شيئاً من تطبيقات وتبني صفات عمر القيادية في قياداتنا ، وبخاصة القيادة التربوية ، لنأتي على شيء مما يمكن تطبيقه من النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، مقدِّماً اعتذاري عن التقصير ، وإقراري أنَّ لدى القارىء الكريم من الفهم والإدراك ما يمكنه من استنباط الكثير من التطبيقات ، وأساليب الاستفادة من هذا النموذج الرائع ، مما لم نأتِ على ذكره أو نتحدث عنه لسبب أو لآخر ، وما التوفيق إلا من عند الله .

أولاً : تطبيق مبدأ الحاكمية لله وحده :

إن الكافر قبل المسلم يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء ، وهو المدبِّر لأمر هذا الكون وما فيه ، وهو المالك لكل ما خلق ، وعند التسليم بتلك الحقائق ، فإن مما يسلم به أن الخالق عزَّ وجلَّ قد جعل القرآن الكريم دستوراً يسير على نهجه المسلمون ، ويحتكمون إليه ، في حين نرى

الدُّول شرقاً وغرباً تسعى لسن القوانين والأحكام الوضعية ، التي مهما كانت درجة إتقانها ، فإنها ستبقى قاصرة عن الإيفاء بما يصلح للبشر ، أما المسلمون فإن الله قد كفاهم مؤونة هذا العمل ، وجعل لهم دستوراً صالحاً لكل زمان ومكان ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم أمر المسلمين باتباعه ، وأكد على ذلك نبي الهدى عليه الصلاة والسلام ، لذا فإن تطبيق مبدأ الحاكمية لله وحده[1] ، بادىء ذي بدء أمر تعبدي ، أقرته شهادة أنه لا إله إلا الله ، التي تعني في مدلولها أنه لا خالق ، ولا رازق ، ولا محيي ، ولا مميت ، ولا نافع ، ولا ضارٌ إلا الله ، كما تعنى أيضاً أنه لا مشرِّع ولا محلِّل ولا محرِّم إلا الله ، وهذا ما يطلق عليه : الحاكمية لله[2] .

وبحكم كمال وشمولية هذا الدستور لكل جوانب الحياة ، ليس فقط أمور العبادات والحدود[3] ، بل لحكمه كل علاقات الإنسان ، بخالقه ، وبمن حوله ، وفي كل أمور الحياة ، بما فيها ما تعارفنا على تسميته بالإدارة .

فإن ذلك ما تقيَّد به عمر بن عبدالعزيز يرحمه الله ، ـ كما سبق ذكره ـ إذ جعل الحكم المطلق لله عز وجل في إدارته للدولة الإسلامية ، ولم يقتصر في تطبيقه لهذا المبدأ على جانب معين ، بل شمل كل جوانب الحياة ، السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والإدارية ، فضلاً عن النواحي التعبُّدية .

ومن المؤكد أنه لا بديل في وقتنا الحاضر عن تطبيق هذا المبدأ في أمرنا كله ، لنمتثل أمر الله أوَّلاً ، ثم نجمع شتات أمرنا ثانياً ، إلى قانون مبرأ من كل

(١) ورد كثير من الآيات القرآنية الكريمة تبين أن الحاكمية خالصة لله وحده عز وجل ، وأنه صاحب الأمر والنهي ـ سبق أن أشرنا إلى بعضها ـ كما أن أقوال الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام تقر بهذا المبدأ وتؤكده .

(٢) أبو فارس : النظام السياسي في الإسلام ، ٢٣ .

(٣) إننا نلمس أن أعداء الإسلام يريدون أن يوقعونا في فتنة اقتصار الالتزام بالدين الإسلامي على الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وأحكام الحدود الشرعية فحسب ، تاركين بقية التشريع فيما يتعلق بأمور الحياة الأخرى ، وآداب الإسلام وأحكامه في الأخلاق والمعاملات والعلاقات .

نقص أو هوى ، يوثق به ويطمئن لسلامته ، فالاحتكام إلى قانون الخالق عز وجل ، تحرير للإنسان من عبودية أخيه الإنسان .

ومن هذا المنطلق ، وفي إطار تطبيقات عمر بن عبدالعزيز لهذا المبدأ ، ينبغي أوَّلاً أن نعلن ما أعلنه عمر : أنه ليس بعد نبينا نبي ، ولا بعد كتاب الله كتاب ، وأنه ليس بقاضٍ ولكنه منفذ لله ، وليس بمبتدع ولكنه متَّبع .

فيكون إعلان عمر هذا شعار لنا ، ولقادتنا ، ولمديرينا ، وولاة الأمر فينا ، وأن ندرك هذا المفهوم شعاراً وفكراً وتطبيقاً ، وأن يفهم الأتباع والمرؤوسون ذلك ، ليعينوا على تطبيقه .

بعد ذلك نتلمس ما في إدارتنا ، سواء العليا منها أم التنفيذية ، كل على قدر مسؤوليته ، من الأوامر والتعليمات التي تخالف أمر الله في خلقه ، فنردُّها إلى ما يتفق وتعاليمَ القانون الإسلامي . ثم نخضع كل أوامرنا وإجراءاتنا الإدارية لحكم الله عز وجل ، فلا يكون هناك ما يخالف تعاليم القانون الإلهي ، وأن يحذر كل من له سلطة أن يصدر أمراً يخالف شرع الله .

ولنعزم على ذلك بصدق ، كما عزم عمر ، إذ تمنى تطبيق قانون الله حتى ولو تساقطت أعضاؤه عضواً عضواً حتى خروج نفسه ، فلله دره من منفذ لحكم الله ، ورضي عنه وأرضاه مِن باذل نفسه لله ، وجعلنا سبحانه ممن يُطبق حكمه بما يرضاه عز وجل .

ولعل من أهم التطبيقات الإدارية لهذا المبدأ في وقتنا الحاضر - الذي يتراءى لنا فيه أن إدارتنا بدأت تتنصل من أوامر قانون الله ومحيطه ، مسارعين إلى أفكار الإدارة الغربية بما تحويه من مناقضة لتعاليم القانون الإلهي - أن تأتي تطبيقاتنا للمبادئ والأسس الإدارية في نطاق ما أمر الله به ، فلنشاور كما أمر الله ، ونستعمل الأصلح كما أمر الله ، ولنسوِّي بين الناس ونعطيهم

حقوقهم وحرياتهم ، ولنحرص على ممارسة العلاقات الإنسانية كما أمر الله ، ولنهتم بالوقت كما أمر الله ، وغير ذلك من المبادىء التي يُعَدُّ تطبيقها تطبيقاً لمبدأ الحاكمية لله وحده . فهذه المبادىء والأسس الإدارية قد أمر الله بها في تشريعه لخلقه . وسيأتي الحديث عن تلك المبادىء فيما يلي من هذ المبحث .

أما في نطاق الإدارة التربوية فكذلك يجب أن تخضع كل المواد الدراسية والأساليب والأنظمة الإدارية والتربوية ، والأنشطة والممارسات الطلابية والمدرسية لتعاليم الحكم الإلهي . ونستبعد كل ما يتنافى مع تعاليم الدين من الأفكار والنظريات .

ومن المعلوم أن مجتمع الإدارة التربوية أولى بالاهتمام والحرص على تطبيق مبدأ الحاكمية لله فيه ، لتولِّيه مسؤولية إعداد وتخريج الأجيال التي تحمل على عاتقها تطبيق حكم الله في سائر مجالات الحياة مستقبلاً ، فإذا لم يكن تطبيق حكم الله من الأمور التي لمسها الناشىء وأحس بفائدتها ، أثناء إعداده وتعليمه ، فإن تطبيقه لحكم الله واقتناعه بذلك سيكون أمراً مشكوكاً فيه .

ومن أهم ما ينبغي الالتفات له في هذا المجال ، ما يتم تبنِّيه من المناهج والمواد الدراسية والنظام التعليمي الذي يفي بمتطلبات إعداد وتهيئة رجال مطبوعين بطابع الإسلام فكراً وتطبيقاً ، عقيدة ونظاماً ، يقول أبو الأعلى المودودي حول هذا الموضوع :

« ... إن منهاج التعليم والتربية الحاضر الذي وُضِعَت قواعده حسب القول الشائع : (دُرْ مع الدهر كيف دار) لا يمكن أن يكون ملائماً لطبيعة الإسلام ، وخدمة الدين القويم ، الذي يقضي على الناس ، ويفرض عليهم أن يلتزموا الطريق الذي أوضحه الله في كتابه ، وإني على مثل اليقين في نفسي من أنه لو خُوِّل المسلمون اليوم أن يؤسسوا دولة لهم في بقعة من بقاع الأرض لما استطاعوا أن يقوموا بإدارة شئونها وتسيير دفتها وفق المبادىء الإسلامية

ولا ليوم واحد ، فإنكم معشرَ المسلمين ، لم تُعدوا المعدات اللازمة ، ولا هيأتم العوامل الكافية لتنشئة رجالكم وشبابكم على الطراز المخصوص ... ولا جَرَم أن هذا التعليم الذي يلَقّنه الطلاب في الكليات والجامعات العصرية اليوم يقدر على تخريج العمال والموظفين ، بل القضاة والوزراء للحكومات القائمة على مبادئ غير مبادئ الإسلام »(1) .

والمودودي في قوله هذا، يلقي باللائمة على التربية ومناهج التعليم، وبطبيعة الحال فاللوم موجَّه إلى القائمين على تلك الأنواع من مؤسسات التعليم التي يرى وجودها في كثير من بلاد المسلمين ، فلنحرص بدورنا نحن في بلادنا الطاهرة على عدم الوقوع في طائلة ذلك الشر ، شرِّ الإعداد للإدارة والقيادة غير الإسلامية ، ونحافظ على الأنظمة والمناهج التعليمية القائمة المبنية على تعاليم ديننا الحنيف .

ولنعلم أنَّ من أهم مسؤوليات الإدارة التربوية ومن فيها من إداريين ومعلمين وأساتذة، التأكيدَ على وجوب وضرورة تطبيق هذا المبدأ في نفوس الناشئة والمتعلمين ، في شئونهم كلها ، وأن يحرصوا على تطبيق أمر الله في أيسر الأمور، وليكن حرصهم على الأمر اليسير قبل الأهم دافعاً للاهتمام بغيره.

هذا مما يجب علينا تجاه تطبيق مبدأ الحاكمية لله عزَّ وجل ، إذ ليس من العقل في شيء أن نؤمن بالإسلام ديناً وعقيدة ، ولا نؤمن به ولا نطبقه نظاماً ، فهما أمران متلازمان ، ومن مصدر واحد ، قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾(2) ، وقال سبحانه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾(3) ، وقال جل شأنه مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾(4) .

---

(1) أبو على المودودي : منهاج الإنقلاب الإسلامي ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(2) جزء من الآية ٧٨ من سورة النساء .

(3) جزء من الآية ٨٥ من سورة البقرة .

(1) جزء من الآية ١٨ من سورة الجاثية .

ثانياً : تطبيق مبدأ الشورى[1] :

إن مبدأ الشورى من المبادىء التي أقرها الإسلام وأمر بها ، فوجود سورة في كتاب الله باسم هذا المبدأ ، ووصف أهل الشورى بأنهم مؤمنون ، والأمر بالشورى في سورة أخرى ، دليل على أن الإسلام جعل مبدأ الشورى أحد قواعد الحكم والتدبير ، وعليه يمكن القول : إن العمل بالشورى يُعد أمراً حتمياً لأمور[2] ، منها :

١ ـ إنه من الظلم والإجحاف أن يدبر شخص برأيه مستقلاً أموراً مشتركةً ، ويقضي فيها بطريقته الخاصة ، بل الإنصاف يقتضي أن يؤخذ رأيُ من يتعلَّق بهم الأمر ، أو من يمثِّلهم تمثيلاً حقيقياً من ذوي الرأي والمشورة والخبرة .

٢ ـ إن الإقدام ، ومحاولة الإنسان الفصل في الأمور المشتركة وفق ما يراه ، دون اعتبار للآخرين ، صفات خلقية قبيحة ، فالمؤمن ليس بالذي يرضى لنفسه التعدِّي على حقوق الآخرين .

٣ ـ إن الفصل في مسائل وأمور تتعلق بحقوق ومصالح الآخرين مسؤولية جسيمة ، فمن يخاف الله لا يتجرأ على حمل هذه المسؤولية أمام الله ، ولا يطيق هذا العبء الثقيل بمفرده .

٤ ـ إن تطبيق هذا المبدأ أمر تعبدي وامتثال لأمر الله عز وجل .

لذا فالشورى سمة تميِّز الحياة في ظل الإسلام ، فهي أمر مطلوب في المنزل ، ومع الأسرة ، والعشيرة ، وفي المؤسسة ، والمصنع ، والإدارة ، والمدرسة ، والجامعة ، والوزارة ، وفي كل ولاية أمر .

---

(١) للتوسع والاطلاع على كل ما يتعلق بالشورى ومتطلباتها في الإسلام انظر النحوي : ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية . وانظر عبدالله أحمد قادري : الشورى .

(٢) المودودي : الحكومة الإسلامية ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ ، بتصرف ، وإضافة الأمر الرابع .

ولقد كانت الشورى من أهم المبادىء الإدارية التي تبنَّاها عمر بن عبدالعزيز في إدارته ، إذ أدرك أهميتها وضرورة تطبيقها ، فقد كان يقول : إن المشورة والمناظرة باب رحمة ، ومفتاح بركة ، لا يظل معهما رأي ، ولا يُفْقَد معهما حزم .

ولجدوى استشارات عمر وطلبه النصح من العلماء والفقهاء إبان إدارته للدولة الإسلامية ، ينبغي لنا تطبيق ذلك الأسلوب ، فنستشير ونطلب النصح وإبداء الرأي في إدارتنا في الحاضر ، ـ فنحن في أشد الحاجة لمثل ذلك لمحدودية علمنا في أمور الدين والدنيا ، فلن نبلغ مدَّ علم عمر ولا نصيفه ـ فيجب أن نسعى لاستشارة أهل التقوى والصلاح من أصحاب التخصص الدقيق، وذوي الخبرة ، ومن لهم في معترك الحياة والعمل الإداري سابق نجاح . لنستنير بآرائهم ، ونبني على أساسها ، بدلاً من التخبُّط على غير هدى .

ومن المؤكد أن الإدارة التربوية أولى المجالات الإدارية بذلك ، فيؤخذ رأي خبراء التربية وإدارتها ، وبخاصة خبراء التربية الإسلامية ، وممارسي الإدارة التعليمية من ذوي النجاح الملموس في مجتمعهم ، فينبغي لرجال الإدارة التربوية بشكل خاص تلمس آراء السابقين لهم في هذا المضمار ، والإفادة من تجاربهم وطلب النصح والإرشاد .

ولو عدنا للنظر في الكيفية التي يمكن بها تبني مبدأ الشورى وممارسته في إدارتنا الحاضرة ، فإنه من المعلوم أن الإسلام لم يحدد أسلوباً أو كيفية محددة لتطبيق الشورى ـ وذلك من محاسن الدين الإسلامي ـ إذ ترك الأمر للمسلم ، ليختار بعقله وبصيرته الأسلوب المناسب لحالته ، ولزمانه ومكانه ، وإن كان لنا من تحديد نقاط يمكن تبنِّيها ، فهي كما يلي :

١ ـ عقد النِّية أولاً على امتثال أمر الله عز وجل ، بتطبيق مبدأ الشورى في شأننا كله واحتساب الأجر عند الله عز وجل بتبني ذلك الأمر التعبدي .

٢ ـ إدراك أهمية مبدأ الشورى عن قناعة وبعد نظر .

٣ ـ تجنب المشاورة في الأمور المنصوص عليها شرعاً ، وما لا مجال فيه للاجتهاد وإبداء الرأي .

٤ ـ جعل الشورى في أهلها وفيمن هم أحق بها من أهل الدين والأمانة والتُّقَى من العلماء والفقهاء ، والمتخصصين وذوي الخبرة وأصحاب الرأي والعقول الراجحة .

٥ ـ ترغيب أهل الشورى فيما يقدمونه من نصح ، وإرشاد ، وموعظة ، ورأي راجح ، في أن لهم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة .

٦ ـ العمل على أن يكون تطبيق مبدأ الشورى يهدف إلى تحقيق مقارعة الآراء والأفكار ، للوصول إلى الرأي الراجح والصائب ، وأن تصل الشورى إلى درجة النصح والدعوة للإصلاح والنهي عن الفساد في الرأي ، المترتب عليه الخطأ في اتخاذ القرار ، وإعطاء أهل الشورى حقهم في عرض الأخطاء وتقديم الرأي بحرية .

٧ ـ العزم على الأخذ برأي أهل الشورى ، فلا يركن المدير أو القائد إلى خبرته، ورأيه ، ورجاحة عقله ، وعلمه ، وقيادته الرشيدة ، فلو أن أحداً مرشَّحاً للاعتماد على رأيه والتخلي عن رأي أهل الشورى ، لكان رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم . وهذا عمر بن عبدالعزيز يجعل الشورى أحد المبادىء التي قامت عليها إدارته ، فنحن أحوج ما نكون لذلك .

٨ ـ الإقرار بمبدأ الحق للأتباع ، ولجماعة الشورى بالذات في مراقبة المسؤولين ، وردّ الأعمال والقرارات عندما تتنافي مع شرع الله ومصلحة الجماعة . والاسترشاد بآراء العلماء والمشائخ وفتاواهم ، كلٌّ فيما يتعلق بمسؤولياته ما أمكن ، للسير وفق تعاليم الشريعة الإسلامية .

٩ ـ تقدير واحترام إنسانية ، وحرية، وحق الفرد في إعطاء رأيه في المؤسسة ، وتشجيع أعضائها على تقديم الآراء ، والاجتهاد في تقديم الرأي السديد ، وإبراز المواهب والقدرات في وزن وتقدير الأمور .

١٠ ـ العمل على إيجاد جماعة للشورى في المنظمة الإدارية ، أو لجان دائمة مع مراعاة أن يكونوا من ذوي الصلاح والخبرة والاختصاص والرأي والمشورة .

١١ ـ تشكيل جماعة شورى أو لجان مؤقتة ، لمناقشة ما قد يطرأ مما لم يكن في الحسبان .

١٢ ـ من المناسب أن يكون للمدير أو القائد أكثرُ من جماعة للشورى ، عندما تكون المنظمة الإدارية بمستوىً عالٍ من الاتساع والمسؤولية والأهداف والمهمات لتمارس الشورى مع كل جماعة فيما تختص به .

١٣ ـ طلب النصح والمشورة من أفراد المجتمع الذي تقوم المؤسسة أو المنظمة الإدارية بخدمته ، سواء مؤسسة عام أم خاصة ، صغيراً كان هذا المجتمع أم كبيراً ، لما لهم من مصلحة ، وما يلمسونه من ثغرات في أداء تلك المؤسسة .

١٤ ـ احترام ذاتية ورأي المتعلم أو الناشيء بشكل خاص وإتاحة الفرصة له لإبداء رأيه ، والمشاركة ، وكسب الشجاعة الأدبية في المشورة ومقارعة الآراء ، وهذا مما يجب على المعلمين والأساتذة، والمربين، وقادة الأجيال .

١٥ ــ العمل على جبل المتعلمين والناشئة على اتخاذ مبدأ الشورى سلوكاً معتاداً ، وخلق المواقف التي تُحْوِج الواحد منهم للمشاورة ، وتشجيعهم على ذلك ، واستحسان نتائج الشورى وعرض فوائدها لهم .

١٦ ــ العمل على أخذ مشورة الطلاب ، وبخاصة طلبة المؤسسات التعليمية الجامعية فيما يخصهم من القرارات ، للوصول إلى أفضل القرارات الإدارية ، خدمة لهم ولمصالحهم ، وتشكيل لجان شورى من الطلاب ومن يخصُّهم اتخاذ القرار .

١٧ ــ تشجيع وتنشيط مشاورات وآراء ومساهمات الآباء ، فيما يتعلق بإدارة المؤسسات التعليمية ، والحرص على زيادة فاعلية مجالس الآباء ، وصبغها بصبغة تبادل الآراء والمشاورة فيما يخدم المؤسسة ومنسوبيها ، ويعود على المجتمع بالفائدة ، لا المجاملات وتلقي المديح والثناء .

١٨ ــ ومن جهة أخرى ، نرى ضرورة العمل على إنشاء جماعات استشارية متخصصة ، في المؤسسات والمنظمات الإدارية والوزارات والمدارس ، لتقديم المشورة للقطاع أو الشريحة من المجتمع الذي تخدمه تلك المؤسسات ومن أمثلة ذلك تقديم المشورة من قبل إدارة التعليم أو المدرسة لأسرة طالب توجد لديه مشكلة تحتاج لحل سليم .

هذا ما رأيناه عن كيفية تطبيق مبدأ الشورى ، من خلال ما عرضناه عن تطبيق عمر لمبدأ الشورى وما عرفناه عنها . ولن نتطرق إلى فوائد الشورى ، ومزاياها الجمَّة ، تاركين لك عزيزي القارىء والقائد أو المدير المسلم ، فرصة الإحساس بتلك الفوائد ، وجني ثمار الشورى ، بعد أن تتبنَّى وتطبِّق هذا المبدأ الإسلامي العظيم .

ثالثاً : تطبيق مبدأ استعمال الأصلح :

يُعد أداء الأمانة باختيار وتولية الأصلح[1] على الجماعة ، أو لتولي أمر من أمور المسلمين من أهم المبادىء الإسلامية ، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية ، الكثير من النصوص التي تلزمنا هذا المبدأ السامي .

ولقد كان لعمر بن عبدالعزيز في الاهتمام بتطبيق هذا المبدأ شأنٌ عظيمٌ ، وتطبيقٌ مميزٌ ، كما سبق أن أوضحنا . وذلك مما مكّنه بتوفيق الله ، من تحقيق النجاح الملموس ، والمشهود له به في إدارته للدولة الإسلامية ، إذ من المعلوم بداهةً أن العامل وولي الأمر المسؤول الصالح في أمر دينه ، الكفء في عمله ، لا ولن يزيد عمله أو ولايته أو إدارته ، إلا كفاءة في الأداء ، وزيادة في الإنتاج ، وسرعة ودقة في الإتقان ، وذلك جلّ ما نريده من الإدارة .

والحديث عن مبدأ استعمال الأصلح يطول لما يحيط به من محاذير وشروط وفوائد، وضرورة اختيار الأمثل فالأمثل ، وقلة اجتماع الأمانة والقوة في الناس ، ومعرفة الأصلح وكيفية تمامها وغير ذلك ، إلا أننا نكتفي بما سبق أن تحدثنا به، عند إثبات ذلك المبدأ في إدارة عمر ، وسيكون الحديث بشكل مباشر عما أمكننا استخلاصه عن الكيفية والأسلوب الذي يجب اتّباعه ومراعاته، فيما يتعلق باستعمال الأصلح ، من خلال تطبيقات هذا المبدأ في صدر الإسلام ، وما طبّقه عمر بن عبدالعزيز ، وما يتطلّبه الأمر في الإدارة الحديثة .

إن من المؤكد أننا في أمسّ الحاجة إلى تطبيق هذا المبدأ ، في الوقت الذي تتعقد فيه مقتضيات النجاح في الإدارة الحديثة ، ولامتثال أمر الله عز

---

(١) كتب كثير من الكتاب عن هذا المبدأ ، ولكن معظمهم إن لم يكن جميعهم ، رجعوا فيما كتبوا إلى ما قاله ابن تيمية رحمه الله ، للتوسع انظر (ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ٩ ــ ٢٥ ، أو الفتاوى ، جـ ٢٨ ، ص ٢٤٤ وما بعدها) .

وجل ، وتبرئة الذمة من تلك الأمانة ، ثم رفع كفاءة العمل الإداري في الحاضر ، فإننا نرى مراعاة كيفية تطبيق هذا المبدأ فيما يلي :

١ ـ استشعار عظَم الأمانة ، والمسؤولية أمام الله عز وجل ، بالاجتهاد في تولية أمور المسلمين لأصلحهم ، وأقواهم وأكثرهم أمانة وتقوى ، وأن نحتسب في ذلك الأجر عند الله جل شأنه ، إذ من المعلوم أن ولي الأمر إذ أسند الأمر إلى غير أهله أثِم بذلك ، وأثم بحرمان الكفء ، وأثِم بما يلحق من تولَّى غير الكفء عليهم من سوء تدبيره .

٢ ـ يجب تجاهل أي نوع من المعرفة أو الصلة أو القرابة ، فيما يتعلق باختيار وتولية القادة والمديرين والمسؤولين وولاة الأمر ، لِتَسلَم ذمة وأمانة من له حق الاختيار، وتسلم مصلحة المجتمع من فساد الأداء ، إلا أن يكون أهلاً لذلك.

٣ ـ الحرص الشديد بصفة خاصة على اختيار البطانة الصالحة ، والأعوان والمستشارين الصالحين الأتقياء ، وتجنُّب بطانة السوء في القول والعمل ، فهؤلاء أول من يجب التحري في اختيارهم وتوليتهم . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُم لا يَأْلُونَكُم خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّم قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُم أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

٤ ـ النظر والاتباع للشروط التي اشترطها عمر ، لمن أراد صحبته ، وأن يكون ذلك دأبَنا فيمن نصحبه ونخالطه ، وبخاصة حال تولينا أمراً من أمور الإدارة أو القيادة أو غيرها ، فما أجدرها من شروط ، وما أعظم مردودها على ولي الأمر ، والفرد ، والمجتمع ، وهي : إيصال حاجة من لا تصل حاجته ، والهداية إلى العدل مما لا يهتدى إليه ، والإعانة على الحق ، وأداء الأمانة إلى الصاحب وإلى الناس ، وعدم اغتياب أحد عند الصاحب .

---

(١) الآية ١١٨ من سورة آل عمران .

٥ ـ النظر والاتباع لمعايير الولاية عند عمر وما اعتبره فيمن ولاه ، ومنه : قرابة الإسلام فحسب ، وإكثار تلاة القرآن ، والصلاة في موضع لا يُظَن أن يُرى (لا يرائي بالصلاة) ، وحسن أداء الصلاة ، وسابق الفضل في خدمة الإسلام .

٦ ـ النظر والاتباع لمعايير وشروط ولاية القضاء عند عمر، ومنها : العلم والمعرفة بما مضت عليه السنة ، والحكم ، والأناة ، والعفة ، والمشاورة ، ولندرك ملاءمتها لغير ولاية القضاء .

٧ ـ عدم استعمال المشركين والكفار على المسلمين ـ وذلك مما يجب الحذر وأخذ الحيطة منه ـ واستبدالهم بمسلمين ، ففيما فعله عمر من التأكيد القاطع على ولاته وعماله بعدم تولية غير المسلمين على أي أمر يخص الإسلام والمسلمين درس لنا ، فلا نولين أعداءنا وأعداء الإسلام من الملاحدة والمشركين ، فالغدْر والخيانة دأبُهم ، وأهل القرآن أولى بالولاية والمسؤولية .

٨ ـ تجنب اختيار وتعيين من يطلب ولاية الأمر لنفسه ، فالله أعلم بما دفعه لذلك الطلب .

٩ ـ حماية إدارتنا من الفساد الإداري ، والوساطات والأساليب الملتوية للتولي والاختيار ، بإشاعة روح التنافس الشريف ، وطمأنة الأتباع والمرؤوسين أن التولية والاختيار ، ليست إلا للأصلح ، والأكفأ من ذوي القوة والأمانة ، ثم الأمثل فالأمثل .

١٠ ـ أن يكون من يقع عليه الاختيار ، ممن يُشهد له بالصلاح والتقوى ، فقد يرى الآخرون ما لا يرى صاحب حق الاختيار ، وأن يكون الأفضل بالنسبة للتقارير والتوصيات الصادقة والموضوعية ، والخبرات والأعمال ، والسيرة الذاتية السابقة ، مع مراعاة عدم قبول تزكية غير الثقات .

١١ ـ يجب أن تُجرى له المراقبة والملاحظة بطريقة غير مباشرة ، لمعرفة مدى التزامه بتعاليم الدين ، ومتابعة مواقفه المختلفة فالكاذب والمنافق ، لا يستطيع الاستمرار في المخادعة ، فسرعان ما يظهر على حقيقته ، ولنا في عمر بن عبدالعزيز أسوة ، فقد فعل ذلك ، واتَّضح له من أمر رجلٍ ما يمنعه من استعماله على العراق ، وعليه فإن أمر التولية والاختيار للقادة والإداريين يجب أن لا يكون في ظرف أيام أو أسابيع ، بل ينبغي التحرِّي والأناة في مثل هذه الأمور ، ولنأخذ الحيطة والحذر من المتظاهرين بالصلاح والتقوى .

١٢ ـ إن على ولاة الأمر والمسؤولين من ذوي السلطات العليا ممن لا يستطيعون ممارسة الاختيار دائماً ، أن يحسنوا اختيار الأصلح ممن تحت إدارتهم ، والبحث لكل إدارة أو مسؤولية عن أصلح وأتقى من يعرف ، ليتولى هذا بدوره اختيار أفضل من يراه فيما دونه . ثم متابعة ذلك من صاحب السلطة العليا ، فإن اتضح له غير ذلك فليبرىء ذمته من ذلك .

١٣ ـ التحرِّي والتدقيق الصادق فيما يتعلق بالحكم على والٍ لأمر ، أو مدير ، أو قائد ، وصلاحه من عدمه ، وعدم السماع لقول واشٍ أو ثناء مادح ، أو ما إلى ذلك فالتثبت والتمحيص أولى وأجدر .

١٤ ـ يجب عدم المبالغة في اختيار من يوافقنا في الفكر ، والسلوك ، والصفات تلافياً للمصادمات ، لأن في ذلك اقتصاراً على نمط معين من الإدارة أو القيادة ، وحرمان المؤسسة أو الإدارة من إيجابيات الأنماط الأخرى التي تحصل باختلاف أفكار وأساليب وصفات من يختارهم القائد ، من شدَّة إلى لين ، إلى مرونة ، إلى همة ونشاط وغير ذلك ، ولنعلم أن الاختلاف بيئة النجاح .

١٥ ـ أن يؤخذ في الاعتبار المؤهل العلمي والفني المناسب لطبيعة وأهداف ومهام المؤسسة ، أو القسم ، أو العمل المراد التولية عليه ، أو القيام به ، والنظر في الكفاءة العلمية والعملية ، فيتم اختيار من توافق كفاءته العلمية والعملية ومؤهله العلمي متطلبات وشروط المنصب أو الوظيفة أو الأمر المراد توليته عليه .

١٦ ـ ضرورة الاهتمام والاجتهاد بتولية الأصلح في الإدارة التربوية على وجه الخصوص ، لما لها من صلة بإدارات المجتمع ، إذ أن الكفاءة في الإدارة التربوية حتماً تنعكس على الإدارات الأخرى ، وعلى المجتمع كله بإعداد أكفاء المستقبل من قبل أكفاء الحاضر .

١٧ ـ ضرورة التدقيق والتمحيص في صفات وقدرات الطلاب ، الذين يُوجهون إلى أنواع معينة من العلوم في الجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى ، كعلوم الدين والقضاء ، والإدارة ، والتدريس ، والطب وغير ذلك ، والعمل على توجيه الطالب حسب ما يلائم قدرته وصفاته وسلوكه من أنواع العلوم التخصصية .

وختاماً ، فالقول ما قاله ابن تيمية رحمه الله ، إذ قال عن سبيل تحقيق تولي الأصلح : « وأهم ما في هذا الباب معرفة الأصلح ، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ، ومعرفة طريق المقصود ، فإذا عرفت المقاصد والوسائل تم الأمر »[1] . وعليه فلعل أفضل السبل لتحقيق وتطبيق مبدأ استعمال الأصلح معرفة ما تهدف إليه هذه الإدارة أو القيادة أو الولاية ، ثم معرفة وسائل وشروط ومتطلبات تلك المهمة ، ثم معرفة المرشح الصالح الكفء لهذه المهمة ، المتصف بشروط تلك الولاية أو القيادة أو الإدارة . إذ من المعلوم أن من مقومات النجاح الإداري والقيادي وضعَ ذلك الرجل المناسب في ذلك المكان المناسب .

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ٢١ .

هذا ما تمكنا من استخلاصه والوصول إليه بعون الله حول تطبيق مبدأ استعمال الأصلح الذي طبقه عمر بن عبدالعزيز ، وأدرك أهميته .

رابعاً : تطبيق مبدأ المساواة :

لقد جاء مفهوم المساواة الإنسانية بين الناس في كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام أمراً جلياً واضحاً .

فلم يكتف الإسلام بتقرير مبدأ المساواة نظرياً ، وإثباته فكرياً ، بل أكده عملياً بجملة من الأحكام والشعائر ، إذ تأخذ المساواة بين الناس جميعاً صورتها العملية في المساجد ، وفي الحج ، والصوم ، وغيرها من العبادات ، ثم المساواة أمام الأحكام والحدود والحلال والحرام ، والفرائض والعقوبات[1] . إلا أن الإسلام لا يحول دون تفاوت الدرجات الفردية ، وتباين المراكز ، قال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] . وقال عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[3] .

وللتعرف على الكيفية التي تجب مراعاتها لتطبيق مبدأ المساواة في إدارتنا الحاضرة بوجه عام والتربوية بوجه أخص ، مما استخلصناه من تطبيق عمر لهذا المبدأ ، وما عرضناه عن هذا المبدأ ، نذكر ما يلي :

١ ـ العلم بأن مبدأ المساواة لا يخلو من أنه أمر تعبدي ، نؤجر عليه من خالق الخلق سبحانه وتعالى .

---

(١) يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٩٦ ، ٩٩.

(٢) جزء من الآية ١١ من سورة المجادلة .

(٣) جزء من الآية ١٦٥ من سورة الأنعام .

٢ ـ إسقاط الاعتبارات الطبقية ، والعرقية ، والقبلية ، والعنصرية ، والقومية ، والوطنية ، والإقليمية ، وغير ذلك من الشعارات الماحقة لمبدأ المساواة الإنسانية ، والتي تقوم عليها وتستحسنها بعض الجماعات ، والإدارات والمؤسسات ، بل والمجتمعات ، وإحلال المعيار الإلهي بدلاً عنها للتفاضل ، ألا وهو (التقوى) .

٣ ـ الحذر من الوقوع في خديعة المساواة بحجة العدل ، فالمساواة شيء والعدل شيء آخر ، ومثال ذلك أن يكافىء مدير اثنين ، أحدهما قمة في النشاط ، والآخر قمة في الكسل ، ويقول هذا من باب العدل في المساواة أو أن يعطي المعلمُ طلاَّبه تقديراً متساوياً ، ويقول : هذا من العدل والمساواة .

فالمساواة بين الناس في الإنسانية ، والفرائض ، والعبادات والأحكام والحدود ، وليس في الكفاءات ، والقدرات ، والمواهب ومنتجات العقول .

٤ ـ الحرص على المساواة في تطبيق النظام ، سواء نظام العقوبات أو نظام المكافآت أم غيرهما ، فلا يطبق نظام العقوبات أو شيء منه على أحدٍ دون أحدٍ لجاهٍ أو لشأنٍ ، أو لمصلحةٍ ، أو لأي أمرٍ يجعل الإنسان مغتراً به . ولا يطبق نظام المكافآت من أي نوع كانت مادية أو معنوية ، بأي نوع من المحاباة ، والكرم والتفضل ، لمردود ينتظر حصوله ، أو لصحبة أو لقرابة أو غير ذلك .

٥ ـ العمل على إشاعة الطمأنينة والرضا بين منسوبي الإدارة أو المؤسسة، بتطبيق مبدأ المساواة بين منسوبيها ، مما يعود على الإدارة أو المؤسسة بالفائدة بلا شك ، فتزيد الكفاءتان الكمية والنوعية ، ولعل من أكبر هذه المؤسسات حاجة للمساواة : المؤسسات التعليمية ، وبخاصة الأساتذة

والمعلمون ، لما لذلك من تأثير سلبيّ أو إيجابي على الأداء التعليمي ، ولارتباط ما يكتسبه المتعلمون من العلم بمستوى الأداء الذي يقدم لهم .

٦ ـ أن نحرص على أن نكون وغيرنا أمام النظام سواء ، وليس ذلك فحسب ، بل نرفض من يميزنا كقادة ومسؤولين ، عن غيرنا بأي نوع من التعامل الخاص ، أو المحاباة التي قد تصل إلى درجة تمس الحقوق والواجبات ، وأن نعلم أن من فعل ذلك مع شخص أو مسؤول ، فإنه لن يتردّد أن يفعل الأمر ذاته أو أكبر منه مع غيره ، وهذا حريٌّ بالطرد والإبعاد .

٧ ـ أن لا يميز القادة والمدراء أنفسهم عن غيرهم في كل ما يجب عليهم أداؤه، من عمل ، وأن يشارك هؤلاء أتباعهم ومرؤوسيهم في ميدان العمل مشاركة جادة ، وليس ذلك فحسب بل إن من المساواة الإنسانية مشاركتهم حتى في أفراحهم وهمومهم الخاصة .

٨ ـ ضرورة مراعاة مبدأ تكافؤ الفرص للجميع ، والمساواة بين منسوبي الإدارة أو المؤسسة ، سواء في الترقية أم في تولية المناصب أم منح المكافآت أم المزايا المادية أو المعنوية .

٩ ـ يجب على كل عامل، أو موظف، أو قائد، أو مدير في أي مؤسسة كانت ، أن يؤدي العمل ، أو الإجراء ، أو الخدمة بأسلوب واحد ، وبدرجة واحدة من السرعة والإتقان ، دون تفريق بين من تُقَدَّم إليه هذه الخدمة ، والتخلي عما يصيب البعض من اضطراب الأطراف ، والتسهيلات اللامحدودة ـ وما قد يصل إلى أكبر من التسهيلات ـ عندما يعلم شأن من يقوم بأداء العمل له ، أو أنه قد يكسب من ورائه مصلحة . وهو في الوقت ذاته لا يعير شخصاً آخر له الخدمة نفسها أي اهتمام ، فلا يأبه به ، ولا بالكيفية التي أدّى له الخدمة عليها ، وقد يماطله ، وينهره ، وينتقصه . وهذا محاربة صارخة لمبدأ المساواة .

١٠ ـ الحرص على أن تكون معاملاتنا الإنسانية والإدارية لمن بين ظهرانينا من العاملين والموظفين المسلمين من بلاد الإسلام الأخرى ـ وهم كثير ـ معاملة حسنة ، وأن تتسم هذه المعاملة بالمساواة بينهم وبين العاملين المسلمين من البلد ذاته أو الإقليم ذاته .

١١ ـ يجب أن لا يتميز متعلمين أو متعلمات عن آخرين أو آخريات في المؤسسات التعليمية ، لحسب أو جاه أو ثراء أو ما إلى ذلك ، بأي نوع من المعاملة المبالغ فيها من قبل عناصر المؤسسة التعليمية ، أو أي نوع من المحاباة ، أو التمييز ، أو التركيز في التدريس من قبل المعلمين أو المعلمات ، وعلى ذلك نقيس ، فذلك ليس من المساواة في شيء ، بل يجب أن نعلم أن هذا له أثر سيىء على بقية الطلاب ، وكثيراً ما نسمع وبخاصة من الناشئين الأبرياء في الصفوف الدنيا ، ما يؤكد ما ذكرناه ، فليتق اللهَ المعلمون والمعلماتُ فيما يؤدونه من رسالة سامية ، وليدركوا العواقب الوخيمة لمثل هذه التصرفات .

١٢ ـ علينا أن نحرص على جانب المساواة بين أولادنا[١] ، وأن يكون مبدأ المساواة أحد مقومات التعامل الأسَري ، فهذا عمر بن عبدالعزيز يساوي بين أبنائه حتى في النوم معه على فراشه ، فيا له من أبٍ ، ومربٍّ قدوة رضي الله عنه .

كان هذا عرضاً متواضعاً للكيفية التي نرى تبنيها لتطبيق مبدأ المساواة .

وأرى في الختام أن أُذكّر بضرورة عدم الاكتفاء بتطبيق مبدأ المساواة ، واتخاذه مسلكاً لنا ـ إن شاء الله ـ فحسب ، بل نطلب ونؤكد تأكيداً لا يقبل أنصاف الحلول على الآخرين وبخاصة الأتباع والمرؤوسون والعمال تطبيق هذا المبدأ الإسلامي أيضاً ، والتقيُّد بمفاهيمه ومقتضاه .

(١) الولد يطلق على الذكر والأنثى ، (ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٤٦٧) .

خامساً : تطبيق مبدأ الولاء الكامل للحق ونصرة المظلومين :

إن الولاء للحق حق ، ونصرة المظلومين حق وواجب ، كما أن الحق لا ينحصر في الحقوق المادية وما شابهها . بل يشمل كل ما هو حق من الله سبحانه وتعالى ، فالإيمان بالله حق ، والإيمان بالأخرة حق ، والتصديق برسوله حق ، وكل ما شرعه الله جل شأنه حق .

ولقد اتضح لنا فيما سبق أن عمر جعل حبَّ الحق وإيثاره ، والولاء المطلق له ، ونصرة المظلومين ، والأمر بالمعروف أياً كان ، والنهي عن المنكر أياً كان ، أحدَ المبادىء الإدارية التي تجلَّت في إدارته للدولة الإسلامية .

ومحاولة للإفادة مما اتضح لنا من تطبيق عمر لهذا المبدأ ، نذكر مما يمكن تطبيقه لهذا المبدأ في مجال إدارتنا الحاضرة ما يلي :

١ ــ العلم بأن مما يتطلب إيثار الحق وموالاته أخلاقاً كثيرة منها : الاعتراف بالحق والرجوع له ، والصدق ، وتجنب النفاق ، والعدل ، والوفاء بالعهود والوعود ، والأمانة ، وذلك مما تمثل به عمر ، واهتم به قولاً وعملاً .

٢ ــ أن يخلد في أذهاننا دوماً نصرةُ المظلومين في إداراتنا وفي مجتمعنا ، وليس المظلوم فحسب ، بل نصرة الظالم أيضاً كما قال عليه الصلاة والسلام : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا يا رسول الله : هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً ؟. قال : تأخذ فوق يديه »[1]. وذلك كله يأتي في إطار موالاة الحق ونصرة المظلوم .

٣ ــ من أول الواجبات على كل قائد أو مدير أو مسئول إدراكُ ما لأتباعه ومرؤوسيه عليه من حقوق ، والحرص على أدائها لهم ، فهذا عمر بن

---

(١) البخاري : صحيح البخاري ، جـ ٣ ، ص ٢٥٨ ، وتأخذ فوق يديه ، أي تمنعه من الظلم .

عبدالعزيز يُسأل عن سبب حزنه واكتئابه ، فيوضح أن ما لأفراد الأمة في المشرق والمغرب قبله من الحقوق اللازم عليه أداؤها لهم من غير طلب ؛ هو سبب حزنه واكتئابه ، ويكفينا نحن من مسؤولينا أداء الحقوق ، وعدم منعها أصحابها وحجبها عنهم .

٤ ـ أن يكون روح التعامل بين القادة والمدراء وولاة الأمر من جهة ، وأتباعهم ومرؤوسيهم من جهة أخرى ، مبنياً على محبة العدل، والولاء المطلق للحق ، وأن تكون الإعانة على الحق ، وأداؤه لأهله من أول وأهم ما يُرَغِّبُ الأتباعُ والمرؤوسون للقيام به ، وتقديم النصح والتأكيد على ضرورة تطبيق هذا المبدأ .

٥ ـ التصريح للأتباع والمرؤوسين بالرغبة في موالاة الحق، ومناصرة المظلومين، والحث والترغيب في تقويم القائد، أو المدير ، أو المسؤول ، أياً كان ، إن هو مال عن جادة الحق ، وتنبيهه إليه .

٦ ـ العلم بأن من الولاء للحق الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر ، ولما لأهمية هذا الأمر بين المسلمين ، ولوجوبه علينا ، فإن رسول الهدى عليه الصلاة والسلام ، لم يترك للمسلم مجالاً أن يكون بعيداً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مهما كان الحال ، وبقدر الاستطاعة ، إذ قال ﷺ : « من رأى منكراً فليُنْكِره بيده ، ومن لم يستطع فبلسانه ، ومن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1] . وصاحب السلطة بلا شك أولى بهذا الأمر ، وأقدر عليه . وأمعن للإجابة .

٧ ـ من الأمور التي يجب الحذر منها الأمر بمعروفٍ وتركُه ، والنهي عن منكرٍ وإتيانُه ، وفي نطاق الإدارة ، يجب أن يكون المسؤول قدوة للمرؤوسين

(١) الترمذي : سنن الترمذي ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .

والأتباع ، فلا يأمر بعدم التأخر عن مواعيد العمل الرسمي مثلاً ، ثم يكون هو آخرَ من يحضر! أو يأمر بضرورة الإتقان ، والإخلاص في العمل ، وغير ذلك من الإجراءات الإدارية المطلوب أداؤها ، ثم لا يأتي بشيأ منها! وأن ينهى عن التكاسل في العمل ، مثلاً أو قبول الهدايا ، أو الارتشاء ، أو غير ذلك من مدخلات الفساد الإداري ، ثم لا يرتدع عن ذلك ، فإن مثل هذا السلوك مشين ، أمام الله ، وأمام خلقه .

٨ ـ تزداد أهمية تطبيق هذا المبدأ في الإدارة التربوية ، وخاصة من قبل المعلمين والأساتذة ومدراء المدارس والمؤسسات التعليمية ، لما لذلك من عظيم الفائدة في تنمية الشعور بهذا الأمر بين المتعلمين ، ليكتسبوا ذلك خلقاً لهم في المستقبل .

٩ ـ اليقين التامُّ بما قاله عمر بن عبدالعزيز يرحمه الله ـ كما سبق ذكره ـ : بأن هلكة من كان قبلنا كانت في حبسهم الحق حتى يشترى ، وبسطهم الظلم حتى يفتدى ، وأن أداء الحق لصاحبه وبخاصة المسلم عونٌ له على دينه .

وخلاصة القول : إن موالاة الحق مبدأ ينجم عن تطبيقه الكثير من الفضائل الخلقية والسلوكية ، على النقيض من الباطل وموالاته وما يورث من رذائل الأخلاق والسلوك، وموقف الدين الإسلامي من هذا المبدأ واضح وصريح، فهو من الأمور التي تجعل الطمأنينة تسود المجتمع بكافة عناصرة ومستوياته .

سادساً : تطبيق مبدأ الحرية الإنسانية العامة :

إن المتمعن في إدارة عمر بن عبدالعزيز للدولة الإسلامية ، يلمس تطبيقه لمبدأ الحرية الإنسانية العامة ، سواء الحرية الشخصية أم الفكرية أم الاقتصادية كما سبق إيضاحه . والحرية مبدأ أقره الإسلام ، وهو أمر مطلوب

في الإدارة سواء كانت إدارة عليا أم دنيا ، خاصة أم عامة ، ومن خلال ما عرفنا عن تبني عمر لهذا المبدأ ، فإننا بالإضافة إلى ما يراه القارىء الكريم من تطبيقات لهذا المبدأ في إدارته أو مؤسسته حسبما يلائم حالته ، نرى مراعاة ما يلي :

١ ـ العلم بأن الحرية في الإسلام لا تحتاج إلى إقرار ، أو اعتراف قائد ، أو مدير ، أو أي مسؤول ، فالحرية مبدأ أقره الإسلام ، وليس لأحد أن يسلب المسلم حريته ، أو ينتهك ما كفله الإسلام للفرد من حرية ، بل يجب على كل ولي أمر ، قائداً كان أو مديراً أو غيره ، أن يكفل تلك الحريات لأتباعه ومرؤوسيه .

٢ ـ مراعاة عدم إكراه غير المسلمين العاملين في إداراتنا من قبل ذوي السلطة والمسؤولية على اعتناق الدين الإسلامي بدافع « الدعوة إلى الله » ، فيجب أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، للوصول إلى القناعة باعتناق الدين الإسلامي ، وتحقيق الغرض بالأسلوب الأنسب .

٣ ـ من أهم الأمور التي يجب مراعاتها في إطار الحرية ، إتاحة المجال لممارسة الشعائر الدينية التي أمر بها ديننا الحنيف ، وأن لا يصدر أي نوع من الأوامر أو القرارات الإدارية يتعارض مع تلك الممارسات ، أو يعيق المسلم أو يؤخره عن أدائه لفرض أو أمر ديني يرغب أداءه ، وبخاصة أوقات الصلوات ، أو السماح بأداء فريضة الحج أو غير ذلك .

٤ ـ الحذر من الوقوع في المفهوم الخاطىء للحرية ، ذلك المفهوم الذي يعني في نظر أصحابه : الانطلاق اللامحدود وراء الأهواء والشهوات ، والعمل بما يناقض النظام ، والإقدام على ما يخرج عن العرف والعادة ، وما يخالف أولاً وقبل كل شيء تعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

٥ ـ صيانة الحرية الشخصية في الإدارة ، على أن لا تتعارض مع مصلحة الجماعة أو مع الأنظمة والقوانين الإدارية السليمة المضمون .

٦ ـ إعطاء الفرد الحرية التامة والمضمونة في التعبير عن آرائه ومقترحاته في إطار الجماعة ، أو المنظمة التي ينتمي إليها ، فلا يكون القائد أو المدير أو المسؤول أياً مان ، بمثابة « مفتاح للأفواه » ، فلا يقال إلا ما يريد وما يتوافق مع رأيه ، ويُسْكَت عما يتعارض مع مجرد ما يخطر بباله ، مستخدماً في ذلك السلطة ، وما يتولاه من مصالح لأتباعه أو مرؤوسيه ، لتسييرهم على ما لا يوافق حرياتهم ومصالحهم .

٧ ـ من الحريات التي يجب مراعاتها ، وبخاصة في الإدارة التربوية ، ما يمكن تسميته بحرية المتعلم ، فيعطى الحرية في اختيار خط سير دراسته ، واختيار العلم أو التخصص الذي يرغب دراسته ، ويختار المعلم أو الأستاذ الذي يتلقى عنه ، والزميل الذي يشاركه في أداءٍ تعليمي ، واختيار أسلوب الاستذكار والفهم ، وأداء الواجبات الدراسية بما يحقق الأداء الصحيح والأفضل .

٨ ـ تنمية روح الحرية المقيَّدة بكل تعاليم الإسلام ، ومقوماتها ، لدى المتعلمين والناشئين من قبل المعلمين والأساتذة ، وتقبل آرائهم ومشاركاتهم ـ وإن كانت خاطئة ـ ثم تقويمها وتعديلها إلى ما يوافق الصحة والصواب .

ذلك ما رأينا مراعاته في مجال تطبيق مبدأ الحرية الإنسانية العامة ، الذي يعد جزءاً من طبيعة الإنسان وتكوينه النفسي .

سابعاً : تطبيق مبدأ الوقاية من الفساد الإداري :

لا غرابة إذا قلنا : إن الفساد الإداري ينخر في جسم المؤسسات الإدارية والمنظمات كما تنخر الأرضة الخشب .

ومن هنا فليس المهم اتخاذ القرار المناسب في مواجهة أي نوع من أنواع الفساد الإداري ، سواء خيانة أم غشاً أم تحايلاً على الأنظمة ، أم رشوة ، أم تزويراً ، أم شهادة زور ، أم محاباة في الإجراءات الإدارية ، أم وساطات وقد تصل إلى الضرر بالآخرين ، أم إخلالاً بالنظام أم غير ذلك ، ولكن الأهم من ذلك والأولى بالتطبيق : الوقاية من ذلك الفساد الإداري والحيلولة دون وقوعه .

وبسهولة ويسر ، ذلك ما طبقه عمر بن عبدالعزيز ، إذ برز هذا الجانب ، في إدارته حتى اتضح كواحد من المبادىء الإدارية التي طبقها يرحمه الله .

والفساد أياً كان نوعه ، دينياً كان أو خلقياً أو سلوكياً ، إدارياً كان أو قيادياً أو غيره ، أمور نهى عنها الشرع الإسلامي الحنيف ، ومخالفة لطبيعة الإنسان السوي ، وخارجة عما يتقبله الفرد والمجتمع الصالح .

ويهمنا هنا الفساد الإداري والوقاية منه على وجه الخصوص ، وقد سبق أن أثبتنا حرص عمر بن عبدالعزيز على اتخاذ ذلك مبدأ له ، مما جعل إدارته تتميز بالنقاء ، وصلاح العناصر وحياة ضمائرها، وسلامة الإجراءات الإدارية .

ومما لا شك فيه أن هذا المبدأ مما يهمنا تطبيقه في إدراتنا المعاصرة ، في ظل ما تزخر به المجتمعات من الماديات والمغريات ، وعوامل الضعف ، وأساليب السيطرة والتحكم في البشر . ومن خلال ما تعرفنا عليه عن هذا الجانب ، وبخاصة ما طبقه عمر بن عبدالعزيز ، نرى مراعاة وتبني العوامل والأمور التالية :

١ ـ تحريك الوازع الديني لدى القادة ، والإداريين ، والعاملين ، واستثمار عظمة الله ومراقبته عز وجل في السر والعلن ، وإيقاظ الضمائر ، وذلك من خلال إقامة المحاضرات والندوات الدينية التي تعالج جوانب الفساد ، والترهيب عنها ، وبخاصة ما يتعلق بالفساد الإداري وما يتحمله المسؤول من التبعات أمام الله سبحانه ، وتجاه خلقه .

٢ ـ يجب أن تشتمل عناية القائد بأتباعه ، والمدير بمرؤوسيه ، والمعلم بطلبته ، على مجالات أخرى غير مجالات العمل ، بما في ذلك ما يتعلق بالقيم الإسلامية ، والتربية الخلقية والسلوكية ، فيجمع بين القيادة والنصح ، والإمارة والإرشاد ، والإدارة والتوجيه ، وكل ذلك فيه مصلحة الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة .

٣ ـ إن من أهم ما يجب الوقاية منه قبل الوقاية من الفساد الإداري في حد ذاته ، الوقاية من كل ما يشكك المسلم في عقيدته الإسلامية ، وما يوهن إيمانه ، من الأفكار والمبادىء أياً كانت ، فيجب على القادة والمديرين والمعلمين والمعلمات ، مقاومةُ كل حركة أو نشاط يدعو إلى زعزعة مبادىء الإسلام في كل شؤون الحياة ، وبخاصة ما قد يحدث داخل المؤسسات والمنظمات من نشاطات مشبوهة، أو نشر أفكار مسمومة ، والحذر منها، وبخاصة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات .

٤ ـ العلم بأن تطبيق المبادىء الإدارية ـ التي سبق أن أثبتنا تطبيق عمر بن عبدالعزيز لها ـ هو بمثابة وقاية من الفساد الإداري ، ففيها ما يمنع دوافع هذا الفساد بمشيئة الله ، وعليه يجب أن تطبق تلك المبادىء في إدارتنا المعاصرة لتقينا شرَّ اللجوء إلى الأساليب المفسدة للإدارة .

٥ ـ وضع ضوابط محددة للنواحي المالية في المؤسسات والإدارات ، وتحديد مستحقات الأفراد بوضوح ، وتحديد أسلوب للمراقبة ، ومتابعة سير الأمور المالية ، مع مراعاة أن تخلو الأنظمة والقوانين ـ وبخاصة المالية ـ من الثغرات التي يستغلها ضعاف النفوس في مصالح خاصة .

٦ ـ في إطار تطبيق مبدأ الوقاية من الفساد الإداري ، فإن الأمر يتطلب قبل كل شيء ؛ التعرف على البواعث التي تعمل وراء ذلك الفساد ، وما هي الدوافع الشخصية والعامة لذلك ، والتعرف على العوامل التي تجعل الاجتهاد للقضاء عليه واقتلاع جذوره يذهب سدى دون تحقيق أية نتائج إيجابية ، ثم العمل على إيجاد الحلول والإجراءات المناسبة التي تمكن من قطع دابر المشكلة من أساسها .

٧ ـ الحرص على سلامة وصلاح وكفاءة عناصر الهيئات أو الأقسام الإدارية التنفيذية والمالية ، لأن في ذلك صيانةً للنظام ووقايةً له ، وسداً لمنافذ الفساد ، بأمانتهم في تنفيذ تلك الأنظمة والإجراءات .

٨ ـ ضرورة الحرص ، وعدم التفريط ، وإهمال المراقبة ، فلا يترك القادة والرؤساء والوزراء ممتلكات وأموال مؤسساتهم في أيدٍ غير أمينة ، أو في أيدٍ يظن بها الخير ، ثم لا يراقَبون ، ولا يحاسَبون .

ولنا في عمر بن عبدالعزيز أسوة ، فقد لام وهب بن منبه ـ مع ما كان عليه من الأمانة ـ على تفريطه وإضاعة بعض الدنانير من بيت مال اليمن، وقال له : إني لا أتهم دينك وأمانتك ، ولكني أتهم تضييعك وتفريطك . وكما يقال : المال السائب يعلِّم السرقة .

٩ ـ يجب على القادة والمديرين والمسؤولين سدّ الباب أمام الأتباع والمرؤوسين ، للحيلولة دون المجاملات ، والتدليس ، والكذب ، وغيبة الآخرين ، والنميمة،

والنفاق ، وقطع دابر تلك الأخلاق والسلوكيات القبيحة ، لتصفى الإدارة ، وتسلم من هذا النوع من الفساد الإداري .

١٠ ـ يجب على القادة والمديرين والمسؤولين الحذر مما يقدم لهم من الآخرين من الخدمات ، أو إنجاز المصالح ، أو تقبُّلِ الهدايا والأعطيات والهبات ، على أي صفة كانت ، ولأي سبب ، لأنه من المؤكد أن يتبع ذلك فساد إداري ولو جزئي . ولنا في عمر بن عبدالعزيز قدوة حسنة ، فقد رفض ـ رحمه الله ـ تفاحاً وفاكهة أهديت له وقال : الهدية لنا ولمن بعدنا رشوة . فإذا كان هذا حالَ عمر بن عبدالعزيز ومَن بعده ، فكيف بنا في الوقت المعاصر ؟

١١ ـ ضرورة التأكيد والنهي عن الإسراف والتبذير بما في حوزتنا من ممتلكات، وأموال الدولة ، والمحافظة عليها ، والاقتصاد فيها ، فقد وصل الأمر بعمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى الاقتصاد حتى في الورق والشمع، بل وأمر بعض عماله بالاقتصاد في ذلك .

١٢ ـ ضرورة الاهتمام ـ بوجه خاص ـ بما يصرف الناشئين والمتعلمين إلى الأخلاق والسلوك الفاسد من كذب ، وغش ، وتحايل على المعلمين ، وإثارة ضمائرهم وإحياء الوازع الديني في نفوسهم ، وعرض عواقب الفساد الإداري سواء في الدنيا أم الآخرة .

هذا ما تمكنا من ذكره حول هذا المبدأ وتطبيقه ، وقد يستطيع القائد أو المدير أو أي مسؤول أن يتبنى مبدأ الوقاية من الفساد الإداري ، فيما تتطلبه مسؤولياته ، وما في أمانته من الأموال ، أو الأنظمة والإجراءات أو غير ذلك مما لم نتطرق إليه .

ثامناً : تطبيق مبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية :

إن مسألة المركزية واللامركزية في الإدارة هي مما تواجهه الإدارة الحديثة من الصعوبات ـ وبخاصة مع ما تتميز به من تعدد المدخلات ـ فالأخذ بأحدهما أمر على درجة كبيرة من الحساسية ، وقد يكون من أسباب نجاح أو فشل الإدارة .

وفي محاولة لإبراز كيفية يمكن في ضوئها ممارسة المركزية أو اللامركزية والموازنة بينهما ، وفي ظل تطبيقات عمر بن عبدالعزيز ، فإننا نورد ما يلي :

١ ـ ضرورة أخذ المعايير التي طبقها عمر ، في موازنته بين المركزية واللامركزية في الاعتبار ، حال تطبيق هذا المبدأ في إدارتنا المعاصرة ، تلك المعايير الدقيقة التي سبق أن ذكرناها عند الحديث عن تطبيق عمر لمبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية ، ويمكن تبني تلك المعايير كما يلي :

أ ـ اختيار أحدهما ـ المركزية أو اللامركزية ـ عندما يكون في الأخذ به مصلحة عامة للأمة أو خاصة لجماعة أو فرد ، دون ضرر يلحق بالآخرين .

ب ـ تحرِّي أهمية الأمر أو القرار ، المراد ممارسة المركزية أو اللامركزية فيه ، فالقرارات التي لا سبيل لتلافيها ، أو العدول عنها ، أو تعديلها فيما لو اتضح ما يناقض صحة القرار أولى بالمركزية ، كالقتل ، أو الصلب ، أو تنفيذ الحدود الشرعية ، أو قرارات الفصل مثلاً بالنسبة للموظفين ، أو الطرد بالنسبة للطلبة وما شابه ذلك ، مما له تأثير وأهمية لدى الأتباع والمرؤوسين .

جـ ـ مراعاة ممارسة المركزية فيما يتعلق بالأمور المستجدة ، وبخاصة ما لم يأتِ عليها القرآن والسنة بصورة صريحة ، تلافياً لاتخاذ قرار

خاطىء يستمر تبنيه على مافيه من الخطأ ، مما قد يناقض الدين ، أو يضر بمصلحة فرد أو جماعة .

د ـ مراعاة البعد الجغرافي بين الإدارتين العليا والدنيا ، وما قد ينجم عن المركزية في هذه الحالة من تأخير ، قد يكون سبباً في تلف ، أو فقدان مصلحة لفرد أو جماعة .

هـ ـ الاهتمام بجانب الوقت ، وما قد ينجم عن تطبيق المركزية من طول وقت اتخاذ القرار ، مما قد يلحق الضرر بذوي العلاقة ، والذي يتفاوت بين الضرر الجزئي والهلاك .

و ـ مما يرجح الأخذ باللامركزية وجودُ من يوثق بها ، علماً ، وعملاً ، وصلاحاً ، في الولاية أو الإقليم ، أو المنطقة ، أو الإدارة ، وقدرته على الفصل في المسألة ، أو إعطاء المشورة لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب .

ز ـ العلم بأنَّ تبنِّي أسلوب اللامركزية إلى الحد الذي لا يلحق الضرر بمصالح الفرد والجماعة ، تمنح الولاة والعمال والقضاة والقادة والمديرين والمعلمين وغيرهم فرصة ممارسة العمل الإداري ، أو القضائي ، أو التعليمي ، أو غير ذلك ، بالأسلوب الذي يتناسب والموقف كماً وكيفاً ، وكذلك هذا الأسلوب يعطي هؤلاء فرصة التدرُّب على اتخاذ القرارات ، والإعداد والتهيؤ لتولي قيادات أعلى ، والقدرة على ممارسة العمل في الإدارات العليا .

٢ ـ ضرورة إخضاع مبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية لحالة وظروف المؤسسة ، أو المنظمة الإدارية ، ونشأتها ، وإرساء دعائمها وأنظمتها واستقرارها ، وتمكنها من البدء في تحقيق أهدافها . إذ من المتوقع

الحاجة إلى المركزية في بداية قيام الإدارة ، ثم تأتي اللامركزية في المرحلة التالية لمرحلة التأسيس التي لابد لها من المركزية إلى حدٍّ ما .

٣ ــ يبدو أن الحاجة ملحَّةٌ إلى النظر في تخفيف المركزية الشديدة بمنح القيادات المحلية والدنيا ــ وبخاصة المدارس والجامعات ــ فرصة اتخاذ القرارات والإجراءات اللازمة في حدود معينة ، بما يخدم الموقف والحالة في تلك المستويات القيادية والإدارية .

٤ ــ من الواضح أن الحاجة إلى اللامركزية في الإدارة أكثر إلحاحاً عند التسليم بوجود مصالح أو متطلبات فردية ، أو خاصة ، أو محلية ، تختلف عنها في الإقليم الآخر ، أو في الإدارة الأخرى ، حتى لا تقع تلك المصالح ــ مع اختلافها ــ تحت طائلة الإجراء المركزي ، مما قد يتلف تميز كل إدارة بقرارات تخدم أهدافها وأهداف المجتمع الذي تقوم فيه ، من جرَّاء اتخاذ القرار في ظل المركزية ، مع التفاوت الحاصل في المصلحة ، والموقف والمدخلات .

هذا ما رأينا إمكانية تبنِّيه حول مبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية في الإدارة الحديثة في ظل تطبيق عمر بن عبدالعزيز له .

تاسعاً : تطبيق مبدأ المرونة :

المرونة في الإدارة أمر مطلوب ، لأن الأمور المتعلقة بالإنسان تختلف باختلاف الموقف ووقته وعناصره ، والإنسان يختلف في قدراته وإمكاناته عن الآخر . لذا لابد من إبداء شيء من المرونة الإدارية في كل مراحل العمل الإداري .

وتعد المرونة من المجالات الإنسانية في الإدارة . وهذا ما أدركه عمر بن عبدالعزيز إبَّان إدارته للدولة الإسلامية .

ولعل المطلع على ما سبق ذكره حول تطبيق عمر لمبدأ المرونة في إدارته ، يمكنه تلمس الأساليب والحالات التي أبدى فيها عمر ـ يرحمه الله ـ قدراً كافياً من المرونة والتجاوز ، والإحساس بمحدودية قدرة الإنسان على وجه العموم ، والعمل على اختيار ما يناسب إدارته ، وما تتطلبه من تطبيق المرونة ، وما يحتاجه أتباعه ومرؤوسوه من تقدير موقفهم ، وإعطائهم القدر المناسب من المرونة في العمل ، سواء في الإتقان ، أم سرعة الإنجاز ، أم كيفية الإنجاز وما إلى ذلك .

وبالإضافة إلى ذلك ، نرى ضرورة مراعاة وتبني الأمور التالية ما أمكن :

١ ـ العلم بأن المرونة في أوامر التكليف الشرعية ، لا تكون إلا بما تتسع له النفس الإنسانية ، وتقدر عليه ، ويشمل ذلك الأوامر التعبدية والشرعية التي أمر بها الخالق جل شأنه ، ومن ثم كانت الإدارة وأوامرها ، وما يأمر به الإنسان أخاه الإنسان أولى بإعطاء قدر كافٍ من المرونة .

٢ ـ ضرورة إعطاء القدر الكافي من المرونة ، وتقديم الفروض والعبادات ، عند اقترانها بالإجراءات الإدارية ، على كل ما تتطلبه الإدارة من التنفيذ والالتزام ، ما لم يصل الأمر إلى حدوث الضرر .

٣ ـ العمل على أن يكون التطبيق لمبدأ المرونة شاملاً لكل جوانب الإدارة ، فلا يقتصر تطبيقه على مجال أو موقف أو وقت معين ، فالمرونة مما يُحتاج إليه في الحوار والتفاهم ، ومواجهة الأتباع والمرؤوسين وآرائهم وأفكارهم (المرونة الفكرية) ، وفي إصدار الأوامر وتنفيذها والتقيد بها ، وفي تطبيق قيم الحق والعدل ، وفي تنفيذ السياسة العامة للإدارة .

٤ ـ إدراك أهمية إبداء قدر كافٍ من المرونة ، وبخاصة عندما ينجم عن عدمها ضرر مادي أو معنوي أو مشقة ، لمن يُملى عليه تنفيذ أمر أو الالتزام به .

٥ ـ العلم بأن المدير أو القائد حتماً سيواجه صعوبات ، وسيخلق لنفسه وإدارته وأتباعه المشاكل التي لا حصر لها عندما يريد تطبيق الأنظمة والقرارات بحذافيرها ، والتمسك بها نصاً ، دون إبداء أي قدر من المرونة ، ومن ثم كان الأجدر به أن يتجاوز هذه الصعوبات بقدر مناسب ـ غير مخلّ ـ من المرونة الإدارية ، حتى ولو بتخفيف حِدّة الأمر على من وقع عليه بنوع من الأسلوب الإنساني .

٦ ـ العلم بأن الناشئين والمتعلمين على اختلاف أنواعهم ومداركهم ، من أكثر العناصر حاجة إلى تطبيق مبدأ المرونة معهم ـ في غير إهمال ـ وبخاصة من قبل المعلمين ، لأن حال طالب العلم يتطلّب قدراً مناسباً من المرونة ، تبعاً لقدرته ، وذكائه وحالته الصحية ، وظروفه الأسرية والاجتماعية .

عاشراً : تطبيق مبدأ تحري و مراعاة أهمية الوقت :

الوقت شيء ثمين ، وحياة الإنسان وقت ، وقيمة حياته في قيمة ما يكسبه وما يؤديه في هذا الوقت .

والإدارة بكل معطياتها جزء مما يكسبه الإنسان في ظل هذا الوقت ، لذا كان الوقت مما يجب مراعاة أهميته وتحري مناسبته .

وذلك ما تميزت به إدارة عمر بن عبدالعزيز ، فقد كان الوقت أمراً هاماً وحيوياً في إدارته وقيادته للأمة الإسلامية ، كما سبق ذكره .

وبلا شك فحالنا وإدارتنا المعاصرة تتطلب قدراً كبيراً جداً من الاهتمام بالوقت ، في ظل هذا العصر الذي أصبح الزمن فيه يقاس بأجزاء الثانية ، ويراعى فيه ما قد يحدث في جزء من الثانية من الضرر ، وما قد يتحقق في الجزء من الثانية من النفع . وكل ذلك في إطار قدرة الله تبارك وتعالى .

ومن خلال تطبيق عمر لمبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت وما عرفناه عن أهمية الوقت يمكننا تبني ما يلي :

١ ـ مما يجب أن نعقله أن الله لم يجعل حياتنا ووقت أعمارنا سدى ، لا مسؤولية فيها عن الوقت، فالله سبحانه أجلُّ وأسمى من أن يجعلها كذلك ، فالمسلم أياً كانت مسؤوليته ، مسؤول عن الوقت ، واستثماره فيما يعود عليه وعلى الآخرين بالنفع في الدنيا والآخرة .

٢ ـ العلم بأن من توجيه الإسلام نحو استغلال الوقت ، الحثُّ على مداومة العمل ، وإن كان قليلاً ، وكراهة الكثير المنقطع[١] ، فالقليل الدائم يصبح كثيراً مفيداً ، والكثير المنقطع يصبح في حكم المفقود ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن أحبَّ الأعمال أدومُها إلى الله وإن قلَّ »[٢] .

٣ ـ ومن توجيه الإسلام للمحافظة على الوقت أيضاً ، الحث على التبكير[٣]، فيبدأ المسلم عمله اليومي مبكراً ، بعزم وصفاء ذهن ، والفجر في حياة المسلم ساعة الانطلاق والبركة ، بفضل دعائه ﷺ ، إذ قال : « اللهم بارك لأمتي في بُكُورها »[٤] .

٤ ـ ضرورة أن تشتمل عنايتنا بالوقت، الاتجاهين اللذين شملهما اعتناء عمر بن عبدالعزيز بوقته :

وأولهما : اغتنام الوقت في فعل الطاعات ، وسرعة الإجراءات ، والحذر من التأخير وأسبابه .

---

(١) محمد الغزالي : خلق المسلم ، بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٣٩ .

(٢) البخاري : صحيح البخاري ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(٣) الغزالي : خلق المسلم ، ص ٢٤٠ .

(٤) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد ، جـ ٣ ، ص ٤١٦ .

وثانيهما : تحري الوقت الملائم للإجراء ، والوقت المناسب لاتخاذ القرار وإعلانه ، ليكون أكثر فعالية وانتشاراً .

٥ ـ الحذر من طول وقت الظلم ، إن علم ، فالقائد أو المدير مسؤول عن مظلمة يَظلِم أحداً إياها ، وطول وقوع هذه المظلمة يزيد من وقوع الإثم ، وكذلك مسؤول عن أي ظلم لمن في إدارته .

٦ ـ ينبغي للقائد أو المدير ، بل كل مسلم أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال الدينية والدنيوية ، تلافياً لأن يطغى بعضها على بعض ، فيأخذ الأقل أهمية وقت المهم ، والمهم وقت الأهم ، فالعمل عاجله وآجله يجب أن يأخذ قدره من الوقت ، والساعة المناسبة لأدائه .

٧ ـ طالما المسلم ـ وإن سلم من مسؤولية القيادة والإدارة ـ محاسباً عن الوقت، فإن ولي الأمر ـ أياً كانت ولايته ـ أولى بتلك المسؤولية والمحاسبة عن الوقت ، لما له وللإدارة من دور في تنظيم الجهود الجماعية ، والحرص على مصالح الفرد والمجتمع ، لذا يجب الحذر ممن يمكن تسميتهم بـ « لصوص الوقت » في إدارتنا الحديثة ، لما لهم من خطورة على أوقات المسؤول ، وهم على النحو التالي[1] :

أ ـ التردد : إن التردد في إصدار القرار خشية الفشل ، يؤدي إلى إضاعة الجهد والوقت ، مما قد يلحق الضرر بما له علاقة بالقرار .

ب ـ التوتر : وهو ما ينتج عن اختلاف الرأي ، فيجب أن لا يزيد عن الحد المحتمل وإلا كان عامل هدم وضياع الوقت .

---

(١) البرعي وعابدين : الإدارية في التراث الإسلامي ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٦ ، بتصرف (عن أنفستروم ومكنزي في كتابهما عن إدارة الوقت) .

جـ ـ البيئة الإدارية : إن ترتيب وتنظيم بيئة الإدارة ، وسير الأعمال ، وسرعة الحصول على البيانات والمعلومات ، وتنسيق متطلبات العمل لدى القائد أو المدير ، مما يوفر الوقت .

د ـ اجتماعات اللجان : تعد إدارة الاجتماعات من الفنون الدقيقة في مجال الإدارة ، لذا كان التخطيط الدقيق ، والاختيار المناسب لوقت وأعضاء اللجان ، أمر على قدر كبير من الأهمية ، وكذلك متابعة تنفيذ التوصيات والقرارات المتوصل إليها ، كل ذلك يعد من الأسس الهامة لتوفير الوقت .

هـ ـ الهاتف : على المدير أو القائد إعطاءُ من حوله حق الإجابة على الهاتف ، فلا يُحَوَّل إليه إلا المهم والضروري فقط .

و ـ البريد : يجب على المدير أو المسؤول تعيينُ شخص يتولى تنظيم المظاريف والرسائل ، وتصنيفها حسب أهميتها ، وسرعة الرد عليها ، ولا يتولى المدير الردَّ إلا على الضروري والمهم منها ، ويرد غيره على المعتاد وغير المهم .

ز ـ الزائر غير المتوقع : يُسهم الزائر غير المتوقع في توقف معالجة الأمور الإدارية ، وإضاعة وقت ثمين ، لذا فالأمر يحتاج إلى لباقة لاختصار مدة لقاء هذا الزائر ، فالوقت لا يسمح بتأجيل الأعمال .

ح ـ القراءة البطيئة : القراءة ببطء تفقد المسؤول جزءاً من الوقت ، لذا فالمران والممارسة تمكن المدير أو القائد من زيادة سرعة القراءة وتفهم المواضيع توفيراً للوقت .

ط ـ الموظفون غير المؤهلين : هذا النوع من الموظفين أو العاملين يضيع الوقت بالأسئلة ، والحاجة إلى الاستمرار في التوجيه ، لذا ينبغي تدريب وتأهيل هؤلاء حفاظاً علي وقت المسؤول ووقت إنجاز العمل .

٨ ـ مما يجب على المعلمين والأساتذة وإداريي التربية والتعليم غرس قيمة الوقت في نفوس المتعلمين ، والتركيز على الإحساس بالوقت وإدراك قيمته ، والاهتمام بكل ما يثير اهتمام المتعلم بالوقت ، سواء من حيث ضبط التوقيتات المدرسية ، أم من حيث عرض النصوص الإسلامية ، والقصص التراثية التي تبين أهمية الوقت ، وعواقب إضاعته ، إذ لا مستقبل لفرد أو جماعة لا يهمها ضياع الوقت .

وخلاصة القول في هذا الجانب هو ما قاله عمر بن عبدالعزيز ، إذ قال : إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما .

حادي عشر : تطبيق مبدأ تقسيم العمل[١] :

إن مما يجب أن نعلمه في إطار تطبيق مبدأ تقسيم العمل أن ذلك سنة إلهية جعلها الله عز وجل في الكون ، وفي الخلق كله ، فقد جعل الله جل شأنه مسؤولية تصريف أمور الكون إلى ملائكته ، وقسم المسؤوليات بينهم ، وأوكل لكل منهم مهمة تختلف عن مهمة الآخر في نوعها ووقتها وحجمها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فالإنسان بلا شك أولى بتقسيم أعماله ، ومهامه تبعاً لمحدودية قدرته وعلمه وإمكاناته .

وذلك ما أدركه عمر بن عبدالعزيز ، إذ طبق مبدأ تقسيم العمل في إدارته للدولة الإسلامية تطبيقاً دقيقاً جديراً بالإشادة .

وإذا كان عمر قد تنبه إلى تطبيق هذا المبدأ في وقته، فإن زمننا المعاصر ، وما يزخر به من الكم الهائل من العلوم ، ومقومات العمل وبناء الحضارة ، يتطلب تطبيقاً على درجة عالية من الدقة والمراعاة لمبدأ تقسيم العمل .

وللتعرف على شيء حول الكيفية التي نرى مراعاتها لتطبيق هذا المبدأ ، نذكر ما يلي :

(١) للتعرف على تقسيمات العمل الإسلامي بكافة أنواعه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وصدر الإسلام ، ننصح بالاطلاع على كتاب : التراتيب الإدارية ، للعلامة عبدالحي الكتاني ، مرجع سابق .

١ ـ إن من أهم ما يجب مراعاته ـ تبعاً لضرورة تقسيم العمل ـ ضرورة تبنِّي مبدأ التخصص وإتقانه ، وعدم الانتقال إلى مجال دون إتقان الأول ، ومراعاة التحديد السليم والدقيق لما يتطلبه تقسيم الأعمال ، من تقسيم وإيجاد التخصصات الدراسية في الجامعات والمؤسسات التعليمية .

٢ ـ العلم بأن التَّجارِب الإدارية قديماً وحديثاً ، قد دلت على أن تقسيم العمل ، وتحديد قواعده وأولوياته ، من أهم عوامل النجاح ، والتعرف على كفاءة العاملين ، وكذلك تحديد المسؤول عن الخطأ والتأخير في إنجاز العمل ، وأن عدم الاهتمام بهذا الجانب يؤدي إلى تعدي بعض العاملين على وظائف البعض الآخر ، مما قد يؤدي إلى العداء ، وفشل إنجاح المهمة وتحقيق الأهداف ، فضلاً عما ينجم عن ذاك من تعب وإجهاد جسدي ونفسي وعقلي للقائد أو المدير .

٣ ـ ضرورة إعطاء فرصة الممارسة وكسب الخبرات للعاملين ، ولا يكون ذلك إلا بتقسيم العمل ، وفي عدم تقسيم العمل وتحديد الاختصاصات حرمان الإدارة والمجتمع من نشاط العناصر القادرة على الأداء ، وتجميد لطاقات معطلة من الأولى الاستفادة منها .

٤ ـ مما يجب مراعاته عند تطبيق هذا المبدأ شموله غالباً على عناصر ثلاثة هي: تحديد المكان ، وتعيين الوظيفة أو العمل ، ثم العلم بالعمل ، وحدوده وإجراءاته ومتطلباته .

٥ ـ يجب على القائد والمدير أو أي مسؤول إقناع أتباعه ومرؤوسيه بضرورة تبني تقسيم العمل، وتنمية الشعور لديهم بأن المسؤول ليس إلا واحداً منهم، وأن له دوراً مثلما لكل منهم دور ، وأنه لا يختلف عنهم في مبدأ تحمل

المسؤولية وأداء العمل البناء ، فهذا عمر بن عبدالعزيز يجعل نفسه ركناً رابعاً من أركان السلطان ، إذ الوالي والقاضي وصاحب بيت المال أركان مثله .

٦ ـ يجب تنمية الإحساس لدى الطلبة من أبنائنا وبناتنا بضرورة تقسيم العمل ، والواجبات ، وأوقات الشعائر الدينية ، والدروس وأنواع العلوم ، وتقع على المعلمين والأساتذة وإداريي التربية جل المسؤولية عن هذا الجانب .

إن الحديث عن كيفية تقسيم العمل تخضع لسياسات وأهداف المؤسسة أو الإدارة . لذا كان من الصعوبة بمكان تحديدُ كيفية يمكن تبنيها . وما سبق ذكره مما يؤكد لدينا ضرورة تطبيق مبدأ تقسيم العمل ، ومما يساعد على ذلك التطبيق .

ثاني عشر : تطبيق مبدأ الحفز والترغيب :

إن الإنسان بطبيعته لديه من الدوافع والحاجات الإنسانية ما يدفعه إلى العمل ـ دينياً أو دنيوياً ـ وكسب الرزق ، والمشي في مناكب الأرض ، ثم إن لديه من الدوافع الإيمانية والاعتقادية ـ وبخاصة المسلم ـ ما يدفعه إلى الإخلاص في القول والعمل ، والإتقان في الأداء ، بيد أن تأثير تلك الدوافع في حفز الإنسان للعمل يتفاوت من شخص إلى آخر .

وفي إطار الظروف الموقفية للفرد العامل ، وإدارته ، وطبيعة العمل ، فإن الأمر يحتاج إلى أساليبَ للحفز والترغيب لتحقيق الاندفاع للعمل ـ أياً كان ـ بشكل أكبر وبحماس وإخلاص أفضل . وذلك ما وعاه عمر بن عبدالعزيز تمام الوعي ، إذ تبين اهتمامه بهذا الجانب في كل المجالات ، وعلى كل الأصعدة ، حتى برز هذا الأمر كواحد من المبادىء الإدارية التي طبقها إبَّان إدارته للدولة الإسلامية كما سبق إيضاحه .

إذ يعد هذا المبدأ من المبادىء السهلة الممكنة التطبيق ـ إن أردنا ذلك ـ لرفع مستوى الكفاءة الإدارية والعملية في إداراتنا ومؤسساتنا ، دون الحاجة إلى أي نوع من المهارات القيادية الخاصة ، أو العلم أو الفن في هذا الجانب ، وللمساهمة في إيجاد كيفيةٍ للأخذ بهذا المبدأ ، وتطبيقه بقدر الإمكان ، في ضوء تطبيقات عمر ، نورد ما يلي :

١ ـ أول ما يجب على القائد أو المدير أو أي مسؤول ، أن يثير الدوافع الإيمانية في نفوس أتباعه ومرؤوسيه ـ فهي أول وأهم الحوافز ، تأثيراً وفضلاً عند الله عز وجل ـ من حيث ترغيبُهم في الأجر من الله على ما يتولونه ويقومون به من أمور المسلمين ، وحثُّهم على الاحتساب في العمل ، والإتقان في الأداء ، إخلاصاً لله سبحانه وتعالى ، والحذر من عواقب الإهمال والتقصير ، خوفاً من مساءلة الله جل شأنه أولاً وأخيراً ، وغير ذلك مما يدفع العمل الإسلامي للأفضل ، إيماناً واحتساباً .

٢ ـ يجب على القائد والمدير وكل من له سلطة ، بل وكل مسلم ، أن يرغب أتباعه ومرؤوسيه وإخوانه المسلمين ، في فعل الطاعات ، وترغيبهم فيما عند الله ، وتحذيرهم من فعل المنكرات ، وترهيبهم من عذاب الله عز وجل ، فلا ينحصر الحفز والترغيب في مؤسساتنا على المجال المادي ، المتمثل في الإنتاج وإنجاز العمل فحسب ، فتلك نظرة غير المسلمين ، وأولوية هذين الأمرين لدى المسلم لا تحتاج إلى إيضاح .

٣ ـ يجب أن لا ننسى ما نقدر عليه من ترغيب العاملين في إداراتنا ومؤسساتنا من غير المسلمين ، في الدخول في دين الإسلام ، ومنحهم ما أمكن من الحوافز ، والعمل على ترغيبهم في دين الله بكل ما في وُسْعِنَا ، فهذا عمر بن عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في دعوته للإسلام لم يأل جهداً في منح الهبات لتأليف قلوب غير المسلمين ، وإعفائهم من الجزية إن أسلموا .

وإبقاء أرضهم بأيديهم ، وإقرار ملوكهم عليهم ، وإبقاء مُلك ملوكهم لهم ، ترغيباً منه ودعوة لهم إلى الإسلام .

٤ ـ يجب الإعلان وإعلام الأتباع والمرؤوسين، بما يُقدم من الحوافز ليكونوا على بينة بالاهتمام بهذا الجانب، فلا تكون المكافآت والحوافز دون علم أحد، ولا تمنح خفية عن الآخرين ، وذلك ما فعله عمر بن عبدالعزيز ، إذ أعلن عن حوافزه ـ نوعاً وكماً ـ لمن أصلح الله به أمراً من أمور المسلمين ، خاصاً أو عاماً ، في أكبر مؤتمر يجتمع فيه المسلمون ، ألا وهو موسم الحج .

٥ ـ في إطار اهتمامات الإنسان المتزايدة حديثاً بالمادة ، فإن الجوائز والمكافآت المادية من أهم الحوافز المؤثرة في سير الأداء في الإدارات والمؤسسات ، وعليه نرى أن يكون هناك مبادرة من القادة والمديرين والمسؤولين لإيجاد قواعد للحوافز غير النظامية ، كالجوائز[1] والمكافآت المادية في المناسبات ، فمثلاً يكون هناك جائزة لأحسن موظف أخلاقاً ، ولأفضل موظف انضباطاً في مواقيت العمل ، وللأمين ، وللمتقن عمله أياً كان ، إذ يلاحظ اختلاف وظائف العاملين من مؤسسة إلى أخرى ، ومن إدارة إلى أخرى ، من إداري ، إلى منفذ ، إلى معلم ، إلى طالب أو طالبة ، إلى عامل في كافة ميادين العمل . مع ملاحظة أن تراعى الأمانة والصدق في اختيار من تمنح له هذه الحوافز ، وإلا كان ضررها أكبر من نفعها .

٦ ـ إن من الواجب على القائد أو المدير الثناء على أهل الفضل لفضلهم ، وأهل الأخلاق الكريمة ، وأهل الكفاءة ، وكل ذي مزية حسنة من الأتباع

(١) على غرار جوائز التفوق العلمي ، وجوائز تحفيظ القرآن الكريم ، وما يكرم به الطلبة المتفوقون ، وحفظة كتاب الله مؤخراً في مناطق المملكة العربية السعودية ، وليس شرطاً أن يكون الأمر الذي نطالب به على نفس المستوى من الرسمية والمقدار ، فقد يكفي التكريم على مستوى الإدارة أو المؤسسة، إن لم يكن بالإمكان إعطاء الأمر قيمة وقدراً أكبر لتحقيق هدف المكافأة والإشادة بصاحبها ، لا التظاهر والرياء .

والمرؤوسين ـ ويعد ذلك من الحفز المعنوي ـ وأن يكون المعيار في ذلك وأي حوافز أخرى مادية أو معنوية، الذي يتخذه من بيده الحفز والترغيب ، معياراً يرضاه ذوو العلاقة ، وغالباً ما تكون القدرة والكفاءة والانضباط والإتقان ، معايير مفضلة لمنح المكافآت والحوافز ، وأن نتجنب المعايير والاعتبارات الشخصية والعلاقات الخاصة والمصالح المرتقبة وغير ذلك ، وعموماً فهذا الأمر أمانة يجب أداؤها .

٧ ـ إن من الحفز والترغيب في العمل الجاد والإخلاص فيه ، وضع كلٍّ في منزلته ، فيجب أن لا يهمل ذوي الكفاءات والطاقات الهائلة في زوايا الإدارة أو المؤسسة ، فتحرم من كفاءتهم الإدارة والمجتمع ، في حين يبرز الجهال والكسالى والخونة والمنافقون حتى يبلغوا شأواً عظيماً ليسوا أهلاً له ، وبلا شك يعد هذا من أساسات العدل ، وتهيئة الفرص لذوي القدرات المميزة للتقدم ، والترقي ، وتولي مسؤوليات أكبر ، وإعدادهم للمستقبل بما هم أهل له .

٨ ـ يجب أن لا يقتصر الحفز على أساليب المنح والعطاء المباشر ، بل يُعد منح الفرص وإتاحة المجال ـ سواء في المجال العلمي، أم العملي، أم التجاري ، أم الزراعي ، أم غير ذلك ـ من صاحب الأمر من أساليب الحفز والترغيب المؤثرة والفعالة ـ وما أحوج منسوبي إدارتنا وأفراد مجتمعنا لمثل ذلك وبخاصة الطاقات الصالحة الشابة ـ وذلك ما لمسناه من إباحة عمر بن عبدالعزيز للحمى ، والسماح بالتجارة في البر والبحر ، ومنح الأراضي البور والميتة لمن أحياها ، كل ذلك مما حفز به المسلمين يرحمه الله . ورغبهم به في العمل في كافة المجالات .

٩ ـ كما أن من أهم ما يجب مراعاته ، أن الناشئين المتعلمين في المدارس قد لا يدركون مصلحتهم ، وما يعود عليهم بالنفع ، سواء فيما يتعلق بالتحصيل العلمي ، أم بالنسبة للصفات الحسنة ، والأخلاق الفاضلة ، فقد لا يوجد لديهم الحافز الشخصي لتحقيق الأفضل ، لمحدودية وعيهم ، وقصر نظرهم ، لصغرهم وجهلهم بالحياة ، لذا كان الأمر يتطلب من المعلمين والقادة والإداريين في مجال التربية والتعليم ، إيجاد الرغبة ، والحافز من النوع المناسب ، والملائم لهؤلاء لترغيبهم في تحقيق الأفضل في كل مجال .

هذا ما قدرنا الله على إيضاحه في هذا المبحث حول كيفية تطبيق المبادىء الإدارية التي طبقها عمر بن عبدالعزيز في إدارتنا في الوقت الحاضر . وفي المبحث التالي من هذا الفصل نتحدث إن شاء الله عن ممارسة عمر بن عبدالعزيز للوظائف الإدارية الحديثة (التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والمراقبة) ومدى وضوح تلك الوظائف في تطبيقاته الإدارية للدولة الإسلامية .

المبحث الرابع

الوظائف الإدارية الحديثة في إدارة عمر

في هذا المبحث سنتطرق إن شاء الله إلى الوظائف (العمليات) الإدارية الرئيسة التي برزت في الإدارة الحديثة ، ومظاهر ممارستها في إدارة عمر بن عبدالعزيز ، إذ يكاد يتفق العلماء والباحثون في مجال الإدارة على أن العملية الإدارية تتلخص في أربع وظائف أساسية هي : التخطيط - والتنظيم - والتوجيه - والرقابة ، وسيكون الحديث عنها فيما يلي :

أولاً : التخطيط :

يعد التخطيط أول الوظائف الإدارية ، فالتخطيط يسبق أية عملية أو إجراء ينتظر أن يكون النجاح حليفاً له . ومهما كبر أم صغر حجم العملية ، إدارية كانت أم غير إدارية فإن التخطيط لتلك العمليات أمر حيوي لأية مؤسسة ، سواء كانت مؤسسة عامة أم خاصة .

والتخطيط يعرف بأنه « اختيار حاضر لسلوك مستقبلي من مجموعة من التصرفات والأنشطة البديلة »[1] .

ويُعرف التخطيط في معناه العام بأنه « العملية التي تتخذ لتلبية احتياجات المستقبل ، وتحديد وسائل تحقيقها »[2] .

كما عرف التخطيط بأنه « الجسر بين الحاضر والمستقبل ، ومن هذا التعريف العام يمكن أن نقول : أن التخطيط في الإسلام هو الاستعداد في الحاضر لما يواجهه الإنسان في عمله ، أو حياته في المستقبل »[3] .

---

(١) علاقي : الردارة ، ص ٢٠١ .

(٢) المنيف : الإدارة ، ص ١٤٧ .

(٣) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ٧١ .

ومن خلال ما ذكر وما لم يذكر من تعاريف التخطيط نلاحظ أنها تتفق تقريباً في أن التخطيط يهدف إلى اتخاذ قرار في الحاضر يتعلق بالمستقبل .

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين قد عرفوا التخطيط ، من خلال التوجيه الرباني الذي توحي به الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[1] .

هنا توجه الآية الكريمة الإنسان إلى الاستعداد لآخرته ، والتخطيط لمتطلبات حياته الدائمة ، بما آتاه في الدنيا ، وكذلك لا ينسى نصيبه من دنياه .

ثم توالت دلائل ممارسات التخطيط وأهميته في حياة الرسول ﷺ، وقيادته للأمة الإسلامية في طور النشأة ، ثم من بعده الخلفاءُ الراشدون وأمراءُ المسلمين ، ومنهم الخليفة عمر بن عبدالعزيز .

إننا نستطيع أن نقول : إن عمر بن عبدالعزيز لم يكن ليتخذ قراراً دونما تخطيط ، وتوخٍ لعواقب الأمور ، وأخذها بعين الاعتبار . ولعل من أهم المؤشرات على إدراك عمر لأهمية التخطيط والتفكير في الأمور قوله لرجاء بن حيوة : « يا رجاء : إن لي عقلاً أخاف أن يعذبني الله عليه »[2] .

كما أدرك عمر ما تهدف إليه الإدارة الحديثة والمعاصرة الآن من أهمية جمع المعلومات ، والتنبؤ المبني على علم وحقائق واقعية ، وأن أساس التخطيط السليم هو جمع المعلومات ذات العاقة بالأهداف المرادِ تحقيقها[3] ، ففي ذلك يقول عمر : « من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح »[4] ، حيث جزم عمر في هذه العبارة أن من اتخذ قراراً ، أو أي نوع من الإجراءات

(١) جزء من الآية ٧٧ من سورة القصص .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٢٦ .

(٣) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٨٩ .

(٤) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٥٠ .

والأوامر ، على قدر غير كاف من المعلومات والحقائق ، فإن أعماله وقراراته ستكون سبباً في الإفساد أكثر من الإصلاح .

وإذا كانت الإدارة الحديثة قد جعلت للتخطيط مقومات ، أهمها الأهداف ، واختيار السياسات ، وتحديد الإجراءات ، وأخيراً بلورة العمل[(١)] ، فإن عمر قد أتى في تطبيقاته لعملية التخطيط على تلك المقومات .

ففي إطار بلورة الأهداف كان هناك هدفٌ رئيسٌ يسعى عمر لتحقيقه ، ألا وهو الانقلاب الإسلامي[(٢)] بكامل مقوماته وأهدافه ، من إقامة العدل والحق ، وإزالة الظلم ، وإعادة الانسجام بين الإنسان وبين نواميس الكون والعالم في إطار مفهوم الإسلام[(٣)] .

أما اختيار السياسات كأحد مقومات التخطيط في الإدارة الحديثة ، فإنه قد تجلى ذلك واضحاً في تطبيقات عمر للتخطيط الإداري ، ولا أدل على ذلك من عزم عمر على الاعتصام بالكتاب الكريم والسنة الشريفة[(٤)] ، وأنه غير مستعد للاستماع إلى أي جدل في مسائل الشرع ، والدين ، على أساس أنه حاكم منفذ ، وأن الشرع بيَّن ما للمسلم وما عليه ، فألزم نفسه أولاً بالدين ، وتطبيق الشرع من جانبه على نفسه ، وعلى رعيته ، كما ألزم الرعية بالتمسك بذلك الشرع القويم[(٥)] .

هذا في إطار تحديد واختيار السياسة العامة ، أما تحديد الإجراءات ، كأحد مقومات التخطيط أيضاً ، فإن ذلك يتضح من خلال الإجراءات التي

(١) المنيف : الإدارة ، ص ١٤٧ . النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ٩٦ .

(٢) للاطلاع على مقومات وأبعاد هذا الانقلاب ، انظر عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب في خلافة عمر بن عبدالعزيز .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧ .

(٤) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٣٥ ، وذلك ما يجمع عليه كل من كتب عن سيرة عمر بن عبدالعزيز وإدارته ومقومات نجاحه في قيادة الأمة الإسلامية .

(٥) زكريا : عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

حددها لتنفيذ هذه السياسة منذ اللقاء الأول مع الأمة عندما وضع شروطاً لصحبته[1] ، نستنتج منها تحديده للإجراءات التنفيذية التالية :

١ ـ أن يكون الصاحب ، أو من يريد أن يتصل به همزةَ وصل بين عمر ومن لا يستطيع أن يصل إليه ، فيرفع إليه حاجة من لا يقدر على الوصول إلى عمر ، فيعرف بذلك حوائج الناس ومطالبهم ، وينظر في قضائها .

٢ ـ أن يكون الصاحب معيناً على الخير بقدر المستطاع ، وتكونَ نزعة الخير هي أساسَ العلاقة بينه وبين مريديه .

٣ ـ أن يكون الصاحب مرشداً إلى الخير ، دالاً إلى العدل ، معيناً على الحق ، وبخاصة ما لا يهتدى إليه .

٤ ـ أن يؤدي الصاحب الأمانة إلى عمر وإلى الناس .

٥ ـ أن لا يغتب من أراد صحبته والقربَ منه أحداً من الرعيَّة عنده .

٦ ـ أن لا يتدخل الصاحب في أي أمر لا يعنيه ، خاصاً كان هذا الأمر أو عاماً .

وأخيراً بلورة طريقة العمل ، رابع مقومات التخطيط في الإدارة الحديثة ، والذي تتضح معالم هذه الطريقة في خطبته ، التي أوضح فيها أنه منفِّذ وليس بمبتدع ـ أي منفِّذاً لتعاليم الدين ـ وأن الطاعة لمن أطاع الله[2] ، وأن يكون أساس العمل إقامة العدل ، والإصلاح والإحسان بدلاً من الظلم والفجور والعدوان[3] ، وإذا كانت الإدارة الحديثة تتمثَّل لنا في عملية بلورة طريقة العمل

---

(١) وردت هذه الشروط في ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٣١ . وابن كثير : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧١ . وابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٣٥ . مع بعض الاختلاف في الألفاظ والعبارات .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

في التخطيط ، بالانتقال من طريقة عمل أو إنتاج يدوية إلى طريقة عمل آلية[1] مثلاً ، فإن عمر بن عبدالعزيز هنا غيَّر أسلوب العمل على مستوى إدارته للدولة من طريقة الظلم والفجور والعدوان ، إلى طريقة العدل والإصلاح والإحسان ، وقال إن « للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً ، فمن عمل بها استكمل الإيمان ، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها »[2] وبذلك بلور عمر منهجه وطريقته في العمل ، تلك الطريقة الربَّانية ، الخالصة لوجه الله عز وجل .

كما مارس عمر بن عبدالعزيز معظم أنواع التخطيط ، التي أبرزتها الإدارية الحديثة والمعاصرة ، سواء أنواعه من حيث شمولُ الخطة ، أو الفترة الزمنية أو مجال التخطيط ، أو التخطيط تبعاً للمستوى التنظيمي[3] .

وللدلالة على ممارساته للتخطيط من حيث الشمول ، فقد شمل تخطيطه كافَّةَ مقومات نهضة الأمة بكامل اتساعها ، فكان انقلاباً إسلامياً شاملاً لكل قيم الظلم والعدوان ، وكل منافذ الإدارة العقيمة ، ناصراً لقيم العدل والحق وما جاء به الدين الإسلامي ، لتهيئة الظروف للنجاح الإداري والتخطيط لذلك .

أما التخطيط من حيث الفترة الزمنية ، فإن مما يميز تخطيط عمر في هذا الجانب ، صلاحيته للمدى البعيد ، أي التخطيط طويل الأجل ، إذ كان يهدف في ذلك إلى تحقيق أهداف ليس لها حدود زمنية ، بل هي قائمة ما قامت الأمة الإسلامية .

كما شمل تخطيط عمر ــ من حيث المجال ــ كافَّةَ المجالات ، فلم يترك مجالاً إلا طرق بابه ، أمور السياسة والحكم ، والقضاء ، والاقتصاد ، والتربية

---

(١) المنيف : الإدارة ، ص ١٤٩ .

(٢) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٥٤ .

(٣) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ١١٢ ــ ١١٧ .

والتعليم ، وأمور الحرب ، والنواحي الاجتماعية ، فضلاً عن التخطيط من حيث المستوى التنظيمي ، فقد اهتم بالتخطيط للأمور العامة للدولة ، كما اهتم ببعض الأقاليم بشكل منفصل مثل خراسان والعراق ، كما اهتم بمؤسسات تنظيمية أخرى ، مثل : القضاء ، وبيت المال ، وولاة الخراج ، وغير ذلك .

ولتلافي الإطالة ، فإننا نكتفي بالأدلة العامة الرئيسة في مواقف عمر وإجراءاته ، على ممارساته للتخطيط ، والمتتبع لسيرة عمر وإجراءاته ـ من خلال ما سبق أن ذكرناه في الفصول السابقة ، أو ما كتب عن عمر ـ يدرك أن عمر قد اهتم بالتخطيط ، ذلك الأمر الهام في الإدارة ، الذي يأتي أول الوظائف الإدارية في الإدارة الحديثة ، وذلك ما سبق إليه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله .

ثانياً : التنظيم :

التنظيم له مدلولان في اللغة العربية ، أحدهما يعني : الهيكل الذي يضم مجموعة من الأفراد ، يسعَوْن لتحقيق هدف مشترك ، والثاني يعني : التنظيم كعملية أو وظيفة لوضع نظام للعلاقات منسق إدارياً ، لتحقيق هدف مشترك[1] .

ويمكن تعريف التنظيم أيضا « بأنه : الترتيب ووضع الأشخاص والأشياء في الأماكن التي تصلح فيها للعمل والإنتاج ، وهذا تعريف عام ، أما التعريف العلمي فهو : توزيع العمل إلى جزئيات (تقسيمه) ، ثم توزيع ذلك على العاملين ، وبذلك ينتظم العمل ، ويعرف كلُّ شخص مسؤوليته وصلاحياته »[2] .

وإذا كان التخطيط يعد الوظيفة الأولى للإدارة ، وذلك ما تبناه عمر بن عبدالعزيز ، فإن التنظيم يأتي في المرحلة الثانية ، مكمِّلاً للتخطيط ، لبناء المتطلبات الإجرائية لتنفيذ الخطط .

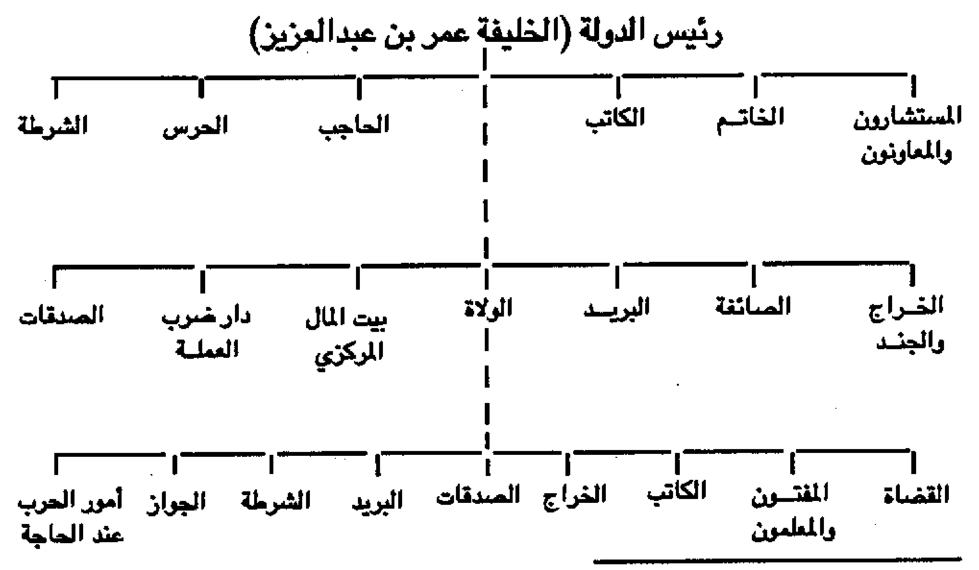
---

(١) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ٩٥ .

ولقد كان للتنظيم مكانةً في الإدارة الإسلامية ، منذ قيام الدولة الإسلامية في عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين من بعده[١] ، ثم الدولة الأموية ، وما يهمنا هنا ، هو دور عمر بن عبدالعزيز في هذا المجال ، إذ جعل التنظيم أهم أولويات العمل الإداري، ورسخ مفهوم التنظيم في سلوكه الإداري .

فمن حيث التنظيم الهيكلي للعمل ، نجده قد جزّأ أعمال الدولة إلى أربعة أجزاء رئيسة، تأتي تحت مسؤولية أربعة أركان هم: الوالي، والقاضي، وصاحب بيت المال، والخليفة[٢]، بالإضافة إلى تنظيمات أخرى مثل : الخراج، والجند، والكتاب ، والشرطة ، والحرس ، وصاحب الخاتم ، والحاجب وغير ذلك ، وفيما يلي اللائحة التنظيمية لمسؤوليات العمل في عهد عمر بن عبدالعزيز[٣] :



(١) للتوسع في هذا الموضوع ، انظر المرجع السابق ، ص ٩٣ ـ ١٢٣ . أحمد إبراهيم أبو سن : الإدارة في الإسلام ، الخرطوم ، الدار السودانية للكتب ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك في مبدأ تقسيم العمل ضمن المبادىء الإدارية في المبحث السابق من هذا الفصل .

(٣) تم إعداد هذه اللائحة من خلال استقراء المعلومات المتوفرة في المراجع عن عمال وولاة وقضاة عمر . وخصوصاً ابن خياط : تاريخ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٥ . وزكريا : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢٦٩ ـ ٢٩٨ . وغيرهما ، بالإضافة إلى خريطة تنظيمية لشكل وحجم الإدارة في العهد الأموي ، العلي : الإدارة في الإسلام ، ص ٨٢ .

أما فيما يتعلق بالتنظيم من حيث الإجراءات ، والعلاقات بين الخليفة والولاة والعمال ، وتحديد أوجه العمل وأساليب التنفيذ ، فإنه يمكننا القول : إن الكثير من كتب عمر لعماله تسعى لتحقيق هذا الغرض ، وإيضاح هذا الجانب التنظيمي من العملية الإدارية .

فعلى سبيل المثال ، أوضح أسلوب التعامل بينه وبين المظلومين وكيفية الاتصال بينه وبينهم ، إذ أباح دخول المظلومين عليه من غير إذن[١] ، ومن صور التنظيم أيضاً إعادة الكثير من الأمور والقضايا إلى ما كنت عليه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين ، ومثال ذلك أمره بإرجاع مزرعته في خيبر إلى ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ ، إذ قال ابن عبدالحكم : « وكان عمر بن عبدالعزيز نظر في مزارعه فخرق سجلاتها[٢] حتى بقيت مزرعتا خيبر والسويداء ، فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه ، قيل له : كانت في نِحَل رسول الله ﷺ فتركها رسول الله ﷺ فيئاً للمسلمين ، ثم صارت إلى مروان ، ـ أي مروان بن الحكم ـ فأعطاها مروانُ أباك ـ أبا عمر ـ ثم أعطاكها أبوك ، فخرق عمر سجلها ، وقال : أتركها حيث تركها رسول الله ﷺ »[٣] . وتم الشيء نفسه بشأن « فدك »[٤] ، إذ كتب إلى أبي بكر بن حزم واليه على المدينة يقول : « إني نظرت في أمر فدك ، فإذا هو لا يصلح ، فرأيت أن أردها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ ، وأبي بكر وعمر وعثمان ، فاقبضها ولّها رجلاً يقوم فيها بالحق ، وسلام عليك »[٥] .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٣٦ .

(٢) أي السجلات والأوراق التي تثبت تملكه إياها .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٥٠ .

(٢) فدك : هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل : ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله في سنة سبع للهجرة ، لما نزل خيبر ، وهي خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنها مما لم يطأ عليه خيل ولا ركاب ، فيها عين فوّارة ونخل كثير ، (الحموي : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨) .

(٥) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٣١ .

كما كتب إلى عماله بكل ما يتعلق بتنظيم الأمور المالية ، والصدقات ، والضرائب ، والأخماس ، والزكاة في الأموال ، والممتلكات ، وتنظيم الأعمال التِّجارية ، ومن ليس له الحق في ممارسة التجارة[1] ، وغير ذلك .

كما اهتم عم بتنظيم أمور القضاء باعتباره السبيل الرئيس للفصل بين الناس في منازعاتهم وحماية حقوقهم ، فكان لكل مصر أو ولاية قاضٍ يقضي بما في الكتاب والسنة ، وكان قضاته[2] في كل مصر أجلُّ وأفقه وأصلح علماء ذلك المصر ، أمثال الحسن البصري ، وعامر الشعبي وغيرهم ، كما كان عمر يمارس القضاء بنفسه[3]. وكان الاعتبار الأساس في التنظيم القضائي في نظر عمر هو مراجعة الحق، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل[4] .

وكان ما نسميه حالياً بالاستئناف في الحكم يمارس في عهد عمر بكل يسر ، فلا أهون رداً على عمر من كتاب قضى به فأبصر الحق فرده[5] . كما أكد على ضرورة إقامة الحدود وشدد على تنفيذها ، فأبدى رغبته في الانتظام في ذلك فأرسل إلى عماله يقول : « إن إقامة الحدود عندي كإقامة الصلاة والزكاة »[6] . وجعل لتنفيذ العقوبات ـ غير حدود الله ـ تنظيماً محدداً ، وحسم ذلك في كتابه لأحد عماله قال فيه : « لا تبلغ في العقوبة أكثر من ثلاثين سوطاً، إلا في حدٍّ من حدود الله »[7] .

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٧٨ ـ ٨٣ .

(٢) انظر عن قضاة عمر ، ابن خياط : تاريخ ، ص ٣٢٤ . زكريا : عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ٩٣ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٧٨ .

(٧) المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٨٥ .

كما شملت تطبيقات عمر للتنظيم بيت الخلافة ، فقد أعاد تنظيمه بما يتوافق مع نظرته في أنه واحد من عامة المسلمين ، وأنه ليس في حاجة إلى أُبَّهة الملك ، فانصرف عن كل مظاهر الخلافة التي سادت قبله[1] ، وألغى بعض الوظائف مثل حرَّاس الخليفة ، وصاحب الشرطة الذي يسير بين يدي الخليفة بالحربة ، كعادته مع الخلفاء السابقين وقال له عمر : « تنحَّ عني مالي ولك ؟. إنما أنا رجل من المسلمين ، ثم سار وسار معه الناس »[2] . هذا شيء مما يدل على تطبيقات عمر للوظيفة الإدارية الثانية من وظائف الإدارة الحديثة .

وإذا نحن نظرنا إلى مقومات أو مبادىء التنظيم في نظر الإدارة الحديثة ، خصوصاً ، وحدة الهدف ، وتقسيم العمل ، ووحدة الأمر ، والمركزية واللامركزية[3] ، فإن فيما أثبتناه في المبحث السابق من هذا الفصل ، عند الحديث عن المبادىء الإدارية عند عمر ، ما يوحي لنا باهتمام عمر بالتنظيم ومقوماته، وإدراكه لدور التنظيم في تحقيق النجاح الإداري على كل المستويات .

ثالثاً : التوجيــه :

يأتي التوجيه كأحد الوظائف الإدارية ، في مرحلة التنفيذ لما سبق التخطيط له ، والتنظيم لتحقيقه من أهداف مرسومة . فيعرف التوجيه « بأنه : قدرة المدير بالسير الصحيح بمن تحت إمرته ، وهدايتهم وتوجيههم ، مع إشاعة روح الود والحب والرضا ، والتفاني والانتماء للعمل ، حتى يتحقق الهدف المطلوب تحقيقه »[4] .

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٣٣ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٦٥ .

(٣) النمر وآخرون : الإدارة العامة ، ص ١٤٥ .

(٤) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ١١٩ .

كما يعرف التوجيه بأنه « دفع المرؤوسين للعمل وفق الخطط المحددة »[1] .

وإذا نظرنا إلى التوجيه في ضوء ما ذكرناه من تعاريف ، وما لم يذكر ، وفي إطاره العام من حيث توجيه الإنسان لتحقيق الهدف من خلقه ، ألا وهو عبادة الله ، فإن المصادر التشريعية في الإسلام تحتوي على رصيد عال من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، تهدف كلها إلى توجيه الإنسان لكل ما فيه خير في دينه ودنياه ، وفي كافة مجالات ومتطلبات حياة الإنسان وآخرته ، فلا نكاد نجد آيةً في القرآن ، ولا حديثاً شريفاً إلا ولها مدلول توجيهي . فكانت من الشمول بمكان ، حتى شملت أدق الأمور وأبسطها في حياة الإنسان ، ومن بين الأمور التي شملها التوجيه الرباني ، والتوجيه النبوي الكريم ؛ التوجيه القيادي والإداري . فضلاً عما هو أهم من ذلك .

والقدرة على التوجيه والقيادة ، والتأثير في الأتباع والمرؤوسين ، أو في الناس عموماً ، يتفاوت فيها البشر ، وخصوصاً القادة والإداريُّون ، كل حسب قدرته وصفاته الشخصية ، وما لديه من السِّمات والمؤثرات التي تجعل لتوجيهه مردوداً وفائدة ، يتحقق بموجبها الهدف الذي من أجله يتم التوجيه .

وهنا نسعى إلى إبراز دور عمر بن عبدالعزيز في هذا المجال ، في ضوء ممارساته لعمليات ووظائف الإدارة الحديثة .

لقد كانت جل مواقف عمر وأقواله وكتبه لا تخلو من توجيه ، أو رأي ، أو إسداء نصح لمرؤوسيه، من ولاة، وعمال، وكذلك أفراد الرعية ، فإذا كان التوجيه يمارس بالقول المباشرة تارة، وبالكتابة والأوامر التحريرية تارة أخرى[2]، فإن عمر قد مارس التوجيه بكافة تلك الطرق. فنجده مرة يوجه مَن حوله شفهياً،

---

(١) علاقي : الإدارة ، ص ٥١١ .

(٢) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ١١٩ .

وأخرى يكتب لمن هم عنه بعيد من العمال والولاة وأفراد الرعية ، وأحياناً يكلف من يقوم بتلك المهمة ممن يثق بهم .

ولعل المجال يسمح لنا بأن نعرض شيئاً من ممارسات عمر للتوجيه(١) ، كوظيفة من وظائف الإدارة ، فمن توجيهاته الشفهية في مجال تحقيق الأهداف ما رواه أبو نعيم الأصبهاني أن عمر بن عبدالعزيز قال : « ادرؤا الحدود ما استطعتم في كل شبهة ، فإن الوالي إن أخطأ في العفو خير له من أن يتعدى في الظلم والعقوبة »(٢) .

فكان عمر بهذا يوجه الولاة خلال تنفيذهم للحدود إلى ضرورة درء الحدود، فإن الخطأ في العفو خير من التعدي في العقوبة .

ومن توجيهاته المكتوبة ، ما كتب إلى عامله على البصرة عديّ بن أرطاة ، موجِّهاً إياه إلى كيفية التعامل مع من ظهرت خيانتهم ، حين سأله عديٌ الإذن له في تعذيب عمال على خياناتهم ، فقال : « أما بعد : فقد جاءني كتابك ، تذكر أن قبَلك عمَّالاً ظهرت خيانتهم ، وتسألني أن آذن لك في عذابهم ، كأنك ترى أني لك جُنَّةٌ من دون الله ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فإن قامت عليهم بينة فخذهم بذلك ، وإلا فأحلفهم دُبُر صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ، ما اختانوا من مال المسلمين شيئاً ، فإن حلفوا فخلٌ سبيلهم ، فإنما هو مال المسلمين ، وليس للشحيح منهم إلا جهد أيمانهم . ولعمري لأن يلقوا الله بخياناتهم أحبٌ إليٌ من أن ألقى الله بدمائهم والسلام »(٣) .

---

(١) سبق أن أشرنا إلى توجيهات عمر في مجال التربية والتعليم ، وتوجيهاته في مجال تربية وتعليم أولاده ، في المبحث الثاني والثالث على التوالي من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٢) الأصبهاني : حلية الأولياء ، جـ ٥ ، ص ٣١١ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٥٥ .

وهنا يتَّضح توجيه عمر وقت أداء المسؤولين لأعمالهم الإدراية أي التوجيه فيما بعد التخطيط والتنظيم ، كما يتضح من توجيه عمر المكتوب هذا ، أنه لم يخلُ من استدراج عامله إلى تنفيذ التوجيه بشيء من التذكير والوعظ ، والتبرير لأسباب ذلك التوجيه ، ليكون بالقبول أجدى وبالتنفيذ أحرى ، إذ يذكره عمر بأنه لن يكون له جُنَّةٌ من عذاب الله ، وأن لقاءهم الله بخياناتهم أحب إليه من أن يلقى الله بدمائهم .

كما كتب عمر إلى عبدالرحمن بن نعيم عامله على خراسان ، موجهاً إياه في أداء عمله فقال : « إن العمل والعِلم قريبان . فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان عليهم وبالاً »[1] .

وفي إطار الشمولية في ممارسة عمر للتوجيه ، فإنه إلى جانب توجيهاته الإدارية ، والاقتصادية ، والقضائية ، فقد كان له توجيهات عسكرية ، ومن ذلك ما يرويه ابن عبدالحكم من عهد[2] عمر لمنصور بن غالب حين بعثه للحرب ، ضمَّنه توجيهاته بأن يتقي الله على كل حال ، وأمره أن لا يكون أشد احتراساً من عدوه منه من معاصي الله ، وأمره أن يرفق بمن معه في سفرهم ، ولا يجشِّمهم مسيراً يتعبهم فيه ، وأمره أن يقيم ومن معه في كل جمعة يوماً وليلة يكون لهم راحة ، وأمره أن ينحِّيَ منزله عن القرى المتصالح عليها فلا يدخلها ، وأمره أن تكون عيونه من العرب ، وممن يطمئن إلى نصيحته وصدقه من أهل الأرض .

وفي تلك الأوامر وغيرها من عهد عمر هذا توجيهٌ سديدٌ يعكس لنا بوضوح إدراك عمر لأبعاد الحرب ، والمقومات الأساسية للأعمال العسكرية ،

---

(١) الطبري : تاريخ الطبري ، جـ ٦ ، ص ٥٦٧ .

(٢) نص هذا العهد كاملاً ـ بما احتوى من توجيهات جليلة ، ذكرنا أهمها فقط خشية الإطالة ـ عند ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

وسبل إنجاح الحملات والتحركات العسكرية عند الحاجة ، وارتباط ذلك كلّه بتقوى الله عز وجل في القول والعمل سراً وعلانية .

كما كان توجيه عمر عاماً لكافة مستويات أفراد الأمة ، سواء كان والياً أم قاضياً أم مربياً أن إبناً أم فرداً من أفراد الرعية ، كما شمل توجيه عمر المرشح لتولي أمر خلافة المسلمين ، ومن ذلك ما وجه به يزيد بن عبدالملك وليّ عهده ، لما حضرته الوفاة ، إذ قال : « أما بعد يا يزيد : فاتّق الصرعة عند الغفلة ، فلا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، وتترك ما تترك لمن لا يحمدك ، وتنقلب إلى من لا يعذرك . والسلام »(١) .

هذا ما كان من توجيهه لولي عهده قبيل وفاته ، أما وإن كان كذلك فإنه كان يوجه أيضاً في مواقف قلّ من يهمه أمر التوجيه حينذاك . لقد مارس عمر التوجيه وقت موقف صعب أليم ، ألا وهو موت ابنه عبدالملك ، فلم يكن في موت عبدالملك ـ ثالث الثلاثة الذي أعان الله عمر بهم ، وهم سهل أخوه ، ومزاحم مولاه، وعبدالملك ابنُه ـ ما يشغله عن النصيحة والتوجيه، إذ يروي ابن الجوزي : « أن عمر بن عبدالعزيز رأى، وهو يدفن ابنه عبدالملك، رجلاً يشير بشماله، فقال: « يا هذا! إذا تكلمت فلا تشر بشمالك، أشر بيمينك. فقال الرجل: ما رأيت كاليوم أن رجلاً يدفن أعز الناس، ثم إنه يهمه شمالي ويميني، فقال عمر : إذا استأثر الله بشيء قال عنه »(٢) .

ومن جهة أخرى ، فقد أخذت وظيفة التوجيه في نظر عمر بعداً أوسع مما هو في الإدارة الحديثة ، من حيث ضرورة التوجيه للمجتمع ككل ، والأمر بالمعروف ، والتناهي عن المنكر ، واسداء النصح للمسلم من أخيه المسلم ،

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ١٠٣ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ٣٠٤ .

فضلاً عن التوجيه الإداري المحدود بالمؤسسة وأهدافها المحدودة في الإدارة الحديثة ، فلا ينحصر التوجيه على هذا النطاق ، ولا يقتصر على ذوي الشأن ، وتتضح لنا هذه النظرة البعيدة المدى في مقولتين لعمر ، روى الأولى ابن كثير ، قال عمر : « لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر ، حتى يحكم أمر نفسه ، لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة »[1] .

أما المقولة الثانية فيرويها الطبري قال : قال عمر : « من وصل أخاه بنصحه له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه »[2] .

ومن خلال ما ذكرناه ، وهو قليل من كثير ، مما برزت فيه ممارسات عمر للتوجيه ، كإحدى وظائف الإدارة الحديثة ، فإنه يمكن أن نميز ممارسات عمر تلك ، بما يلي :

١ ـ الشمولية في التوجيه ، إذ شملت توجيهاته كافة المجالات الإدارية وغيرها من مجالات الحياة ، مما يتعلق بالدين والدنيا .

٢ ـ العمومية في التوجيه ، فقد عمت توجيهاته الصغير والكبير ، والوالي والقاضي والعامل ، وأفراد الرعية .

٣ ـ الحرص على اقتران التوجيه بالدافع إليه ، والتسويغ له ، والإقناع به ، ليكون أكثر تأثيراً ، وجديراً بالتنفيذ والقبول ، ولعل هذا ما تشير إليه الإدارة الحديثة بالعلاقات الإنسانية ، كإحدى أدوات التوجيه .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢١٧ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٧١ .

٤ ـ اتخاذ الحوافز ، سواء المادية أم المعنوية أم كلاهما معاً ، لتحقيق فعالية أفضل للتوجيه . ولعل هذا مما جعلته الإدارة الحديثة ضمن أدوات التوجيه.

هذا شيء مما كان عليه عمر وقت قيادته للأمة الإسلامية ، وإدارته لها ، من ممارسة التوجيه الإداري ، ولعل من المفيد أن نذكر ختاماً لذلك ما قاله أبو الحسن الندوي حول هذا الموضوع ، في سياق تعليقه على قول عمر : إن الله جعل ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثه جابياً ، قال الندوي : « ... وعلى هذا الأساس ، وعلى هذه النظرة ، قامت دولته ـ يعني عمر ـ ، وهو أساس « الهداية » التي بُعِث لها النبي ﷺ ، وبهذه النظرة كان ينظر إلى قضايا الحكومة ومصالحها ، وهي نظرة « المرشد » ونظرة « الداعي » ، ونظرة خليفة الرسول الهادي . وذلك مفتاح شخصية عمر بن عبدالعزيز ، الذي نستطيع أن ندخل به إلى رحاب الشخصية الفذة في الإسلام ، الفذة في الأمم »[١] .

رابعاً : الرقابـــة :

لقد تميزت الإدارة في الإسلام فيما يتعلق بالرقابة ، التي هي الوظيفة الرابعة من وظائف الإدارة الحديثة ، بميزة تنفرد بها في ضوء تعاليم الإسلام عن غيرها من الإدارات ؛ تلك هي الرقابة الذاتية .

ولكي نحدد ما هي الرقابة الذاتية ، لابد من التعرف على مفهوم الرقابة ، إذ تعرف الرقابة في نظر الإدارة الحديثة ، بأنها « التأكد من أن ما يتحقق ، أو ما تحقق فعلاً مطابق لما تقرر في الخطة المعتمدة ، سواء بالنسبة للأهداف أم بالنسبة للسياسات والإجراءات (اللوائح) أو بالنسبة للموازنات التخطيطية بالنسبة لبرامج العمل والجداول الزمنية »[٢] .

(١) الندوي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٢١ .

(٢) الهواري : الإدارة ، ص ٣٨١ .

وتعرف أيضاً بأنها : « التأكد والتحقق من أن تنفيذ الأهداف المطلوب تحقيقها في العملية الإدارية ، تسير سيراً صحيحاً ، حسب الخطة ، والتنظيم ، والتوجيه المرسوم لها »(١) .

أما الرقابة الذاتية التي ذكرنا تميز الإدارة الإسلامية بها ، فهي تأتي في إطار إدراك المسلم أياً كان مستوى إدارته ومسؤوليته ـ أن الله سبحانه وتعالى ـ يعلم أعمال خلقه الخفية منها والظاهرة . وذلك ما تدل عليه كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢) . وقال عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه السلام ، حين سأله عن الإحسان ، قال رسول الله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...»(٣) .

وهنا تبرز ملامح أعظم رقابة ، يمكن لها تحقيق الهدف منها ، وهي : الرقابة الذاتية للمسلم على نفسه ، في ممارساته لكافة أعماله الدينية والدنيوية ، إدارية كانت أو قيادية ، أو غير ذلك ، يقيناً منه أنه لا يعزب عن علم الله تعالى شيء ، فهو يعلم السر وأخفى .

وهذا كفيل بأن يقلل من أعباء الرقابة الإدارية ، من أي نوع كانت ، إذا صدق إيمان المسلم .

وبعد هذا العرض الموجز عن مفهوم الرقابة ، نعود إلى عمر بن عبدالعزيز وممارسته للرقابة ، التي طالعتنا الإدارة الحديثة بتصنيفها ضمن وظائف الإدارة .

---

(١) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ١٢٧ .

(٢) الاية ١٠٥ من سورة التوبة .

(٣) المنذري : مختصر صحيح مسلم ، ص ٧ .

لقد كان عمر بن عبدالعزيز ، وقبل أن يمارس وظيفة الرقابة للعمال ، والولاة ، والرعية ، ملتزماً كل الالتزام بمراقبة ذاته ، فكان يراعي الله سبحانه وتعالى في كل عمل يُقدم عليه ، فكان من أهم النقاط المركزية في حياته إخلاصُه ومراقبتُه لله سبحانه وتعالى في السر والعلن .

أما فيما يتعلق بممارسة عمر لوظيفة الرقابة ، فقد كانت هذه الوظيفة من أبرز الوظائف الإدارية الحديثة عند عمر ممارسةً ، إذ مارس الرقابة التوجيهية عن طريق التعليمات ، والتوجيهات ، واسداء النصح ، والرقابة أثناء القيام بتنفيذ تلك التوجيهات ، لتحقيق الأهداف المنشودة ، وهذا ما عرف حديثاً بالرقابة السابقة ، والرقابة اللاحقة[١] .

ومن أهم دلائل ممارسة عمر للرقابة لتنفيذ أهدافه الشاملة ، أن فرض على الولاة والعمال والموظفين رقابة دائبة مستمرة ، ليتحملوا مسؤولياتهم تجاه ما أوكل إليهم ، ولعل من أبرز مواقف وإجراءات عمر في هذا المجال ، أنه كتب إلى واليه على البصرة، عديّ بن أرطأة ، إذ وجد منه تقصيراً ذات مرة ، يقول : « أما بعد : فإنك غررتني بعمامتك السوداء ، ومجالستك القراء ، وارسالك العمامة من ورائك ، وإنك أظهرت لي الخير ، فأحسنت بك الظن ، وقد أظهر الله ما كنتم تكتمون . والسلام »[٢] .

وحدث ذات مرة أن كتب إليه وهب بن منبّه : « إني فقدت من بيت مال اليمن دنانير . فكتب إليه عمر : أما بعد : فإني لست أتّهم دينك ولا أمانتك ، ولكني أتهم تضييعك وتفريطك ، وإنما أنا حجيج المسلمين في مالهم ، وإنما لأشحّهم يمينك فاحلف لهم والسلام »[٣] .

---

(١) الضحيان : الإدارة في الإسلام ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢١ .

(٣) ابن عبدالحكم : سيرة عمر ، ص ٥٨ .

وكتب لأحد عماله قائلاً : « لقد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ! فإما عدلت ، وإما اعتزلت والسلام »[1] .

كما كتب إلى عامله على خراسان ، يقول : « إنه بلغني أنك استعملت عبدالله بن الأهتم ، وإن الله لم يبارك لعبدالله بن الأهتم في العمل ، فاعزله ، وإنه على ذلك لذو قرابة لأمير المؤمنين . وبلغني أنك استعملت عمارة ، ولا حاجة لي بعمارة ، ولا ضرب عمارة ، ولا برجل قد صبغ يده في دماء المسلمين ، فاعزله »[2] . وفي قول عمر : « بلغني ... » أن هناك من هو موكل بالمتابعة ، « فقد بعث إلى خراسان ثلاثة مفتشين ، يبحثون في ظلامات الناس من نظام خراجها ، الذي قرره عدي بن أرطأة على الأهالي . وأرسل مفتشاً إلى العراق ، ليأتيه بأخبار الولاة والناس فيها »[3] .

ولقد أعلن عمر في إطار ممارسته لوظيفة الرقابة ، ما يمكن تسميته بالرقابة العامة ، إذ كتب لأهل الموسم في يوم حجّهم الأكبر : « ... إني بريء من ظلم من ظلمكم ... ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني، وأنا معوّل كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم ... ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به ، خاصة أو عامة ، فله ما بين مائة دينار إلى ثلثمائة دينار ، على قدر ما نوى من الحسبة ...»[4] . وهنا أعلن في أكبر تجمع إسلامي ، بل شجع مادياً ومعنوياً على مراقبته ، ومراقبة عماله ، والإفصاح عن كل ما لا يوافق الكتاب والسنة ، وبطبيعة الحال ، فالأمة الإسلامية لا تحتاج إلى غير تعاليم الكتاب والسنة ، إذا كان الالتزام بها هدف منشود .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر ، ص ١٠٥ .

(٣) الزحيلي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٨٢ .

(٤) ابن الجوزي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٩٠ .

كما أن عمر في الوقت الذي يطبق نظاماً رقابياً فاعلاً ، فإنه يسعى دائماً إلى تعميق مفهوم الرقابة الذاتية الشخصية ، إدراكاً منه للمردود الإيجابي لذلك على كل العناصر ، ومن الأمثلة التي تؤكد ذلك كتاباً له إلى بعض عماله. يقول : « أما بعد، فاتق الله فيمن وليت أمره، ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته، فإنه إنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »(١) . وكتاب آخر لبعض عماله أيضاً يقول : « أما بعد : فإن دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم، فاذكر قدرة الله عليك ، في نفاذ ما يأتي إليهم، وبقاء ما يؤتى إليك »(٢) .

أما كتابٌ آخر لأحد عماله ، فكان من نتائجه وأثره البالغ ، أن عزل ذلك العامل نفسه ، حين قال عمر لذلك العامل : « يا أخي : أُذكرك طول سهر أهل النار في النار ، مع خلود الأبد ، وإياك أن يُنصَرَف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . فلما قرأ الكتاب ـ أي العامل ـ طوى البلاد حتى قدم على عمر . فقال له : ما أقدمك ، قال : خلعت قلبي بكتابك . لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله تعالى »(٣) .

ولعل ما سبق ذكره يأتي في إطار الرقابة السابقة ، التي تنادي الإدارة الحديثة بضرورتها .

ولم يكن عمر يقف في ممارسته للرقابة عند ذلك الحد بل إنه قد يُتبِع ذلك إجراءات أخرى ، قد تصل إلى عزل الوالي أو العامل . وأمثلة ذلك كثيرة .

ومن أهم خصائص ممارسات عمر للوظيفة الرابعة ـ الرقابة ـ من وظائف الإدارة الحديثة الأخذ بأسلوب التدرج في الإجراءات الرقابية والعقوبات،

---

(١) ابن الجوزي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

فكان يعطي الانذار ، ثم التوبيخ ، ثم العزل ، إن تطلب الأمر ذلك . بالإضافة إلى عمومية المراقبة لكافة المستويات الوظيفية في الدولة ، مما يكون دليلاً على تبنِّي الرقابة بكل مقوماتها التي تقرها الإدارة الحديثة .

كان ذلك شيئاً مما يبرز ممارسات عمر للرقابة كواحدة من العمليات أو الوظائف الأربع للإدارة الحديثة ، التي سبق أيضاً الحديث عنها ، وعن تطبيقات عمر لها ، وهي التخطيط ـ والتنظيم ـ والتوجيه ، ورابعتها : الرقابة في هذا المبحث ، الذي يأتي في خاتمة الفصل الذي تحدثنا فيه عن عمر بن عبدالعزيز والإدارة ، مع الأخذ في الحسبان التركيز على المبادىء الإدارية ، التي تبناها وطبقها رحمه الله ، ليكتمل النموذج الإداري ، الذي نسعى للتعرف عليه عند عمر ، والذي يتكون من عنصرين أساسيين هما : الصفات القيادية عند عمر والمبادىء الإدارية التي طبقها رضي الله عنه وأرضاه .

الفصل الخامس

النتائج والتوصيات

ويشتمل على :

المبحث الأول : النتائــــج .

المبحث الثاني : التوصيــات .

المبحث الأول

النتائـــج

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذه الدراسة ، ووفقنا لإخراجها على هذه الصورة المتواضعة ، فما كان صواباً فمن الله سبحانه وتعالى ، وما كان خطأ فمني ومن الشيطان ـ والخطأ والتقصير وارد بلا شك ـ فاستغفر الله عن كل خطأ ، وأدعو الله جل شأنه أن ينفع بها لتكون شعلة من مشاعل الثبات على هدى الإسلام ، واتباع نهج سلفنا الصالح رضي الله عنهم جميعاً .

وختاماً فإنني فيما يلي أورد أهم النتائج التي وصلت إليها ، علماً بأنني أرى أن النتائج أنسب ما تكون في البحوث الميدانية والتجريبية والعملية ، خلافاً لما في دراستنا وأمثالها التي قد تكون في معظمها أموراً تستحق القراءة والاستقراء والاستنباط ثم الاتباع والتطبيق ، وعلى أي حال فهذه أهم ما رأينا من نتائج عامة على وجه الإجمال والإختصار :

أولاً : لقد تميزت إدارة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، وولايته للمسلمين بتحقيق جماع الدين ومقصود جميع الولايات الإسلامية ــ عند شيخ الإسلام ابن تيمية ــ وهو : أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، وهو الذي بعث الله رسوله عليه الصلاة والسلام للأمر به أو النهي عنه[1] ، في كل شؤون المسلمين وأمور حياتهم في سلمهم وحربهم .

ثانياً : اتصف عمر بن عبدالعزيز بصفات نبيلة وأخلاق فاضلة ، لا غني لأي مسلم عنها ــ فضلاً عن ولي أمر ــ إذ كان أهمها على الإطلاق : الصفات الاعتقادية ، فكان يتصف بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وشدة الخوف من الله والوجل من يوم القيامة .

(١) ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ، ص ٦ .

ثم الصفات السوكية وأبرزها : الصدق وكراهة الكذب ، والصبر ، والقناعة ، والحلم والعفو ، والجرأة والصراحة والجهر بالحق ، وعلوّ الهمّة والطموح ، والزهد ، والتواضع ، والورع ، والحزم ، والعدل .

وأخيراً الصفات العقلية وهي : الفهم والإدراك العميقين للأمور ، والبلاغة وفصاحة اللسان وحسن البيان ، والعلم . علماً بأن هذا الحصر لهذه الصفات ، والقول بتحلّي عمر بها ، لم يكن إلا بعد أن ثبت لدينا ذلك بالشواهد والأدلة ، وأوردنا ما يمكننا من الجزم بوجود تلك الصفات في شخصية عمر ، وذلك ما تمخض عنه أحد عناصر النموذج الإداري الذي نسعى لإبرازه .

ثالثاً : لقد تبنى عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه مبادىء إدارية جعلها في حيز التطبيق ، إذ أثبتت سيرته إخضاع إدارته لها قولاً وعملاً وهي :

مبدأ الحاكمية لله وحده ، ومبدأ الشورى ، ومبدأ استعمال الأصلح ، ومبدأ المساواة ، ومبدأ الولاء الكامل للحق ونصرة المظلومين ، ومبدأ الحرية الإنسانية العامة ، ومبدأ الوقاية من الفساد الإداري ، ومبدأ الموازنة بين المركزية واللامركزية، ومبدأ المرونة، ومبدأ تحري ومراعاة أهمية الوقت ، ومبدأ تقسيم العمل ، وأخيراً مبدأ الحفز والترغيب ، مما كان له أكبر الأثر في وضوح العنصر الثاني من النموذج الإداري الذي نسعى إلى بلورته وإبرازه مما بدا لنا في شخصية عمر بن عبدالعزيز وإدارته .

رابعاً : إن الصفات القيادية التي تحلّى بها عمر بن عبدالعزيز ، والمبادىء الإدارية التي طبقها رحمه الله ، هي في مجملها صفات ومبادىء قامت على خصائص وأسس ومبادىء إسلامية ربانية ، شاملة جامعة ، تحقق لعمر وللمجتمع الإسلامي في ظل تحلّيه بها ، وتطبيقه لها ، خير الدنيا والآخرة ، وللأمة الإسلامية العزة والمنعة بأمر الله .

إذ يمكن القول : إن سيرة عمر مثل ملموس وواقعي لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإحياء السنة المطهرة ، والتزام سيرة الخلفاء الراشدين .

خامساً : إننا من خلال ما اتضح لنا من دراستنا لشخصية عمر بن عبدالعزيز وسيرته وسياسته الإدارية ، يمكننا القول إن صفاته ومبادئه وتطبيقاته الإدارية يرحمه الله ، تعد أنموذجاً فريداً ، في المثالية ، والواقعية ، والنجاح ، ذلك النموذج الذي تحقق لعمر بفضل الله وتوفيقه ثم بفضل اتباع هذا النموذج ، النجاح في كافة المجالات ، وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فأعاد للأمة الإسلامية عهد الخلافة الراشدة ، وهذا ما نحن في أشد الحاجة إلى تبنيه وتطبيقه .

سادساً : ومن خلال دراستنا لسيرة الخليفة عمر بن عبدالعزيز يتضح أيضاً للجميع أهميةُ وجود القادة ، والمديرين ، والمسؤولين والمعلمين المؤمنين الراشدين ، ليرى أتباع هؤلاء ومرؤوسوهم فيهم القدوة العلمية لتطبيق خصائص الإسلام في مجال العمل الإسلامي ، وبخاصة الإدارة ، والإدارة التربوية بوجه أخصّ ، فالإدارة عند المسلمين اليوم تعاني خطورة تبنِّي مفاهيم إدارية غربية أو شرقية ، قد لا تتفق مع تعاليم وخصائص الإسلام ، في الوقت الذي يقل اهتمامنا بالمفاهيم والخصائص والمبادىء الإدارية في الإسلام ، لذا فإن الأمر يحتم عدم الوقوف عند حد الإشارة إلى ذلك والدعوة إليه ، فليبدأ كلٌّ منا بما يقدر عليه من التطبيق والاقتداء .

سابعاً : إن الإسلام بتعاليمه السمحة ، ومفاهيمه السليمة ، عندما يكشف الغطاء عن صورتها الجلية الصحيحة ، دون تظليل أو دس ، أو إخضاع لمصالح خاصة ، وعندما تطبق أسسه ومبادئه نصاً وروحاً ، سيجد

العالم كلَّه الإسلامَ موافقاً لطبيعة وفطرة البشر في أي زمان أو مكان ، ومحققاً لأسمى أهداف وتطلعات الإنسان في دنياه وآخرته .

ثامناً : لقد كان لمقومات تربية عمر بن عبدالعزيز ، وجوانب تربيته وتعليمه الأثرُ الكبير والفاعل في سلوك عمر القيادي والإداري ، كما تأثرت إدارته يرحمه الله بالبيئة الإدارية والحكم الأموي الذي عاصرها قبل توليه الخلافة .

تاسعاً : تميزت إدارة عمر بن عبدالعزيز بالاهتمام بالعلم ونشره ، وتدوين العلوم الإسلامية ، وتوقير العلماء والفقهاء ، وإكرامهم . والاعتماد عليهم ومشاورتهم ، اعترافاً بدورهم في إصلاح أمر الأمة الإسلامية .

عاشراً : تميز عمر بن عبدالعزيز بمنهج قيادي وإداري بارز في تعليم وتثقيف الأمة الإسلامية ، ونشر العلم والفقه بينهم ، وتربية أفراد المجتمع الإسلامي ، وجبلهم على السلوكيات والأخلاق الإسلامية الفاضلة ، وتطهير حياتهم الفكرية والخلقية من الآثار الجاهلية .

أحد عشر : اتبع عمر بن عبدالعزيز منهجاً قيادياً وإدارياً سديداً في تربية وتعليم أولاده ، التربية الإسلامية الصحيحة ، وهو من الأساليب والمناهج الجديرة بالأتباع في التربية .

إثنا عشر : لقد كان لعمر بن عبدالعزيز أسلوب متميز في السياسة الاقتصادية، ولعل من الأمور المسلم بها ، أن المصالح تخضع الإنسان لابن جنسه الإنسان، وفي عهد عمر أغنى الله الناس كل منهم عن الآخر، حتى لا يجدَ مُخرجُ الزكاة من يأخذها ، فكان كل مسلم يعمل لله أولاً ، وتأتي المصلحة ثانياً ، فلا يحتاج للكذب ولا النفاق ولا التدليس إلى غير ذلك من الأخلاق والسلوكيات المشينة، فاستقامت الأمور ، واطمأنت الرعية ، ونجحت الإدارة وأغلقت أبواب الفساد الإداري .

ثالث عشر : إن المدقّق في النمط القيادي الذي اتسمت به قيادة عمر بن عبدالعزيز ، يتضح له جلياً ، اعتماد ذلك النمط على ركائز خمس هي : الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ، والتأسي بمن قبله من الخلفاء الراشدين ، والحرص على تقديم القدوة الحسنة ، والاهتمام بمصالح الأمة وشؤون الرعية ، وأخيراً الحوار العلمي .

رابع عشر : لقد كانت الوظائف الإدارية الحديثة واضحة الممارسة ، وملموسة الأثر في إدارة عمر بن عبدالعزيز ، فقد أخذ التخطيط ، والتنظيم ، والتوجيه ، والرقابة جانباً كبيراً من الاهتمام والتطبيق في كل إجراءاته الإدارية .

خامس عشر : لقد توصلنا ضمن محتويات هذا البحث المتواضع إلى كيفية ، رأينا صلاحيتها للتبني والتطبيق لصفات عمر ، ومبادئه الإدارية في إدارتنا المعاصرة . إننا نؤكد أن القارئ الكريم بنظره الثاقب ، وفهمه العميق وقت قراءته للبحث ، وللشواهد الدالة على ما أثبتناه من صفات عمر ، ومبادئه الإدارية ، قادر على استنتاج أسلوب يراه مناسباً لكيفية تبني تلك الصفات ، وتطبيق تلك المبادئ ، بما يتلاءم وموقفه وحالته الإدارية ومسؤوليته ، واستنباط الكثير من العبر والعظات والفوائد مما فاتنا الكلام عنه ، أو الإشارة إليه .

المبحث الثاني
التوصيات

في ختام هذه الدراسة عن عمر بن عبدالعزيز ، ونشأته، وتربيته ، وتعليمه، وأبرز توجهاته القيادية والإدارية في مجال تربية وتثقيف المجتمع ، وتربية وتعليم أولاده ، وكذلك أهم الصفات القيادية التي اتسم بها ، والمبادىء الإدارية التي طبقها ، إلى غير ذلك من المواضيع التي نحسب أنها ذات فائدة إن شاء الله ، المعنونة بـ « النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر بن عبدالعزيز ، وتطبيقاته في الإدارة ، وبخاصة الإدارة التربوية » ، رأينا أن نتقدم ببعض التوصيات ، وهي :

أولاً : نوصي بأن تتضافر جهود العلماء والمتخصصين ، لترسيخ الأصول العلمية للإدارة على أسس من الإيمان الصادق بالله ، والإخلاص له قولاً وعملاً ، وربط الإدارة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، والعمل على إبراز ما يتميز به الفكر الإداري في الإسلام من السمات والخصائص، على النظريات والمفاهيم الإدارية المعاصرة ، وأن هذا الفكر جزء من الإسلام ، الذي رضيه الله عز وجل ، منهجاً وشريعة لخلقه .

ثانياً : نوصي ـ ونؤكد ـ على ضرورة التحلِّي بالصفات القيادية التي سبق أن أثبتنا أن عمر بن عبدالعزيز ، اتصف بها ، تلك الصفات التي تعد لازمة لكل ولي أمر ، قائداً كان أو مديراً أو معلماً أو أي مسؤول ، بل ولكل مسلم . وذلك لما عليها من تأكيد في إطار تعاليم الشريعة الإسلامية أولاً ، ثم لما كان لها من نتائج إيجابية في مجال قيادة وإدارة عمر بن عبدالعزيز ثانياً .

ثالثاً : لقد توصلنا فيما توصلنا إليه في هذا البحث ، إلى توصيات لكيفية ـ متواضعة ـ نرى ملاءمتها لتبني صفات عمر القيادية والتحلّي بها ، في إدارتنا الحاضرة ، ونوصي بالرجوع إليها ، والعمل على الاستفادة منها ، وتطبيقها ، فضلاً عما تستنتجه أخي القارىء الكريم من الكيفية التي ترى ملاءمتها للتحلي بصفات عمر بن عبدالعزيز .

رابعاً : نوصي ـ ونؤكد ـ على ضرورة تبني المبادىء الإدارية الاثني عشر ، التي سبق أن استنتجنا تطبيق عمر بن عبدالعزيز لها ، فكراً وعملاً . تلك المبادىء التي تتوافق مع تعاليم الدين الإسلامي ، بل تنطلق منه ، وتنبض بروحه . وذلك لما لتلك المبادىء من الحاجة الماسة في إدارتنا المعاصرة ، وبخاصة الإدارة التربوية ، ولما تحقق لعمر بن عبدالعزيز إبان خلافته القصيرة من النجاح ـ بعون الله ـ في قيادة أمة الإسلام ، وإدارة الدولة الإسلامية ، ذلك النجاح الذي سيظل التاريخ يتحدث عنه على مرّ العصور .

خامساً : كذلك توصلنا إلى توصيات لكيفية ـ متواضعة ـ نرى صلاحيتها لتطبيق المبادىء الإدارية التي طبقها عمر بن عبدالعزيز ، في إدارتنا في الوقت الحاضر ، ونوصي بتبنيها وتطبيقها ، إضافة إلى ما يراه القارىء ملائماً من تطبيقات لتلك المبادىء في إدارته الحالية .

سادساً : إن حياة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه جديرة بالدراسة الواعية ، والتحليل العميق ، الدراسة التي تتجاوز السرد التاريخي المجرد للوقائع والأحداث ، إلى إبراز وبلورة المبادىء الإسلامية في تطبيقات عمر في مجالات التطبيق الاقتصادي ، والاجتماعي ، والسياسي ، والفقهي ، والقضائي ، والتربوي . إذ كان لعمر بن عبدالعزيز يرحمه الله ، تجربةٌ

ناجحة في كل هذه المجالات . لذا نوصي الباحثين بطرق أبواب البحث في هذه المجالات عند عمر . وبلا شك فكل محب للتقوى والصلاح ، والعدل ، والعلم ، والمثل العليا ، سيجد في سيرة عمر بن عبدالعزيز ما يَسُرّه .

سابعاً : نوصي بالاهتمام بتدريس الفكر والتطبيق الإداري ، والتربوي لدى علماء وزعماء وقادة الإسلام ، نظير ما نهتم به وندرسه في مدارسنا وجامعاتنا عن الفكر الإداري في الشرق والغرب . ألسنا ندرس مبادىء « تايلور » و« فايول »، والمدارس الإدارية لمثلهم؟. بلا شك ، إن ما نجم عن تطبيقات قادة وزعماء المسلمين ، أمثال الخلفاء الراشدين ، ومعظم الخلفاء الأمويين والعباسيين وغيرهم من عظماء المسلمين ، وما جادت به قرائح علماء المسلمين ، أمثال الماوردي ، وابن تيمية ، والقلقشندي ، وغيرهم كثير ، ما هو جدير بتعليمه وتطبيقه ، لملاءمته لنا ، فليكن اهتمامنا بما لدينا مثل اهتمامنا بما لدى الآخرين إن لم يكن أكبر .

ثامناً : نوصي بتبني المنهج القيادي والإداري الذي طبقه عمر بن عبدالعزيز في مجال تربية وتعليم وتثقيف المجتمع والأمة الإسلامية . والذي سبق الحديث عنه في هذه الدراسة .

تاسعاً : كما نوصي بتطبيق المنهج القيادي والإداري الذي طبقه عمر بن عبدالعزيز في مجال تربية وتعليم أولاده ، والذي سبق أن تحدثنا عنه في هذا البحث أيضاً .

عاشراً : نوصي بالعمل على إعداد المسؤولين من قادة ، وإداريين ، ومعلمين ، وموجهين ، وغيرهم ، إعداداً متكاملاً من حيث العقيدة ، أولاً ، ثم من حيث الإعداد الإداري والفني والثقافي . إضافة إلى ضرورة الإلمام

بأصول وأسس الإدارة والقيادة ومبادىء التخطيط والتنظيم وما إلى ذلك من الأمور الهامة في الإدارة .

أحد عشر : نوصي بأن يُنظر إلى العمل القيادي والإداري على أنه عملية تسعى إلى تحقيق أهداف ، هي في مجملها ـ وإن كان فيها أهداف خاصة ـ أهداف عامة يتحقق بها للفرد والمجتمع والأمة بأكملها الرقيُّ والتقدم ، وعند القناعة بذلك، يكون التعاون وتضافر الجهود بين القائد ومن يتبعه ، وبين الرئيس والمرؤوس ، أمراً واجباً يتطلب تحقيق ما تتطلع إليه الأمة من بناء الحضارات ، ومجد التاريخ ، ونخص بالذكر من يعمل في المؤسسات التعليمية على مختلف مستوياتها وأنواعها .

اثنا عشر : نوصي بمشاركة القياديين والإداريين في وضع الخطط والدراسات واتخاذ القرارات ، بالنسبة للحقل الذي يعمل فيه كل منهم ، ليكون لديهم المعرفة بما تسير عليه الأمور ، والخبرة الكافية بما يجب أن يكون ، لكي لا يكون إعداد مسؤولي المستقبل بمنأى عن طبيعة العمل ، وحركة التطوير لهذا الحقل .

ثالث عشر : نوصي بضرورة منح فرص المسؤولية للطاقات الشابة الملتزمة والمنضبطة ديناً وخلقاً ، وتنمية القدرات القيادية والإدارية لديهم ، في ظل وضوح الأهداف والاستراتيجيات والأنظمة .

رابع عشر : نوصي أن تقوم كل مؤسسة إدارية ، وكل منطقة تعليمية بعقد دورات مصغرة ، أو ندوات ومحاضرات ، للقادة والمديرين والمعلمين والأساتذة ، للتذكير بالصفات القيادية اللازمة لهم ، وإعطاء جرعات سريعة وموجزة عن المبادىء الإدارية الجديرة بالتبني ، والتطبيقات المثالية لها .

وقد يكون من المناسب أن يكون ذلك في بداية العام الدراسي للعاملين في مجال التربية والتعليم ، وسنوياً في المؤسسات والمنظمات الإدارية الأخرى .

خامس عشر : نوصي بأن يكون هناك تقويم للعاملين والمسؤولين ، على أسس علمية، ومقاييس دقيقة، وموضوعية، ومناسبة لكل عمل، وما يتطلبه أداء ذلك العمل، بدلاً من الاعتماد على الأحكام الشخصية ، والآراء الذاتية، بالإضافة إلى المعايير الأساسية ، من حيث الالتزامُ بالدين الإسلامي وتعاليمه السمحة .

سادس عشر : نوصي بوضع سجل تدريبي ومسلكي للكفاءة العملية والتدريب ، ولما يجب أن يكون عليه القائد أو المدير أو الإداري ، وبخاصة الإداريون والقادة التربويون والمعلمون والأساتذة ، ثم النظر فيما حققه ذلك المقَيَّم من متطلبات ذلك السجل النموذجي ، وما توصل إليه من الكفاءة ، وما طور نفسه به من تلقي التدريب ، وكسب الخبرات ، والاستفادة من تجارب وخبرات الآخرين .

سابع عشر : نوصي بتشجيع البحوث في هذا المجال ، والعمل على تبنِّي ما يصلح مما يتم بحثه في مجال الفكر والتطبيق الإداري في الإسلام، وبلورة ما يتم التوصل إليه ، للوصول إلى الفكر الإداري والنظرية الإدارية المتميزة في الإسلام ، وتأصيل علم الإدارة الحديث .

ذلك ما رأينا من التوصيات في ظل دراستنا المتواضعة عن سيرة عمر بن عبدالعزيز وصفاته القيادية ومبادئه الإدارية ، وما التوفيق إلا من عند الله .

الخاتمــة

بسم الله بدأنا ، وبحمد الله ختمنا هذه الدراسة، عن قمة من قمم الإسلام الشامخة، مجدد المائة الأولى، وخامس الخلفاء الراشدين، وأحد أئمة العدل المهديين ، أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، الذي قيل عنه الكثير من عبارات الثناء ، والإشادة ، والإعتراف بفضله في خدمة الإسلام والمسلمين ، وإعادتهم إلى عهد الخلفاء الراشدين ، فعن عمر بن عبدالعزيز يقول الحسن البصري : « إن كان مهدي ، فعمر بن عبدالعزيز وإلا فَلاَ مهدي إلا عيسى بن مريم عليه السلام »[1] .

وقال ميمون بن مهران : « إن الله ، عز وجل ، تعاهد الناس بعمر بن عبدالعزيز »[2] .

وقال محمد بن علي بن حسين الباقر[3] حين سئل عن عمر بن عبدالعزيز : « أما علمت أن لكل قوم نجيباً ، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبدالعزيز ، وأنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة »[4] . وقيل غير ذلك كثير . عن ذلك العلم كانت هذه الدراسة ، محاولة للتعرف على صفاته الشخصية رحمه الله ، وأهم مقومات قيادته ، وإلقاء الضوء على منهجه في إدارته للدولة الإسلامية ، تلك الإدارة الخالدة ، التي أضاء بها وجه التاريخ ، وأصلح الله بها ما أفسد أهل الزمان ،

(١) ابن الجوزي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٣) هو محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، تابعي جليل ، أحد أعلام هذه الأمة ، علماً وعملاً وشرفاً ، وهو أحد الأئمة الأثني عشر ، الذين تدعي طائفة الشيعة إمامتهم ، لم يكن رحمه الله على طريقهم ، ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخيالهم ، وسمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الأحكام، توفي سنة ١١٤ هـ . (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢١٧) .

(٤) ابن الجوزي : عمر بن عبدالعزيز ، ص ٧٤ .

وأعاد الحكم لشريعة الله السمحة ، ليس على صعيد واحد ، بل على مختلف الأصعدة ، السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والتربوية ، في كل أصقاع البلادالإسلامية ، بل وفي غيرها .

إذ جاء في هذه الدراسة ، تعريفاً بعمر ، والبيئة التي نشأ فيها وأثرها في ممارسته القيادية والإدارية ، وأبرز توجهاته القيادية والإدارية في مجال التربية والتعليم، وتربية وتعليم أولاده، وكذلك أهم الصفات القيادية التي تحلى بها عمر، والمبادىء الإدارية التي طبقها .

كل ذلك ليتسنى لنا الإقتداء والتأسي بسيرة هذا الخليفة العادل ، ولتكون سيرته عبرة وعظة لنا وللأجيال على مر الأيام . ثم لتكون هذه الدراسة محاولة للإسهام في تأصيل منهج الدراسات القيادية والإدارية الحديثة، واستقصاء الفكر والتطبيق الإداري الإسلامي ، لبلورة وإبراز « الأنموذج الإسلامي للإدارة » .

نسأل الله جل شأنه أن يحقق لنا ، وللأمة الإسلامية ما تصبو إليه ، وأن يمنحها العزة والمنعة في ظل شرعه الحنيف .

كما نسأل الله العلي القدير أن يتغمد عمر بن عبدالعزيز بشآبيب الرحمة والغفران ، وأن يجعله في منازل الصديقين والشهداء .

وأخيراً الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الباحث



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١ - إبراهيم ، عبدالعليم : « الإملاء والترقيم في الكتابة العربية » ، الفجالة ، مكتبة غريب ، بدون تاريخ نشر .

٢ - ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) : « الكامل في التاريخ »، تحقيق نخبة من العلماء ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣ هـ .

٣ - الآجري ، أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠ هـ) : « أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته » تحقيق د . عبدالله عبدالرحيم عسيلان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ .

٤ - الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠ هـ) : « حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء » ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٠ هـ .

٥ - ابن الأعرابي ، أحمد بن محمد بن زياد (ت ٣٤٠ هـ) : « الزهد وصفة الزاهدين » ، تحقيق مجدى فتحي السيد ، طنطا ، دار الصحابة للتراث ، ١٤٠٨ هـ .

٦ - ابن الأعرج ، أبي الفضل محمد (ت ٩٢٥ هـ) : « تحرير السلوك في تدبير الملوك » تحقيق د . فؤاد عبدالمنعم ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ نشر .

٧ - الأميري ، عمر بهاء الدين : « الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري » ، الدوحة ، مؤسسة الشرق للنشر والترجمة ، ١٩٨٣ م .

٨ ـ أمين ، أحمد : « فجر الإسلام يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية » ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ م .

٩ ـ الأهل ، عبدالعزيز سيد : « الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩ م .

١٠ ـ باشا، أحمد زكي (ت ١٣٥٣ هـ): « الترقيم وعلاماته في اللغة العربية » ، اعتنى به عبدالرحمن بن فوده ، الجيزة ، مكتبة التوعية الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ .

١١ ـ ابن الباغندي ، أبو بكر محمد بن حمد بن سليمان بن الحارث الواسطي (ت ٣١٢ هـ) : « مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز » تحقيق أبو هاجر محمد السعيد زغلول، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٠٦ هـ .

١٢ ـ البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ) : « التاريخ الكبير » ، بدون تاريخ نشر وناشر .

١٣ ـ البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) : « صحيح البخاري » ، بيروت عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ .

١٤ ـ البرعي ، د. محمد عبدالله و د. عدنان عابدين : « الإدارة في التراث الإسلامي مع حكم وأمثال للمسئولين ورجال الأعمال » جدة ، مكتبة الخدمات الحديثة ، ١٤٠٨ هـ .

١٥ ـ بستان ، د . أحمد عبدالباقي ود. حسن جميل : « مدخل إلى الإدارة التربوية » الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٣ هـ .

١٦ ـ البسوي، أبي يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ): « المعرفة والتاريخ »، تحقيق أكرم ضياء العمري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ .

١٧ ـ الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) : « سنن الترمذي » تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ .

١٨ ـ ابن تيمية ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨ هـ) : « الحسبة في الإسلام » ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ نشر .

١٩ ـ ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨ هـ) : « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٣ هـ .

٢٠ ـ ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨ هـ) : « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد النجدي وابنه محمد ، مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، طبع بإدارة المساحة العسكرية بالقاهرة ، ١٤٠٤ هـ .

٢١ ـ الثبيتي ، فهد سعد : « القيادة التربوية بين المفهوم الإسلامي والغربي » ، مكة المكرمة ، ١٤٠٤ هـ ، (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة أم القرى) .

٢٢ ـ جائزة الملك فيصل العالمية : « الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية للعام ١٤٠٦ هـ » ، الرياض ، إصدار جائزة الملك فيصل العالمية ، ١٤٠٦ هـ .

٢٣ ـ الجمل ، إبراهيم محمد : « عمر بن عبدالعزيز وأولاده منهجاً وتربية » ، مجلة الأزهر ، الجزء الثاني ، السنة الثانية والستون ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، صفر ١٤١٠ هـ .

٢٤ ـ جنزرلي ، رياض صالح : « الإدارة الإسلامية لمحات من أسسها » ، مكة المكرمة ، ١٣٩٧ هـ ، (بحث متطلب خاص للماجستير غير منشور ، قدم لجامعة الملك عبدالعزيز ، فرع مكة المكرمة) .

٢٥ ـ جودة ، د . صادق بن أحمد داود : « قراءة في نهاية عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين »، الرياض، دار أميه للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ.

٢٦ ـ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن (ت ٥٩٧ هـ) : « سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد »، تحقيق نعيم زرزور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ .

٢٧ ـ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن (ت ٥٩٧ هـ) : « صيد الخاطر » تحقيق ناجي الطنطاوي ، مراجعة علي الطنطاوي ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٧ هـ .

٢٨ ـ ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبدالرحمن (ت ٣٢٧ هـ) : « كتاب الجرح والتعديل » ، بيروت ، دار إحياد التراث العربي ، ١٣٧١ هـ .

٢٩ ـ الحاكم ، محمد بن عبدالله (ت ٤٠٥ هـ) : « المستدرك على الصحيحين في الحديث » ، بيروت ، دار الكفر ، ١٣٩٨ هـ .

٣٠ ـ حبيب ، سعد عبدالسلام : « عمر بن عبدالعزيز » ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٠ م .

٣١ ـ ابن حجر ، أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ) : « تهذيب التهذيب » ، بيروت ، دار صادر ، طبع بحيدر أباد ، ١٣٢٥ هـ .

٣٢ ـ حسن ، حسن إبراهيم : « تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي » ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ م .

٣٣ ـ الحسني، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ): «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» ، تحقيق فؤاد سيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ .

٣٤ ـ الحموي ، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ) : « معجم البلدان » ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٤ هـ .

٣٥ ـ ابن حنبل ، الإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ) : « مسند الإمام أحمد »، بيروت ، المكتب الإسلامي ، دار صادر ، بدون تاريخ نشر .

٣٦ ـ خالد ، خالد محمد : « معجزة الإسلام عمر بن عبدالعزيز » ، (ضمن مجلد خلفاء الرسول) ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ .

٣٧ ـ الخضري ، الشيخ محمد : « محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، الدولة الأموية » ، القاهرة ، دار الفكر ، بدون تاريخ نشر .

٣٨ ـ الخطيب البغدادي ، أبي بكر بن علي (ت ٤٦٣ هـ) : « تقييد العلم » ، تحقيق يوسف العش ، دار إحياء السنة النبوية ، ١٩٧٤ م .

٣٩ ـ الخطيب البغدادي ، أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) : « شرف أصحاب الحديث » ، تحقيق محمد سعيد خطيب أوغلي ، أنقرة ، دار إحياء علوم السنة النبوية ، ١٩٧١ م .

٤٠ ـ خليل ، د. عماد الدين : « حول انهيار الدولة الأموية دارسة مقارنة في سياسة يزيد بن عبدالملك ١٠١ ـ ١٠٥ هـ » ، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، العدد الرابع ، ١٤٠١ هـ .

٤١ ـ خليل ، د . عماد الدين : « ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز » ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ .

٤٢ ـ خلف الله ، د . محمد أحمد : « القرآن والدولة » ، بيروت ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ م .

٤٣ ـ الخماش ، نجده : « الإدارة في العصر الأموي » ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ .

٤٤ ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) : « مقدمة ابن خلدون »، بيروت ، دار الجيل ، بدون تاريخ نشر .

٤٥ ـ ابن خياط ، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ) : « تاريخ خليفة بن خياط » ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، الرياض ، دار طيبة للنشر ، ١٤٠٥ هـ .

٤٦ ـ أبي داوود ، سليمان ابن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) : « سنن أبي داوود » ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار إحياء السنة النبوية ، بدون تاريخ نشر .

٤٧ ـ ديرانية ، د . أكرم رسلان : « الحكم والإدارة في الإسلام دراسة تحليلية مقارنة » جدة ، دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ .

٤٨ ـ ديوان الخدمة المدنية : « نظام الخدمة المدنية » الصادر بالأمر الملكي رقم ٤٩ ، وتاريخ ١٣٩٧/٧/١٠ هـ .

٤٩ ـ الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) : « تذكرة الحفاظ »، تصحيح عبدالرحمن المعلمي، بيروت ، دار إحياء علوم التراث العربي ، ١٣٧٤ هـ .

٥٠ ـ الذهبي ، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ): « سير أعلام النبلاء » ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ .

٥١ ـ الذهبي ، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ): « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٧ .

٥٢ ـ ابن الربيع الشيباني ، عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤ هـ) : « تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ » ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٧ هـ .

٥٣ ـ الزاوي ، الطاهر أحمد : « ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير » ، بيروت ، دار الكتاب العلمية ، ١٣٩٩ هـ .

٥٤ ـ الزحيلي ، د . وهبه : « الخليفة الراشد العادل عمر بن عبدالعزيز » ، دمشق ، دار قتيبة ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ نشر .

٥٥ ـ الزركلي ، خير الدين : « الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م .

٥٦ ـ الزرنوجي ، برهان الإسلام : (ت في النصف الأول في القرن السابع الهجري) : « تعليم المتعلم طريق التعلم » ، تحقيق مروان قباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠١ هـ .

٥٧ ـ زكريا ، ماجدة فيصل : « عمر بن عبدالعزيز وسياسته في رد المظالم » ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧ هـ .

٥٨ ـ زهران ، د . حامد عبدالسلام : « علم نفس النمو ـ الطفولة والمراهقة » ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢ م .

٥٩ ـ الزهراني ، علي إبراهيم : « مبادىء مختارة للإدارة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النبوية » ، مكة المكرمة ، ١٤٠٦ هـ ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت لجامعة أم القرى) .

٦٠ ـ سالم ، فؤاد الشيخ وآخرون : « المفاهيم الإدارية الحديثة » ، عمان ، شركة دار الشعب ، بدون تاريخ نشر .

٦١ ـ سعادة ، إبراهيم : « الإسلام وتربية الإنسان » ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، ١٤٠٥ هـ .

٦٢ ـ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع المشهور بكاتب الواقدي (ت ٣٢٠ هـ): « الطبقات الكبرى » ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٧ هـ .

٦٣ ـ أبو سعيد ، حامد غنيم : « الأسرة الأموية بين القيم الإسلامية والاعتبارات السياسية » ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، العدد الرابع ، ١٤٠٠ هـ .

٦٤ ـ أبو سن ، أحمد إبراهيم : « الإدارة في الإسلام » ، الخرطوم ، الدار السودانية للكتب ، مكتبة وهبه ، ١٤٠٤ هـ .

٦٥ ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ) : « تنوير الحوالك شرح على موطأ الإمام مالك » ، بيروت ، المكتبة الثقافية ، ١٩٨٤ م .

٦٦ ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ) : « تاريخ الخلفاء » ، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ نشر .

٦٧ ـ الشباني ، محمد عبدالله : « نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية منذ صدور الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية » ، القاهرة ، عالم الكتب، ١٣٩٩ هـ .

٦٨ ـ الشبرمي ، حمود بن دخيل الله بن حمود : « عمر بن عبدالعزيز حياته ومنهجه في الدعوة »، الرياض ، ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥ هـ . (رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) .

٦٩ ـ شقير، محمد بن سعد : « فقه عمر بن عبدالعزيز »، الرياض ، ١٤٠٧ هـ، (رسالة دكتوراه غير منشورة ، مقدمة للمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سيعود الإسلامية) .

٧٠ ــ شلبي ، محمود : « حياة عمر بن عبدالعزيز » ، بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٢ هـ .

٧١ ــ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) : « فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير » ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ .

٧٢ ــ الشوكاني ، محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) : « نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار » ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٣ م .

٧٣ ــ الصابوني ، محمد بن علي : « تدوين الحديث الشريف » ، مجلة المنهل ، جدة ، العدد ٤٨٤ ، المجلد ٥٢ ، ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٤١١ هـ .

٧٤ ــ صالح ، محمد أحمد رضوان : « مناهج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي » ، مجلة المنهل ، جدة ، العدد ٤٨٤ ، المجلد ٥٢ ، (عدد خاص عن الحديث النبوي والقدسي) ، ربيع الآخر وجمادي الأولى ١٤١١ هـ .

٧٥ ــ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ) : « أمراء دمشق في الإسلام »، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، مطبعة الترقي، ١٩٥٥ م .

٧٦ ــ صفوت ، أحمد زكي : « عمر بن عبدالعزيز » ، القاهرة ، دائرة المعارف ، سلسلة إقرأ ٦٥ ، ١٩٦٣ م .

٧٧ ــ الضحيان ، د . عبدالرحمن إبراهيم : « الإدارة في الإسلام الفكر والتطبيق » ، جدة ، دار الشروق ، ١٤٠٧ هـ .

٧٨ ــ ضناوي ، د . محمد على : « عمر بن عبدالعزيز في الحكم والاقتصاد والقضاء » ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، دار الإيمان ، ١٤٠٣ هـ .

٧٩ ــ الطبري ، أبــو جعــفر محمــد بن جرير (ت ٣١٠ هــ) : « تاريخ الأمم والملوك » ، تحقيق محمد بن أبي الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار سويدان ، بدون تاريخ نشر .

٨٠ ــ الطحان ، د . محمود : « تيسير مصطلح الحديث » ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠١ هــ .

٨١ ــ ابن الطحان الحضرمي، يحيى بن علي بن محمد (ت ٤١٦ هــ) : « تاريخ علماء أهل مصر » ، تحقيق محمود بن محمد الحداد ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٤٠٨ هــ .

٨٢ ــ الطماوي ، سليمان محمد : « عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة » ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٦ م .

٨٣ ــ الطنطاوي ، علي : « رجال من التاريخ »، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢ هــ .

٨٤ ــ عبدالباقي ، محمد فؤاد : « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » ، دار الفكر ، ١٤٠١ هــ .

٨٥ ــ ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف (ت ٤٦٣ هــ) : « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ١٣٨٨ هــ .

٨٦ ــ ابن عبدالحكم ، أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم (ت ٢١٤ هــ) : « سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه » ، تحقيق أحمد عبيد ، دمشق ، مكتبة وهبة ، ١٣٧٣ هــ .

٨٧ ــ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٧ هــ): « العقد الفريد » ، تحقيق محمد سعيد العريان ، الرياض ، دار الرياض الحديثة ، بدون تاريخ نشر .

٨٨ ـ عبدالرحيم ، محمد عثمان : « الخليفة عمر بن عبدالعزيز محتسباً » ، المدينة المنورة ، ١٤٠٥ هـ (رسالة ماجستير غير منشورة ، قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فرع المدينة المنورة) .

٨٩ ـ عبدالرزاق ، محمد نور الدين : « مبادىء علم الإدارة مع دراسة تطبيقية للإدارة العامة بالمملكة العربية السعودية » ، جدة ، مكتبة الخدمات الحديثة ، الكتاب الأول من سلسلة الكتاب الجامعي ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ نشر .

٩٠ ـ عبدالله ، د . عبدالرحمن صالح عبدالله و د . حلمي فودة : « المرشد في كتابة البحوث التربوية » ، مكة المكرمة ، مكتبة المنارة ، ١٤٠٨ هـ .

٩١ ـ عبدالهادي ، د . حمدي أمين : « الفكر الإداري الإسلامي والمقارن ، الأصول العامة » ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤٠٤ هـ .

٩٢ ـ عبدالوهاب ، علي محمد : « مقدمة في الإدارة » ، الرياض ، معهد الإدارة العامة ، ١٤٠٢ هـ .

٩٣ ـ العساف ، صالح بن حمد : « دليل الباحث في العلوم السلوكية » ، الرياض ، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ، ١٤٠٦ هـ .

٩٤ ـ ابن عساكر، على بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ) : « تهذيب تاريخ دمشق الكبير » (سبعة أجزاء فقط ، حتى بداية الحرف ـ ع ـ والباقي لايزال مخطوطاً) ، تحقيق الشيخ عبدالقادر بدران ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٩٩ هـ .

٩٥ ـ علاقي ، د . مدني عبدالقادر : « الإدارة دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية »، الكتاب الجامعي رقم (١)، جدة، تهامة، ١٤٠١ هـ .

٩٦ ـ علوان ، عبدالله ناصح : « تربية الأولاد في الإسلام » ، حلب ، دار السلام ، ١٤٠١ هـ .

٩٧ ـ العلى ، الرائد محمد مهنا : « الإدارة في الإسلام » ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ .

٩٨ ـ عليان ، د . شوكت محمد : « الثقافة الإسلامية وتحديات العصر » ، الرياض ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، ١٤٠١ هـ .

٩٩ ـ عليان ، محمود : « الإدارة العامة والإدارة التربوية » ، مجلة التربية ، العدد صفر ، الكويت ، وزارة التربية ، إشراف مركز البحوث التربوية ، ١٩٨٨ م .

١٠٠ ـ عمارة ، د . محمد : « عمر بن عبدالعزيز ضمير الأمة وخامس الراشدين » ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٨ هـ .

١٠١ ـ الغزالي ، محمد : « خلق المسلم » ، بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٨ هـ .

١٠٢ ـ أبو فارس ، د . محمد عبدالقادر : « النظام السياسي في الإسلام » ، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية بالكويت تسلسل (٦١) ، لبنان ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٤ هـ .

١٠٣ ـ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن على (ت ٧٣٢ هـ) : « المختصر في أخبار البشر » ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ نشر .

١٠٤ ـ فلهوزن ، يوليوس : « تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية » ، ترجمة د . محمد عبدالهادي أبو ريده ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨ م .

١٠٥ ـ الفيومي ، أحمد بن محمد (ت ٧٧٠ هـ) : « المصباح المنير » ، بيروت ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ نشر .

١٠٦ ـ قادري ، د . عبدالله بن أحمد : « الشورى » ، جدة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ .

١٠٧ ـ قادري، د. عبدالله بن أحمد: « الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية »، جدة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ .

١٠٨ ـ قاسم ، قاسم جميل : « مفاهيم أساسية في القيادة الإدارية » ، مجلة الإدارة والتنمية ، معهد التنمية الإدارية بدولة الامارات العربية المتحدة ، العدد الأول ، ١٩٨٨ م .

١٠٩ ـ القدومي ، مروان على محمد : « السياسة الإدارية في عهد عمر بن عبدالعزيز » ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ (رسالة دكتوراه غير منشورة ، قدمت للمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

١١٠ ـ القرضاوي ، د . يوسف : « الإيمان والحياة » ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ .

١١١ ـ القرضاوي ، د . يوسف : « الرسول والعلم » ، دار الصحوة ، بدون تاريخ نشر .

١١٢ ـ القرضاوي ، د . يوسف : « الوقت في حياة المسلم » ، دار الصحوة ، بدون تاريخ ومكان نشر .

١١٣ ـ القطب ، د . محمد القطب طبلية : « نظام الإدارة في الإسلام دراسة مقارنة بالنظم المعاصرة » ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٥ م .

١١٤ ـ قطب ، محمد : « منهج التربية الإسلامية » ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٩ هـ .

١١٥ ـ قطب، محمد : « هل نحن مسلمون »، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨ هـ.

١١٦ ـ القلقشندي ، أحمد بن عبدالله (ت ٨٢٠ هـ): « مآثر الأنافة في معالم الخلافة » ، تحقيق عبدالستار أحمد فرج ، بيروت ، عالم الكتب ، بدون تاريخ نشر .

١١٧ ـ القناوي ، الشريف حسن محمد : « إدارة الفاروق عمر رضي الله عنه ، دراسة تحليلية في الإدارة التربوية » مكة المكرمة ، مطابع الصفا بمكة ، ١٤٠١ هـ .

١١٨ ـ إبن القيم : محمد إبن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١ هـ) : « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ .

١١٩ ـ الكتاني ، العلامة عبدالحي (ت ؟) : « نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية » ، الرباط ، المطبعة الأهلية ، ١٣٤٧ هـ .

١٢٠ ـ ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) : « البداية والنهاية » ، تحقيق د . أحمد أبو ملحم وآخرون ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٨ هـ .

١٢١ ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) : « عمر بن عبدالعزيز » تعليق أحمد الشرباصي ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ فرع الساحل ، الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ نشر .

١٢٢ ـ كحاله ، عمر رضا : « أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام » ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٨٧ هـ .

١٢٣ ـ كنعان ، د . نواف : « القيادة الإدارية » ، الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ م .

١٢٤ ـ الكيلاني ، د . ماجد عرسان : « فلسفة التربية الإسلامية » ، مكة المكرمة ، مكتبة هادي ، ١٤٠٩ هـ .

١٢٥ ـ ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) : « سنن ابن ماجة »، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥ هـ .

١٢٦ ـ ابن ماكولا ، الأمير الحافظ على بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ) : « الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب »، تصحيح عبدالرحمن يحيى المعلمي ، بيروت ، الناشر محمد أمين دمج ، بدون تاريخ نشر .

١٢٧ ـ الإمام مالك ، مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) : « موطأ الإمام مالك » ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، إعداد أحمد عرموش ، بيروت ، دار النقاش ، ١٤٠٠ هـ .

١٢٨ ـ الماوردي ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ): « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ نشر .

١٢٩ ـ الماوردي ، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ): « أدب الدنيا والدين » ، تحقيق مصطفى السقا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ نشر .

١٣٠ ـ المبارك ، محمد : « نظام الإسلام الحكم والدولة » ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١ هـ .

١٣١ ـ متولى ، عبدالحميد : « مبادىء نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادىء الدستورية الحديثة »، الاسكندرية ، منشأة المعارة ، ١٩٧٧ م.

١٣٢ ـ محفوظ ، علي (ت ١٣٦١ هـ) : « فن الخطابة وإعداد الخطيب » ، القاهرة ، دار الإعتصام ، بدون تاريخ نشر

١٣٣ ـ محمد ، فارعة حسن : « المعلم وإدارة الفصل » ، عين شمس ، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٨٤ م .

١٣٤ ـ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) : « مروج الذهب ومعاون الجوهر » ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ نشر .

١٣٥ ـ مطر ، أحمد فهيم : « عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين » ، الرياض ، مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، العدد ٢٣، ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩ هـ .

١٣٦ ـ معلوف ، لويس ، وفردينان توتل : « المنجد في اللغة والأعلام »، بيروت، دار الشروق ، ١٩٨٤ م .

١٣٧ ـ المعيني ، د . عبدالحميد : « الخليفة عمر بن عبدالعزيز والشعر » ، أبها مطبوعات نادى أبها الأدبي ، ١٤٠٦ هـ .

١٣٨ ـ مغربي ، محمد علي : « تاريخ الدولة الأموية »، القاهرة، مطبعة المدني ، ١٤٠٩ هـ .

١٣٩ ـ مكتب التربية لدول الخليج العربي : « الاتجاهات العالمية المعاصرة في القيادة التربوية » ، بدون تاريخ نشر .

١٤٠ ـ المنتدى الإسلامي : « التجديد في الإسلام » ، لندن ، ١٤١١ هـ .

١٤١ ـ ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) : « لسان العرب » ، بيروت ، دار صادر ، بدون تاريخ نشر .

١٤٢ ـ المنذري ، زكي الدين عبدالعظيم : « مختصر صحيح مسلم » ، تحقيق محمد ناصر الدين الأباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ .

١٤٣ ـ المنيف ، إبراهيم عبدالله : « الإدارة المفاهيم ـ الأسس ـ المهام » ، الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٠ م .

١٤٤ ـ المودودي ، أبو الأعلى : « الحكومة الإسلامية » ، ترجمة أحمد أدريس، جدة ، الدار السعودية ، ١٤٠٥ هـ .

١٤٥ ـ المودودي ، أبو الأعلى : « منهاج الانقلاب الإسلامي » ، جدة ، الدار السعودية ، ١٤٠٥ هـ .

١٤٦ ـ المودودي ، أبو الأعلى : « نظرية الإسلام السياسية » ، جدة ، الدار السعودية ، ١٤٠٥ هـ .

١٤٧ ـ الميداني ، عبدالرحمن حسن حبنكة : « الأخلاق الإسلامية وأسسها »، دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٧ هـ .

١٤٨ ـ ميريل ، هارووود . ف : « المأثورات في الإدارة » ، ترجمة إبراهيم البرسلي ، مراجعة وتقديم د . محمد توفيق رمزي، القاهرة ـ نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، دار المعرفة ، ١٩٦٧ م . (مقالين لـ « فريدريك تايلور » و« هنري فايول » عالمي إدارة) .

١٤٩ ـ النبهاني ، د . محمد فاروق : « مبادىء الثقافة الإسلامية » ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ .

١٥٠ ـ النحوي ، عدنان علي رضا : « ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية »، الرياض ، مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٤ هـ .

١٥١ ـ نحلاوي ، عبدالرحمن : « أصول التربية الإسلامية وأساليبها »، دمشق، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ .

١٥٢ ـ الندوي ، أبو الحسن علي الحسيني : « الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الحرة » ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ .

١٥٣ ـ الندوي ، أبو الحسن علي الحسيني : « خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز »، طبعة القاهرة ، المختار للنشر والتوزيع، بدون تاريخ نشر .

١٥٤ ـ النسائي ، أحمد بن شعيب علي (ت ٣٠٣ هـ) : « سنن النسائي » بشرح السيوكي ، وحاشية نور الدين السندي ، بيروت دار إحياء التراث العربي ، ١٣٤٨ هـ .

١٥٥ ـ نصير ، نعيم : « القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الإسلامي » ، عمان ، المنظمة العربية للعلوم الإدارية ، ١٩٨٧ م .

١٥٦ ـ النمر ، سعود محمد ، وآخرون : « الإدارة العامة، الأسس والوظائف »، الرياض ، مطابع الفرزدق ، ١٤٠٩ هـ .

١٥٧ ـ النووي ، محى الدين يحي بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) : « تهذيب الاسماء واللغات » ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ نشر .

١٥٨ ـ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣ هـ) : « نهاية الأرب في فنون الأدب » ، تحقيق على محمد البجاوي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٦ هـ .

١٥٩ ـ نيول ، كلارنس : « السلوك الإنساني في الإدارة التربوية »، ترجمة طه إلياس ومحمد خليل، عمان ، الدار العربية للنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ .

١٦٠ ـ الهاشمي، د . جليلة: « الإصلاح المالي والإقتصادي في سياسة عمر بن عبدالعزيز » ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٤ م .

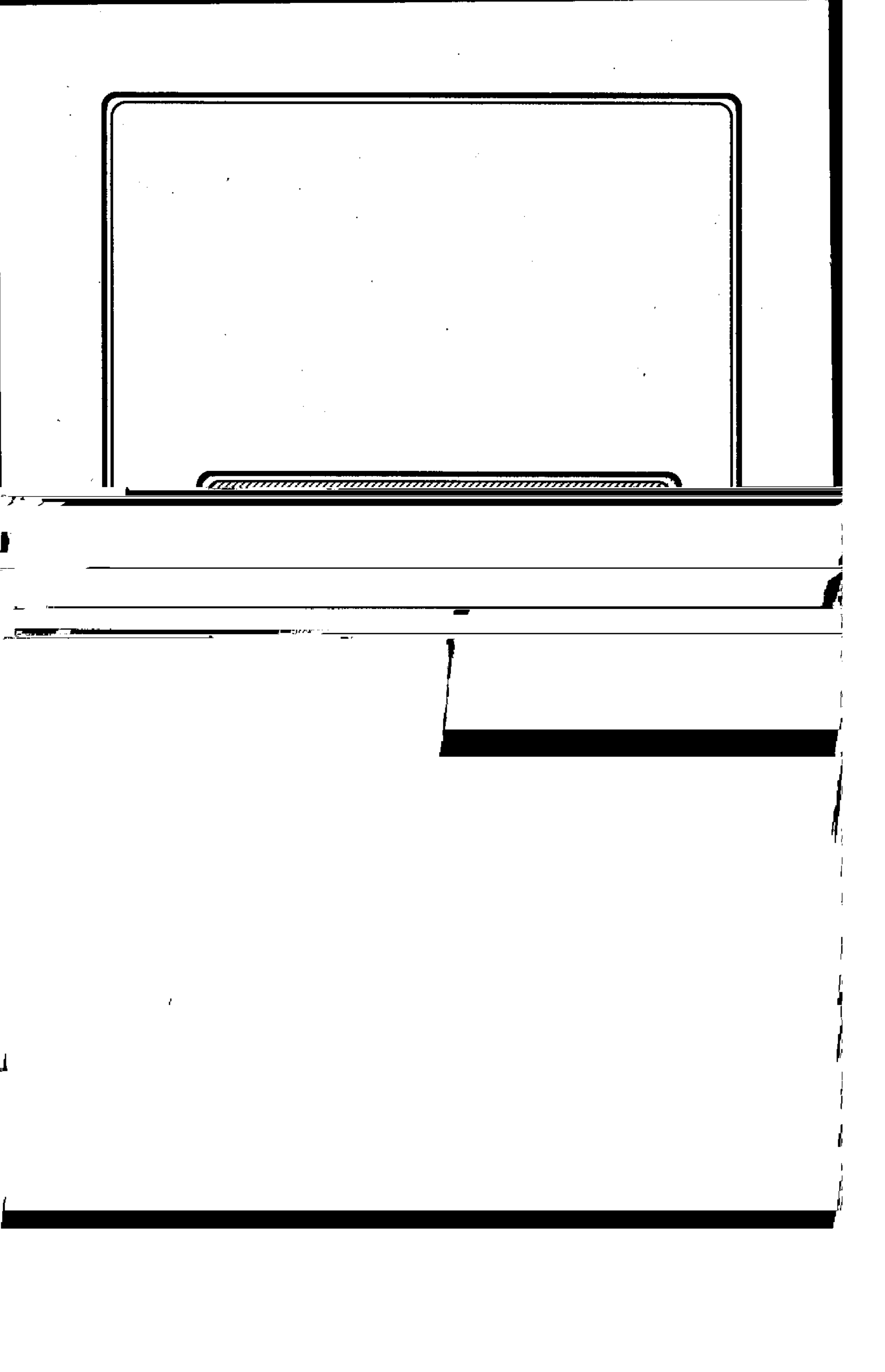
١٦١ ـ الهواري ، د . سيد : « الإدارة ، الأصول والأسس العلمية » ، القاهرة ، مكتب عين شمس ، ١٩٨٧ م .

١٦٢ ـ الهوني ، فرج محمد : « النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية ـ منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية »، بنغازي، الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ١٣٩٦ هـ .

١٦٣ ـ ونسنك ، وآخرون : « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » ، ترتيب وتنظيم لفيف من المستشرقين ، استانبول ، دار الدعوة ، ١٩٨٦ م .

١٦٤ ـ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) : « تاريخ اليعقوبي » ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٧٠ م .

١٦٥ ـ الياسين ، جاسم محمد مهلهل : « القيادة ، الأسباب الذاتية للتنمية القيادية » ، الكويت ، دار الدعوة (٥٨) ، ١٤٠٨ هـ .



قائمة المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة